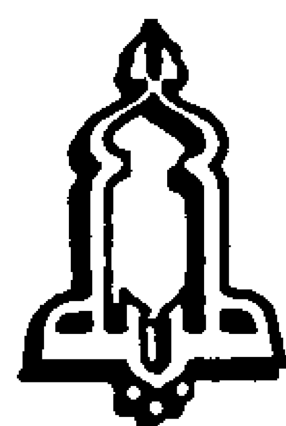
أهمية الجهاد

في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه

دكتور
علي بن نفيع العلياني

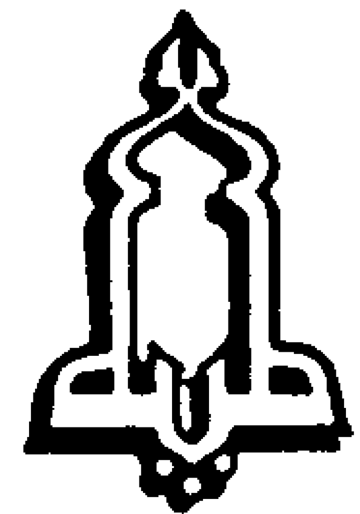


دار طيبة للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م



دار طيبة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - السويدي - ش السويدي العام - غرب النفق

ص.ب: ٧٦١٢ - رمز بريدي: ١١٤٧٢ - ت: ٤٢٥٣٧٣٧ - فاكس: ٤٢٥٨٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة التخصص الأخيرة «الدكتوراه» من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، فرع العقيدة وقد تكونت لجنة المناقشة من: -

١ - فضيلة الشيخ محمد قطب المشرف على الرسالة رئيساً.

٢ - فضيلة الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح قاري عضواً

٣ - فضيلة الدكتور عبد العزيز عبيد عضواً

ومنح صاحبها درجة الدكتوراة بتقدير ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة وذلك في ١٤٠٤/٥/٢٨ هـ.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه الكريم: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[1]. والقائل ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾[2]. والقائل: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾[3]. والقائل: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون﴾[4].. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ القائل «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم»[5]. والقائل «لغدوة في

---

(١) الأنفال: ٦١.

(٢) التوبة: ٤١.

(٣) التوبة: ١٢٣.

(٤) محمد: ٣٥.

(٥) مسند أحمد بن حنبل (٢: ٩٢).

سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[1]. والقائل «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق»[2]. ورضي الله عن صحابة رسول الله الذين اقتدوا به وساروا على نهجه ونشروا دينه ودفعوا أرواحهم ثمناً لذلك فكان منهم من يرمي الطعام من يده مع حاجته إليه ويستعجل الموت في سبيل الله[3] . ومنهم من أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً فيموت في سبيل الله وفاء بعهده[4] . ومنهم من يذهب سرية وحده فيقتل صنديداً من صناديد الكفر غير هياب ولا وجل[5] . . ورضي الله عمن تبعهم وسار على هديهم إلى يوم الدين وأرجو أن يكون منهم هارون الرشيد الذي كتب إلى حاكم الروم ـ لما نقض العهد وطالب بإرجاع ما أخذه المسلمون من الروم من جزية:

(بسم الله الرحمن الرحيم ـ من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه) .

ثم غزا الكفار بجيش يقوده هو بنفسه فخضد شوكتهم وألزمهم الذل والصغار[6] .

أما بعد . .

فقد أصيبت الأمة الاسلامية في القرون المتأخرة في أعز ما تملك وهو دينها ومنهجها الرباني الذي لا قيام لها إلا به فتناولتها معاول الهدم

---

(١) صحيح البخاري (٣: ٢٠١).
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣: ٥٦).
(٣) انظر قصة استشهاد عبد الله بن رواحة في ابن هشام (٤: ٣٧٣)، واستشهاد عمير ابن الحمام في ابن هشام (٢: ٦٢٨).
(٤) انظر قصة استشهاد عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح في ابن هشام (٣: ١٧١).
(٥) انظر غزو عبد الله بن أنيس لخالد بن سفيان في مسند أحمد(٣: ٤٩٦).
(٦) انظر البداية لابن كثير (١٠: ١٩٤).

والتخريب حتى أصبح الناس يخرجون من دين الله أفواجاً كما كانوا يدخلونه أفواجاً في عهد الرسول ﷺ وفي عهد صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين . وهذه المصيبة العظيمة ناتجة عن أمرين عظيمين :

الأمر الأول: انحراف الأمة الداخلي.

بدأ الانحراف في الأمة الإسلامية مبكراً ثم بدأ يتسع حتى وصل إلى الحال التي هو عليها الآن. ويمكن تلخيص أهم تلك الانحرافات فيما يلي:

١ ـ كانت الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ وصحابته الكرام تحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله في كل شؤون الحياة وكان حكم الله يجري على الحاكم والمحكوم سواء وكان الناس يتلقون أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ للتنفيذ لا للمعرفة الذهنية فقط ولا للاحتيال عليها لإسقاطها ثم بدأ التساهل في تطبيق بعض أحكام الله واستمر هذا الانحراف يتسع أحياناً ويضيق أحياناً حتى بلغ أقصى مداه في العصور المتأخرة وحتى أصبحت القوانين الوضعية التي يضعها البشر بأهوائهم يتحاكم إليها كثير من المسلمين عند التنازع.

٢ ـ كان حكم الدولة الإسلامية في أيدي علماء الأمة الأتقياء أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين . ثم بدأ الانحراف وصار يتولى حكم المسلمين من ينقصه الفقه في دين الله والورع عن المحرمات في أغلب الأحيان بل لقد نزا على حكم المسلمين في فترات ليست قصيرة مبتدعة يدعون إلى بدعتهم كبدعة الاعتزال في المأمون والمعتصم وكبدعة الرفض في الدولة الصفوية بل وحتى زنادقة كالعبيديين واستمر هذا الانحراف حتى صار يحكم المسلمين في القرون المتأخرة كثير من العلمانيين والماسونيين والقوميين والبعثيين والحداثيين.

٣ ـ بعد أن كان الجهاد مستمراً وبلاد الكفار تدخل في دين الله تباعاً وتنعم

بتطبيق حكم الله وحكم رسوله ﷺ عليها . أصبح قتال المسلمين لأجل الملك لا للجهاد واستمر الانحراف حتى صار بعض أمراء المسلمين يستعينون بالكفار في قتال بعضهم بعضاً لأجل شهوة الدنيا ومتاعها كما حدث في الأندلس وغيرها من بقاع المسلمين .

٤ ـ بعد أن كانت العقيدة صافية نقية لا تتلقى إلا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ صارت تتلقى من كتب فلاسفة اليونان الوثنيين المترجمة ومن آراء الرجال ونظرياتهم ومن العقول البشرية القاصرة عن معرفة الحق كاملاً فحدثت في الأمة الإسلامية البدع العظيمة كبدعة الخوارج وبدعة القدرية وبدعة الروافض وبدعة الصوفية وبدعة الجهمية وبدعة المعتزلة ونحو ذلك واستمر هذا الانحراف في الأمة يفتت وحدتها ويضعف قوتها ويفسد عقيدتها ويجعلها مرتعاً خصباً للبدعيات والشركيات .

الأمر الثاني :

استيلاء الكفار على بلاد المسلمين بالقوة العسكرية المصحوبة بالغزو الفكري فنحّوا ما تبقى من شريعة الله عن الحكم وصارت البلاد المستعمرة تحكم بقوانين الكفار الوضعية وغيّرت مناهج التعليم ووسائل الإعلام المختلفة وصيغت على نحو يجتث العقيدة الإسلامية من أساسها فاختلط الحابل بالنابل وفقد المسلمون أعز ما يملكون وهو العقيدة الصحيحة وأصبح يطلق على الرجل اسم الإسلام لأنه يقول لا إله إلا الله فقط ولو كان لا يصلي ولا يزكي ولا يحكّم شرع الله في أغلب شؤونه بل قد يكون منتسباً إلى حزب شيوعي يرى الشيوعية أصلح من الإسلام ويجاهد بكل ما أوتي من قوة لإحلال المذهب الشيوعي محل الإسلام أو منتسباً إلى حزب قومي يرى التجمع تحت راية القومية خيراً من التجمع تحت راية لا إله إلا الله . وانتشرت من جراء الغزو الفكري والعسكري في أبناء المسلمين المفاهيم العلمانية التي تجعل الدين مسألة شخصية يمارسه الإنسان بينه

وبين ربه . أما واقع الحياة فتحكمه أنظمة وقوانين من وضع البشر بآرائهم وأهوائهم لا تعتمد على كتاب الله ولا على سنة رسوله ﷺ،وظهرت الدعوة إلى الإنسانية الواحدة وأبرزت على أنها الهدف النبيل السامي الذي يجب أن تسعى له البشرية بكاملها وجعلت عوضاً عن التقرب إلى الله والمراد منها أن لا يكون هناك تمايز بين المسلمين والكفار بل يعيش البشر بعضهم مع بعض سواسية مختلطين لا يكدر صفو عيشهم ولهوهم حروب دينية ولا يوجد بينهم بغضاء بسبب العقيدة بل يعتبر الإنسانيون الحرب من أجل إظهار المعتقد أو نشره جريمة يعاقب عليها القانون . . وأصبحنا نرى أناساً من المسلمين وقد يطلق عليهم علماء يستحون أن يذكروا آيات الجهاد وأحاديثه أمام أصدقائهم من الكفار ويستحون من ذكر الآيات والأحاديث الآمرة ببغض الكفار والبراءة منهم وتحمرٌ وجوههم خجلاً من ذكر أحكام الجزية والاسترقاق وقتل الأسرى . . ويودون لو محوا تلك الآيات والأحاديث من القرآن والسنة حتى لا ينتقدهم العالم (المتحضر !!) وإذ لم يستطيعوا ذلك لأن الله قد حفظ دينه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1] فإنهم قد قاموا بما يستطيعون فأوّلوا تلك الآيات والأحاديث تأويلات تشبه تأويلات الباطنية في أكثر الأحيان ودفعهم إلى تلك التأويلات أعداء الله « الموسومون بالمستشرقين » بما يحرجونهم به من انتقادات حادة حيناً وبما يفتحونه لهم من باب التأويلات الباطلة أحياناً ونتيجة لذلك لا يكاد المرء يسمع الآن إلا رنين العبارات الآتية : السلام العالمي . . التعايش السلمي . . الحدود الآمنة . . المجتمع الدولي المستقر البعيد عن ويلات الحروب . .

وإن كان هناك حروب فلا يسمح أن تكون لله ولا لإعلاء كلمة الله وخفض كلمة الكفر ولا لإنقاذ المستضعفين في الأرض وإنما تكون لأجل

---

(١) الحجر: ٩.

الوطن ولأجل القومية ولأجل المصالح الاقتصادية ولأجل حفظ التوازن الدولي ونحو ذلك وإن كان هناك طائفة تريد أن تكون حربها لإعلاء كلمة الله وخفض كلمة الكفر فإنه تنهال عليها عبارات الشتم والتنفير. انظروا انهم متطرفون. . أعداء السلام. . متزمتون يرون نشر الدين بالعنف. . مصاصون للدماء. . يريدون القضاء على حضارة القرن العشرين. .

هذا هو الواقع التعيس للأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر.ولأن الله قد أوجب علينا نصر دينه وإظهار حجته أخذت هذا البحث موضوعاً لرسالة الدكتوراه في قسم العقيدة بجامعة أم القرى وأسأل الله سبحانه أن ينصرنا ويثبت أقدامنا. . ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[1] وأن يجعلنا من الطائفة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»[2] قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين (وليس المراد الظهور بالسيف دائماً بل بالحجة دائماً وبالسيف أحياناً)[3].

وقد حرصت في هذا البحث على إكثار الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء المشهود لهم بالفضل وذلك لأن شبه الخصوم مدعومة ومبرزة من قبل وسائل الإعلام والتوجيه في عصرنا الحاضر لأمر يراد!!

وحرصت على إيراد النصوص بألفاظها تامة من غير اختصار في أغلب الأحيان حتى ولو كانت طويلة ـ وذلك لأن المختصر قد لا ينقل مراد المؤلف كاملاً ولأن الهدف هو فائدة القارىء. وهذا منهج للعلماء القدامى وبعض المحدثين.

هذا وقد قسمت البحث إلى أربعة أبواب وخاتمة.

---

(١) محمد: ٧.

(٢) صحيح البخاري (٨: ١٤٩).

(٣) الرسائل النجدية (٨: ٢٢٨).

الباب الأول بعنوان : منهج الدعوة إلى الله تعالى قبل تشريع الجهاد القتالي . ويشتمل على خمسة مباحث :

١ - وصف موجز للجاهلية التي بعث فيها الرسول ﷺ .
٢ - هدي الرسول ﷺ في الإسرار والجهر بالدعوة إلى الله تعالى .
٣ - تربية الرسول ﷺ للرعيل الأول على تحمل أعباء الدعوة .
٤ - الفتنة والابتلاء .
٥ - الصبر والثبات .

والباب الثاني : منهج الدعوة إلى الله بعد تشريع الجهاد القتالي ويشتمل على ثمانية مباحث :

١ - تعريف الجهاد وحكمه .
٢ - مراحل تشريع الجهاد .
٣ - أهداف الجهاد وغايته .
٤ - حكم جهاد المرتدين والمنافقين .
٥ - الترغيب في الجهاد وبيان فضائله .
٦ - الترهيب من ترك الجهاد وبيان عواقبه .
٧ - أثر الجهاد على نشر الدعوة الإسلامية .
٨ - صور جهادية من الرعيل الأول .

والباب الثالث بعنوان : موقف تلاميذ الاستشراق والاستعمار من أحكام الجهاد. وفيه اثنا عشر مبحثاً وهي :

١ - تمهيد : كيف تمكن الكفار من التأثير على المسلمين .
٢ - قصرهم الجهاد على جهاد الدفع فقط .
٣ - حكم بغض الكافرين .
٤ - حكم دار الحرب والكفر ودار الإسلام .
٥ - حكم الرق .

٦ ـ حكم الجزية .
٧ ـ حكم الأسرى .
٨ ـ الدعوة إلى القومية .
٩ ـ الدعوة إلى الوطنية
١٠ ـ الدعوة إلى الإنسانية.
١١ ـ الدعوة إلى زمالة الأديان .
١٢ ـ الدعوة إلى السلام العالمي .

والباب الرابع بعنوان : الفرق الضالة في بعض أحكام الجهاد ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول بعنوان : الفرق القديمة وفيه :
١ ـ المرجئة .
٢ ـ الصوفية .
٣ ـ الشيعة الإمامية.
٤ ـ الجبرية الجهمية .

والفصل الثاني بعنوان : الفرق الحديثة وفيه :
١ ـ القاديانية .
٢ ـ البابية والبهائية .

والخاتمة في أهم نتائج البحث .

هذا وإنني أشكر الله سبحانه وتعالى على أن وفقني إلى إتمام هذا البحث مع اعترافي بالعجز والتقصير .

ثم أشكر أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث فضيلة الشيخ محمد قطب فقد نفعني الله به منذ أن كنت طالباً في السنة المنهجية فجزاه الله عني خير الجزاء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . .

الباب الأول

منهج الدعوة إلى الله تعالى قبل تشريع الجهاد القتالي

١ ـ وصف موجز للجاهلية التي بعث فيها الرسول ﷺ .

٢ ـ هدي الرسول ﷺ في الإسرار والجهر بالدعوة إلى الله .

٣ ـ تربية الرسول ﷺ للرعيل الأول على تحمل أعباء الدعوة .

٤ ـ الفتنة والابتلاء .

٥ ـ الصبر والثبات .

١ ـ وصف موجز للجاهلية التي بعث فيها الرسول ﷺ

تطلق الجاهلية على الفترة التي سبقت بعثة الرسول ﷺ وتطلق الجاهلية على الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك[١] .

وكل من اتصف بشيء من صفات الجاهلية الخبيثة ففيه شعبة من ذلك لقوله تعالى : ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية . . الآية ﴾[٢] . ولقوله ﷺ ـ لأحد أصحابه لما عير الآخر بأنه ابن السوداء ـ « إنك امرؤ فيك جاهلية »[٣] وهذا يدل على أن الجاهلية ليست فترة زمنية محدودة تنتهي ببعثة الرسول ﷺ بل كل من رفض الاهتداء بوحي الله ورفض الحكم بما أنزل الله فهو في جاهلية[٤] . قال تعالى : ﴿أفحكم

---

(١) أنظر لسان العرب لابن منظور(١١ : ١٣٠).
(٢) آل عمران: ١٥٤
(٣) صحيح البخاري (١ :١٣).
(٤) أنظر جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب (ص ١٥).

الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[1] .

والجاهلية طارئة على الفطرة البشرية فالأصل في الفطرة البشرية الاستسلام لله سبحانه ومعرفته والخضوع له ومحبته والانقياد له والخوف من سطوته . قال تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[2] .

وقال ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[*] هل تحسون فيها من جدعاء . . »[3] . وقال ﷺ ذات يوم في خطبته ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا.كل مال نحلته عبداً حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . . الحديث[4] .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : (إن الله أخرج ذرية آدم من صلبه أمثال الذر وأخذ عليهم العهود أن لا يشركوا به شيئاً كما قال تعالى (٧ : ١٧٢) ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا﴾ ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج ورأى فيهم رجلاً من أنورهم فسأل عنه فأعلمه أنه داود فقال

---

(١) المائدة: ٥٠ .

(٢) الروم: ٣٠.

(*) جمعاء أي سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء كاملتها . انظر النهاية ١/ ٢٩٦ .

(٣) صحيح البخاري (٢ : ٩٧).

(٤) صحيح مسلم مع النووي (١٧ : ١٩٧).

كم عمره ؟ قال ستون سنة قال وهبت له من عمري أربعين سنة وكان عمر آدم ألف سنة ورأى فيهم الأعمى والأبرص والمبتلى قال يا رب لم لا سويت بينهم ؟ قال إني أحب أن أشكر فلما مضى من عمر آدم ألف سنة إلا أربعين أتاه ملك الموت فقال إنه بقي من عمري أربعون سنة فقال إنك وهبتها لابنك داوُد فنسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته فلما مات آدم بقي أولاده بعده عشرة قرون على دين أبيهم دين الإسلام ثم كفروا بعد ذلك؛وسبب كفرهم الغلو في حب الصالحين كما ذكر الله تعالى في قوله: ٧١: ٢٣ ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تـذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ وذلك أن هؤلاء الخمسة قوم صالحون كانوا يأمرونهم وينهونهم فماتوا في شهر فخاف أصحابهم من نقص الدين بعدهم فصوروا صورة كل رجل في مجلسه لأجل التذكـرة بأقـوالهم وأعمالهم إذا رأوا صورهم ولم يعبدوهم ثم حدث قرن وآخر فعظموهم أشد من تعظيم من قبلهم ولم يعبدوهم ثم طال الزمان ومات أهل العلم فلما خلت الأرض من العلماء ألقى الشيطان في قلوب الجهال أن اولئك الصالحين ما صوروا صور مشائخهم إلا ليستشفعوا بهم إلى الله فعبدوهم فلما فعلوا ذلك أرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام ليردهم إلى دين آدم وذريته الذين مضوا قبل التبديل فكان من أمرهم ما قص الله في كتابه ثم عمر نوح وأهل السفينة الأرض وبارك الله فيهم وانتشروا في الأرض أمماً وبقوا على الإسلام مدة لا ندري ما قدرها ثم حدث الشرك فأرسل الله الرسل وما من أمة إلا وقد بعث الله فيها رسولاً يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك كما قال تعالى : ١٦: ٣٦ ﴿ ولقـد بعثنا في كـل أمـة رسـولاً أن اعبـدوا الله واجتنبـوا الطاغوت ﴾ وقال تعالى: ٢٣: ٤٤ ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه.. ﴾ الآية[1].

---

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ لابن عبد الوهاب (ص ١٠ ـ ١١).

وبهذا يظهر أنه كلما احلولك الظلام وانحرفت الفطرة البشرية وطغى الشرك أرسل الله إلى البشر رسولاً يعيدهم إلى الفطرة،إلى توحيد الله ونبذ الشرك حتى كان آخر الرسل محمد ﷺ.والجاهلية التي بعث فيها رسول الله ﷺ من أشنع الجاهليات ؛ يقول أبو الحسن الندوي : (كان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح من أحط أدوار التاريخ بلا خلاف فكانت الإنسانية متدلية منحدرة منذ قرون،وما على وجه الأرض قوة تمسك بيدها وتمنعها من التردي وقد زادتها الأيام سرعة في هبوطها وشدة في إسفافها وكان الإنسان في هذا القرن قد نسي خالقه فنسي نفسه ومصيره وفقد رشده وقوة التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح وقد خفتت دعوة الأنبياء من زمن والمصابيح التي أوقدوها قد انطفأت من العواصف التي هبت بعدهم أو بقيت ونورها ضعيف ضئيل لا ينير إلا بعض القلوب فضلاً عن البيوت فضلاً عن البلاد وقد انسحب رجال الدين من ميدان الحياة ولاذوا إلى الأديرة والكنائس والخلوات فراراً بدينهم من الفتن وضناً بأنفسهم أو رغبة إلى الدعة والهدوء وفراراً من تكاليف الحياة وجدها وإخفاقاً في كفاح الدين والسياسة والروح والمادة - ومن بقي منهم في تيار الحياة اصطلح مع الملوك وأهل الدنيا وعاونهم على اثمهم وعدوانهم وأكل أموال الناس بالباطل)[1] .

والمطلع على كتاب الله عز وجل الذي أنزله لكشف عوار الجاهلية وتصحيح عقائد الناس وأعمالهم يرى العجب العجاب من تخبطات الجاهلية في شتى جوانب الحياة . فالجاهلية لا تؤمن بوحدانية الله بل تجعل له شركاء في العبادة . قال الله تعالى عن الجاهلين ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب. أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب. وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي (ص ٣٧).

آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[2] وقال تعالى : ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾[3] . وقال تعالى : ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأُخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾[4] .

والجاهليون لا يؤمنون بالبعث والنشور بل يسخرون من ذلك ﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾[5] ﴿إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾[6] ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾[7] ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾[8] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾[9] .

---

(١) سورة ص: ٤ ـ ٧
(٢) يونس: ١٨
(٣) سبأ: ٤٠ ـ ٤١
(٤) النجم: ١٩ ـ ٢٣
(٥) الأنعام: ٢٩
(٦) الدخان: ٣٤ ـ ٣٦
(٧) ق: ٢ ـ ٤.
(٨) يس: ٧٨
(٩) النحل: ٣٨

ويمارس الجاهليون التشريع من دون الله فيحلون ويحرمون على مقتضى أهوائهم ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم.. ﴾ الآية[1]. ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون . وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون . وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكورن اسم اللهعليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم . قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾[2]

ويبلغ السخف أحياناً بالجاهلين منتهاه حينما ينسبون تشريعاتهم وما يرتكبونه من فواحش إلى الله عز وجل ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾[3] وقد كانت جل تصرفات الجاهلية في منتهى الخسة والسفول وذلك أن قاعدة العبودية عندها غير صحيحة فهي تتوجه بالشعائر التعبدية إلى أرباب مختلفة وتستمد الشرائع والعقائد والأحكام والمفاهيم من أرباب كثيرين وتحتكم إلى الطاغوت والهوى والشيطان . يقول الأستاذ

---

(١) النحل: ٣٥
(٢) الأنعام: ١٣٥ ـ ١٤٠
(٣) الأعراف: ٢٨

محمد قطب (لقد كانت تستعبدهم في الحقيقة أرباب أربعة أو فئات أربع من الأرباب في آن واحد . ربوبية الأصنام المعبودة والجن والملائكة وغيرها من المعبودات التي يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى أو لتشفع لهم عند الله . وربوبية القبيلة . وربوبية العرف الموروث عن الآباء والأجداد . وربوبية الهوى والشهوات وهذا كله مع ادعاء العبادة نظرياً لله والمعرفة النظرية بأنه خالقهم وخالق الكون والحياة)[١] .

وقد وصف الجاهلية التي بعث فيها رسول الله ﷺ رجل عاش فيها فترة من حياته وهو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال في خطابه لملك الحبشة : (. . أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار يأكل القوي منا الضعيف)[٢] وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - في وصف نكاح الجاهلية - (إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء . فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو بنته فيصدقها ثم ينكحها . ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر ليالي بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق

---

(١) منهج التربية لمحمد قطب (٢ : ٢٣).

(٢) الفتح الرباني للبنا (٢٠ : ٢٢٦) قال البنا في تخريجه: الحديث صحيح ورواه ابن هشام في سيرته بطوله عن ابن إسحاق، وأورده الهيثمي وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط[1] به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم)[2] .

هذه حال معظم عرب الجزيرة - حين بعثة رسول الله ﷺ - في العقائد والأخلاق . ولم يكن أهل الكتاب بأحسن حالاً منهم . فهم لا يؤمنون بوحدانية الله تعالى ؛ قال الله عنهم ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾[3] . ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير . وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم. . . ﴾ الآية[4] ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾[5] . وكما وافق اليهود والنصارى مشركي العرب في عدم

---

(١) التاط يعني التصق.

(٢) صحيح البخاري (٦: ١٣٣).

(٣) التوبة : ٣٠

(٤) المائدة: ١٧ - ١٨

(٥) المائدة: ٧٢ - ٧٣.

الاعتراف بوحدانية الله عز وجل على ما يليق بجلاله وكماله وافقوهم في التشريع من دون الله فنصبوا لأنفسهم أرباباً تحل وتحرم بغير إذن من الله . قال تعالى : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾[1] قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في تفسير هذه الآية : «. . . الأحبار هم العلماء والرهبان هم العباد وهذه الآية قد فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم وذلك أنه لما جاء مسلماً دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية قال فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم. رواه أحمد والترمذي وحسنه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طرق . قال السدي استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ . فإن الحلال ما أحله الله والحرام ما حرم الله والدين ما شرعه الله فظهر بهذا أن الآية دلت على أن من أطاع غير الله ورسوله وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله الله وأطاعه في معصية الله واتبعه فيما لم يأذن به الله فقد اتخذه رباً معبوداً وجعله لله شريكاً وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله الذي دلت عليه كلمة الإخلاص لا إله إلا الله فإن الإله هو المعبود وقد سمى الله تعالى طاعتهم عبادة لهم وسماهم أرباباً كما قال تعالى : ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً . .﴾ الآية . [آل عمران : ٨٠] أي شركاء لله تعالى في العبادة ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ وهذا هو الشرك فكل معبود رب وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه المطيع المتبع رباً ومعبوداً كما قال تعالى : ﴿إن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [الأنعام : ١٢١][2] .

---

(١) التوبة : ٣١ .

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٨٥ ـ ٨٦) .

ويقول الله عن أهل الكتاب ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾(١) وكما كان في مشركي العرب من يشرع من عند نفسه ثم يقول زوراً وبهتاناً هذا من عند الله كذلك وجد في أهل الكتاب من يفعل ذلك ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾(٢) . ولا نطيل بذكر أوصاف الجاهليات المحيطة بجاهلية العرب فإن الجاهليات مهما اختلفت معبوداتها وأمكنتها وأزمنتها تتشابه إلى حد كبير كما قال الله تعالى : ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾(٣) . ومرجع هذا التشابه أن الجاهليات مهما اختلفت صورها فلا بد أن تشرك مع الله غيره في شيء من خصائصه التي لا تجوز إلا له سبحانه كالطاعة المطلقة والتشريع وعلم الغيب والرزق والإحياء والإماتة والنفع والضر والحب والتعظيم والخضوع والتذلل والخوف والرجاء والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والسجود والركوع والتحاكم إلى غير ذلك من الأمور التي إذا صرفت أو أقر بها العبد لغير الله أشرك معه غيره وإذا أشرك شخص أو قبيلة أو أمة بأي نوع من أنواع الشرك المخرج من الملة صاروا في جاهلية .

وقد بعث الرسول ﷺ إلى الثقلين وسائر المعمورة أحوج ما تكون إلى هديه ورسالته إذ لا يوجد فيها دولة أو أمة مؤسسة على توحيد الله عز وجل كما جاء في الحديث الصحيح (. . . وإن الله نظر إلى أهل الأرض

---

(١) النساء: ٥١ .
(٢) البقرة: ٧٩
(٣) البقرة: ١١٨

فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك . . الحديث)[1] .

ولننظر الآن في الفصول الآتية كيف بدأ الرسول ﷺ دعوته وما هو المنهج الذي سلكه في إخراج العباد من عبادة الأرباب إلى عبادة الواحد القهار وفي إخراج الناس من ظلام الشرك إلى نور الاسلام .

(١) صحيح مسلم مع النووي (١٧ : ١٩٧).

٢ ـ هدي الرسول ﷺ في الإسرار والجهر بالدعوة إلى الله

الإسرار بالإسلام يشتمل على ثلاث صور :

الصورة الأولى : أن يسر الشخص بالإسلام خوفاً من الكفار ويأتي شعائر الكفار الخاصة بهم من عبادات وطقوس تقية . وهذه الصورة لا يحل أن يفعلها المسلم إلا في حالة واحدة وهي حالة الإكراه الملجيء قال الله تعالى : ﴿... من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾[1] . قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (... اتفق العلماء على أنه يجوز أن يوالي المكره على الكفر إبقاء لمهجته)[2] . وقال الشوكاني (... وإنما صح استثناء المكره من الكافر مع أنه ليس بكافر لأنه ظهر منه بعد الإيمان ما لا يظهر إلا من الكافر لولا الإكراه.قال القرطبي أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر،وحكي عن محمد بن الحسن أنه إذا أظهر الكفر كان مرتداً

---

(١) النحل : ١٠٦

(٢) تفسير ابن كثير (٤ : ٥٢٥).

في الظاهر وفيما بينه وبين الله على الإسلام وتبين منه امرأته ولا يصلى عليه إن مات ولا يرث أباه إن مات مسلماً وهذا القول مردود على قائله مدفوع بالكتاب والسنـة . وذهب الحسن البصري والأوزاعي والشـافعي وسحنون إلى أن هذه الرخصة المذكورة في هذه الآية إنما جاءت في القول وأما في الفعل فلا رخصة مثل أن يكره على السجود لغير الله ويدفعه ظاهر الآية فإنها عامة فيمن أكره من غير فرق بين القول والفعل ولا دليل لهؤلاء القاصرين للآية على القول وخصوص السبب لا اعتبار له مع عموم اللفظ كما تقرر في علم الأصول . ا . هـ)[1] . وإذا كان يباح للمسلم التظاهر بالكفر في حال الإكراه الملجىء مع اطمئنان قلبه بالإيمان فإن الثبات على الإسلام حتى يقتل عليه أفضل وأعظم أجراً ،قال ابن بطال (أجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه اعظم أجراً عند الله ممن اختار الرخصة)[2] . وقد بوب على ذلك الإمام البخاري باباً بعنوان (من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر) وأورد فيه جملة أحاديث منها حديث خباب بن الارت قال : (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه . . الحديث)[3] .

وقد أثنى الله على أصحاب الأخدود لما صبروا على دينهم حتى هلكوا عليه بل إن احدى نسائهم لما تقاعست عن الوقوع في النار التي

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣:١٩٧).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١٢ :٢٨٢).
(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٢ :٢٨١).

أضرمها لهم الملك الكافر أنطق الله صبيها الذي ترضعه فقال يـا أمَّه اصبري فإنك على الحق[1] وقد ضرب صحابة رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الثبات على الإسلام والاستخفاف بكيد الطغاة وسأقتصر على ذكر مثالين يبينان قوة إيمان الصحابة وأخذهم بالعزيمة في حال الشدائد رغبة فيما عند الله والدار الآخرة .

المثال الأول : قصة حبيب بن زيد الأنصاري رضي الله عنه فإنه لما قال له مسيلمة الكذاب ـ لعنه الله ـ أتشهد أن محمداً رسول الله قال نعم قال أتشهد أني رسول الله قال لا أسمع فلم يزل يقطعه إرباً إرباً وهو ثابت على ذلك رحمه الله رحمة واسعة[2] .

المثال الثاني : قصة عبد الله بن حذافة السهمي فإنه لما أسرته الروم جاءوا به إلى ملكهم فقال له تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي فقال له لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت فقال إذاً أقتلك قال أنت وذاك فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ثم أمر به فأنزل ثم أمر بقدر وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح وعرض عليه فأبى فأمر به أن يلقى فيها فرفع في البكرة ليلقى فيها فبكى فطمع فيه ودعاه فقال له إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله فقال له الملك فقبل رأسي وأنا أطلقك فقال وتطلق جميع أسارى المسلمين ؟ قال نعم فقبل رأسه

---

(١) انظر قصة أصحاب الأخدود بتمامها في صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ١٣٠)، وتفسير ابن كثير (٨ : ٣٨٨) . ومسند أحمد ٦/ ١٧ .

(٢) انظر قصته في تفسير ابن كثير (٤ : ٥٢٥)، والإصابة لابن حجر (١ : ٣٠٧).

فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ فقام فقبل رأسه)[1] .

الصورة الثانية: أن يسر المسلم بإسلامه ولكنه لا يأتي شيئاً من أمور الشرك وعبادات المشركين وطقوسهم . ويباح للمسلم أن يكتم إسلامه إذا خاف أو كان هناك مصلحة شرعية في كتم إسلامه والأدلة على هذه الصورة كثيرة جداً منها قصة مؤمن آل فرعون فقد ذكرها الله في مقام الثناء عليه لما دافع عن موسى عليه السلام وقد سماه الله مؤمناً مع كتمه لإيمانه قال تعالى : ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم . . ﴾[2] الآية . قال ابن العربي : (. . . إذا نوى الإيمان بقلبه فلا يكون مؤمناً حتى يتلفظ بلسانه ولا تمنعه التقية والخوف من أن يتلفظ بلسانه فيما بينه وبين الله تعالى إنما تمنعه التقية من أن يسمعه غيره وليس من شرط الإيمان أن يسمعه الغير . .)[3] . ومن الأدلة أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه في قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه حيث قال له الرسول ﷺ في رواية ابن قتيبة (أكتم هذا الأمر وارجع إلى قومك)[4] وكذلك ما رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم من قول الرسول ﷺ للمقداد (فكذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكة من قبل)[5] وكذلك ما فعله نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه لما أسلم في غزوة الأحزاب فكتم إيمانه على

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤ : ٥٢٦)، والإصابة لابن حجر (٢ : ٢٩٧) .

(٢) غافر : ٢٨ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤ : ١٦٥٩) وفي النص تصحيف صححته من أحكام القرآن للقرطبي (١٥ : ٣٠٨) .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (٧ : ١٣٤) .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح (١٢ : ١٦٨) .

الأحزاب حتى أوقع بينهم الشقاق والاختلاف[1] وكذلك الحجاج بن علاط السلمي رضي الله عنه فإنه كتم إسلامه على أهل مكة واستأذن رسول الله ﷺ في الكذب على أهل مكة وقال لهم بأن محمداً هزم في خيبر حتى جمع أمواله التي كانت بمكة[2] كل هذه الأخبار الصحاح تدل على جواز كتمان الإسلام لغرض شرعي.

الصورة الثالثة : أن يسر المسلم بالدعوة إلى الله تعالى إذا خاف على نفسه أو خاف على أتباعه من المسلمين وهم قلة والدليل على ذلك فعل الرسول ﷺ في بداية الدعوة بمكة. قال الحافظ أبو نعيم : (وكان ﷺ فيما قاله عروة بن الزبير وابن شهاب ومحمد بن إسحاق من حين أنزل عليه اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى أن كلف الدعوة وإظهارها فيما أنزل عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وأنذر عشيرتك الأقربين وقل إني أنا النذير المبين ثلاث سنوات لا يظهر الدعوة إلا للمختصين به)[3] . وقال عمرو بن عبسة رضي الله عنه (أتيت رسول الله ﷺ أول ما بعث وهو يومئذ مستخف فقلت أنت ما أنت قال أنا نبي قلت وما نبي قال رسول الله قلت الله أرسلك قال نعم قلت بم أرسلك قال بأن يعبدوا الله ويكسروا الأوثان ويصلوا الأرحام قلت نعما أرسلك فمن اتبعك على هذا قال حر وعبد يعني أبا بكر وبلالاً فكان عمرو بن عبسة يقول لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام فأسلمت ثم قلت اتبعك يا رسول الله قال لا ولكن الحق بأرض قومك فإذا ظهرت فأتني)[4] . وروى البخاري في صحيحه عن ابن

---

(١) انظر قصته في فتح الباري لابن حجر (٧ : ٣٠٩).

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٣ : ٣٣٩) وقال شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط عن قصة الحجاج إن سندها صحيح.

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم (ص ٢١٩).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣ : ٦١٧) وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح. وقارن بما في مسند أحمد (٤ : ١١١).

عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة . . الحديث . قال ابن حجر يعني في أول الإسلام[١] . وروى ابن سعد بسنده عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال أمر رسول الله ﷺ أن يصدع بما جاء من عند الله وأن ينادي الناس بأمره وأن يدعوهم إلى الله فكان يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفياً إلى أن أمر بظهور الدعاء[٢] . وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ فخرج هو وأصحابه[٣] .

وقد استطردت في ذكر النصوص الدالة على أن النبي ﷺ كان يخفي دعوته في بداية أمره لما سمعته من بعض الدعاة بأن مرحلة الدعوة السرية لم يكن لها أدلة صحيحة وهذا وهم كبير فإن بعض الأحاديث الدالة على ذلك في صحيح البخاري كما تقدم وقد درج عموم أهل السير على ذكر مرحلة الدعوة السرية بما فيهم من غلبت على سيرهم الدقة والتحري كالحافظ ابن القيم فإنه قال (وأقام ﷺ بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله سبحانه مستخفياً)[٤] وكالشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد ذكر هذه المرحلة مستنداً على حديث رواه الترمذي . قال الترمذي حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمرو بن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهم قالوا أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين مستخفياً ثم أعلن في الرابعة[٥] . وبعد هذه المرحلة من مراحل الدعوة التي استمرت ثلاث سنوات أمر الله رسوله ﷺ بأن يصدع بالحق ويظهر الدعوة وينذر عشيرته قال تعالى : ﴿فاصدع

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٨:٣٠٧).
(٢) الطبقات لابن سعد (١ : ١٩٩).
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٤٦٩ .
(٤) زاد المعاد (١ :٣٨).
(٥) مختصر السيرة لمحمد بن عبد الوهاب (ص ٦٠).

بما تؤمر وأعـرض عن المشركين . إنـا كفيناك المستهـزئين﴾[1] . وقال تعالى : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[2] . وأخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل يقول يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي . قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنـزلت تبت يدا أبي لهب وتب مـا أغنى عنه مـاله ومـا كسب)[3] . وباستقراء نصوص السيرة ودعوة الأنبياء التي قص الله في القرآن الكريم يظهر لي أن الجهر بالدعوة إلى الله حتى يسمعها القاصي والداني والقريب والبعيد وحتى يعلو صوت الحق هو الأصل في الدعوة إلى الله تعالى كما قال سبحانه ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبـدا بيننا وبينكم العـداوة والبغضاء أبـداً حتى تؤمنوا بـالله وحده . . . الآية﴾[4] . وكل الرسل الذين قص الله علينا أخبارهم في القرآن قالوا لقومهم جهرة اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً قال تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[5] . وقال تعالى ـ بعد أن ذكر محاجة إبراهيم عليه السلام

---

(١) الحجر: ٩٤ ـ ٩٥

(٢) الشعراء: ٢١٤

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٨: ٣٨٦).

(٤) الممتحنة: ٤

(٥) النحل: ٣٦.

لقومه وإقامته الحجة عليهم وذكر سيرة جمع من رسل الله مع قومهم - ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . . . ﴾[1] الآية.

لكن إذا غلب على ظن الداعي إلى الله أن دعوته تجتث من أساسها بسبب الجهر بها أو خاف أن يناله أذى محقق لا يقدر على تحمله فعليه أن يسر بها اقتداء بالرسول ﷺ في مرحلة الدعوة الأولى؛ يقول البوطي (ومن أجل هذا أجمع جمهور الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف العدة بحيث يغلب على الظن أنهم سيقتلون من غير أي نكاية في أعدائهم إذا ما أجمعوا قتالهم فينبغي أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس لأن المصلحة المقابلة وهي مصلحة حفظ الدين موهومة أو منفية الوقوع ويقرر العز بن عبد السلام حرمة الخوض في مثل هذا الجهاد قائلاً «فإذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام لما في الثبوت من فوات النفس مع شفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة) قلت - القائل هو البوطي - وتقديم مصلحة النفس هنا من حيث الظاهر فقط أما من حيث حقيقة الأمر ومرماه البعيد فإنها في الواقع مصلحة دين إذ المصلحة الدينية تقتضي في مثل هذه الحال أن تبقى أرواح المسلمين سليمة لكي يتقدموا ويجاهدوا في الميادين المفتوحة الأخرى وإلا فإن إهلاكهم يعتبر اضراراً بالدين نفسه وفسحاً للمجال أمام الكافرين ليقتحموا ما كان مسدوداً أمامهم من السبل. والخلاصة أنه يجب المسالمة أو الإسرار بالدعوة إذا كان الجهر أو القتال يضر بها ولا يجوز الإسرار في الدعوة إذا أمكن الجهر بها وكان ذلك مفيداً)[2] ا - هـ .

وإذا كان الجهر بالإسلام والدعوة إليه مرحلة حتمية في خط سير الدعوة فإن الأصل في إعداد العدة ورسم الخطط لازالة الجاهلية أن يكون سراً إلا أن تقتضي المصلحة الشرعية غير ذلك .

---

(١) الأنعام: ٩٠

(٢) فقه السيرة للبوطي (ص ٧٧).

وسيرة الرسول ﷺ مليئة بالأدلة على كتمان تحركاته بأبي هو وأمي إذا كانت المصلحة الشرعية في الكتمان كما صنع ﷺ في هجرته . روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : (فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداه أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر أَخْرِج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله قال فإني قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحابة بأبي أنت يا رسول الله قال رسول الله ﷺ نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين قال رسول الله ﷺ بالثمن قالت عائشة فجهزناهما أحثّ الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكنا فيه ثلاث ليال يبيت في الغار عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهم بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام . . . الحديث)[1] . فهل بعد هذا الإجراء من الرسول ﷺ المعصوم المؤيد من الله إجراء في السرية والتكتم عندما تدعو الحاجة . وقد روى البخاري في صحيحه أيضاً أن الرسول ﷺ قال لسراقة لما لحقهم في سفر الهجرة (اخف عنا)[2] وصحابة رسول الله ﷺ في بيعة العقبة خرجوا إلى ميعادهم مع رسول الله يتسللون تسلل القطا وكتموا أمرهم على قومهم وعلى قريش لما سألتهم عن ذلك وأقرهم رسول الله ﷺ[3] .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٧:١٨٣ - ١٨٥).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٧:١٨٨).

(٣) انظر مسند أحمد بن حنبل (٣:٤٦١).

هذا هدي الرسول ﷺ في الإسرار والجهر بالإسلام والدعوة إليه؛يسر أحياناً ويجهر أحياناً حسبما تقتضيه المصلحة الشرعية،وليست المرحلة السرية منسوخة بعد الأمر من الله بالصدع والإنذار بل حكمها باق كلما احتاج المسلمون إلى ذلك؛كأن يكونوا في حالة مشابهة لحالة الجاهلية الأولى التي بعث فيها رسول الله ﷺ.والدليل على ذلك فعل الرسول ﷺ في حوادث كثيرة؛ فقد أمر ﷺ أبا ذر بكتم إسلامه كما في صحيح البخاري عندما خاف عليه من قريش(١) . وإسلام أبي ذر متأخر إذ كان بعد أن أعلن ﷺ بدعوته وصدع بها؛يدل على ذلك ما جاء في بعض روايات البخاري وهي رواية عبد الله بن الصامت إذ قال الرسول ﷺ لأبي ذر إنه قد وجهت لي أرض ذات نخل فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك)(٢) . ولكن أبا ذر رضي الله عنه لم يكتم إسلامه كما أمر بل قال والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم . يقول ابن حجر في شرحه لهذا الحديث وكأنه فهم أن امر النبي ﷺ بالكتمان ليس على الإيجاب بل على سبيل الشفقة عليه فأعلمه أن به قوة على ذلك ولهذا أقره النبي ﷺ على ذلك ويؤخذ منه جواز قول الحق عند من يخشى منه الأذية لمن قاله وإن كان السكوت جائزاً والتحقيق أن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والمقاصد وبحسب ذلك يترتب وجود الأجر وعدمه)(٣) .

وهذا الذي ذكره ابن حجر هو الحق الذي لا مرية فيه فإن الجهر أحياناً يكون محرماً وذلك إذا ترتب عليه مفسدة محضة كأن تستأصل شأفة المسلمين بسببه من غير فائدة ترجع على الإسلام والمسلمين والإسرار أحياناً يكون محرماً وذلك إذا ترتب عليه مفسدة محضة كأن ينتشر الكفر وينخفض الإسلام ولم يكن هناك مانع شرعي من إظهار الدعوة إلى

---

(١) انظر الصحيح مع الفتح (٧: ١٣٤).
(٢) المصدر السابق.
(٣) فتح الباري (٧ : ١٣٤) .

الإسلام . يقول ابن تيمية : (وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا تزاحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة . فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر. وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام)[1] . وكون السرية في الدعوة إلى الله تجب أحياناً لا يدل على أنها مساوية للجهر بالحق والصدع به وإقامة الحجة على الناس بل الأصل هو الجهر بالإسلام والدعوة إليه كما أسلفت وإنما تجب السرية لضرورة من الضرورات .

ومن هذا الباب ترك سب آلهة المشركين إذا ترتب على ذلك سب الله تعالى كما قال سبحانه ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾[2] . قال الشوكاني في تفسير هذه الآية (وفي هذه الآية دليل على أن الداعي إلى الحق والناهي عن الباطل إذا خشي أن يتسبب عن ذلك ما هو أشهر من انتهاك محرم ومخالفة حق ووقوع باطل أشد كان الترك أولى به بل كان واجباً عليه وما أنفع هذه الآية وأجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله المتصدين لبيانها للناس إذا كان بين قوم من الصم البكم الذين إذا أمرهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف وإذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات عناداً للحق وبغضاً لاتباع

---

(١) الحسبة في الاسلام لابن تيمية (ص ٧٧ - ٧٨) .
(٢) الانعام : ١٠٨ .

المحقين وجراءة على الله سبحانه فإن هؤلاء لا يؤثر فيهم إلا السيف وهو الحكم العدل لمن عاند الشريعة المطهرة وجعل المخالفة لها والتجرؤ على أهلها ديدنه وهجيراه كما يشاهد ذلك في أهل البدع الذين إذا دعوا إلى حق وقعوا في كثير من الباطل وإذا أرشدوا إلى السنة قابلوها بما لديهم من البدعة فهؤلاء هم المتلاعبون بالدين المتهاونون بالشرائع وهم شر من الزنادقة لأنهم يحتجون بالباطل وينتمون إلى البدع ويظهرون بذلك غير خائفين ولا وجلين والزنادقة قد ألجمتهم سيوف الإسلام وتحاماهم أهله وقد ينفق كيدهم ويتم باطلهم وكفرهم نادراً على ضعيف من ضعفاء المسلمين مع تكتم وتحرز وخيفة ووجل . وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذه الآية محكمة ثابتة غير منسوخة وهي أصل أصيل في سد الذرائع وقطع التطرق إلى الشبه)[1] .

قلت وسب الآلهة المنهي عنه في هذه الآية الكريمة ليس هو بيان بطلان عبادتها قطعاً وذلك لأن بيان أن الآلهة المدعاة مع الله لا تضر ولا تنفع ولا تجوز عبادتها هو عين التوحيد ولا يتم التوحيد إلا بصرف جميع العبادة لله والكفر بما يعبد من دون الله . قال تعالى : ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾[2] . والقرآن كله مليء بالتحذير من عبادة غير الله وبيان بطلان ذلك وإن سماه المشركون سباً فهو في الحقيقة ليس سباً . قال الحاكم (نهوا عن سب الأصنام لوجهين : أحدهما أنها جماد لا ذنب لها . والثاني أن ذلك يؤدي إلى المعصية بسب الله تعالى والذي يجب علينا بيان بغضها وأنه لا تجوز عبادتها وأنها لا تضر ولا تنفع وأنها لا تستحق العبادة وهذا ليس بسب)[3] .

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢ : ١٥٠) .

(٢) البقرة : ٢٥٦ .

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٦ : ٦٧٩) .

ولقد بلغ رسول الله ﷺ الحق كاملاً كما أراده الله كما مر معنا من جمعه ﷺ لبطون قريش وإعلان التوحيد والرسالة عليهم وتخويفهم بعذاب الله يوم القيامة . يقول ابن كثير (والمقصود أن رسول الله ﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك راد ولا يصده عن ذلك صاد ويتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم ومواقف الحج يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي وغني وفقير جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء)(١) . وقد أمر الله رسوله ﷺ بإعلان المفاصلة مع الجاهلية وعدم مداهنتها قال تعالى : ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾(٢) . وقال عز وجل ﴿فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون﴾(٣) . وقال : ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴾(٤).

وقد نفذ رسول الله ﷺ كل ما أمر به فقرأ على الكفار كتاب الله الذي أوضح شركهم غاية الوضوح وأبطل حججهم غاية البطلان وأبان لهم عقيدة التوحيد ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين﴾(٥) . وقد راع الكفار هذا الهجوم الصارخ من الله ورسوله على عقيدة الشرك وتعريتها تعرية كاملة فحاولوا جهدهم أن يثنوا الرسول ﷺ عن ذلك ولكنهم باءوا بالخسران يدل على ذلك قصة عتبة بن

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣ : ٤٠) .
(٢) الكافرون : ١ ـ ٢ .
(٣) القلم : ٨ ـ ٩.
(٤) الاسراء : ٧٣ ـ ٧٥ .
(٥) الانعام : ٥٥ ـ ٥٦ .

أبي ربيعة[1] حيث قال يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا ـ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون ـ فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم إليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة والمكان والنسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ففرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال رسول الله ﷺ يا أبا الوليد أسمع . قال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة قال له النبي ﷺ أفرغت يا أبا الوليد قال نعم قال اسمع مني قال أفعل فقال رسول الله ﷺ ﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾ فمضى رسول الله ﷺ يقرأها فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجدها ثم قال سمعت يا أبا الوليد قال سمعت قال فأنت وذاك)[2] .

واجتهاد الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله وإبلاغ هذا الدين للبشرية أمر مجمع عليه بين المسلمين . قال القاسمي (لا خفاء في أن النبي ﷺ

---

(١) قال الألباني: إن سند هذه القصة حسن. انظر فقه السيرة للغزالي (ص ١١٣).
(٢) انظر القصة مستوفاة في البداية والنهاية لابن كثير (٣ : ٦٣) .

قد بلغ البلاغ التام وقام به أتم القيام وثبت في الشدائد وهو مطلوب وصبر على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي ثم انتصب لجهاد الأعداء وقد أحاطوا بجهاته وأحدقوا بجنباته وصار بإثخانه في الأعداء محذوراً وبالرعب منه منصوراً حتى أصبح سراج الدين وهاجاً ودخل الناس في دين الله أفواجاً . روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت لمسروق من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب، والله يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك. . الآية وفي الصحيحين عنها أيضا أنها قالت لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. وروى البخاري وغيره عن أبي جحيفة قال قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يعطيه الله رجلاً من القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر وقال البخاري قال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم.
قال ابن كثير وقد شهدت له ﷺ أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ أيها الناس إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع رأسه ويرفع بيده إلى السماء وينكبها إليهم ويقول اللهم هل بلغت. أ.هـ)[1] . وقد نهج صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم نهجه في تبليغ دين الله والدعوة إليه ومراغمة الجاهلية وأخذهم أنفسهم بالعزائم في

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (ص ٢٨٤ ـ ٢٨٨) .

أغلب أحيانهم وليس هنا مجال استعراض ذلك وإنما اقتصر على مثالين للدلالة على ذلك.

المثال الأول: قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً قبل الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأنا أريد أن أسيح في الأرض فأُعبد ربي قال ابن الدغنة إن مثلك لا يَخرُج ولا يُخرَج فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر فطاف في أشراف كفار قريش فقال لهم إن أبا بكر لا يَخرُج مثله ولا يُخرَج أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا قال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فطفق أبو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وبرز فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فأْته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك ذمتك فإنا كرهنا أن نخفرك

ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال قد علمت الذي عقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد إلى ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له قال أبو بكر إني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله . . الحديث)[١] .

فانظر إلى إصرار أبي بكر رضي الله عنه على الاستعلان بالحق في تلك الظروف العصيبة وتركه لجوار المشرك مع شدة حاجته إليه رغبة فيما عند الله والدار الآخرة .

المثال الثاني : قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال ابن إسحاق وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر قال لما أسلم عمر قال أي قريش أنقل للحديث فقيل له جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه قال عبد الله وغدوت أُتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا إن ابن الخطاب قد صبأ قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم قال وطلح[٢] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فأُحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم فقالوا صبأ عمر قال فمه رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبكم هكذا خلوا عن الرجل قال

---

(١) صحيح البخاري (٣ : ٥٨ - ٥٩) .

(٢) أي أعيي .

فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه قال فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك قال ذاك أي بُني العاص بن وائل السهمي[1] فهل بعد هذه المـراغمة للجاهلية من مراغمة وهل بعد هذا الإصرار على إظهار الحق من إصرار إلا ما كان من رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي فعلى أكتاف هؤلاء الأبطال وأمثالهم قام دين الله وعز جانبه وانخفض الشرك وأهله. ولننظر الآن كيف قام ﷺ بتربية هذا الجيل الفذ لعل دعاة اليوم يقتبسون شعلة من نور تلك التربية تنير لهم الطريق في جاهليتهم المعاصرة .

---

(١) ذكر هذا الحديث ابن كثير في البداية والنهاية (٣ : ٨١ - ٨٢) وقال هذا إسناد جيد قوي .

٣ ـ تربية الرسول ﷺ للرعيل الأول على تحمل أعباء الدعوة

إن المتتبع للقرآن الكريم والسنة المطهرة يجد أن الرسول ﷺ ربى أصحابه على تمثل الإسلام الذي أراده الله وذلك بتعليمهم كتاب الله وتفسيره لهم وبتطبيق تعاليم الإسلام أمامهم ليقتدوا به وإرشادهم بالسنة القولية والفعلية إلى دين الله القويم وتعليمهم ما لم يكونوا يعلمون مما فيه صلاح دينهم ودنياهم فهذه هي مهمة الرسول ﷺ كما أخبر الله عز وجل بذلك . قال تعالى : ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾(١) . وقال عز وجل : ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾(٢) . وقال : ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾(٣) . وباستعراض السور المكية وسيرة الرسول ﷺ القولية والفعلية في مكة يظهر لنا عدة أمور ركز عليها القرآن وجلاها وأوضحها غاية

---

(١) البقرة : ١٥١ .
(٢) البقرة : ١٢٩ .
(٣) آل عمران : ١٦٤ .

الوضوح وكذلك الرسول ﷺ اجتهد في بيانها وتربية أصحابه عليها . ويمكن تلخيص أهمها فيما يلي :

١ ـ ترسيخ العقيدة في قلوب المؤمنين وإيضاحها للناس كافة

ترسيخ العقيدة الصحيحة وتثبيتها في قلوب المؤمنين وإيضاحها للناس كافة وذلك ببيان توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وحقوق هذين التوحيدين العظيمين من الإيمان بكل ما أخبر الله به من الملائكة والكتاب والنبيين والقدر خيره وشره واليوم الآخر وإثبات الرسالة للرسل عليهم السلام والإيمان بكل ما أخبروا به .

فتوحيد الربوبية هو إثبات حقيقة الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه الحسنى ليس كمثله شيء في ذلك كله كما أخبر به عن نفسه وكما أخبر رسول الله ﷺ. وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، فقد عرف القرآن المكي للناس من هو الإله الذي يجب أن يعبدوه بأسمائه وصفاته وأفعاله قال تعالى ﴿الحمدلله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ فتعرف الله إلى الناس بأنه الرحمن ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾[(١)] ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾[(٢)] ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾[(٣)] ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾[(٤)] وغير هذه الآيات آيات كثيرة تعرف الله فيها إلى عباده بأنه الرحمن وبأنه الرحيم بهم ﴿أنه من عمل

(١) الإسراء : ١٠ .
(٢) مريم : ١٨ .
(٣) الزخرف : ٣٦ .
(٤) الملك : ٣ .

منكِم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم﴾ (١) ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ (٢) ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً﴾ (٣) ﴿فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾ (٤) ﴿وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ (٥) وغير هذه الآيات كثيرة جداً .

وتعرف إلى عباده سبحانه بأنه بكل شيء محيط ﴿إن ربي بما تعملون محيط﴾ (٦) ﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط﴾ (٧) ﴿بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط﴾ (٨) وتعرف إلى خلقه سبحانه بأنه على كل شيء قدير ﴿وإن يمسسك الله بخير فهو على كل شيء قدير﴾ (٩) ﴿إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير﴾ (١٠) ﴿ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾ (١١) إلى غير ذلك من الآيات التي تبين قدرة الله سبحانه على كل شيء .

وتعرف إلى عباده بأنه العليم بكل شيء كان أو لم يكن : ﴿قل

---

(١) الأنعام : ٥٤ .
(٢) الأعراف : ١٥٣ .
(٣) الفرقان : ٦ .
(٤) يوسف : ٦٤ .
(٥) الأعراف : ١٥١ .
(٦) هود: ٩٢ .
(٧) فصلت : ٥٤ .
(٨) البروج : ٢٠ .
(٩) الأنعام : ١٧ .
(١٠) هود : ٤ .
(١١) العنكبوت : ٢٠ .

يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾[1] ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم﴾[2] وتعرف إلى خلقه بأنه الحكيم ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾[3]﴿ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾[4] ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾[5]. وتعرف سبحانه إلى عباده بأنه هو الذي يحيي ويميت ﴿إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت﴾[6] ﴿هو يحيي ويميت وإليه ترجعون﴾[7] ﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾[8]. وكما تعرف الله إلى خلقه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا في كتابه العزيز فقد عرفهم به رسوله ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى بأبي هو وأمي. قال الحاكم حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري ثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدي ثنا موسى بن أيوب النصبي وحدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أنبأنا محمد بن أحمد بن الوليد الكرابيسي ثنا صفوان بن صالح الدمشقي قالا حدثنا الوليد بن مسلم ثنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر وهو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم

---

(١) يس : ٧٩ .

(٢) الشورى : ١٢ .

(٣) الأنعام : ١٨ .

(٤) النحل : ٦٠ .

(٥) الشورى : ٣ .

(٦) البقرة : ٢٥٨ . .

(٧) يونس : ٥٦ .

(٨) المؤمنون : ٨٠ .

القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المغيث ـ وقال صفوان في حديثه المقيت وإليه ذهب أبو بكر محمد بن إسحاق في مختصر الصحيح ـ الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدي المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور . هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه والعلة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره وليس هذا بعلة فإني لا أعلم اختلافاً بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان وبشر بن شعيب وعلي بن عياش[1] وأقرانهم من أصحاب شعيب)[2] .

---

(١) هؤلاء ممن روى عنهم صاحبا الصحيحين وغرض الحاكم إلزام صاحبي الصحيحين بإخراج هذا الحديث.

(٢) المستدرك للحاكم (١ : ١٦ ـ ١٧) وانظر الترمذي في الدعوات باب أسماء الله الحسنى رقم (٣٥٠٢) وقال هذا حديث غريب حدث به غير واحد عن صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث وانظر شرح السنة للبغوي (٥ : ٣٢) بتحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش وقال المحققان في التعليق على هذا الحديث: وقال الحافظ ولم ينفرد به صفوان فقد أخرجه البيهقي من طريق موسى بن أيوب النصيبي وهو ثقة عن الوليد أيضاً وقد صححه ابن حبان (٢٣٨٤) والحاكم (١ : ١٦) وقال النووي في الأذكار إنه حديث حسن وقال ابن كثير في تفسيره والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الاسماء مدرج في هذا الحديث وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه =

ثم أورد الحاكم شاهداً لهذا الحديث من طريق عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان عن أيوب وعن هشام بن حسان جميعاً عن محمد ابن سيرين عن أبي هريرة وفيه زيادة ونقصان وقال عن عبد العزيز بن الحصين بأنه ثقة ولكن تعقبه الذهبي وقال بل ضعفوه[1] . قال الشيخ حافظ حكمي:(واعلم أن أسماء الله عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحاً فقيل يا رسول الله أفلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها[2] .

واعلم أن من أسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصاً تعالى الله عن ذلك فمنها المعطي المانع والضار النافع والقابض الباسط والمعز المذل والخافض الرافع فلا يطلق على الله عز وجل المانع الضار القابض المذل الخافض كلا على انفراده

= بلغه عن غير واحد من أهل العلم إنهم قالوا ذلك أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبو زيد اللغوي. . وقد رد الشوكاني في تحفة الذاكرين (ص ٥٤) مقالة ابن كثير هذه بقوله ولا يخفاك إن هذا العدد قد صححه إمامان وحسنه إمام فالقول بأن بعض أهل العلم جمعها من القرآن غير سديد ومجرد بلوغ واحد أنه رفع ذلك لا ينتهض لمعارضة الرواية ولا تدفع الأحاديث بمثله. . ا.هـ.

(١) المستدرك (١ : ١٧).

(٢) الحديث صححه الألباني من السلسلة الصحيحة برقم ١٩٩ .

بل لا بد من ازدواجها بمقابلاتها إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك ومن ذلك المنتقم لم يأت في القرآن إلا مضافاً الى ذو كقوله تعالى : ﴿عزيز ذو انتقام﴾ أو مقيداً بالمجرمين كقوله تعالى ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾[١] .

ولا شك أن صحابة رسول الله ﷺ عرفوا الله بـأسمائـه الحسنى وصفاته العليا إذ هي مبثوثة في القرآن الكريم الذي كان يتلوه عليهم رسول الله ﷺ فغالب الآيات تختم بصفات الله تعالى وأسمائه الحسنى لتأكيدها وترسيخها في النفوس ولكي يعبد الله بمقتضاها فإن النفس التي تعرف الله حق معرفته لا تصرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره سبحانه .

فمن عرف أن الله أحكم الحاكمين وأن الحكم له وحده معرفة جازمة صادقة هل يتصور منه التحاكم إلى غير الله أو الشك في حكمته سبحانه ومن عرف أنه الضار النافع المحيي المميت هل يتصور منه الخوف من شيء أن يصيبه بأذى بغير إذن من الله ومن عرف أن الله سبحانه هـو المعطي المانع الرازق الوهاب هل يتصور منه أن يطلب الرزق من غيره سبحانه ومن عرف أن الله هو المطلع على خفايا الصدور المحيط بكل شيء القادر على كل شيء العليم بكل شيء السميع البصير هل يتصور منه أن ينتهك محارم الله كلما خلا بنفسه . لقد تربى الرعيل الأول رضوان الله عليهم على فهم صفات الله وأسمائه الحسنى وعبدوه بمقتضاها فعظم الله في نفوسهم وأصبح رضاه سبحانـه غايـة مقصدهم وسعيهم واستشعـروا مراقبته لهم في كل الأوقات فكبحوا جماح نفوسهم من أن تزل والله مطلع عليها . وبهذا يظهر أن توحيد الربوبية ركيزة عظيمة ينبني عليها توحيد الألوهية الذي دعت إليه جميع الرسل . وقد تطهر صحابة رسول الله ﷺ من ضد توحيد الربوبية وهو اعتقاد متصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو طلب خير أو دفع

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول للحكمي (١ : ٦٣ - ٦٤) .

شر بغير إذن من الله سبحانه أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته كعلم الغيب وكالعظمة والكبرياء وكالحاكمية المطلقة وكالطاعة المطلقة ونحو ذلك . وقد أمر الله الناس أن يوحدوه بمقتضى ما له من الأسماء والصفات وهذا التوحيد يسمى توحيد الألوهية وتوحيد الطلب والقصد وهو توحيد الله بأفعال العباد ، أما توحيد الربوبية فهو توحيد الله بأفعاله سبحانه ، وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد بل كل سورة في القرآن فيها إشارة إلى التوحيد. فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي،وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته،وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده . وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[1] .

وقد جاء القرآن المكي مقرراً توحيد الألوهية ـ توحيد القصد والطلب والإرادة ـ مبيناً أن كل رسول قد دعا قومه إلى إفراد الله بالعبادة . قال تعالى عن نوح عليه السلام ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾[2] . وقال عن هود عليه السلام ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون﴾[3] وقال عن صالح عليه السلام ﴿وإلى

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٨٨) .

(٢) هود: ٢٥ ـ ٢٦ .

(٣) هود : ٥٠ .

ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[1] وقال عن شعيب عليه السلام ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[2] وقال عن عيسى عليه السلام ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[3] .

وبالجملة فالرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم دعوا لتوحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة واجتناب عبادة الطواغيت والأصنام ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[4] .

وأنواع التوحيد متلازمة فينافيها كلها ما ينافي نوعاً منها مثال ذلك دعاء غير الله وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله . فدعاء الداعي عبادة بل مخ العبادة وصرفها لغير الله شرك في الإلهية . وسؤاله حاجته من جلب الخير أو دفع الشر معتقداً أنه قادر على قضاء حاجته شرك في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرف مع الله في ملكوته ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء من دون الله إلا مع اعتقاده بأنه يسمعه على البعد والقرب في أي وقت كان وفي أي مكان وهذا شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعاً محيطاً بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد فاستلزم الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والشرك في الأسماء والصفات[5] .

وقد ربى رسول الله ﷺ صحابته على تجريد التوحيد بأنواعه كلها وكان هو ﷺ مثالاً حياً للمؤمن الموحد غاية التوحيد ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قل

---

(١) هود : ٦١ .

(٢) هود : ٨٤ .

(٣) آل عمران : ٥١ .

(٤) النحل : ٣٦ .

(٥) انظر (ص ٢٨) من كتاب ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية للحكمي .

إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾(١) وقد آتت تربية الرسول ﷺ لأصحابه ثمارها المباركة فتطهر الصحابة في الجملة مما يضاد توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات فلم يحتكموا إلا إلى الله وحده ولم يطيعوا غير الله في معصية الله ولم يتبعوا أحداً على غير مرضاة الله ولم يحبوا غير الله كحب الله ولم يخشوا إلا الله ولم يتوكلوا إلا على الله ولم يلتجئوا إلا إلى الله ولم يدعوا دعاء المسألة والمغفرة إلا الله وحده ولم يذبحوا إلا لله ولم ينذروا إلا لله ولم يستغيثوا إلا بالله ولم يستعينوا فيما لا يقدر عليه إلا الله إلا بالله وحده ولم يركعوا أو يسجدوا أو يحجوا أو يطوفوا أو يتعبدوا إلا لله وحده ولم يشبهوا الله لا بالمخلوقات ولا بالمعدومات بل نزهوه غاية التنزيه وأثبتوا له ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف أو تعطيل أو تأويل ولم يخافوا خوف السر إلا من الله وحده ولم يصرفوا الطاعة المطلقة إلا لله وحده ولم يشركوا أحداً من خلقه في خاصية من خصائص ربوبيته كالإحياء والإماتة والرزق والعلم المحيط والقدرة الباهرة والقيومية والبقاء المطلق والتحليل والتحريم للخلق ونحو ذلك جعلنا الله ممن يحقق التوحيد قولاً وعملاً واعتقاداً إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وكما جاء القرآن المكي موضحاً عقيدة التوحيد جاء مثبتاً لرسالة محمد ﷺ إلى الإنس والجن كافة ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(٢) . ﴿قل يا أيها الناس إني رسول

---

(١) الأنعام : ١٦١ - ١٦٤ .
(٢) سبأ : ٢٨ .

الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾[1] . ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾[2] . وغير هذه الآيات في القرآن الكريم كثير تثبت رسالة محمد ﷺ للإنس والجن كافة .

وكما رسخ القرآن المكي في قلوب الصحابة رضي الله عنهم العقيدة الصحيحة حول التوحيد بأنواعه وحول الرسول ﷺ والرسالة، صحح عقيدتهم حول الملائكة وأنهم خلق من خلقه يسجدون له ولا يستكبرون عن عبادته وليس لهم شرك في السماء ولا في الأرض وأنهم لا يضرون ولا ينفعون أحداً إلّا بأمره سبحانه ﴿ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾[3]. ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾[4]. ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً ﴾ [5] ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾[6].

---

(١) الأعراف: ١٥٨.
(٢) الأحقاف : ٢٩ ـ ٣١
(٣) الرعد : ١٣ .
(٤) النحل : ٤٩ .
(٥) فاطر : ١ .
(٦) سبأ : ٢٢ .

وكذلك سائر أركان الإيمان الأخرى غرسها القرآن المكي في قلوب المؤمنين بأسلوب القرآن المعجز ووضحها لكافة الناس فبين كيفية إنزال القرآن على الرسول ﷺ ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾(١) ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾(٢) ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾(٣).

وبين سبحانه أن له كتباً غير القرآن الكريم ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾(٤) ﴿وأنزل التوراة والإنجيل . . ﴾ الآية(٥).

وبين سبحانه أنه بعث كثيراً من الأنبياء ﴿ وكم أرسلنا من نبي في الأولين ﴾(٦) فبعضهم ذكرهم في القرآن وبعضهم لم يذكرهم ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾(٧).

وركز القرآن المكى على اليوم الآخر غاية التركيز فقل أن توجد سورة مكية لم يذكر فيها بعض أحوال يوم القيامة وأحوال المنعمين وأحوال المعذبين وكيفية البعث وكيفية حشر الناس ومحاسبتهم حتى لكأن الإنسان ينظر إلى يوم القيامة رأي العين ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي

---

(١) الإسراء : ٢٠٦ .
(٢) الزمر : ٢٣ .
(٣) الأنعام : ٩١ .
(٤) الأسراء : ٥٥ .
(٥) آل عمران : ٣ .
(٦) الزخرف : ٦ .
(٧) غافر : ٧٨ .

بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم، وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم، إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال، لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، وقالوا الحمد الله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم، وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد الله رب العالمين﴾(١) ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر.إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ﴾(٢).

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾(٣) ﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾(٤) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وكذلك ركز القرآن المكي على القدر وأوضحه للناس وهو يشمل أربع مراتب:

---

(١) الزمر: ٦٧ - ٧٥.

(٢) القمر: ٤٦ - ٤٨.

(٣) يس: ٤٨ - ٥٢.

(٤) يس: ٧٧ - ٧٩.

المرتبة الأولى: علم الله المحيط بكل شيء﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾(١).

المرتبة الثانية: كتابة كل شيء كائن (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وأثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾(٢).

المرتبة الثالثة: مشيئة الله النافذة وقدرته التامة ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً ﴾(٣). ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ﴾(٤).

المرتبة الرابعة: خلق الله لكل شيء ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾(٥).

ولم تقتصر تربية الرسول ﷺ لأصحابه على تعليمهم أركان الإيمان الستة المتقدمة بل صحح عندهم كثيراً من المفاهيم والتصورات والاعتقادات عن الكون والإنسان والحياة والعلاقة بينهما ليسير المسلم على نور من الله يدرك هدف وجوده في الحياة ويحقق ما أراد الله منه غاية التحقيق ويتحرر من الوهم والخرافات.

والرسول ﷺ بشر لا يعلم إلا ما أعلمه الله عن طريق القرآن أو الوحي غير المقروء لذا نجد ذلك التصحيح أغلبه في القرآن. قال تعالى:

---

(١) يونس: ٦١.
(٢) يس: ١٢.
(٣) فاطر: ٤٤.
(٤) الإنسان: ٣.
(٥) الأنعام: ١٠٢.

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون.والجان خلقناه من قبل من نار السموم.وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون.فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.فسجد الملائكة كلهم أجمعون.إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾[١]، وقال: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين.ثم جعلناه نطفة في قرار مكين.ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.ثم إنكم بعد ذلك لميتون.ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾[٢].

وبين سبحانه لماذا خلق الإنس والجن فقال: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون.إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾[٣] وقال: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة.قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك.قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾[٤].

وبين سبحانه أصل الكون وقدرة الله وحكمته في جعله مسخراً للإنسان ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون.إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً.إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط.والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون.هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين

(١) الحجر : ٢٦ ـ ٣١ .
(٢) المؤمنون : ١٢ ـ ١٦ .
(٣) الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨ .
(٤) البقرة : ٣٠ .

والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون. إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴾[1] ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين. وحفظناها من كل شيطان رجيم. إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون. وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين. وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم. وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾[2] ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب. ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج ﴾[3].

وإنه لمما يقوى الإيمان في قلوب الرعيل الأول أن الله يؤيدهم في معركتهم العقيدية مع الجاهلية فيكشف قبح الجاهليين وأخلاقهم الشنيعة ويبين تفاهة معبوداتهم وضحالة تفكيرهم وسوء تصرفاتهم؛ يقول تعالى - فاضحاً ومندداً ببعض زعماء الكفر - ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ﴾ ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى. أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى. أرأيت إن كذب وتولى. ألم يعلم بأن الله يرى كلاً لئن لم ينته لنسفعا بالناصية. ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية ﴾[4] ﴿ أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى. أعنده علم الغيب فهو يرى. أم لم

---

(١) يونس : ٣ - ٦ .

(٢) الحجر : ١٦ - ٢٢ .

(٣) ق : ٦ - ١١ .

(٤) العلق : ٩ - ١٨ .

ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[١] ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ﴾[٢].

وقال سبحانه عن معبودات أهل الجاهلية ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان. إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾[٣] ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون. إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين. ألهم أرجل يمشون بها. أم لهم أيد يبطشون بها. أم لهم أعين يبصرون بها. أم لهم آذان يسمعون بها. قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ﴾[٤]. ﴿ قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً ﴾[٥] ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء

---

(١) النجم : ٣٣ - ٣٨ .

(٢) القلم : ١٠ - ١٣ .

(٣) النجم : ١٩ - ٢٣ .

(٤) الأعراف : ١٩١ - ١٩٥ .

(٥) فاطر : ٤٠ .

بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون.وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم.قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾[1].

كل هذه الأمور المتقدمة التي استعرضنا طرفاً منها هي التي تجعل الإيمان راسخاً قوياً وهي طرق ترسيخ الإيمان وتقويته في كل زمان ومكان. يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي:(والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله أمور: أحدها بل أعظمها تدبر أسمائه وصفاته وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلاله فإنها توجب بذل الجهد في التأله له والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى هو المتفرد بالخلق والتدبير فيعلم بذلك أنه المتفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المتفرد بالنعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة ومن عقوبته لأعدائه المشركين به فإن هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله واتخذت آلهة وأنها ناقصة من جميع الوجوه فقيرة بالذات لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا ينصرون من

---

(١) الأنعام : ١٣٥ ـ ١٤٠ .

عبدهم ولا ينفعونهم بمثقال ذرة من جلب خير أو دفع شر فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه.

السابع: إن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً ورأياً وصواباً وعلماؤهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون قد شهدوا بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية التي تدل على التوحيد أعظم دلالة تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته وبديع حكمته وغرائب خلقه...)[1].

٢ ـ تربية الرعيل الأول على مكارم الأخلاق وتنقيته من الرذائل

إن الأخلاق جزء مهم من العقيدة فالعقيدة الصحيحة لا تكون بغير خلق وقد ربى رسول الله ﷺ صحابته على مكارم الأخلاق بأساليب متنوعة وكان ﷺ يتلو عليهم ما ينزل عليه من قرآن فإذا سمعوه وتدبروه عملوا بتوجيهاته قال أبو عبد الرحمن حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا فعلمنا العلم والعمل)[2].

والمتدبر للقرآن المكي يجده مليئاً بالحث على مكارم الأخلاق وعلى تنقية الروح وتصفيتها من كل ما يعيق سيرها إلى الله تعالى ورسول الهدى عليه الصلاة والسلام القدوة الكاملة والمربي الناصح للأمة كان غاية في

---

(١) انظر تفسير السعدي (٧ : ١٦٦ ـ ١٦٧).
(٢) مسند أحمد بن حنبل (٥ : ٤١٠).

الخلق. قال تعالى: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[1] وقد ربى أصحابه على الصدق والكرم والوفاء بالعهد وبر الوالدين وصلة الأرحام واجتناب الفواحش والآثام وقول الزور وأكل أموال الناس بالباطل إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق التي أمر الله بها ورغب فيها والتي ترتفع بالإنسان إلى أفق عال من الصلاح والإصلاح. ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً. والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً. إنها ساءت مستقراً ومقاماً. والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً. والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴾[2] ﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً. والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً ﴾[3] ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون. والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون. والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾[4] ﴿ قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على

---

(١) القلم: ٤.
(٢) الفرقان: ٦٣ ـ ٦٩.
(٣) الفرقان: ٧٢ ـ ٧٣.
(٤) الشورى: ٣٦ ـ ٣٩.

صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾[1].

ويقول تعالى محذراً عن الكذب ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾[2].

وناهياً عن الفحشاء والمنكر ومرشداً إلى جملة من الأخلاق الرفيعة والصفات المحمودة ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون. ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إن ما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾[3].

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً. ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً. وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً. إن المبذرين

---

(١) المؤمنون : ١ ـ ١١ .

(٢) النحل : ١١٦ .

(٣) النحل: ٩٠ ـ ٩٦.

كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً. وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً. ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً. إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً. ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً. ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً. وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً. ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً. ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً. كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ﴾[1].

ويقول تعالى ذاكراً لوصايا لقمان لابنه ومرشداً لاتباعها لأنها من مكارم الأخلاق: ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد. وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأُنبئكم بما كنتم تعملون. يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور. ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب

---

(١) الإسراء: ٢٣ - ٣٨.

كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾[1].

ولقد بين أحد السابقين إلى الإسلام ـ وهو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ـ مكارم الأخلاق التي جاءهم بها رسول الله ﷺ وأمرهم بالتزامها ورباهم عليها حتى أصبحت جزءاً من حياتهم يتلقون التعذيب والتشريد من بلادهم ولا يتنازلون عن شيء منها فقال رضي الله عنه لملك الحبشة (أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ فعدد عليه أمور الإسلام ـ ثم قال وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله تعالى فعبدنا الله تعالى وحده ولم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم الله علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك. فقال له النجاشي هل معك مما جاء به من شيء فقال له جعفر نعم قال فاقرأه علي فقرأ عليه صدراً من «كهيعص»، فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم

---

(١) لقمان : ١٢ ـ ١٩ .

حين سمعوا ما يتلى عليهم ثم قال له النجاشي إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج عن مشكاة واحدة. . . الحديث)[1].

٣ - تزكية أرواح الرعيل الأول بأنواع العبادات

تزكية الروح بالصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى والتسبيح له سبحانه أمر مهم في الإسلام فإن النفس البشرية إذا لم تتطهر من أدرانها وتتصل بخالقها لا تقوم بالتكاليف الشرعية الملقاة عليها. والعبادة والمداومة عليها تعطي الروح وقوداً وزاداً ودفعاً قوياً إلى القيام بما تؤمر به يدل على هذا أمر الله لرسوله ﷺ في ثاني سورة نزلت عليه بالصلاة والذكر وترتيل القرآن. قال تعالى: ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً إن لك في النهار سبحاً طويلاً واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴾[2]

فالاستعداد للأمر الثقيل والتكاليف الشاقة هو بقيام الليل والمداومة على الذكر والتلاوة وقد حرص رسول الله ﷺ بتوجيه من ربه عز وجل على تربية الصحابة من أول إسلامهم على تطهير أرواحهم وتزكيتها بالعبادة فقد روى الإمام أحمد والبيهقي وابن عبد البر عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي عن أبيه عن جده قال: كنت امرأ تاجراً فقدمت الحج في الجاهلية فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل مجتمع من خباء قريب فنظر إلى الشمس فلما

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي (٢ : ٥١٩) والفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد (٢٠ : ٢٢٩) وقال البنا الحديث صحيح .
(٢) المزمل : ١ ـ ٨ .

رآها مالت توضأ فأسبغ الوضوء ثم قام يصلي ثم خرج غلام قد راهق الحلم من ذلك الخباء فقام يصلي معه ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة من ذلك الخباء فقامت خلفهما ثم ركع الشاب وركع الغلام وركعت المرأة ثم رفع الشاب ورفع الغلام ورفعت المرأة ثم خر الشاب ساجداً وخر الغلام وخرت المرأة فقلت للعباس يا عباس ما هذا قال هذا محمد ابن عبد المطلب ابن أخي قلت من هذه المرأة قال هذه امرأته خديجة بنت خويلد فقلت من هذا الفتى قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه قلت فما هذا الذي يصنع قال: يصلي يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى وهو يزعم أنه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر قال عفيف فليتني كنت آمنت به يومئذ فكنت أكون ثانياً مع علي بن أبي طالب)[1].

وذكر ابن إسحاق أن أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم[2] ولما خاف ﷺ على أصحابه في بداية الإسلام وعرف أن الكفار لا يقرونهم يمارسون الصلاة وقراءة القرآن علناً دخل بهم دار الأرقم وصار يصلي بهم ويعلمهم كتاب الله عز وجل ولولا أهمية تزكية الروح بالعبادة والصلاة والتلاوة لأمرهم بتركها عند الخوف وحتى بعد أن اكتشفت قريش المكان الذي يصلي فيه الرسول ﷺ بأصحابه لم يترك الرسول ﷺ الصلاة والتلاوة لأجل الخوف. يقول الصالحي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾[3] (روى سعيد بن منصور والإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس وابن إسحاق وابن جرير عنه من طريق آخر في الآية قال: نزلت ورسول

---

(١) سبل الهدى والرشاد للصالحي (٢ : ٣٩٩) .

(٢) المرجع السابق (٢ : ٤٠٤) .

(٣) الإسراء : ١١٠ .

الله ﷺ بمكة متوار فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به وتفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلوه وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقاً منهم فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع فإن خفض رسول الله ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً فأنزل الله تعالى ولا تجهر بصلاتك. . . الآية بقراءتك فيها فيسب المشركون القرآن ويتفرقوا عنك ولا تخافت تسربها فلا ينتفع بها أصحابك ولا من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك لعله يرعوي إلى بعض ما يستمع فينتفع به وابتغ اقصد بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلاً طريقاً وسطاً)[1].

وقد حض الله في القرآن المكي على إقامة الصلاة وأثنى على الذين يخشعون في صلاتهم والذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأجل إحياء ليلهم بذكر الله وعلى الذين يدعون الله ويسبحونه ويذكرونه. قال تعالى: ﴿ قد أفلح المؤمنون.الذين هم في صلاتهم خاشعون.والذين هم عن اللغو معرضون.والذين هم للزكاة فاعلون ﴾[2] ﴿ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ﴾ ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون.تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ﴾[3] ﴿ وأقم الصلاة طرفيّ النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾[4] ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً

---

(١) سبل الهدى للصالحي (٢ : ٤٦٨).
(٢) المؤمنون : ١ ـ ٤ .
(٣) السجدة : ١٥ ـ ٢٦ .
(٤) هود: ١١٤.

ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾[١] ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقاً نحن نرزقـك والعاقبـة للتقوى ﴾[٢] ﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾[٣] ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين. واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾[٤] ﴿ فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ﴾[٥] ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم. ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾[٦] ﴿ فاصبر على ما يقـولون وسبـح بحمد ربـك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾[٧].

وهذه الآيات الأخيرة تدل على أن العدة في حال الضيق والشدة هي الإكثار من الصلاة والذكر وتلاوة القرآن والالتجاء إلى الله سبحانه وحده والإكثار من الدعاء ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[٨] ﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه

---

(١) الإسراء: ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) طه : ١٣٠ ـ ١٣٢ .
(٣) العنكبوت : ٤٥ .
(٤) الحجر : ٩٧ ـ ٩٩ .
(٥) غافر : ٥٥ .
(٦) الطور : ٤٨ ـ ٤٩ .
(٧) ق : ٣٩ ـ ٤٠ .
(٨) غافر : ٦٠ .

ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءِله مع الله قليلاً ما تذكرون ﴾(١).

ولأهمية الذكر في إصلاح النفس وتزكيتها وتوثيق صلتها بخالقها حض عليه سبحانه في القرآن المكي قبل أكثر الأحكام الشرعية ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ﴾(٢) ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً ﴾(٣) ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ (٤).

وقد ربى رسول الله ﷺ صحابته على هذا النهج الكريم؛نهج تزكية الأرواح بالصلاة والذكر والدعاء والتسبيح والاستغفار حتى لقد أصبح جزءاً من حياتهم لا يستطيعون التخلي عنه؛فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما ابتنى بفناء داره مسجداً يذكر الله فيه ويصلي وخيره المشرك بين أن يترك ذلك وبين أن يحميه من كفار قريش اختار الاستمرار على النهج الذي رباه عليه رسول الله ﷺ رغم ما في ذلك من الخطر عليه(٥). وقد فرض الله على المسلمين خمس صلوات في اليوم والليلة في ليلة الإسراء وهم لا زالوا في مرحلة الاستضعاف والمطاردة وما ذاك إلا لأثرها النفسي على الأرواح المكدودة المتعبة كما كان يقول ﷺ : «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة»(٦).

---

(١) النمل : ٦٢ .
(٢) الأعراف : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .
(٣) الكهف : ٢٣ ـ ٢٤ .
(٤) الذاريات : ٥٥ .
(٥) انظر قصته مستوفاة في صحيح البخاري كتاب الكفالة (٣ : ٥٨) .
(٦) مسند أحمد بن حنبل (٥ : ٣٧١) .

٤ ـ تربية الروح الجماعية والعمل المنظم لدى الرعيل الأول

كان ﷺ بالإضافة إلى إعداد الصحابة خلقياً وسلوكياً يرعى شؤونهم تنظيمياً وقيادياً فمهمته ﷺ شاملة لهذا وذاك. قال الله تعالى: ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾(١).

فممارسة الرسول ﷺ للمرحلة السرية في بداية الدعوة ـ كما مر في أول هذا البحث ـ عمل تنظيمي يهدف منه ﷺ إلى حماية الدعوة في بدايتها حتى لا تجتث من العروق وهي لم تنبت بعد وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى بل بوحي من الله وإذا اجتهد في أمر وأقره الله عليه فهو موافق للحق والصواب. وإن المتتبع لسيرة الرسول ﷺ في المرحلة المكية يجده عليه السلام قد قام برعاية شؤون أصحابه خير قيام يتجلى ذلك فيما يلي:

١ ـ لما اكتشف بعض كفار قريش بعض الصحابة رضوان الله عليهم وهم يصلون في شعاب مكة مستخفين بصلاتهم وحصل بينهم سباب وتضارب أمر عليه السلام أصحابه بالاجتماع في دار الأرقم لكي يعبدوا الله بعيداً عن أنظار قريش ويتعلموا ما ينزل الله من القرآن(٢).

٢ ـ لما أسلم بعض الصحابة الغرباء كضماد بن ثعلبة الأزدي وعمرو بن

---

(١) الأعراف: ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) انظر المستدرك للحاكم ٣/٥٠٢ والإصابة ١/٤٤.

عبسة وأبو ذر الغفاري أمرهم ﷺ بالرجوع إلى قومهم[1] وذلك فيما يظهر لي لأمرين:

أ ـ لكي ينشروا الإسلام في قومهم وقد فعلوا رضوان الله عليهم.

ب ـ محافظة على أرواحهم فإن كفار قريش يضطهدون الغريب والضعيف الذي لا ناصر له كما فعلوا بأبي ذر رضي الله عنه عندما أعلن إسلامه.

٣ ـ لما اشتد الأذى على أصحابه بمكة أمرهم بالهجرة إلى الحبشة حفاظاً على عقيدتهم وعلى أرواحهم.

٤ ـ من مظاهر حرصه ﷺ على صحابته وتربيتهم على الثبات عند حلول الشدائد زيارته للذين يعذبون منهم في أماكن تعذيبهم وتثبيته لهم وتبشيره لبعضهم بالجنة كما كان يمر على آل ياسر وهم يعذبون فيقول ﷺ صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة[2].

٥ ـ ومن ذلك زيارته لأبي بكر رضي الله عنه طرفي النهار كما تقول عائشة رضي الله عنها (لم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشيا. . . الحديث)[3].

ولا شك أن زيارته المتكررة ما هي إلا لأغراض الدعوة لا لمجرد الزيارة فقط بدليل أنه ﷺ لم يفعل ذلك في المدينة المنورة.

٦ ـ ومن ذلك إرساله مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة المنورة لتعليم المسلمين هناك الإسلام والقرآن والدعوة إلى الله عز وجل[4].

---

(١) انظر إلى قصص إسلام هؤلاء الصحابة في تراجمهم في الإصابة لابن حجر (٢: ٢١٠)، (٣:٥)، (٤:٦٣).

(٢) الإصابة لابن حجر (٢ : ٥١٢) .

(٣) صحيح البخاري (٣ : ٥٨) .

(٤) انظر سبل الهدى والرشاد (٣ : ٢٧١) .

٧ ـ ما فعله ﷺ في هجرته من التخطيط والتنظيم كما سيأتي.

كل هذه الأمور وغيرها مما سيأتي تفصيله تدل دلالة قاطعة على أن القيام بالدين ونشره بين الناس وتطبيق أحكامه يحتاج إلى اجتماع المؤمنين به تحت قيادة أحدهم ليرعى شؤونهم وينظم أمورهم على مقتضى تعاليم الإسلام وليدفع عنهم الخطر إذا أحدق بهم من أعدائهم فقيام الرسول ﷺ بهذه المهمة سنة شرعية يجب التمسك بها والدعوة إليها ولأجل هذا أجمع المسلمون الذين يعتد بإجماعهم على وجوب نصب خليفة من المسلمين يقوم بحراسة الدين ويسير المجتمع الإسلامي على أحكام الشرع الحنيف[1]. ولأهمية هذا الأمر بالنسبة لقيام المجتمع المسلم فقد ربى رسول الله ﷺ صحابته وهو في العهد المكي على العمل الجماعي المنظم الهادف إلى إزالة الجاهلية من الأرض وإحلال الإسلام محلها. يقول الأستاذ فتحي يكن: (إن المستقرىء لسيرة المصطفى ﷺ لكل خطرة من خطراته ولكل خطوة من خطواته تتبين له معالم التنظيم في أسمى وأدق صورة فمثالاً على ذلك أنه في هجرته عليه السلام مع أبي بكر تبدو طائفة من اللفتات التنظيمية الجديرة بالدراسة والتأمل والتأسي، من ذلك:

١ ـ طلبه إلى علي بن أبي طالب المبيت في سريره لتضليل المشركين وريثما يكون قد غادر مكة وبلغ غار ثور.

٢ ـ اختياره غار ثور الذي يقع في اتجاه معاكس لطريق المدينة زيادة وإمعاناً في تضليل المشركين الذين كانوا يدركون أنه مهاجر إلى المدينة لا محالة.

٣ ـ تكليفه عبد الله بن أبي بكر بنقل ما يجري في مكة من أخبار.

٤ ـ تكليفه أسماء بنت أبي بكر بتأمين الطعام.

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٦٤.

٥ ـ تكليفه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاراً ويريحها عليهما ليلاً ليأخذا حظهما من اللبن ولتطمس بحوافر الأغنام آثار الأقدام التي تتردد على الغار.

٦ ـ استئجاره رجلاً من المشركين ليكون دليلاً لهما على طريق المدينة.

فإذا كان رسول الله ﷺ وهو المؤيد بالوحي والمسدد بهدي العليم الخبير قد اتخذ جملة ترتيبات ومجموعة إجراءات في واحدة من عشرات الحوادث فما بال العاملين للإسلام اليوم وقد انقطع الوحي وأشكلت الأمور وادلهمت الأجواء بكيد الأعداء لا يستنيرون بسنة رسول الله ﷺ ولا يقتفون أثره فتكون لهم أعين يبصرون بها وآذان يسمعون بها، بل ما بالهم لا يتعلمون من عدوهم دقة التنظيم وحسن التنظيم والقدرة على التنظيم. إن الإسلام يريدنا أن نكون قمة في كل شيء في أمور ديننا ودنيانا وليس من الإسلام في شيء جهلنا بأمور دنيانا فالدنيا مطية الآخرة إن لم نحسن امتطاءها وتسخيرها في مصلحة الإسلام سخرها أعداؤنا ضدنا ونالوا بها منا ومن إسلامنا كما هو حاصل اليوم. إن الأخذ بأسباب القوة الحسية ـ والتنظيم أهم هذه الأسباب ـ فريضة شرعية لا يجوز تعطيلها أو إهمالها بدليل قول الله تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ثم بدليل نص نبوي لا مجال لتأويله وهو قوله ﷺ «إن الله يحب من أحدكم إذا عمل العمل أن يتقنه» والحقيقة أنه لا إتقان من غير تنظيم بالغاً ما بلغت الطاقات والإمكانات إذ العبرة بالكيف لا بالكم والتنظيم جوهر الكيف ومادته الأولى والأهم. أ. هـ)[1].

وكما ربى رسول الله ﷺ صحابته على إتقان العمل وتنظيمه رباهم على التعاون على البر والتقوى وعلى العمل الجماعي لنشر الدعوة الإسلامية يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر

---

(١) أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي لفتحي يكن (ص ١٧١ ـ ١٧٢).

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾. فشرط السلامة من الخسران هو العمل بالصالحات والتواصي بالصبر على السير في الطريق الموصل إلى الله والصبر على العوائق عن ذلك وقد عرف الصحابة رضوان الله عليهم قدر هذا الأمر العظيم حتى كانوا إذا التقى الرجلان منهم وأرادا أن يفترقا قرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر. وقال الشافعي لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم[1].

ويقول سيد قطب في تفسير هذه السورة ﴿ والتواصي بالحق ضرورة فالنهوض بالحق عسير والمعوقات عن الحق كثيرة: هوى النفس ومنطق المصلحة وتصورات البيئة وطغيان الطغاة وظلم الظلمة وجور الجائرين. والتواصي تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى في الهدف والغاية والأخوة في العبء والأمانة فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية إذ تتفاعل معاً فتتضاعف، تتضاعف بإحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه ويشجعه ويقف معه ويحبه ولا يخذله وهذا الدين وهو الحق لا يقوم إلا في حراسة جماعة متعاونة متواصية متكافلة متضامنة على هذا المثال»[2].

وقد وصف الله المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم ولو لم يكونوا مجتمعين لما حصلت المشاورة. يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي (طريقة القرآن في أحوال السياسة الداخلية والخارجية أعلى طريقة وأقرب إلى حصول جميع المصالح الكلية وإلى دفع المفاسد ولو لم يكن في القرآن من هذا النوع إلا قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ وإخباره عن المؤمنين في سورة الشورى ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾. فالأمر مفرد ومضاف إلى المؤمنين وفي الآية الأولى قد دخلت عليه ال المفيدة

(١) انظر تفسير ابن كثير (٨ : ٤٩٩).
(٢) في ظلال القرآن (٦ : ٣٩٦٨).

للعموم والاستغراق يعني أن جميع أمور المؤمنين وشؤونهم واستجلاب مصالحهم واستدفاع مضارهم معلق بالشورى والتعاون على الاهتداء إلى الأمر الذي يجرون عليه في حل مشكلاتهم وتدعيم سلطانهم وتجنيبهم الخلاف المفضي إلى تفكك قواهم وانحلال عراهم... فهذا النظام العجيب الذي أرشد إليه القرآن هو النظام الذي يصلح لكل زمان ومكان ولكل أمة ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأنفال ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ فهذه الآية تصرح بوجوب الاستعداد للأعداء بكل ما نستطيعه من قوة عقلية ومعنوية ومادية مما لا يمكن حصره وفي كل وقت ولكل عدو يتعين سلوك ما يلائم ذلك الوقت ويناسبه... ومن عجيب ما نبه عليه القرآن من النظام الوحيد أن الله عاتب المؤمنين بقوله في سورة آل عمران ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ فأرشد الله عباده إلى أنه ينبغي أن يكونوا بحالة من الحكمة واستقامة الأمور على طرقها بحيث لا يزعزعهم عنها فقد رئيس مهما كان عظيماً. وما يكون ذلك إلا بأن يستعدوا لكل أمر من أمورهم الدينية والدنيوية بعدة من القادة متساوين أو متقاربين في قوة القيادة والدربة والحنكة والسياسة الدينية والاقتصادية والحربية إذا فقد أحدهم قام مقامه غيره)[1].

ومن أدلة تربية الرسول ﷺ لأصحابه على العمل الجماعي قوله لهم: «... عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ... الحديث»[2]. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (عليكم بالطاعة والجماعة فإنها

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي (ص ١٢٧ - ١٢٩).

(٢) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه انظر تحفة الأحوذي (٦ : ٣٨٤).

حبل الله الذي أمر به)[١]. ويقول الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾(يعني جل ثناؤه بقوله ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسول ﷺ والانتهاء إلى أمره)[٢].

إن مقصود البعثة المحمدية هو إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد والطواغيت الذين يُعبِّدون البشر لأنفسهم لا يتركون أتباعهم يتخلون عن عبادتهم بسهولة كما قال أحدهم: ﴿ قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون. لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين ﴾[٣]. فلا بد من جماعة مؤمنة لها قيادة تطاع في المعروف لكي تزيل الطواغيت وتقهرهم حتى يخلوا بين الأتباع والإسلام. لأجل هذا أرشد الله نبيه لأن يقول ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾[٤] قال قتادة في تفسير هذه الآية (إن نبي الله أعلم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله عز وجل ولحدود الله ولفرائض الله ولإقامة دين الله وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم)[٥].

لقد ربى رسول الله ﷺ الرعيل الأول على هذه الروح فكان كل واحد منهم جندياً مرابطاً ينتظر الأوامر من الرسول ﷺ ولا يقدم على عمل إلا بعد أن يستأذن الرسول ﷺ كما فعل عبد الرحمن بن عوف ومعه بعض الصحابة لما بلغ بهم الأذى مداه فقالوا: (يا نبي الله كنا في عز ونحن

---

(١) تفسير الطبري (٤ : ٢٢) .
(٢) تفسير الطبري (٤ : ٢١).
(٣) الشعراء : ٤٩ .
(٤) الإسراء : ٨٠ .
(٥) تفسير الطبري (١٥ : ١٠٢) .

مشركون فلما آمنا صرنا أذلة قال إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا فكفوا . . . الحديث)[1].

وكذلك الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية قالوا له إن شئت أن نميل على أهل منى بأسيافنا فقال لهم إني لم أومر[2]. فهم رضوان الله عليهم ينتظرون الأوامر منه ﷺ وهو بأبي وأمي ينتظرها من الرحمن الرحيم جل وعلا.

ومن بنود البيعة أنه ﷺ بايعهم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وفي هذا توجيه إلى أنه لا يقوم بدين الله ونشره ونصره إلا جماعة لها قيادة تطاع في المعروف. قال ﷺ لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم رواه أحمد. وقال ﷺ إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم رواه أبو داود قال الشوكاني ـ بعد أن ساق هذين الحديثين وذكر طرقهما وأنه يشهد بعضها لبعض ـ وفيها دليل على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا عليهم أحدهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلاف فمع عدم التأمير يستبد كل واحد برأيه ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون ومع التأمير يقل الاختلاف وتجتمع الكلمة وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى)[3].

وإن من تربية الروح الجماعية عند الرعيل الأول وصف الرسول ﷺ لهم بأنهم كالجسد الواحد كما جاء في صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ

---

(١) مستدرك الحاكم (٢ : ٣٠٧) .

(٢) مسند أحمد بن حنبل (٣ : ٤٦٢) ، زاد المعاد لابن القيم (٣ : ٤٨) وقال المحققان لزاد المعاد شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط عن الحديث إسناده صحيح .

(٣) نيل الأوطار للشوكاني (٨ : ٢٨٨) .

«ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[1] وبأنهم كالبنيان كما في صحيح البخاري قال ﷺ: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»[2].

ووصفه ﷺ دين الإسلام الذي يجمع المجتمع بأنه كالسفينة السائرة في البحر وأن الكفار والفساق قوم أرادوا خرقها وإغراق أهلها وأن المسلمين لا ينجيهم من الغرق إلا الأخذ على أيدي المفسدين كما في صحيح البخاري قال ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[3]. فهذه مسؤولية جماعية يجب أن يقوم بها المسلمون مجتمعين لأن الكفار يقومون بخرق السفينة وهم مجتمعون ولا يفل الحديد إلا الحديد لقد أدرك ذلك عمر رضي الله عنه منذ دخوله الإسلام فقال للكفار ـ لما ضاربوه وهموا بقتله عند تحديه لهم بإسلامه ـ (اقسم بالله لو كنا ثلاثمائة لتركناها لكم أو تركتموها لنا)[4] يعني مكة. وأدرك ذلك الصحابي الجليل الذي قال لكسرى إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[5] بل أدرك ذلك الجاهليون وعرفوا أن

---

(١) صحيح البخاري (٧ : ٧٨).
(٢) صحيح البخاري (١ : ١٢٣).
(٣) صحيح البخاري (٣ : ١١١).
(٤) قال الصالحي (٢ : ٤٩٨) في سبل الهدى والرشاد وهذا مروي بسند صحيح عن ابن عمر.
(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٧ : ٣٩).

دعوة الإسلام تعني اجتماع الصحابة مع الرسول ﷺ على حرب الطواغيت الذين يمارسون الربوبية على البشر؛ يقول المثنى بن حارثة - لما دعاه الرسول ﷺ في موسم الحج إلى الإسلام - وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكره الملوك[1].

فالدعوة الإسلامية أساسها إفراد الله بالعبادة وإزالة كل ما يعبد من دون الله والتعاون والتناصر على ذلك وقد ربى رسول الله ﷺ صحابته على ذلك بل إن الاجتماع على إزالة الكفر ونشر الإسلام بدهية من بدهيات الدعوة لأن الكفار يجتمعون على الباطل وعبادة الأوثان ويحاربون مجتمعين فلا يزيل الاجتماع إلا اجتماع مثله. يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (... ولكن الجاهلية التي تقوم على حاكمية البشر للبشر والشذوذ بهذا عن الوجود الكوني والتصادم بين منهج الجانب الإرادي في حياة الإنسان والجانب الفطري، هذه الجاهلية التي واجهها كل رسول بالدعوة إلى الإسلام لله وحده والتي واجهها رسول الله ﷺ بدعوته، هذه الجاهلية لم تكن متمثلة في نظرية مجردة بل ربما أحياناً لم تكن لها نظرية على الإطلاق إنما كانت متمثلة دائماً في تجمع حركي، متمثلة في مجتمع خاضع لقيادة هذا المجتمع وخاضع لتصوراته وقيمه ومفاهيمه ومشاعره وتقاليده وعاداته وهو مجتمع عضوي بين أفراده ذلك التفاعل والتكامل والتناسق والولاء والتعاون العضوي الذي يجعل هذا المجتمع يتحرك بإرادة واعية أو غير واعية للمحافظة على وجوده والدفاع عن كيانه والقضاء على عناصر الخطر التي تهدد ذلك الوجود وهذا الكيان في أي صورة من صور التهديد ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في نظرية مجردة ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية ورد الناس إلى الله مرة أخرى لا يجوز ولا يجدي شيئاً أن تتمثل في نظرية مجردة فإنها حينئذ

---

(١) سبل الهدى والرشاد للصالحي (٢ : ٥٩٧).

لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي فضلاً على أن تكون متفوقة عليها كما هو المطلوب في حالة محاولة إلغاء وجود قائم بالفعل لإقامة وجود آخر يخالفه مخالفة أساسية في طبيعته وفي منهجه وفي كلياته وفي جزئياته بل لا بد لهذه المحاولة الجديدة أن تتمثل في تجمع عضوي حركي أقوى في قواعده النظرية والتنظيمية وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك المجتمع الجاهلي القائم فعلاً.والقاعدة النظرية التي يقوم عليها الإسلام على مدار التاريخ البشري هي قاعدة شهادة أن لا إله إلا الله أي إفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية؛إفراده بها اعتقاداً في الضمير وعبادة في الشعائر وشريعة في واقع الحياة فشهادة أن لا إله إلا الله لا توجد فعلاً ولا تعتبر موجودة شرعاً إلا في هذه الصورة المتكاملة التي تعطيها وجوداً جدياً حقيقياً يقوم عليه اعتبار قائلها مسلماً أو غير مسلم ومعنى تقرير هذه القاعدة من الناحية النظرية أن تعود حياة البشر بجملتها إلى الله لا يقضون هم في أي شأن من شؤونها ولا في أي جانب من جوانبها من عند أنفسهم بل لا بد لهم أن يرجعوا إلى حكم الله فيها ليتبعوه وحكم الله هذا يجب أن يعرفوه من مصدر واحد يبلغهم إياه وهو رسول الله وهذا يتمثل في شطر الشهادة الثاني من ركن الإسلام الأول شهادة أن محمداً رسول الله. هذه هي القاعدة النظرية التي يتمثل فيها الإسلام ويقوم عليها وهي تنشىء منهجاً كاملاً للحياة حين تطبق في شؤون الحياة كلها يواجه به المسلم كل فرع من فروع الحياة الفردية والجماعية في داخل دار الإسلام وخارجها في علاقاته بالمجتمع المسلم وفي علاقات المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى. ولكن الإسلام كما قلنا لم يكن يملك أن يتمثل في نظرية مجردة يعتنقها من يعتنقها اعتقاداً ويزاولها عبادة ثم يبقى معتنقوها على هذا النحو أفراداً ضمن الكيان العضوي للتجمع الحركي الجاهلي القائم فعلاً فإن وجودهم على هذا النحو مهما كثر عددهم لا يمكن أن يؤدي إلى وجود فعلي للإسلام. . . . ومن ثم لم يكن بد أن تتمثل القاعدة النظرية للإسلام «أي العقيدة» في

تجمع عضوي حركي آخر غير التجمع الجاهلي منفصل ومستقل عن التجمع العضوي الحركي الجاهلي الذي يستهدف الإسلام إلغاءه وأن يكون محور التجمع الجديد هو القيادة الجديدة المتمثلة في رسول الله ﷺ ومن بعده في كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله وحده وربوبيته وقوامته وحاكميته وسلطانه وشريعته وأن يخلع كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولاءه من التجمع الحركي الجاهلي - أي التجمع الذي جاء منه - ومن قيادة ذلك التجمع - في أي صورة كانت سواء كانت في صورة قيادة دينية من الكهنة والسدنة والسحرة والعرافين ومن إليهم أو في صورة قيادة سياسية واجتماعية واقتصادية كالتي كانت لقريش وأن يحصر ولاءه في التجمع العضوي الحركي الإسلامي الجديد وفي قيادته المسلمة. ولم يكن بد أن يتحقق هذا منذ اللحظة الأولى لدخول المسلم في الإسلام ولنطقه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لأن وجود المجتمع المسلم لا يتحقق إلا بهذا،لا يتحقق بمجرد قيام القاعدة النظرية في قلوب أفراد مهما تبلغ كثرتهم لا يتمثلون في تجمع عضوي متناسق متعاون له وجود ذاتي مستقل يعمل أعضاؤه عملاً عضوياً كأعضاء الكائن الحي على تأصيل وجوده وتعميقه وتوسيعه وفي الدفاع عن كيانه ضد العوامل التي تهاجم وجوده وكيانه ويعملون هذا تحت قيادة مستقلة عن قيادة المجتمع الجاهلي تنظم حركتهم وتنسقها وتوجههم لتأصيل وتعميق وتوسيع وجودهم الإسلامي ولمكافحة ومقاومة وإزالة الوجود الآخر الجاهلي وهكذا وجد الإسلام هكذا وجد متمثلاً في قاعدة نظرية مجملة ولكنها شاملة يقوم عليها في نفس اللحظة تجمع عضوي حركي مستقل منفصل عن المجتمع الجاهلي ومواجه لهذا المجتمع ولم يوجد قط في صورة نظرية مجردة عن هذا الوجود الفعلي)[1].

---

(١) معالم في الطريق لسيد قطب (ص ٤٨ - ٥١) .

لقد استطردت في إثبات أن الرسول ﷺ ركز على تربية أصحابه على العمل الجماعي الذي يعتبر الفرد نفسه فيه جندياً مرابطاً ينتظر الأمر يصدر إليه من القيادة المتمثلة في رسول الله ﷺ وأكثرت من نقل أقوال العلماء في ذلك والذي حملني على هذا الاستطراد هو ما سمعته من بعض طلبة العلم ـ هدانا الله وإياهم ـ من قولهم إن اجتماع الدعاة إلى الله في جماعة لها قيادة تطاع في حال استضعاف أهل الإسلام وغربتهم غير واجب لأن هذا التجمع يعرض الدعاة إلى الله إلى غضب الطواغيت وبطشهم. وهذا القول خطير جداً فإن قائله ذهل عن هدف الإسلام وذهل عن سيرة الرسول ﷺ.

فأما ذهوله عن هدف الإسلام فلأن هدف الإسلام ـ كما أشرت سابقاً ـ هو اخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ولا يكون هذا إلا بتجمع أشخاص عقيدتهم واحدة يقودهم أحدهم ويقارعون المجتمعات التي تدين لغير الله الواحد القهار كما قال تعالى: ﴿... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾[1] ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً..﴾ الآية[2].

إن واجب المسلم أن يحكم شريعة الله في كل صغيرة وكبيرة في الحياة ولا يستطيع ذلك إلا أن يكون هو الحاكم للناس أو أن يحكمه من يعتقد بدين الإسلام ويلتزم به لأن الفرد لا يستطيع أن يعيش منعزلاً عن الناس بتاتاً فوجب عليه إذاً أن يسعى بكل ما أوتي من قوة لكي يقود الناس بكتاب الله أو يتولى عليه من يفعل ذلك لذا أوجب الله على المسلمين

---

(١) البقرة : ٢٥١ .

(٢) الحج : ٤٠ .

عزل الحاكم إذا رأوا منه كفراً بواحاً وتنصيب حاكم مسلم يقودهم بكتاب الله كما هو مبسوط في كتب الفقه[1].

وكثير من أحكام الإسلام كإقامة الحدود والجمع والجماعات وأمور القضاء لا تتم إلا في مجتمع مسلم وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما هو مقرر في علم الأصول. يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله (إننا إذا أردنا عرض دعوتنا وإجمال غايتنا وأهدافها في كلمات قليلة يمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة مطالب مهمة أساسية وهاك بيانها:

١ - دعوتنا للبشر كافة والمسلمين خاصة أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً ولا يتخذوا إلهاً ولا رباً غيره.

٢ - ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالاسلام دينا أن يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض.

٣ - ودعوتنا لجميع أهل الارض أن يحدثوا انقلاباً عاما في أصول الحكم الحاضر الذي استبد به الطواغيت والفجرة الذين ملؤوا الأرض فساداً وأن ينتزعوا هذه الإمامة الفكرية والعملية من أيديهم حتى يأخـذها رجال يؤمنون بالله وباليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً.

وبعد أن يشرح الأستاذ أبو الأعلى المطلب الأول والمطلب الثاني بشرح قيم مفيد ليس هنا موضع ذكره يبين أهمية المطلب الثالث فيقول (فتلك نتيجة طبيعية لما أسلفنا من معاني العبودية الكاملة وإخلاص الدين لله وكون الأنفس طاهرة من شوائب النفاق والأعمال بـريئة من مـظاهر التناقض كما لا يخفى على اللبيب المتفطن أن ذلك لا يتأتى إلا بإحداث

(١) انظر نيل الأوطار للشوكاني (٧ : ١٩٨) فقد ذكر بحثاً ممتعاً في هذا الموضوع .

انقلاب عام في نظام الحياة الحاضر الذي يدور قطبه حول رحى الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان والذي يديره ويدبر أمره ويسير دفة شؤونه رجال انحرفوا عن الله ورسوله واستنكفوا عن عبادته واستكبروا في أرضه بغير الحق فما دامت أزمة أمور العالم بأيدي هؤلاء وما دامت العلوم والآداب والمعارف والصحف والتشريع والتنفيذ والشؤون الدولية والمالية والمسائل التجارية والصناعية تتحرك دواليبها بحركاتها وتتمشى عجلاتها حسب إرشادهم ورغباتهم لا يمكن للمسلم أن يعيش في الدنيا مسلماً متمسكاً بمبادئه متبعاً الشريعة الإلهية منفذاً لقوانينها في حياته العملية فإنه من المستحيل أن يتبع الرجل الدين الإلهي الكامل المحيط بجميع نواحي الحياة وشعبها وهو يعيش في بلاد تدين لقانون غير قانون الشريعة وتسير على منهاج غير المنهاج المرضي عند الله بل يتعذر عليه أن يتعهد تربية أولاده وتلقينهم مبادىء الدين الإلهي وتعاليمه وأن ينشئهم على الأخلاق المرضية والآداب الإسلامية الزكية لأن نظام الكفر والإلحاد الذي يعيش في كنفه يسد في وجهه سبل التربية الإسلامية والبيئة الكافرة التي يتنسم هواءها تأبى عليه إلا أن يحذو حذو القوم ويتخلق بأخلاقهم ويتخلى عن مقومات دينه وخلقه تدريجياً وزد على ذلك أنه من واجب العبد المسلم المخلص دينه لله أن يطهر أرض الله من أدناس الفساد والطغيان ويقيم فيها نظاماً معتدلاً على دعائم الصلاح والإرشاد ومن الظاهر البين أنه لا يتسنى الظفر بهذا المقصد ولا تنال هذه البغية السامية ما دام زمام أمور العالم بيد الطغاة والمفسدين في الأرض يديرونه كيفما يشاؤون ويتصرفون في شؤونه حسب ما يريدون وقد تحقق لنا بالتجربة في هذا الزمان أن المتكبرين في أرض الله بغير الحق السادرين في غلوائهم بغياً وعدواناً هم العقبة الكبرى في سبيل إقامة نظم الصلاح والنصفة وأنهم هم الذين يحولون دون توطيد دعائم السلام والعدل وكذلك ثبت لنا باليقين والبرهان والمشاهدة أنه لا أمل في صلاح العالم ولا رجاء في استقامة الأمور على موازين الرشاد والحق ما دام أولئك الطغاة المنحرفون عن الله ورسوله يتصرفون في شؤون

الملك ويديرون أموره ويشرفون على جليلها وصغيرها . فمن مقتضيات إسلامنا وعبوديتنا الخالصة لله الواحد الأحد أن نجد ونجتهد ونبذل الجهود المتواصلة والمساعي المتتابعة للقضاء على زعامة أئمة الكفر والضلال واجتثاث النظم الباطلة من جذورها وإحلال الإمامة العادلة والنظام الحق محلها)[1] .

وأما ذهوله عن سيرة رسول الله ﷺ فلأن رسول الله ﷺ كان حريصاً على تكوين جماعة مؤمنة تنصره لكي يبلغ دين الله ويقيم المجتمع المسلم ولم يحدث في عهد الرسول ﷺ أن عاش صحابي منعزلاً عن جماعة المؤمنين لا يناصرهم ولا يتلقى الأوامر من الرسول ﷺ ووجوب الهجرة من بلد الشرك إلى بلاد الاسلام من أوضح الأدلة على المراد . . يقول الخطابي وغيره (كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجاً فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو)[2] .

قلت فإذا فرض الله على المسلمين الهجرة لأجل الحاجة إلى الاجتماع فكيف لا يجب عليهم الاجتماع إذا كان لا يقوم المجتمع المسلم الذي يطبق أحكام الله وحدوده ويجاهد الكفار إلا به ثم لو تدبر هذا القائل لتلك المقالة أقوال الصحابة وأفعالهم لاتضح له الأمر جلياً فهذا ورقة بن نوفل رضي الله عنه لما أخبره ﷺ بما رأى في بداية الوحي قال هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ أوَمخرجي هم قال نعم لم يأت رجل

---

(١) تذكرة دعاة الإسلام للمودودي (ص ٩ ـ ١٩) .
(٢) نيل الأوطار (٨ : ٣٠) .

قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . . الحديث[1] .

ولا شك أن ورقة عرف هذه السنة الربانية وهي سنة الصراع بين الحق والباطل من قراءته للكتب السماوية السابقة فإنه قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب من الإنجيل بالعبرانية كما في صحيح البخاري[2] .

وهذا العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف قال للصحابة ليلة العقبة الثانية أتدرون علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة . . الحديث[3] . فعدم نصرة الحق هي خزي الدنيا والآخرة وقد أقره الرسول ﷺ على ذلك ولم يقل له إنه في حال الاستضعاف لا تجب نصرة الحق . .

يقول الصالحي وروى ابن إسحاق والبيهقي والإمام أحمد وابنه عبد الله والطبراني برجال ثقات عن ربيعة بن عباد قال إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله ﷺ يقف على القبائل من العرب فيقول يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله عز وجل ما بعثني به . . . الحديث[4] .

---

(١) صحيح البخاري (١ : ٣) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) البداية والنهاية (٣ : ١٦٢) .
(٤) سبل الهدى والرشاد للصالحي (٢ : ٥٩٤) .

وروى الحاكم والبيهقي وأبو نعيم وقاسم بن ثابت عن علي رضي الله عنه قال لما أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه فذكر الحديث إلى أن قال ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليه السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلم فقال من القوم ؟ قالوا من شيبان ابن ثعلبة فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وقال بأبي وأمي هؤلاء غرر الناس وفيهم مفروق بن عمرو وهانىء بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان ابن شريك وكان مفروق قد غلبهم لساناً وجمالاً وكانت له غديرتان تسقطان على تريبته وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر فقال أبو بكر كيف العدد فيكم فقال مفروق إنا لا نزيد على الألف ولن تغلب ألف من قلة فقال أبو بكر وكيف المنعة فيكم فقال مفروق إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى وأشد ما نكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى لعلك أخا قريش فقال أبو بكر إن كان بلغكم أنه رسول الله ﷺ فها هوذا فقال مفروق إلام تدعونا يا أخا قريش فقال رسول الله ﷺ أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني عبد الله ورسوله وإلى أن تؤووني وتنصروني فإن قريشاً قد تظاهرت على الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد فقال مفروق وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش فوالله ما سمعت كلاماً أحسن من هذا فتلا رسول الله ﷺ ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾[1]. فقال مفروق دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ثم رد الأمر إلى هانىء بن

---

(١) الأنعام : ١٥١ .

قبيصة فقال وهذا هانىء شيخنا وصاحب ديننا فقال هـانىء قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وإني أرى تركنا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا لا أول له ولا آخر لذل في الرأي وقلة نظر في العاقبة إن الزلة مع العجلة وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقداً ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة فقال وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى ـ وأسلم بعد ذلك ـ قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب فيه جواب هانىء بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك وإنا إنما نزلنا بين صريين أحدهما اليمامة والآخر السمامة فقال له رسول الله ﷺ ما هذان الصريان قال أنهار كسرى ومياه العرب فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وأما ما كان مما يلي مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكره الملوك فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا فقال رسول الله ﷺ ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم ويفـرشكم نساءهم أتسبحـون الله وتقدسـونه فقـال النعمـان اللهم فلك ذاك)[1] .

فها هو رسول الله ﷺ لم يقبل من بني شيبان بن ثعلبة أن ينصروه من قوم دون قوم وأخبرهم أن دين الله لا ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه وهل يعقل أن رسول الله ﷺ يطلب من قبائل العرب أن يؤمنوا به

---

(١) سبل الهدى والرشاد (٢ : ٥٩٦ ـ ٥٩٧) والبداية والنهاية (٣ : ١٤٤ ـ ١٤٥) وفي البداية زيادات ليست عند الصالحي .

وينصروه وفي صحابته الذين آمنوا به وصدقوه من يرى أن نصرته والعمل تحت قيادته لإزالة الجاهلية غير واجبة لئلا يبطش بهم الكفار وهم في حال ضعف اللهم لا وما وجب في عهد الرسول ﷺ ولم يدل دليل على اختصاصه به فهو فريضة محكمة للمسلمين عموماً وقد أمر الله المسلمين بإقامة الدين وتطبيق الأحكام الشرعية وكل وسيلة مشروعة تؤدي إلى هذا فهي واجبة والله أعلم .

٤ ـ الفتنة والابتلاء

ابتلاء دعاة الحق من الرسل ﷺ وأتباعهم أمر لازم لا محيص عنه يدل على ذلك كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ ﴿ألم.أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[١].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات (وقوله أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون استفهام إنكار ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح: أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء.وهذه الآية كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ومثلها في سورة براءة وهي قوله تعالى أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة وقال في البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل

---

(١) العنكبوت : ١ ـ ٣ .

الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب . ولهذا قال ها هنا ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين،أي الذين صدقوا في دعواهم الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه . ا هـ)[1] .

وقد تعرض رسول الله ﷺ للفتنة والابتلاء كغيره من عباد الله الصالحين فابتلي بدعاية الكفار ضده وضد دعوته إذ قالوا إنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون وقالوا عن دعوته إنها تفرق بين المرء وزوجه وإنها كهانة وإنها أساطير وإنما يعلمه بشر وابتلي بأبي هو وأمي بعرض المغريات عليه من الجاه والسلطان والمال والنساء لكي يترك دعوته أو يعبد آلهة الكفار سنة ويعبدون الله سنة أو يداهنهم ويترك عيب آلهتهم . قال تعالى : ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾[2] ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين﴾ وابتلي ﷺ بالمقاطعة الاقتصادية والتجويع كما هو معروف من حصار الكفار للرسول ﷺ في شعب أبي طالب وابتلى بالتعذيب الجسدي فعن عروة بن الزبير قال سألت ابن العاص فقلت أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم[3] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ : ٢٧٣) .
(٢) القلم : ٩ .
(٣) صحيح البخاري (٤ : ٢٤٠) .

وقال ابن كثير قال الإمام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش غير يوم واحد فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس وسلا جزور قريب منه فقالوا من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره فقال عقبة بن أبي معيط أنا فأخذه فألقاه على ظهره فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره فقال رسول الله ﷺ اللهم عليك بهذا الملأ من قريش اللهم عليك بعتبة بن ربيعة اللهم عليك بشيبة بن ربيعة اللهم عليك بأبي جهل بن هشام اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط اللهم عليك بأبي بن خلف أو أمية بن خلف (شعبة الشاك) قال عبد الله فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ثم سحبوا إلى القليب غير أبي أو أمية بن خلف فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع . وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن ابن إسحاق به والصواب أمية بن خلف فإنه الذي قتل يوم بدر وأخوه أبي إنما قتل يوم أحد والسلا هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة وفي بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض أي يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله وفيه أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبتهم وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك وخافوا دعوته[1] .

وابتلي ﷺ بتعذيب أصحابه واضطهادهم فإنه عليه السلام يتألم لذلك غاية الألم وقد تفنن كفار قريش في تعذيب الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم وأرضاهم وقد تحدث الصالحي في سيرته المسماة (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) حديثاً مستفيضاً عن تعذيب

---

(١) البداية لابن كثير (٣ : ٤٤) .

كفار قريش للرعيل الأول من الصحابة وذكر روايات متعددة جمعها من كثير من كتب السير أجتزىء مما أورده ما يلي :

قال:فمن المستضعفين بلال رضي الله عنه وكان صادق الإسلام طاهر القلب قال ابن إسحاق وغيره فكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء أحد أحد أنا كافر باللات والعزى . وروى البلاذري عن عمير بن إسحاق قال كان بلال إذا اشتد عليه العذاب قال أحد أحد فيقولون له قل كما نقول فيقول إن لساني لا ينطق به ولا يحسنه . وروى البلاذري بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال لما أسلم بلال أخذه أهله فقمطوه وألقوا عليه من البطحاء وجعلوا يقولون ربك اللات والعزى فيقول أحد أحد فأتى عليه أبو بكر رضي الله عنه فقال علام تعذبون هذا الإنسان فاشتراه بسبع أواقي وأعتقه وفي رواية للبلاذري أنه اشتراه بعبد كافر .

ومنهم خباب بن الأرت رضي الله عنه فقد روى البلاذري بسنده قال خباب عن نفسه لقد رأيتني يوماً وقد أوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها ثم وضع رجل رجله على صدري فما اتقيت الأرض إلا بظهري ثم كشف خباب عن ظهره فإذا هو قد برص . وروى البخاري في صحيحه عن خباب رضي الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد محمراً وجهه فقال إن كان من كان قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأس أحدهم فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه .

ومنهم أبو فكيهة واسمه أفلح ويقال يسار وكان عبداً لصفوان بن أمية فأسلم حين أسلم بلال فأخذه أمية بن خلف وربط في رجله حبلاً وأمر به فجر ثم ألقاه في الرمضاء فمر به جُعل فقال أليس هذا ربك فقال الله ربي خلقني وخلقك وخلق هذا الجُعل فغلظ عليه وجَعَل يخنقه ومعه أخوه أبي ابن خلف يقول زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره فأخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيداً إلى الرمضاء ووضع على بطنه صخرة فدلع لسانه فلم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات ثم أفاق فمر أبو بكر رضي الله عنه فاشتراه وأعتقه .

ومنهم عمار بن ياسر وأبوه وأمه سمية وأخوه عبد الله كانوا يعذبون أشد العذاب فمر عليهم رسول الله ﷺ فقال صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة فمات ياسر في العذاب وأغلظت سمية لأبي جهل فطعنها في قبلها فماتت ورمى عبد الله فسقط وغير هؤلاء كثير عذبوا في الله وابتلوا منهم جارية بني المؤمل بن حبيب ومنهم زنيرة الرومية فقد روى أنها عذبت حتى عميت فرد الله عليها بصرها[1] .

هذه سنة الله في خلقه لا بد للمؤمنين من ابتلاء وفتنة واختبار سواء كانت بالسراء أو بالضراء وما الأوامر والتكاليف الشرعية إلا جزء من هذا الاختبار . وهناك فوائد لابتلاء المؤمنين لا تحصى منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - تربية المؤمنين وصقل معادنهم وتمحيص ما في قلوبهم فهم ينضجون بالمحن كما ينضج الطعام بالنار .

﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم

(١) انظر سبل الهدى والرشاد (٢ : ٤٧٦ - ٤٨٤) .

بذات الصدور﴾[1] . يقول ابن القيم (. . فإن القلوب يخالطها بغلبات الطبائع وميل النفوس وحكم العادة وتزيين الشيطان واستيلاء الغفلة ما يضاد ما أودع فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى فلو تركت في عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ولم تتمحص منه فاقتضت حكمة العزيز أن قيض لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده وإلاخيف عليه من الفساد والهلاك . .)[2] . ويقول سيد قطب : (إن حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان مجاهدتهم باللسان بالتبليغ والبيان ومجاهدتهم باليد لدفعهم عن طريق الهدى حين يعترضونه بالقوة الباغية وحتى يتعرض في هذه المجاهدة للابتلاء والصبر على الجهد والصبر على الأذى والصبر على الهزيمة والصبر على النصر أيضاً فالصبر على النصر أشق من الصبر على الهزيمة وحتى يتمحص القلب ويتميز الصف وتستقيم الجماعة على الطريق وتمضي فيه راشدة صاعدة متوكلة على الله . حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان لأنه يجاهد نفسه أولاً في أثناء مجاهدته للناس وتتفتح له في الإيمان آفاق لم تكن لتتفتح له أبداً وهو قاعد آمن سالم وتتبين له حقائق في الناس وفي الحياة لم تكن لتتبين له أبداً بغير هذه الوسيلة ويبلغ هو بنفسه ومشاعره وتصوراته وبعاداته وطباعه وانفعالاته واستجاباته ما لم يكن ليبلغه أبداً بدون هذه التجربة الشاقة المريرة . وحقيقة الإيمان لا يتم تمامها في جماعة حتى تتعرض للتجربة والامتحان والابتلاء وحتى يتعرف كل فرد فيها على حقيقة طاقته وعلى حقيقة غايته ثم تتعرف هي على حقيقة اللبنات التي تتألف منها . مدى

(١) آل عمران : ١٥٤ .

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٣ : ٢٣٧) .

احتمال كل لبنة ثم مدى تماسك هذه اللبنات في ساعة الصدام)[1] .

٢ ـ رفع درجات المؤمنين ومضاعفة حسناتهم وتكفير خطاياهم حتى يمشي أحدهم على الأرض وما عليه خطيئة قال ﷺ ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح[2] . وقال ﷺ ما يصيب المسلم من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه[3] .

٣ ـ تطهير الصف المؤمن من أدعياء الإيمان من المنافقين والذين في قلوبهم مرض فإبان العافية والسراء يختلط الحابل بالنابل والخبيث بالطيب،وإنما يقع التمييز بين الأصيل والدخيل بالمحن والبلاء كما يتميز الذهب الحقيقي من الزائف بالامتحان بالنار ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾[4] .

إن من الناس من يدخل في زمرة المؤمنين ويلبس لباسهم ويتكلم بلسانهم فإذا أصابته فتنة أو محنة في سبيل دينه خارت قواه وانحلت عراه وبرىء مما كان يدعيه من قبل وعن هذا النموذج من البشر يقول الله تعالى : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾[5] .

---

(١) فقه الدعوة للأستاذ سيد قطب اختيار أحمد حسن (ص ١٤٠) .
(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (٧ : ٨٠) .
(٣) صحيح البخاري (٧ : ٢) .
(٤) آل عمران : ١٧٩ .
(٥) العنكبوت : ١٠ ـ ١١ .

﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾[1] .

فالمحن التي تعرض لأصحاب الدعوات هي التي تميز هذه الأصناف وتفرزهم من بين المؤمنين وتنفي الخبث من صفوفهم كما ينفي الكير خبث الحديد[2] .

---

(١) الحج : ١١ .

(٢) انظر كتاب الصبر في القرآن للقرضاوي (ص ١٨) .

٥ ـ الصبر والثبات

إن الله سبحانه جعل الفتنة والابتلاء ملازمة للمؤمنين لا بد أن تحصل لهم كما أخبر بذلك عز وجل لحكم سامية وأغراض جليلة ذكرنا أهمها فيما تقدم ولا يستفيد منها إلا من صبر وثبت أو من أحدثت له الفتنة إنابة ورجوعاً إلى الله عز وجل .

وقد ثبت الرسول ﷺ والرعيل الأول على ما اعترضهم من فتن ومحن فاستفادوا منها عزماً وتصميماً على مواصلة الجهاد واستفادوا منها توبة وإنابة ورجوعاً إلى الله فهو الملجأ والمغيث في جميع الأحوال إلى غير ذلك من الفوائد القيمة وذلك لإدراكهم لحكم الفتن والابتلاءات ولمعرفتهم بربهم وللغاية من خلقهم فكل ما كان العبد بالله أعرف كان على قضائه أصبر ولأمره أطوع . يقول ابن القيم (والصبر على البلاء ينشأ من أسباب عدة :

أحدها : شهود جزائها وثوابها .

الثاني : شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها .

الثالث : شهود القدر السابق الجاري بها وأنها مقدرة في أم الكتاب قبل أن يخلق فلا بد منها فجزعه لا يزيده إلا بلاء .

الرابع : شهوده حق الله عليه في تلك البلوى وواجبه فيها الصبر بلا خلاف بين الأمة أو الصبر والرضا على أحد القولين فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه .

الخامس : شهود ترتبها عليه بذنبه كما قال الله تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة قال علي بن أبي طالب ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة .

السادس : أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه فإن لم يوف قدر المقام حقه فهو لضعفه فلينزل إلى مقام الصبر عليها فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدي الحق .

السابع : أن يعلم أن هذه المصيبة دواء نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به فليصبر على تجرعه ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلاً .

الثامن: أن يعلم أن في عقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لا تحصل بدونه فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره قال الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقال تعالى فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً وفي مثل هذا قال القائل:

لعل عتبك محمود عواقبه ... وربما صحت الأجسام بالعلل

التاسع : أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه

وحزبه أم لا فإن ثبت اصطفاه واجتباه وخلع عليه خلع الإكرام وألبسه ملابس الفضل وجعل أولياءه وحزبه خدماً له وعوناً له وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طرد وصفع قفاه وأقصى وتضاعفت عليه المصيبة وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها ولكن سيعلم بعد ذلك بأن المصيبة في حقه صارت مصائب كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقه صارت نعماً عديدة وما بين هاتين المنزلتين المتباينتين إلا صبر ساعة وتشجيع القلب في تلك الساعة . والمصيبة لا بد أن تقلع عن هذا وهذا ولكن تقلع عن هذا بأنواع الكرامات والخيرات وعن الآخر بالحرمان والخذلان لأن ذلك تقدير العزيز العليم وفضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

العاشر : أن يعلم أن الله يربي عبده على السراء والضراء والنعمة والبلاء فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته فلا ريب أن الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة وأما إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين وإنما يصحبه إيمان يثبت على البلاء والعافية فالابتلاء كير العبد ومحك إيمانه فإما أن يخرج تبرا أحمر وإما أن يخرج زغلاً محضاً وإما أن يخرج فيه مادتان ذهبية ونحاسية فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه ويبقى ذهباً خالصاً . ا ـ هـ)[1] .

ومما يعين على الصبر والثبات عند حلول الشدائد والمحن معرفة الإنسان بطبيعة الحياة الدنيا وأن حياة الإنسان محفوفة بالمتاعب والمشقة

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (ص ٣٥٦ ـ ٣٥٨) .

﴿لقد خلقنا الانسان في كبد﴾[1] ومعرفة الإنسان بنفسه وأنه هو وما يملك ملك لله عز وجل يفعل به ما يريد ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[2] ويقينه بالفرج من الله تعالى ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾[3] وروي عن الرسول ﷺ أنه قال لن يغلب عسر يسرين[4] . واقتدائه بأهل الصبر والعزائم الذين لهم لسان ذكر طيب ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾[5] .

وشدة حذره من الآفات العائقة عن الصبر كالاستعجال والغضب غير المحمود والحزن والضيق واليأس[6] .

وبإلقاء نظرة على سيرة الرسول ﷺ والذين آمنوا معه تجد أنهم قد صبروا وثبتوا في العهد المكي لصنوف العذاب والابتلاء حتى صلب عودهم واستطاعوا أن ينشروا الإسلام في مدة وجيزة في بقاع كثيرة والأمثلة على ثباتهم لا تحصى . فمن الأمثلة على ثبات الرسول ﷺ ورباطة جأشه وأنه لا تزلزله الخطوب والمحن ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك

---

(١) البلد : ٤ .

(٢) النحل : ٥٣ .

(٣) الشرح : ٥ - ٦ .

(٤) تفسير ابن كثير (٨ : ٤٥٤) .

(٥) الأحقاف : ٣٥ .

(٦) انظر كتاب الصبر في القرآن للقرضاوي وإحياء علوم الدين للغزالي (٤ : ٦٠) .

الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً[(١)] . فهل بعد هذا الثبات والصبر من المصطفى ﷺ من ثبات!! رجل مهيض الجناح قد عذب وشرد وحوصر وفعل بأصحابه كذلك بل قتل بعضهم في التعذيب ثم يمكنه الله من الانتقام بدون مشقة عليه أو كلفة ولكنه لا ينتقم ويكظم غيظه ويصبر على ما أصابه وكذلك الصحابة الذين رباهم ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

قال الصالحي قال عروة بن الزبير فيما رواه ابن إسحاق عنه (أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه فقال عبد الله بن مسعود أنا قالوا إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أرادوه . قال دعوني فإن الله تعالى سيمنعني فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن ثم استقبلها يقرؤها وتأملوه يقولون ماذا قال ابن أم عبد ثم قالوا إنه ليتلوا بعض ما جاء به محمد فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه فقالوا هذا الذي خشينا عليك قال ما كان أعداء الله تعالى أهون علي منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا قالوا لا حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون)[(٢)] .

---

(١) صحيح البخاري (٤ : ٨٣) .
(٢) سبل الهدى والرشاد (٢ : ٤٦٩) .

ويقول الصالحي أيضاً في معرض كلامه عمن رجع من الصحابة من الحبشة إلى مكة بعد الهجرة الأولى (. . . ودخل عثمان بن مظعون بجوار من الوليد بن المغيرة فلما قدم أولئك النفر مكة اشتد عليهم قومهم وسطت عليهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديداً ولما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان الوليد بن المغيرة قال والله إن غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي فمشى إلى الوليد فقال يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت إليك جوارك قال لم يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي قال لا ولكني أرضى بجوار الله عز وجل ولا أريد أن أستجير بغيره قال فانطلق إلى المسجد فاردد عليّ جواري علانية كما أجرتك علانية فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد عليّ جواري قال صدق قد وجدته وفياً كريم الجوار ولكنني قد أحببت ألا أستجير بغير الله عز وجل فقد رددت عليه جواره ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك في مجلس من قريش ينشدهم قبل إسلامه فجلس عثمان معهم فقال لبيد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» فقال عثمان صدقت.

فقال لبيد : وكل نعيم لا محالة زائل .

فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول . قال لبيد يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم . فقال رجل من القوم إن هذا سفيه من سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدنّ في نفسك من قوله فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما فقام ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان فقال أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية ولقد كنت في ذمة منيعة فقال عثمان بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله عز وجل وإني

لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس فقال له الوليد هلم يا ابن أخي إن شئت الى جوارك فعد فقال لا[1] .

وغير هذه النماذج كثير وقد مر معنا مقاتلة عمر لكفار قريش في بداية إسلامه فلما تعب من مقاتلتهم جلس وقال في عزم وثبات دونكم فافعلوا ما شئتم والله لو كنا ثلاثمائة لتركتموها لنا أو تركناها لكم ومر معنا صبر بلال رضي الله عنه وثباته على الحق رغم ما عانى ومر معنا توجيه الرسول ﷺ لخباب بن الأرت إلى الصبر وإخباره بأن الصبر على الفتنة ولو أدى إلى أن ينشر الرجل نصفين هو دأب المؤمنين السابقين .

وقد قص الله على المؤمنين في القرآن كثيراً من القصص التي يثبت فيها أصحابها المؤمنون على الحق حتى يقتلوا كقصة أصحاب الأخدود وقصة صاحب ياسين وقصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار وذلك لكي يقتدي الرسول ﷺ والمؤمنون معه بأولئك في صبرهم وثباتهم ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾[2] ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾[3] ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾[4] ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[5] .

على مثل هذه العناصر الصابرة الثابتة من رسل الله وأتباعهم يرتفع

---

(١) سبل الهدى والرشاد (٢ : ٤٨٩) .
(٢) هود: ١٢٠.
(٣) الأنعام : ٣٤ .
(٤) إبراهيم : ١٢ .
(٥) الأنعام : ٩٠ .

الحق وينخفض الباطل ومن هؤلاء تتكون القاعدة الصلبة التي ينبني عليها بنيان المجتمع الإسلامي .

إن الفتنة والابتلاء إن نتج عنها ضعف وخور وجبن وخوف وإخلاد إلى الأرض وتشتت وشكوك وظنون جاهلية فإن المفتونين لا يصلحون لإقامة صرح الإسلام فيحتاج البناء إلى قاعدة غيرهم وإن نتج عنها قوة إيمان وصبر وثبات وصدق وعزيمة راسخة فقد أتت ثمارها التربوية وقامت القاعدة الصلبة التي تتحدى كل معول .

وكذلك كانت القاعدة التي أسسها الرسول ﷺ في العهد المكي . يقول سيد قطب (لقد ولدت الحركة الإسلامية في مكة على محك الشدة فلم تكد الجاهلية ـ ممثلة في قريش ـ تحس بالخطر الحقيقي الذي يتهددها من دعوة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وما تمثله من كل ثورة على كل سلطان أرضي لا يستمد من سلطان الله ومن تمرد نهائي على كل طاغوت في الأرض والفرار منه إلى الله ثم الخطر الجدي من التجمع الحركي العضوي الجديد الذي أنشأته هذه الدعوة تحت قيادة رسول الله ﷺ . هذا التجمع الذي يدين منذ اليوم الأول بالطاعة لله ولرسول الله ويتمرد ويخرج على القيادة الجاهلية الممثلة في قريش والأوضاع السائدة في هذه الجاهلية . لم تكد الجاهلية ـ ممثلة في قريش أول الأمر ـ تحس بهذا الخطر وذاك حتى شنتها حرباً شعواء على الدعوة الجديدة وعلى التجمع الجديد وعلى القيادة الجديدة وحتى أرصدت لها كل ما في حقيبتها من أذى وكيد ومن فتنة ومن حيلة . لقد انتفض التجمع الجاهلي ليدفع عن نفسه الخطر الذي يتهدد وجوده بكل ما يدفع به الكائن العضوي خطر الموت عن نفسه وهذا هو الشأن الطبيعي الذي لا مفر منه كلما قامت دعوة إلى ربوبية الله للعالمين في تجمع جاهلي يقوم على أساس من ربوبية العباد للعباد وكلما تمثلت الدعوة الجديدة في تجمع حركي جديد يتبع في تحركه قيادة جديدة ويواجه التجمع الجاهلي القائم

مواجهة النقيض للنقيض . . . وعندئذ تعرض كل فرد في التجمع الإسلامي الجديد للأذى والفتنة بكل صنوفها إلى حد إهدار الدم في كثير من الأحيان ويومئذ لم يكن يقدم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والانضمام إلى التجمع الإسلامي الوليد والدينونة لقيادته الجديدة إلا كل من نذر نفسه لله وتهيأ لاحتمال الأذى والفتنة والجوع والغربة والعذاب والموت في أبشع الصور في بعض الأحيان .

بذلك تكونت للإسلام قاعدة صلبة من أصلب العناصر عوداً في المجتمع العربي . فأما العناصر التي لم تحتمل هذه الضغوط فقد فتنت عن دينها وارتدت إلى الجاهلية مرة أخرى وكان هذا النوع قليلاً فقد كان الأمر كله معروفاً مكشوفاً من قبل فلم يكن يقدم ابتداء على الانتقال من الجاهلية إلى الإسلام وقطع الطريق الشائك المرهوب إلا العناصر المختارة الممتازة الفريدة التكوين ، وهكذا اختار الله السابقين من المهاجرين من تلك العناصر الفريدة النادرة ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين في مكة ثم ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين بعد ذلك في المدينة مع السابقين من الأنصار الذين وإن كانوا لم يصطلوها في أول الأمر كما اصطلاها المهاجرون إلا أن بيعتهم لرسول الله ﷺ ـ بيعة العقبة ـ قد دلت على أن عنصرهم ذو طبيعة أصيلة مكافئة لطبيعة هذا الدين . . قال ابن كثير في التفسير : قال محمد بن كعب القرظي وغيره قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه للرسول ﷺ ـ يعني ليلة العقبة ـ اشترط لربك ولنفسك كما شئت فقال اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فما لنا إذا نحن فعلنا ذلك قال الجنة قالوا ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل . ومن رواية ابن كثير في كتابه البداية والنهاية قال الإمام أحمد ـ ثم ذكر حديث البيعة عن جابر وفيه ـ فقمنا إليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم وفي رواية البيهقي وهو أصغر السبعين إلا أنا فقال رويداً أهل يثرب فإنا لم نضرب

إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله،وإن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وتعضكم السيوف فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله قالوا ابط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبداً قال فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة . فقد كان الأنصار إذن يعلمون عن يقين واضح تكاليف هذه البيعة وكانوا يعلمون أنهم لم يوعدوا على هذه التكاليف شيئاً في هذه الحياة الدنيا ـ حتى ولا النصر ولا الغلبة ـ وأنهم لم يوعدوا عليها إلا الجنة ثم كان هذا مدى وعيهم بها ومدى حرصهم عليها فلا جرم أن يكونوا مع السابقين من المهاجرين الذين بنوا هذا الاعداد هم القاعدة الصلبة للمجتمع المسلم أول العهد بالمدينة . ا . هـ)[1] .

فصلى الله وسلم على محمد قائد الصابرين والثابتين ورضي الله عن المهاجرين والأنصار أهل الثبات والصبر الذين لولا الله ثم ثباتهم وصبرهم لما وصل إلينا هذا الدين الحنيف فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً وجعلنا من الذين يقتدون بمحمد ﷺ ويسيرون على نهجه ونهج خلفائه وأصحابه البررة . وهذا الذي ذكرت في هذا الباب هو نهج الرسول ﷺ في مجال الدعوة في العهد المكي على حسب فهمي لنصوص الكتاب والسنة والسيرة العطرة أما نهجه ﷺ في الدعوة المقرونة بالجهاد القتالي في العهد المدني فهو موضوع الباب الثاني فإليه . . .

---

(١) ببعض تصرف من كتاب فقه الدعوة لسيد قطب اختيار أحمد حسن (ص ١٩٣ - ١٩٨) .

الباب الثاني

منهج الدعوة إلى الله بعد تشريع الجهاد القتالي

١ ـ تعريف الجهاد وحكمه
٢ ـ مراحل تشريع الجهاد
٣ ـ أهداف الجهاد وغايته
٤ ـ حكم جهاد المرتدين والمنافقين
٥ ـ الترغيب في الجهاد وبيان فضائله
٦ ـ الترهيب من ترك الجهاد وبيان عواقبه
٧ ـ أثر الجهاد على نشر الدعوة الإسلامية
٨ ـ صور جهادية من الرعيل الأول

١ ـ تعريف الجهاد وحكمه

أ ـ تعريف الجهاد:

يقول ابن منظور (وجاهد العدو مجاهدة وجهاداً قاتله وجاهد في سبيل الله. وفي الحديث لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية. الجهاد محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل. والمراد بالنية إخلاص العمل لله أي أنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لأنها قد صارت دار إسلام وإنما هو الإخلاص في الجهاد وقتال الكفار والجهاد المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء)[١] أ. هـ.

وقال القسطلاني (والجهاد بكسر الجيم مصدر جاهدت العدو مجاهدة وجهاداً وأصله جيهاد كقيتال فخفف بحذف الياء وهو مشتق من الجهد بفتح الجيم وهو التعب والمشقة لما فيه من ارتكابها أو من الجهد بالضم وهو الطاقة لأن كل واحد منهما بذل طاقته في دفع صاحبه)[٢].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٣ : ١٣٥) .
(٢) إرشاد الساري للقسطلاني (٥ : ٣١) .

وأما تعريف الجهاد في الشرع فهو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله والمعاونة على ذلك كما فسره رسول الله ﷺ فيما رواه عنه الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله ما الإسلام قال أن يسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فأي الإسلام أفضل قال الإيمان قال: وما الإيمان قال تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال فأي الإيمان أفضل قال الهجرة قال فما الهجرة قال تهجر السوء قال فأي الهجرة أفضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم قال: فأي الجهاد أفضل قال: من عقر جواده وأهريق دمه قال رسول الله ﷺ ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما حجة مبرورة أو عمرة)[١].

وبمثل هذا التفسير للجهاد الوارد عن رسول الله ﷺ فسر علماء الإسلام الجهاد فقال ابن حجر (بذل الجهد في قتال الكفار)[٢]. وقال القسطلاني: (قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله)[٣] وقال الكاساني (وفي عرف الشرع يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتل في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو المبالغة في ذلك)[٤]. وقال صاحب الدر المختار (الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله)[٥].

وقد يطلق الجهاد في النصوص الشرعية على غير قتال الكفار كما

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤ : ١١٤) وذكر ابن تيمية أن هذا الحديث رواه محمد بن نصر المروزي وحماد بن زيد انظر مجموع الفتاوى (٧ : ٧) .
(٢) فتح الباري (٦ : ٢) .
(٣) إرشاد الساري (٥ : ٣١) .
(٤) بدائع الصنائع (٧ : ٩٧) .
(٥) حاشية رد المحتار لابن عابدين (٤ : ١٢١) .

قال ﷺ «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»(١).

وقوله ﷺ للذي استأذنه في الجهاد أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد(٢).

ولكن لفظ الجهاد إذا أطلق فالمراد به قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى ولا ينصرف إلى غير قتال الكفار إلا بقرينة تدل على المراد كما في الحديثين السابقين يقول ابن رشد (وجهاد السيف قتال المشركين على الدين فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)(٣)

ومما يدل على أن الجهاد إذا أطلق ينصرف إلى قتال الكفار ما يلي:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال دلني على عمل يعدل الجهاد قال: لا أجده قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر قال ومن يستطيع ذلك قال أبو هريرة إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات(٤)

ودلالة هذا الحديث على المراد ظاهرة فالصيام والقيام هما من جهاد النفس ومع هذا قال الرسول ﷺ لا أجد ما يعدل الجهاد فدل

---

(١) زاد المعاد (٣: ٦) وقال محققا زاد المعاد شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط الحديث رواه أحمد في المسند وابن حبان والحاكم وصححاه ووافق الذهبي على تصحيحه وإسناده جيد.

(٢) صحيح البخاري (٤ : ١٨).

(٣) مقدمات ابن رشد (١ : ٣٦٩)

(٤) صحيح البخاري (٤ : ٢٠٠).

على أن المراد بالجهاد إذا أطلق هو قتال الكفار لا مجاهدة النفس.

٢ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله أي الناس أفضل فقال رسول الله ﷺ مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله قالوا ثم من قال مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره[١].

فالذي يتقي الله في شعب من الشعاب مجاهد لنفسه ومع هذا ذكره الله قسيماً للمجاهد بنفسه وماله في سبيل الله فدل على أن الجهاد إذا أطلق انصرف إلى قتال الكفار.

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. . . الحديث)[٢]. فقد سمى الرسول ﷺ من جلس في أرضه غير مجاهد مع أنه يجاهد نفسه على الصلاة والصيام ونحو ذلك من الجهاد النفسي على التكاليف الشرعية.

وكل الأحاديث التي تدل على فضائل الجهاد فالمراد بها الجهاد الحقيقي وهو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى ولا تحمل على جهاد النفس وكذلك علماء الإسلام من محدثين وفقهاء إذا بوبوا في كتبهم للجهاد فالمراد به جهاد الكفار القتالي لا مجاهدة النفس.

وليس جهاد النفس هو الجهاد الأكبر على الإطلاق كما يزعمه المتصوفة ومن قلدهم لما سيأتي.

---

(١) صحيح البخاري (٤ : ٢٠١).

(٢) صحيح البخاري (٤ : ٢٠٢).

والعجب كل العجب أن بعض الباحثين المعاصرين زعم اتفاق العلماء على أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر إذ قال: (وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين وفقهائهم على تسمية جهاد النفس والشيطان بالجهاد الأكبر وجهاد الأعداء بالجهاد الأصغر قال الباجوري الجهاد أي القتال في سبيل الله مأخوذ من المجاهدة وهي المقاتلة لإقامة الدين وهذا هو الجهاد الأصغر أما الجهاد الأكبر فهو مجاهدة النفس فلذلك كان ﷺ يقول إذا رجع من الجهاد رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)[1]. فأين مستند الباحث على اتفاق العلماء والفقهاء!!! هل الباجوري هو كل العلماء والفقهاء مع أن الباجوري الذي استدل الباحث بقوله لم يذكر اتفاق أحد وإنما احتج لما ذهب إليه بحديث مروي عن رسول الله ﷺ. وما ذهب إليه الباجوري غير صحيح ودليله الذي اعتمد عليه غير صحيح أيضاً. يقول الدكتور محمد أمين المصري رحمه الله (ولو أردنا تقصي آيات القتال في سبيل الله وأحاديث القتال لما وسعنا الزمن. . . وبعد هذا كله يسمى قتال العدو جهاداً أصغر ويروون في ذلك حديثاً يذكره الخطيب في تاريخه من طريق يحيى بن العلاء قال حدثنا ليث عن عطاء ابن أبي رباح عن جابر قال قدم النبي ﷺ من غزاة له فقال لهم رسول الله ﷺ قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه. وقال البيهقي بشأنه إسناده ضعيف وتبعه العراقي في تخريجه الإحياء وحكم السيوطي أيضاً بضعفه في جامعه الصغير ولكننا حين نرجع إلى كتب التراجم لنعرف من هو يحيى بن العلاء راوي الحديث نجد في ترجمته ما يزهدنا في حديثه وما يحملنا على هجر ما يرويه. يقول ابن حجر في شأنه في التقريب رمي بالوضع أي إنه اتهم بوضع الحديث. أما الذهبي فيقول في ميزانه قال أبو حاتم ليس بالقوي وضعفه ابن معين وقال الدارقطني متروك وقال أحمد بن حنبل كذاب يضع الحديث. وبعد هذه الشهادات

---

(١) آيات الجهاد في القرآن لكامل سلامة الدقس (ص ١٩) .

التي نتلوها بشأن هذا الرجل يجب أن نلفت الأنظار إلى أن هذا الحديث برواية هذا الرجل لا تجوز روايته ولا ذكره إلا على سبيل التنبيه إلى أنها رواية متروكة ساقطة. والرواية التي ذكرنا تعارض الآية الكريمة معارضة صريحة. قال تعالى: ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[1].

وقال الألباني عن حديث رجعنا من الجهاد الأصغر... ضعيف[2] وقال حسن البنا رحمه الله (شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر وأن هناك جهاداً أكبر هو جهاد النفس وكثير منهم يستدل لذلك بما يروى رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال جهاد القلب أو جهاد النفس وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ونية الجهاد والأخذ في سبيله. فأما هذا الأثر فليس بحديث على الصحيح قال أمير المؤمنين في الحديث الحافظ بن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عبلة وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر على أنه لو صح فليس يعطي أبداً الانصراف عن الجهاد والاستعداد لانقاذ بلاد المسلمين ورد عادية أهل الكفر عنها وإنما يكون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص لله في كل عملها فليعلم)[3].

---

(١) سبيل الدعوة الإسلامية لمحمد امين المصري (ص ٧١ ـ ٧٢) .
(٢) ضعيف الجامع الصغير (٤ : ١١٨) .
(٣) الجهاد في سبيل الله للبنا (ص ٨٠) .

والذي أراه والله أعلم بالصواب أن وصف قتال الكفار بالجهاد الأصغر وجهاد النفس بالجهاد الأكبر مغالطة لم يدل عليها دليل من كتاب ولا سنة ثم إن من جاهد نفسه حقيقة حتى تغلب عليها فإنه يسرع إلى امتثال أمر الله عز وجل بقتال الكفار ومن تأخر عن قتال الكفار فليس بمجاهد لنفسه على امتثال أمر الله فالتذرع بجهاد النفس قد يكون من الحيل الشيطانية الصارفة للمسلمين عن جهاد أعدائهم. وجهاد النفس يندرج تحته أنواع كثيرة من أهمها جهاد العبد نفسه على إخلاص العبودية لله سبحانه والبراءة من الشرك وأهله. ولا شك أن المجاهد في ميدان القتال إذا لم يحقق إخلاص العبودية لله والبراءة من الشرك وأهله ورفض جميع أنواع الشرك الأكبر لا يستفيد من جهاده فعلى هذا لا يقال جهاد النفس أكبر ولا جهاد الكفار أكبر بإطلاق. . بل يسأل القائل ما مرادك بجهاد النفس هل تريد جهادها على تحقيق التوحيد والكفر بالطاغوت أم تريد تهذيبها وتزكيتها بالأذكار المستحبة وصيام التطوع وقيام الليل ونحو ذلك فإن أردت الأول فلا شك أن التوحيد هو رأس الأمر ولكن ينبغي لك أن تأتي بالاسم الشرعي لكيلا تلبس على الناس فتقول مثلاً جهاد النفس على تحقيق التوحيد أكبر من غيره من الأعمال لا سيما والحديث المروي بتقسيم الجهاد إلى أكبر وأصغر غير صحيح كما تقدم.

وإن أردت الثاني فلا شك أن قتال الكفار لإعلاء كلمة الله لمن قدر عليه أفضل من سائر التطوعات للأحاديث المتقدمة. وابن القيم رحمه الله أراد النوع الأول وهو تحقيق التوحيد عندما جعل جهاد النفس أصلاً لجهاد الكفار يتضح ذلك من كلامه إذ قال: (ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعاً على جهاد العبد نفسه في ذات الله كما قال النبي ﷺ المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه كان جهاد النفس مقدماً على جهاد العدو في الخارج وأصلاً له فإنه ما لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله

لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج فهذان عدوان قد امتحن العبد بجهادهما وبينهما عدو ثالث لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده وهو واقف بينهما يثبط العبد عن جهادهما ويخذله ويرجف به ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق وترك الحظوظ وفوت اللذات والمشتهيات ولا يمكنه أن يجاهد ذينك العدوين إلا بجهاده فكان جهاده هو الأصل لجهادهما وهو الشيطان قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ والأمر باتخاذه عدواً تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته كأنه عدو لا يفتر ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس فهذه ثلاثة أعداء أمر العبد بمحاربتها وجهادها)[1].

فليس مقصود ابن القيم بجهاد النفس ما يفهمه بعض المتصوفة ومن قلدهم قديماً وحديثاً من أن جهادها هو تزكيتها بالذكر وسائر النوافل فقط وأن هذا الجهاد هو الغاية فهو الأكبر الذي لا يلتفت من حققه إلى ما هو دونه وبالتالي يكون من صفى باطنه بالأذكار والعبادات أفضل من المجاهد الذي يقاتل الكفار لأن الأول يجاهد الجهاد الأكبر والثاني يجاهد الجهاد الأصغر والمشتغل بالأكبر أفضل من المشتغل بالأصغر عند جميع العقلاء.

إن ابن القيم أراد بجهاد النفس التزام شرع الله بكامله والدعوة إليه بما في ذلك تحقيق التوحيد والكفر بالطاغوت ولا شك أن جهاد الكفار بالسيف هو ثمرة تحقيق التوحيد فالكفر بالطاغوت هو اجتنابه وبغضه ونهاية البغض المقاتلة والمحاربة يقول ابن القيم (فجهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح

---

(١) زاد المعاد (٣ : ٦) .

لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله)[١].

فتعلم دين الحق والعمل به والدعوة إليه والصبر على ما يعترض الطريق ليس هو جهاد المتصوفة المراد لأن قتال الكفار هو من دين الحق فكيف يكون مجاهداً لنفسه من يرى تصفية الباطن أكبر من تصفية الأرض من درن الشرك؟ أما أن يكون تصفية الباطن وسيلة لتصفية الأرض من الشرك وأهله فنعم ولكن لا يحل الوقوف عند الوسيلة دائماً وأبداً فلو اشتغل رجل بالوضوء وكلما فرغ من وضوء بدأه من أوله حتى ذهب وقت الفريضة كان عاصياً لله لا طائعاً وبهذا يتضح أن إطلاق الجهاد الأكبر على جهاد النفس فيه إيهام وربما يكون فيه تثبيط وتنويم لمشاعر المسلمين فقد يقول قائل ما دمت مشتغلاً بالجهاد الأكبر فما الداعي إلى التشوق إلى الجهاد الأصغر ويرضى بواقعه الذي هو فيه ويصدق عليه حديث الرسول ﷺ من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق[٢] نسأل الله العافية.

---

(١) زاد المعاد (٣ : ١٠).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣ : ٥٦).

ب ـ حكم الجهاد:

الجهاد نوعان :

١ ـ جهاد الطلب والابتداء وهو تطلب الكفار في عقر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا الخضوع لحكم الإسلام .

وحكم هذا النوع فرض على مجموع المسلمين يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾(١) . وقوله تعالى : ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾(٢) وقوله : ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾(٣) إلى غير هذا من الآيات ،

ويدل على ذلك قول الرسول ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله(٤) وقوله ﷺ اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما

---

(١) التوبة : ٥ .

(٢) التوبة : ١٣٦ .

(٣) التوبة : ٤١ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١ : ٢١٢) .

للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . . . الحديث)[1]

وقوله ﷺ من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق[2] .

كل هذه النصوص ـ وغيرها كثير في الكتاب والسنة ـ تفرض على المسلمين جهاد الكفار ابتداء وقد أجمع علماء الإسلام على أن جهاد الكفار وتطلبهم في عقر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وجهادهم إن لم يقبلوه أو يقبلوا الجزية فريضة محكمة غير منسوخة وما نقل عن ابن عمر وعبد الله بن الحسن والثوري من أن جهاد الكفار ابتداء تطوع يريدون به أنه ليس فرضاً عينياً على كل مسلم بل هو فرض كفائي ويستحب أن يجاهد المسلم تطوعاً إذا قام غيره بالفرض ولا يجوز حمل كلامهم على غير هذا يقول صاحب شرح فتح القدير ـ بعد تقريره لفرضية الجهاد بالأدلة ـ (وبهذه ينتفي ما نقل عن الثوري وغيره أنه ليس بفرض . . ويجب حمله إن صح على أنه ليس بفرض عين)[3] ويقول الجصاص (إن مذهب ابن عمر في الجهاد أنه فرض على الكفاية وأن الرواية التي رويت عنه في نفي فرض الجهاد إنما هي على الوجه الذي ذكرنا من أنه غير متعين على كل حال في كل زمان)[4] ولم يذكر ابن قدامة ولا ابن القيم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢ : ٣٨) .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣ : ٥٦) .
(٣) شرح فتح القدير لابن الهمام (٥ : ٤٣٧) .
(٤) تفسير الجصاص (٣ : ١١٦) .

عند كلامهما عن حكم الجهاد . سوى الفرضية ولم يشيرا مطلقاً إلى ما روى عن ابن عمر والثوري مما يدل على أن ما نسب إليهما لم يصح عندهما أو أنهما لم يفهما عنهما سوى الفرضية الكفائية[1] . وقد نقل ابن عطية في تفسيره الإجماع على فرضية جهاد الابتداء والطلب فقال رحمه الله (واستمر الإجماع على أن الجهاد على أمة محمد فرض كفاية فإذا قام به من قام من المسلمين يسقط عن الباقين إلا أن ينزل العدو بساحة للإسلام فهو حينئذ فرض عين وذكر المهدوي وغيره عن الثوري أنه قال الجهاد تطوع وهذه العبارة عندي إنما هي على سؤال سائل وقد قيم بالجهاد فقال له ذلك تطوع . أ . هـ)[2] .

قلت وهذا التوجيه من ابن عطية حسن جداً فإنه لا يليق بمن عرف مبادىء الإسلام أن يشك في وجوب الجهاد فضلاً عن العلماء الأجلاء من الصدر الأول وما نقل لا يخلو من ثلاثة أمور :

١ ـ إما أنه لم تصح نسبته إليهم رحمهم الله وكثير من الأقاويل لا أصل لها والوضع مارسه من لا خلاق له على رسول الله ﷺ فضلاً عن العلماء .

٢ ـ وإما أن ذلك صدر عنهم من قبيل الفتوى لشخص استفتاهم وقد كفاه غيره فرض الجهاد فأخبروه بأنه عليه تطوع فظن السامع أن ذلك مذهب المفتي في الجهاد مطلقاً .

٣ ـ وإما أنهم قالوا ليس بفرض وهم يقصدون ليس بفرض عيني على كل أحد بل هو كفائي ولا يجوز أن يظن بهم غير ذلك إطلاقاً .

يقول حسن البنا رحمه الله بعد أن استعرض أقوال فقهاء الإسلام بوجوب الجهاد (فها أنت ذا ترى من ذلك كله كيف أجمع اهل العلم

---

(١) انظر المغني (٨ : ٣٤٦) ، وزاد المعاد (٣: ٧١) .

(٢) تفسير ابن عطية (٢ : ٤٣) .

مجتهدين ومقلدين سلفيين وخلفيين على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية لنشر الدعوة)[1] .

ـ وهذا الذي ذكرته من أن جهاد الابتداء والطلب فرض كفاية إذا قام به من يكفى سقط الإثم عن الباقين هو مذهب جمهور العلماء،وذهب بعض السلف الصالح رضوان الله عليهم إلى أن جهاد الابتداء والطلب فرض عين مثل جهاد الدفع تماماً وهذا القول مروي عن بعض الصحابة وسعيد بن المسيب . يقول ابن حجر:(وقد فهم بعض الصحابة من الأمر في قول الله عز وجل ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ العموم فلم يكونوا يتخلفون عن الغزو حتى ماتوا،منهم أبو أيوب الأنصاري والمقداد بن الأسود وغيرهم)[2] . وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾:(وقال علي بن زيد عن أنس عن أبي طلحة:كهولاً وشباباً ما سمع الله عذر أحد ثم خرج إلى الشام حتى قتل وفي رواية قرأ أبو طلحة[3] سورة براءة فأتى على هذه الآية ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ فقال أرى ربنا يستنفرنا شيوخاً وشباباً جهزوني يا بني فقال بنوه يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك فأبى فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام فلم يتغير فدفنوه بها)[4] ويؤيد صحة هذه الرواية عن أبي طلحة رضي الله عنه ما ذكره ابن حجر في الإصابة حيث قال (وقال ثابت عن أنس مات أبو طلحة غازياً في البحر فما وجدوا جزيرة يدفنونه

---

(١) الجهاد للبنا (ص ٨٤) .

(٢) فتح الباري (٦ : ٢٨) .

(٣) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي مشهور بكنيته وهو الذي قال عنه النبي ﷺ لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة . انظر ترجمته في الإصابة (١ : ٥٦٧) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤ : ٩٧) .

فيها إلا بعد سبعة أيام ولم يتغير. أخرجه الفسوي في تاريخه وأبو يعلى وإسناده صحيح)[1] .

ويقول ابن حجر (إن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم إما بيده وإما بلسانه وإما بماله وإما بقلبه)[2] . ويقول ابن القيم (. . . ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرماً ثم مأذوناً به ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ثم مأموراً بهِ لجميع المشركين إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور. والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع، أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية وأما الجهاد بالمال ففي وجوبه قولان والصحيح وجوبه لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء كما قال تعالى ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ . وعلق النجاة من النار به ومغفرة الذنب ودخول الجنة فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم﴾[3] . وذكر القرطبي عدة روايات عن بعض الصحابة والتابعين تدل على أنهم لا يرون للمسلم رخصة في ترك الغزو إذا أمكنه ذلك فقال رحمه الله (وأسند الطبري عمن رأى المقداد بن الأسود بحمص على تابوت صراف وقد فضل على التابوت من سمنه وهو يتجهز للغزو فقيل له لقد عذرك الله فقال أتت علينا سورة البعوث « انفروا خفافاً وثقالاً »

---

(١) الإصابة لابن حجر (١ : ٥٦٧) .
(٢) فتح الباري (٦ : ٢٨) .
(٣) زاد المعاد لابن القيم (٣ : ٧٢) .

وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له إنك عليل فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع)[1] .

فهذه النصوص عن بعض الصحابة والتابعين تدل على مذهبهم في الجهاد وأنهم يرون جهاد الابتداء والطلب فرضاً على القادر ولكن الذي يترجح لدي والله أعلم بالصواب هو مذهب الجمهور القائلين بأن جهاد الابتداء والطلب فرض كفاية إذا قام به جماعة من المؤمنين فيهم غناء لنشر الإسلام والدعوة إليه فليس على كل مسلم أن يخرج معهم . وذلك للأدلة التالية :

١ ـ قوله تعالى : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[2] قال القرطبي عند تفسير هذه الآية : فيها أن الجهاد ليس على الأعيان وأنه فرض كفاية كما تقدم إذ لو نفر الكل لضاع من وراءهم من العيال فليخرج فريق منهم للجهاد وليقم فريق يتفقهون في الدين ويحفظون الحريم حتى إذا عاد النافرون أعلمهم المقيمون ما تعلموه من أحكام الشرع وما تجدد نزوله على النبي)[3] .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾[4] .

---

(١) تفسير القرطبي (٨ : ١٥١) .
(٢) التوبة : ١٢٢ .
(٣) تفسير القرطبي (٨ : ٢٩٣) .
(٤) النساء : ٩٥ .

يقول ابن قدامة ـ محتجاً لمذهب الجمهور ـ (ولنا قول الله تعالى ﴿لا يستوي القاعدون﴾ وهذا يدل على أن القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم وقال الله تعالى : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا﴾ ولأن رسول الله ﷺ كان يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه[1]. وقال الكاساني (وعد الله عز وجل المجاهدين والقاعدين الحسنى ولو كان الجهاد فرض عين في الأحوال كلها لما وعد القاعدين الحسنى لأن القعود يكون حراماً)[2].

٣ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني لحيان ليخرج من كل رجلين رجل ثم قال للقاعد أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج[3] .

وقال ﷺ فمن جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا[4].

٤ ـ فعله ﷺ وسيرته فقد كان يخرج في الغزوة تارة ويبقى تارة ويؤمر غيره على الغزوة أو السرية ولم يكن يخرج جميع أصحابه بل بعضهم وهذا أمر واضح مستفيض كما في غزوة مؤتة وغيرها . يقول السرخسي (... ونوع هو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين لحصول المقصود وهو كسر شوكة المشركين وإعزاز الدين لأنه لو جعل فرضاً في كل وقت على كل أحد عاد على موضوعه بالنقض . والمقصود أن يأمن المسلمون ويتمكنوا من القيام بمصالح

---

(١) االمغنى لابن قدامة (٨ : ٣٤٦) .
(٢) بدائع الصنائع (٧ : ٩٨) .
(٣) صحيح مسلم مع النووي (١٣ : ٤١) .
(٤) صحيح مسلم مع النووي (١٣ : ٤٠) .

دينهم ودنياهم فإذا اشتغل الكل بالجهاد لم يتفرغوا للقيام بمصالح دنياهم)[1] .

وإذا تقرر لدينا أن غزو الكفار في عقر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وقتالهم إن لم يقبلوه أو يقبلوا الجزية فرض على المسلمين فما الذي يسقط الفريضة عن المسلمين ؟ هل يجب على المسلمين غزو الكفار في كل شهر أم في كل عام أم ماذا ؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين :

١ ـ الجمهور على أن غزوة واحدة في العام تسقط الفريضة والباقي تطوع وحجتهم على ذلك أن الجزية تجب بدلاً عن الجهاد والجزية لا تجب في السنة أكثر من مرة اتفاقاً فليكن بدلها كذلك[2] .

قال القرطبي (وقسم ثان من واجب الجهاد فرض أيضاً على الإمام إغزاء طائفة إلى العدو كل سنة مرة يخرج معهم بنفسه أو يخرج من يثق به ليدعوهم إلى الإسلام ويرغمهم ويكف أذاهم ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد ومن الجهاد أيضاً ما هو نافلة وهو إخراج الإمام طائفة بعد طائفة وبعث السرايا في أوقات الغرة وعند إمكان الفرصة والإرصاد لهم بالرباط في موضع الخوف وإظهار القوة)[2] .

٢ ـ **القول الثاني** : أنه يجب غزو الكفار في عقر دارهم كلما أمكن ذلك من غير تحديد بعدد قال ابن حجر عن هذا القول (وهو قوي)[3] وقال القرطبي (والتثاقل عن الجهاد مع إظهار الكراهة حرام)[4] .

---

(١) المبسوط للسرخسي (١٠ : ٣) .

(٢) القرطبي (٨ : ١٥٢) .

(٣) فتح الباري (٦ : ٢٨) .

(٤) القرطبي (٨ : ١٤١) .

وهذا القول ـ وإن لم يقل به الجمهور ـ فإنه هو الذي تبرأ به الذمة في نظري والله أعلم بالصواب وذلك لما يلي :

١ ـ إن النصوص الآمرة بالجهاد لم تحدده بعدد فالتحديد زيادة على النصوص. وأما القول بأن الجزية لا تجب إلا مرة في العام وهي بدل عنه فلا يسلم. فالجزية حكم شرعي له حكم عظيمة منها إظهار ذل الكفار وعز المؤمنين ومنها إعطاء الكفار فرصة بمخالطتهم للمسلمين تحت أحكامهم فإذا رأوا أحكام الإسلام العادلة أسلم من فيه خير منهم فليست الجزية بدلاً عن الجهاد مطلقاً فللمسلمين أن يصالحوا الكفار مدة من الزمن كما سيأتي ولا يقاتلونهم في وقت الصلح وليس الصلح بدل الجهاد.

٢ ـ إن مجاهدة الكفار وغزوهم في ديارهم كلما أمكن ذلك هو اللائق بغاية الجهاد فإن من أهم غايات الجهاد إزالة الفساد من الأرض ومد سلطان الإسلام على الأرض كلها ولا يسقط وجوب الجهاد عن المسلمين إلا بعد تحقيق الغاية العظمى وهي الاستيلاء على الأرض كلها حتى لا يبقى شبر واحد إلا وهو خاضع لحكم الإسلام أو بعد أن يبذلوا وسعهم في سبيل تحقيق غاية الجهاد فعند ذلك يسقط عنهم الوجوب لا لأن الغاية تحققت بل لأنهم بذلوا ما استطاعوا ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها ، قال تعالى : ﴿اتقوا الله ما استطعتم﴾ ومن أجل ذلك قال ابن حجر عن هذا القول ـ أعني وجوب الجهاد كلما أمكن ـ أنه قوي كما تقدم إضافة إلى أن القول بأن غزوة واحدة في السنة يسقط بها الوجوب ربما جرأ من يتولى أمر المسلمين ممن لم يكن لديهم إخلاص شديد لنشر الإسلام على التساهل في أمر الجهاد والقيام بغزوة واحدة لا يعد لها العدة الكافية خروجاً من الوجوب فحسب كما حصل في بعض العصور الإسلامية إبان ضعف بعض حكام المسلمين وانشغالهم بتوافه الأمور عن عظائمها.

٣ ـ تعليق غزو الكفار بالإمكان أولى من تعليقه بعدد معين لأن الجهاد معناه بذل الوسع والطاقة في مجاهدة الكفار . وليس ممارسة الجهاد في جهة واحدة من جهات المسلمين بكافية بل الواجب على المسلمين في حال الاستطاعة مجاهدة من يليهم من الكفار قال ابن عابدين في حاشية رد المحتار (وإياك أن تتوهم أن فرضيته تسقط عن أهل الهند بقيام أهل الروم مثلاً . . .)[1] .

ويكون غزو الكفار في عقر دارهم فرضاً عينياً في صور ذكر منها العلماء ما يلي :

١ ـ اذا عين إمام المسلمين شخصاً بعينه للجهاد .
٢ ـ إذا كان النفير عاماً كأن يستنفر الإمام أهل قرية أو ناحية .
٣ ـ إذا كان للمسلمين أسرى عند الكفار حتى يستنقذوا من أيديهم .
٤ ـ إذا حضر المسلم جيش المسلمين في حال قتال مع الأعداء فإنه يجب عليه الجهاد[2] .

ويشترط لوجوب جهاد الابتداء والطلب على المسلم خمسة شروط هي :

١ ـ التكليف .
٢ ـ السلامة من الضرر .
٣ ـ الحرية .
٤ ـ الذكورية .
٥ ـ الاستطاعة .

---

(١) حاشية رد المحتار لابن عابدين (٤ : ١٢٤) .
(٢) انظر فتح الباري (٦ : ٢٨) والمغنى لابن قدامة (٨ : ٣٤٦) ، والقوانين الفقهية لابن جزى (ص ١٢٦) .

والكلام على هذه الشروط مبسوط في كتب الفقه وليس من هدف هذا البحث تقصي الأحكام الفقهية .

النوع الثاني من أنواع الجهاد : جهاد الدفاع وحكمه فرض عين على المسلمين عموماً حتى يندفع شر الأعداء وهذا بإجماع علماء الإسلام .

قال الجصاص (ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم ،أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين وهذا لا خلاف فيه بين الأمة إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذراريهم)[١] . وقال البابرتي في العناية على الهداية (وأما العينية في النفير العام فبالإجماع لأنه من إغاثة الملهوف والمظلوم)[٢] .

ويقول القرطبي (إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً شباباً وشيوخاً كل على قدر طاقته من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضاً الخروج إليهم فالمسلمون كلهم يد على من سواهم حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الآخرين ولو قارب العدو

(١) الجصاص (٣ : ١١٤) .
(٢) العناية على الهداية بهامش شرح فتح القدير (٥ : ٤٤٠) .

دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضاً الخروج إليه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدو ولا خلاف في هذا)[1] .

ولا أطيل بذكر نصوص العلماء في هذا الشأن فإن كون جهاد الدفاع فرض عين محل إجماع ولم أجد في أي كتاب من كتب الفقه المعتبرة مخالفاً للإجماع على أن أحكام الجهاد المتقدمة هي إذا كان للمسلمين دار وسلطان وكان بهم قوة على الجهاد وأما إذا لم يكن فهذا ما سنبحث حكمه في مراحل تشريع الجهاد .

---

(١) تفسير القرطبي (٨ : ١٥١) .

٢ ـ مراحل تشريع الجهاد

مر الجهاد الإسلامي بنوعيه جهاد الطلب والابتداء وجهاد الدفاع بعدة مراحل قبل أن يصل إلى حكمه النهائي الذي تقدم وهي :

١ـ المرحلة الأولى:

مرحلة الكف عن المشركين والإعراض عنهم والصبر على أذاهم مع الاستمرار في دعوتهم إلى دين الحق وبيان دين الإسلام بالأدلة وبيان تفاهة معبودات الجاهلية وضلال أهلها وخسارتهم في الدنيا والآخرة ، وقد بينا في الباب الأول من هذا البحث سيرة الرسول ﷺ في هذه المرحلة في مجال الدعوة والتربية ونبين الآن سيرته في الجهاد القتالي .

نهى ﷺ أصحابه عن قتال أهل مكة في هذه الفترة فقال لمن قال له « كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة » (إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا . . . الحديث)[١] . وقد ذكر الله هذا النهي في القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو

---

(١) رواه النسائي (٦ : ٣) والبيهقي (٩ : ١١) والمستدرك (٢ : ٣٠٧) وقال على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا﴾[1].

وقال ﷺ - لما استأذنه أهل يثرب ليلة العقبة «أن يميلوا على أهل منى فيقتلوهم - إني لم أؤمر بهذا»[2].

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾[3]. أي يصفحوا عنهم ويحملوا الأذى منهم وهذا كان في ابتداء الإسلام أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك لتأليف قلوبهم ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد هكذا روي عن ابن عباس وقتادة[4]. وقال ابن حجر (فأول ما شرع الجهاد بعد الهجرة النبوية إلى المدينة اتفاقاً)[5]. وقال القرطبي: (ولم يؤذن للنبي ﷺ في القتال مدة إقامته بمكة)[6]. وقد تكلم الشهيد سيد قطب عن حكمة الأمر بالكف عن القتال في المرحلة المكية بكلام أراه غاية في الأدب مع الله مع حسن استنباط وفهم لأهداف الإسلام وغاياته أنقله بتمامه (فأما لماذا لم يأذن الله للمسلمين في مكة بالانتصار من الظلم والرد على العدوان ودفع الأذى بالقوة وكثيرون منهم كان يملك هذا فلم يكن ضعيفاً ولا مستضعفاً ولم يكن عاجزاً عن رد الصاع

---

(١) النساء: ٧٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل (٣: ٤٦٢) والحديث صحيح حيث ورد في سياق بيعة العقبة الثانية رواية كعب بن مالك قال محققا زاد المعاد (٣: ٤٨) شعيب وعبد القادر الأرناؤوط أخرجه ابن هشام (١: ٤٤٠ - ٤٤٧)، وأحمد (٣: ٤٦٠ - ٤٦٢) والطيالسي (٢: ٩٣). وسنده صحيح.

(٣) الجاثية: ١٤.

(٤) تفسير ابن كثير (٧: ٢٥١).

(٥) فتح الباري (٦: ٢٧).

(٦) تفسير القرطبي (٣: ٣٨).

صاعين مهما يكن المسلمون في ذلك الوقت قلة . أما حكمة هذا والأمر بالكف عن القتال وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصبر والاحتمال حتى وبعض المسلمين يلقى من الأذى والعذاب ما لا يطاق وبعضهم يتجاوز العذاب طاقته فيفتن عن دينه وبعضهم لا يحتمل الاستمرار في العذاب فيموت تحت وطأته . أما حكمة هذا فلسنا في حل من الجزم بها لأننا حينئذ نتألى على الله ما لم يبين لنا من حكمه ونفرض على أوامره أسباباً وعللاً قد لا تكون هي الأسباب والعلل الحقيقية أو قد تكون ولكن يكون وراءها أسباب وعلل أخرى لم يكشف لنا عنها ويعلم سبحانه أن فيها الخير والمصلحة وهذا هو شأن المؤمن أمام اي تكليف أو أي حكم في شريعة الله لم يبين الله سببه محدداً جازماً حاسماً فمهما خطر له من الأسباب والعلل لهذا الحكم أو لذلك التكليف أو لكيفية تنفيذ هذا الحكم أو طريقة أداء ذلك التكليف مما يدركه عقله ويحسن فيه فينبغي أن يعتبر هذا كله مجرد احتمال ولا يجزم مهما بلغت ثقته بعلمه وعقله وتدبره لأحكام الله بأن ما رآه هو حكمة هو الحكمة التي أرادها الله نصاً وليس وراءها شيء وليس من دونها شيء فذلك التحرج هو مقتضى الأدب الواجب مع الله ومقتضى ما بين علم الله ومعرفة الإنسان من اختلاف في الطبيعة والحقيقة . وبهذا الأدب الواجب نتناول حكمة عدم فرض الجهاد في مكة وفرضيته في المدينة . نذكر ما يتراءى لنا من حكمة وسبب على أنه مجرد احتمال وندع ما وراءه لله لا نفرض على أمره أسباباً أو عللاً لا يعلمها إلا هو ولم يحددها هو لنا ويطلعنا عليها بنص صريح أنها أسباب اجتهادية تخطىء وتصيب وتنقص وتزيد ولا نبغي بها إلا مجرد تدبر أحكام الله وفق ما تظهره لنا الأحداث في مجرى الزمان .

أ - ربما كان ذلك لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة لقوم معينين وسط ظروف معينة ومن أهداف التربية والإعداد في مثل هذه البيئة بالذات تربية نفس الفرد العربي على الصبر على ما لا

يصبر عليه عادة من الضيم يقع على شخصه أو على من يلوذون به ليخلص من شخصه ويتجرد من ذاته ولا تعود ذاته ولا من يلوذون به محور الحياة في نظره ودافع الحركة في حياته وتربيته كذلك على ضبط أعصابه فلا يندفع لأول مؤثر كما هي طبيعته ولا يهتاج لأول مهيج ليتم الاعتدال في طبيعته وحركته وتربيته على أن يتبع مجتمعاً منظماً له قيادة يرجع إليها في كل أمر من أمور حياته ولا يتصرف إلا وفق ما تأمره مهما يكن مخالفاً لمألوفه وعادته وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي لإنشاء المجتمع المسلم الخاضع لقيادة موجهة .

ب ـ وربما كان ذلك أيضاً لأن الدعوة السلمية أشد أثراً وأنفذ في مثل بيئة قريش ذات العنجهية والشرف والتي قد يدفعها القتال معها في مثل هذه الفترة إلى زيادة العناد وإلى نشأة ثارات دموية جديدة كثارات العرب المعروفة التي أثارت حرب داحس والغبراء وحرب البسوس أعواماً طويلة تفانت فيها قبائل برمتها وتكون هذه الثارات الجديدة مرتبطة في أذهانهم وذكرياتهم بالإسلام فلا تهدأ بعد ذلك أبداً ويتحول الإسلام من دعوة إلى ثارات وذحول تنسى معها فكرته الأساسية وهو في مبدئه فلا تذكر أبداً .

جـ ـ وربما كان ذلك اجتناباً لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة هي التي تعذب المؤمنين وتفتنهم إنما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد يعذبونه هم ويفتنونه ويؤدبونه ومعنى الإذن بالقتال في مثل هذه البيئة أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت ثم يقال هذا هو الإسلام ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال فقد كانت دعاية قريش في الموسم في أوساط العرب القادمين للحج والتجارة أن محمداً يفرق بين الوالد وولده فوق تفريقه

لقومه وعشيرته فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد والمولى بقتل الولي في كل بيت وكل محلة .

د ـ وربما كان ذلك أيضاً لما يعلمه الله من أن كثيرين من المعاندين الذين يفتنون أوائل المسلمين عن دينهم ويعذبونهم ويؤذونهم هم بأنفسهم سيكونون من جند الإسلام المخلص بل من قادته ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء .

هـ ـ وربما كان ذلك أيضاً لأن النخوة العربية في بيئة قبلية من عادتها أن تثور للمظلوم الذي يحتمل الأذى ولا يتراجع وبخاصة إذا كان الأذى واقعاً على كرام الناس فيهم وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة في هذه البيئة فابن الدغنة لم يرض أن يترك أبا بكر وهو رجل كريم يهاجر ويخرج من مكة ورأى في ذلك عاراً على العرب وعرض عليه جواره وحمايته وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم في شعب أبي طالب بعدما طال عليهم الجوع واشتدت المحنة بينما في بيئة أخرى من البيئات ذات الحضارة القديمة التي مردت على الذل قد يكون السكوت على الأذى مدعاة للهزء والسخرية والاحتقار من البيئة وتعظيم المؤذي الظالم المعتدي .

و ـ وربما كان ذلك أيضاً لقلة عدد المسلمين حينذاك وانحصارهم في مكة حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة أو بلغت أخبارها متناثرة حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش وبعض أبنائها حتى ترى ماذا يكون مصير الموقف ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة المحدودة إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة حتى ولو قتلوا هم أضعاف من سيقتل منهم ويبقى الشرك وتنمحي الجماعة المسلمة ولم يقم في الأرض للإسلام نظام ولا وجد له كيان واقعي وهو دين جاء ليكون منهج حياة وليكون نظاماً واقعياً عملياً للحياة .

ز ـ في الوقت ذاته لم يكن هناك ضرورة قاهرة ملحة لتجاوز هذه الاعتبارات كاها والأمر بالقتال ودفع الأذى لأن الأمر الأساسي في هذه الدعوة كان قائماً وقتها ومحققاً هذا الأمر الأساسي وهو وجود الدعوة . وجودها في شخص الداعية ﷺ وشخصه في حماية سيوف بني هاشم فلا تمتد إليه يد إلا وهي مهددة بالقطع والنظام القبلي السائد يجعل كل قبيلة تخشى أن تقع في حرب مع بني هاشم إذا هي امتدت يدها إلى محمد ﷺ فكان شخص الداعية من ثم محمياً حماية كافية وكان الداعية يبلغ دعوته إذن في حماية سيوف بني هاشم ومقتضيات النظام القبلي ولا يكتمها ولا يخفيها ولا يجرؤ أحد على منعه من إبلاغها وإعلانها في ندوات قريش في الكعبة ومن فوق جبل الصفا وفي اجتماعات عامة ولا يجرؤ أحد على سد فمه ولا يجرؤ أحد على خطفه وسجنه أو قتله ولا يجرؤ أحد على أن يفرض عليه كلاماً بعينه يقوله يعلن فيه بعض حقيقة دينه ويسكت عن بعضها وحين طلبوا إليه أن يكف عن سب آلهتهم وعيبها لم يكف وحين طلبوا إليه أن يسكت عن عيب دين آبائهم وأجدادهم وكونهم في جهنم لم يسكت وحين طلبوا إليه أن يدهن فيدهنوا أي يجاملهم فيجاملوه بأن يتبع بعض تقاليدهم ليتبعوا هم بعض عبادته لم يدهن وعلى الجملة كان للدعوة وجودها الكامل في شخص رسول الله ﷺ محروساً بسيوف بني هاشم وفي إبلاغه لدعوة ربه كاملة في كل مكان وفي كل صورة ومن ثم لم تكن هناك الضرورة القاهرة لاستعجال المعركة والتغاضي عن كل هذه الاعتبارات البيئية التي هي في مجموعها مساندة للدعوة ومساعدة في مثل هذه البيئة . هذه الاعتبارات كلها فيما نحسب كانت بعض ما اقتضت حكمة الله معه أن يأمر المسلمين بكف أيديهم وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لتتم تربيتهم وإعدادهم ولينتفع بكل إمكانيات الخطة في هذه البيئة وليقف المسلمون في انتظار أمر القيادة في الوقت المناسب وليخرجوا

أنفسهم من المسألة كلها فلا يكون لذواتهم فيها حظ لتكون خالصة لله وفي سبيل الله والدعوة لها وجودها وهي قائمة ومؤداة ومحمية ومحروسة)[1] .

٢ ـ **المرحلة الثانية** : إباحة القتال من غير فرض .

ومن أدلة هذه المرحلة قوله تعالى ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور.أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[2] .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية (وقال غير واحد من السلف هذه أول آية نزلت في الجهاد واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية وقاله مجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد . . . وإنما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت الأليق به لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً فلو أمر المسلمين وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفاً وثمانين قالوا يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي ـ يعنون أهل منى ـ ليالي منى فنقتلهم فقال رسول الله ﷺ إني لم أؤمر بهذا فلما بغى المشركون وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم وهموا بقتله وشردوا أصحابه شذر مذر فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله ﷺ واجتمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقلاً يلجؤون إليه شرع الله جهاد الأعداء فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك)[3] .

---

(١) في ظلال القرآن (٢ : ٧١٣ ـ ٧١٥) .

(٢) الحج : ٣٨ ـ ٤٠ .

(٣) تفسير ابن كثير (٥ : ٤٣٠ ـ ٤٣١) .

٣ ـ المرحلة الثالثة : فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط .

ومن أدلة هذه المرحلة قوله تعالى : ﴿... فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً . ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾[١] . يقول ابن تيمية عن هذه المرحلة (.. ولم يؤمروا بقتال من طلب مسالمتهم بل قال فإن تولوا فخذوهم الآيات وكذلك من هادنهم لم يكونوا مأمورين بقتاله وإن كانت الهدنة عقداً جائزاً غير لازم)[٢] . ويدل على هذه المرحلة أيضاً سيرة النبي ﷺ، يقول ابن تيمية رحمة الله عليه: (فمن المعلوم من سيرة النبي ﷺ الظاهر علمه عند كل من له علم بالسيرة أنه ﷺ لما قدم المدينة لم يحارب أحداً من أهل المدينة بل وادعهم حتى اليهود خصوصاً بطون الأوس والخزرج فإنه كان يسالمهم ويتألفهم بكل وجه وكان الناس إذ قدمها على طبقات منهم المؤمن وهم الأكثرون ومنهم الباقي على دينه وهو متروك لا يحارب ولا يحارب وهو والمؤمنون من قبيلته وحلفائهم أهل سلم لا أهل حرب حتى حلفاء الأنصار أقرهم النبي ﷺ على حلفهم)[٣] .

٤ ـ المرحلة الرابعة :

قتال جميع الكفار على اختلاف أديانهم وأجناسهم ابتداء وإن لم يبدأوا بقتال حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية على خلاف بين العلماء فيمن

---

(١) النساء؛ ٩٠ ـ ٩١.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١ : ٧٣).

(٣) الصارم المسلول لابن تيمية (ص ٩٩).

تؤخذ منه الجزية سيأتي تفصيله. وهذه المرحلة بدأت من انقضاء أربعة أشهر من بعد حج العام التاسع من الهجرة ومن بعد انقضاء العهود المؤقتة وتوفى الرسول ﷺ والعمل على هذه المرحلة الأخيرة وعليها استقر حكم الجهاد ومن أدلتها قوله تعالى ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾(٢) . وقوله ﷺ « . . . اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال . . الحديث »(٣) . وقوله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »(٤) .

وهذه المراحل قد ذكرها علماء الإسلام في مؤلفاتهم من كل مذهب يقول السرخسي :(وقد كان رسول الله ﷺ مأموراً في الابتداء بالصفح والإعراض عن المشركين قال الله تعالى : ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وقال تعالى : ﴿وأعرض عن المشركين﴾ ثم أمر بالدعاء إلى الدين بالوعظ والمجادلة بالأحسن فقال تعالى : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

---

(١) التوبة : ٥ .

(٢) التوبة : ٢٩ .

(٣) مسلم مع النووي (١٢ : ٣٨).

(٤) صحيح مسلم مع النووي (١ : ٢١٢).

الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ ثم أمر بالقتال إذا كانت البداية منهم فقال تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ أي أذن لهم في الدفع وقال تعالى : ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ وقال تعالى : ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ ثم أمر بالبداية بالقتال فقال تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ وقال تعالى : ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ وقال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فاستقر الأمر على فرضية الجهاد مع المشركين وهو فرض قائم إلى قيام الساعة »[1] .

وقال الشافعي (وأنزل الله عز وجل فيما يثبته به إذا ضاق من أذاهم «ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » ففرض عليه إبلاغهم وعبادته ولم يفرض عليه قتالهم وأبان ذلك في غير آية من كتابه . . . ثم أذن الله عز وجل لهم بالجهاد . . . ثم أذن لهم بأن يبتدوا المشركين بقتال قال الله عز وجل ﴿أذن للذين يقاتلون . . . الآية﴾ . وأباح لهم القتال بمعنى أبانه في كتابه فقال ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ . . . ولما مضت لرسول الله ﷺ مدة من هجرته أنعم الله فيها على جماعات باتباعه حدثت لهم بها مع عون الله عز وجل قوة بالعدد لم يكن قبلها ففرض الله عز وجل عليهم الجهاد بعد إذ كان إباحة لا فرضاً فقال تبارك وتعالى كتب عليكم القتال . . الآية)[2] .

وقال ابن رشد (وأول ما بعث الله نبيه عليه السلام بالدعاء إلى الإسلام من غير قتال أمره به ولا أذن له فيه ولا جزية أحلها له فأقام رسول الله ﷺ على ذلك عشر سنين وهي التي أقام بمكة وحينئذ أنزل الله فاصدع

---

(١) المبسوط للسرخسي (١٠ : ٢).
(٢) أحكام القرآن للشافعي (٢ : ٩ - ١٩).

بما تؤمر وأعرض عن المشركين وقوله فاعف عنهم واصفح وقوله لا إكراه في الدين وما أشبه ذلك من الآيات فلما هاجر إلى المدينة أذن الله تعالى له وللمؤمنين بقتال من قاتله وأمرهم بالكف عمن لم يقاتلهم فقال تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ وقال تعالى : ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾ وقال تعالى : ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ فكانت هذه سيرة رسول الله ﷺ والمسلمين منذ هاجر إلى المدينة إلى أن نزلت سورة براءة وذلك بعد ثمان من الهجرة قاموا لله تعالى فيها بقتال جميع المشركين من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقال ﷺ في المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب إلا من كان له عهد عند النبي ﷺ فإن الله أتمه له إلى مدته فقال : ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين وفرض الله عز وجل الجهاد حينئذ على جميع المسلمين كافة فقال تعالى : ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ واعلموا أن الله مع المتقين)[1] .

وقال ابن تيمية (. . . فكان النبي ﷺ في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً قال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾ وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك العرب ووفدت إليه وفود العرب

(١) مقدمات ابن رشد (١ : ٣٧١ - ٣٧٢).

بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة. . .)(١).

وقال ابن القيم (فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين الأنصار وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر وبذلوا نفوسهم دونه وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج وكان أولى بهم من أنفسهم . رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة واشتد الجناح فأذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرض عليهم فقال تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾. . ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرماً ثم مأذوناً به ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ثم مأموراً به لجميع المشركين إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور)(٢).

قلت وقد استقر أمر الجهاد على المرحلة الأخيرة التي ذكرت في سورة التوبة وهي قتال المشركين حتى يسلموا وقتال أهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية مع الذل والصغار قال ابن القيم (. . . فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام محاربين له وأهل عهد وأهل ذمة ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين محاربين وأهل ذمة)(٣) .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١ : ٧٤).
(٢) زاد المعاد لابن القيم (٣ : ٦٩ ـ ٧١).
(٣) زاد المعاد (٣ : ١٦٠).

وروى الحاكم عن علي بن عبد الله بن عباس قال سمعت أبي يقول سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه لِمَ لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان[1] . وقال ابن كثير عند تفسير سورة التوبة (هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ كما قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يقول آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وآخر سورة نزلت براءة)[2] .

قلت ولكون سورة براءة المقررة لحكم المرحلة الأخيرة من مراحل الجهاد هي آخر السور نزولاً اعتبر علماء السلف أن المرحلة الأخيرة للجهاد ناسخة لبقية المراحل قال ابن العربي (قوله تعالى فإذا انسلخ الأشهر الحرم. . الآية ناسخ لمائة وأربع عشرة آية)[3] . والقول بالنسخ مروي عن الضحاك بن مزاحم[4] والربيع بن أنس[5] ومجاهد وأبو العالية[6] والحسين بن الفضل[7] وابن زيد[8] وموسى بن عقبة[9] وابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة[10] وابن الجوزي[11] وعطاء[12] .

---

(١) المستدرك للحاكم (٢ : ٣٣٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٤ : ٤٤).
(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١ : ٢٠١).
(٤) ابن كثير (٤ : ٥٥).
(٥) البغوي (١ : ١٦٨).
(٦) فتح القدير للشوكاني (١ : ١٩١).
(٧) القرطبي (٨ : ٧٣).
(٨) القرطبي (٢ : ٣٣٩).
(٩) الجصاص (٣ : ٨١).
(١٠) فتح القدير (١ : ٤٩٧).
(١١) زاد المسير لابن الجوزي (٣ : ٣٧٦).
(١٢) البغوي (٣ : ١٢٢).

وكذلك قال بالنسخ ابن تيمية[1] والشوكاني[2] والقرطبي[3] وجمع من العلماء في شتى العصور الإسلامية. يقول صديق حسن البخاري (وما ورد في موادعتهم أو في تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين)[4] .

وذكر ابن تيمية عن موسى بن عقبة عن الزهري: كانت سيرة رسول الله ﷺ في عدوه قبل أن تنزل براءة يقاتل من قاتله ومن كف يده وعاهده كف عنه قال الله تعالى : ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ وكان القرآن ينسخ بعضه بعضاً فإذا أنزلت آية نسخت التي قبلها وعمل بالتي أنزلت وبلغت الأولى منتهى العمل بها وكان ما قد عمل بها قبل ذلك طاعة لله حتى نزلت براءة)[5] .

وادعى الزركشي أنه ليس في مراحل الجهاد نسخ بل يعمل بكل مراحله عند الحالة المشابهة للحالة التي شرعت فيها وعاب على من قال بالنسخ إذ قال (قسم بعضهم النسخ من وجه آخر إلى ثلاثة أضرب . . الثالث : ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر وبالمغفرة للذين لا يرجون لقاء الله ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها ثم نسخه إيجاب ذلك هذا ليس بنسخ في الحقيقة وإنما هو نسيء كما قال تعالى : ﴿أو ننسها﴾ فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون . وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى ، وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به

---

(١) الاحتجاج بالقدر لابن تيمية (ص ٣٦).
(٢) فتح القدير للشوكاني (١ : ٢٧٥).
(٣) تفسير القرطبي (٢ : ٣٣١).
(٤) الروضة الندية (٢ : ٣٣٣).
(٥) الصارم المسلول لابن تيمية (ص ١٠٣).

كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف وليست كذلك بل هي من المنسأ بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة توجب ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبداً)[1] .

وأتى السيوطي في كتابه الاتقان بكلام الزركشي هذا غير أنه لم ينسبه له[2] مع أنه ذكر في كتابه الاكليل بأن آية السيف ناسخة لآيات العفو والصفح والمسالمة[3] .

والحقيقة أن الزركشي رحمه الله صادق في قوله إن مراحل الجهاد يعمل بها في الظروف المشابهة للظروف التي شرعت فيها مخطىء في تضعيفه لأقوال السلف القائلين بالنسخ لأن السلف لا يقصدون بالنسخ المعنى الذي هو يقصده « وهو الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبداً » وإنما يقصدون معنى أعم وأشمل من ذلك فإن النسخ عندهم يشمل التقييد والبيان والتخصيص ونحو ذلك فليس للزركشي أن يحاكم السلف إلى اصطلاح المتأخرين وهذه غفلة منه رحمه الله عن قصد السلف بالنسخ يقول ابن تيمية عن مفهوم النسخ عند السلف (. . . ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول ﷺ تفسرها فإن سنة رسول الله ﷺ تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخاً لها فالنسخ عندهم اسم عام لكل ما يرفع دلالة الآية على معنى باطل وإن كان ذلك المعنى لم يرد بها وإن كان لا يدل عليه ظاهر الآية بل قد لا يفهم منها . وقد فهمه منها قوم فيسمون ما رفع ذلك الإيهام والإفهام نسخاً وهذه التسمية لا تؤخذ عن كل واحد منهم

---

(١) البرهان للزركشي (٢ : ٤١ - ٤٢).

(٢) انظر الإتقان للسيوطي (٣ : ٦٦).

(٣) انظر الإكليل في استنباط التنزيل (ص ١١٦).

وأصل ذلك من إلقاء الشيطان ثم يحكم الله آياته فما ألقاه الشيطان في الأذهان من ظن دلالة الآية على معنى لم يدل عليه سمى هؤلاء ما يرفع ذلك الظن نسخاً كما سموا قوله تعالى : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ ناسخاً لقوله ﴿فاتقوا الله حق تقاته﴾ وقوله : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ناسخاً لقوله: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ وأمثال ذلك مما ليس هذا موضع بسطه)[1] .

وقد رجح بعض العلماء في العصور المتأخرة ما ذهب إليه الزركشي[2] ظناً منهم أن قول السلف يخالف قول الزركشي في العمل بمراحل الجهاد والحقيقة أن الخلاف بين الزركشي وعلماء السلف هو في مسمى النسخ لا في العمل بمراحل الجهاد وإلا فالسلف لا يكلفون المستضعف من المسلمين الذي حاله مشابهة لحال الرسول في مكة بالقتال وإنما الواجب عليه أن يجتهد لكي يصل إلى حال قوة يجاهد فيها الكفار لأن الحال التي توفي عليها الرسول ﷺ هي تمام الدين التي يجب على المسلمين بذل قصارى الجهاد لتحقيقها في الواقع البشري وإليك أقوال السلف المؤيدة لهذا .

قال ابن حجر ـ عند الكلام على مهادنة الكفار بمال يدفعه المسلمون لهم في حال الضرورة ـ (وأما اصل المسألة فاختلف فيه فقال الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي عن موادعة إمام المسلمين أهل الحرب على مال يؤديه إليهم فقال لا يصلح ذلك إلا عن ضرورة كشغل المسلمين عن حربهم قال ولا بأس أن يصالحهم على غير شيء يؤدونه إليهم كما وقع في الحديبية . وقال الشافعي: إذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين جازت لهم مهادنتهم على غير شيء يعطونهم لأن القتل للمسلمين شهادة وإن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣ : ٣٠).

(٢) انظر في ظلال القرآن (٣: ١٥٩٠) ومناهل العرفان للزرقاني (٢ . ١٥٠).

الإسلام أعز من أن يعطى المشركون على أن يكفوا عنهم إلا في حالة مخافة اصطلام المسلمين لكثرة العدو لأن ذلك من معـاني الضرورات وكذلك إذا أسر رجل مسلم فلم يطلق إلا بفدية جاز)[1] . وقال ابن قدامة (. . . لا تجوز المهادنة مطلقاً من غير تقدير مدة لأنه يفضي إلى ترك الجهاد بالكلية[2] . . . وتجوز مهادنتهم على غير مال لأن النبي ﷺ هادنهم يوم الحديبية على غير مال ويجوز ذلك على مال يأخذه منهم فإنها إذا جازت على غير مال فعلى مال أولى وأما إن صالحهم على مال نبذله لهم فقد أطلق أحمد القول بالمنع منه وهو مذهب الشافعي لأن فيه صغاراً للمسلمين وهذا محمول على غير حالة الضرورة فأما إذا دعت إليه ضرورة وهو أن يخاف على المسلمين الهلاك أو الأسر فيجوز لأنه يجوز للأسير فداء نفسه بالمال فكذا ههناولأن بذله المال إن كان فيه صغار فإنه يجوز تحمله لدفع صغار أعظم منه وهو القتل والأسر وسبي الذرية الذي يفضي سبيهم إلى كفرهم)[3] .

وقال أبو حنيفة (لا ينبغي موادعة أهل الشرك إذا كان بالمسلمين عليهم قوة . وإن لم يكن بالمسلمين قوة عليهم فلا بأس بالموادعة وقال الشيباني ـ بعد ذكره لكلام أبي حنيفة هذا ـ وإذا خاف المسلمون المشركين فطلبوا موادعتهم فأبى المشركون أن يوادعوهم حتى يعطيهم المسلمون على ذلك مالا فلا بأس بذلك عند تحقق الضرورة)[4] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦ : ١٩٨).

(٢) بعض العلماء كابن تيمية وابن القيم يرى جواز المهادنة من غير تقدير مدة لكنهم يرون أنها عقد جائز غير لازم،للمسلمين فسخه إذا رأوا المصلحة في ذلك. انظر الجواب الصحيح (١ : ٧٤) وزاد المعاد (٣ : ٧٠).

(٣) المغني لابن قدامة (٨ : ٤٥٩ ـ ٤٦١).

(٤) شرح السير الكبير للسرخسي (ص ١٦٨٩ ـ ١٦٩٢).

وقال ابن جزي الغرناطي المالكي (... لا يجوز الانصراف من صف القتال إن كان فيه انكسار المسلمين،وإن لم يكن فيجوز لمتحرف لقتال أو متحيز إلى فئة والتحرف للقتال هو أن يظهر الفرار وهو يريد الرجوع مكيدة في الحرب.والتحيز إلى الجماعة الحاضرة جائز واختلف في التحيز إلى جماعة غائبة من المسلمين أو مدينة ولا يجوز الانهزام إلا إذا زاد الكفار على ضعف المسلمين،والمعتبر العدد في ذلك على المشهور وقيل القوة وقيل إذا بلغ عدد المسلمين اثنى عشر ألفاً لم يحل الانهزام ولو زاد الكفار على الضعف . وإن علم المسلمون أنهم مقتولون فالانصراف أولى وإن علموا مع ذلك أنهم لا تأثير لهم في نكاية العدو وجب الفرار وقال أبو المعالي لا خلاف في ذلك)[1] . فهذه الأقوال التي سلفت من مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم تبين أن مقصود السلف بالنسخ في مراحل الجهاد ليس هو إزالة حكم المراحل حتى لا يجوز العمل بها مطلقاً فإن هذا من التكليف بما لا يطاق في حال الاستضعاف والله سبحانه يقول : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ .

يقول ابن تيمية (... فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[2] .

وبهذا يتضح أنه لا خلاف بين الزركشي ومن نحا نحوه كسيد قطب وغيره وبين السلف في حكم مراحل الجهاد وإنما الخلاف في مسمى النسخ يقول سيد قطب (والعبرة بنهاية المراحل التي وصلت إليها الحركة

---

(١) القوانين الفقهية لابن جزي (ص ١٢٨).
(٢) الصارم المسلول لابن تيمية (ص ٢٢١).

الجهادية في الإسلام بأمر من الله لا بأوائل الدعوة ولا بأوسطها)[1] .
ويقول عليه رحمة الله (إن تلك الأحكام المرحلية ليست منسوخة بحيث لا يجوز العمل بها في أي ظرف من ظروف الأمة المسلمة بعد نزول الأحكام الأخيرة في سورة التوبة ذلك أن الحركة والواقع الذي تواجهه في شتى الظروف والأمكنة والأزمنة هي التي تحدد ـ عن طريق الاجتهاد المطلق ـ أي الأحكام هو أنسب للأخذ به في ظرف من الظروف في زمان من الأزمنة في مكان من الأمكنة مع عدم نسيان الأحكام الأخيرة التي يجب أن يصار إليها متى أصبحت الأمة الإسلامية في الحال التي تمكنها من تنفيذ هذه الأحكام كما كان حالها عند نزول سورة التوبة وما بعد ذلك أيام الفتوحات الإسلامية التي قامت على أساس من هـذه الأحكام الأخيـرة النهائية سواء في معاملة المشركين أو أهل الكتاب. إن المهزومين في هذا الزمان أمام الواقع البائس لذراري المسلمين ـ الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان ـ وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على أهل الجهاد في الإسلام يحاولون أن يجدوا في النصوص المرحلية مهرباً من الحقيقة التي يقوم عليها الانطلاق الإسلامي في الأرض لتحرير الناس كافة من عبادة العباد وردهم جميعاً إلى عبادة الله وحده وتحطيم الطواغيت والأنظمة والقوى التي تقهرهم على عبادة غير الله والخضوع لسلطان غير سلطانه والتحاكم إلى شرع غير شرعه. ومن ثم نراهم يقولون مثلاً إن الله سبحانه يقول: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ ويقول : ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ . . فالإسلام إذن لا يقاتل إلا الذين يقاتلون أهل دار الإسلام في داخل حدود هذه الدار أو الذين يهددونها من الخارج . وإنه قد عقد صلح الحديبية مع المشركين وإنه قد عقد معاهدة مع يهود المدينة ومشركيها.

---

(١) في ظلال القرآن (٣ : ١٤٣٦).

ومعنى ذلك في تصورهم المهزوم أن لا علاقة للإسلام إذن بسائر البشر في أنحاء الأرض ولا عليه أن يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله في الأرض كلها ما دام هو آمنا داخل حدوده الإقليمية . وهو سوء ظن بالإسلام وسوء ظن بالله سبحانه تمليه الهزيمة أمام الواقع البائس النكد الذي يواجههم وأمام القوى العالمية المعادية التي لا طاقة لهم بها في اللحظة الحاضرة . وهان الأمر لو أنهم حين يهزمون روحياً أمام هذه القوى لا يحيلون هزيمتهم إلى الإسلام ذاته ولا يحملونه على ضعف واقعهم الذي جاءهم من بعدهم عن الإسلام أصلاً ولكنهم يأبون إلا أن يحملوا ضعفهم هم وهزيمتهم على دين الله القوي المتين . إن هذه النصوص التي يلتجئون إليها نصوص مرحلية تواجه واقعاً معيناً وهذا الواقع المعين قد يتكرر وقوعه في حياة الأمة المسلمة وفي هذه الحالة تطبق هذه النصوص المرحلية لأن واقعها يقرر أنها في مثل تلك المرحلة التي واجهتها تلك النصوص بتلك الأحكام. ولكن هذا ليس معناه أن هذه هي غاية المعنى وأن هذه نهاية خطوات هذا الدين . . إنما معناه أن على الأمة المسلمة أن تمضي قدماً في تحسين ظروفها وفي إزالة العوائق من طريقها حتى تتمكن في النهاية من تطبيق الأحكام النهائية الواردة في سورة التوبة والتي كانت تواجه واقعاً غير الواقع الذي واجهته النصوص المرحلية . إن النصوص الأخيرة تقول في شأن المشركين « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين. فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم

إن الله غفور رحيم وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون». . وتقول في شأن أهل الكتاب ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ فإذا كان المسلمون اليوم لا يملكون بواقعهم تحقيق هذه الأحكام فهم ـ اللحظة ومؤقتاً ـ غير مكلفين بتحقيقها ـ ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولهم في الأحكام المرحلية سعة يتدرجون معها حتى ينتهوا إلى تنفيذ هذه الأحكام الأخيرة عندما يكونون في الحال التي يستطيعون معها تنفيذها. . . ولكن عليهم ألا يلووا أعناق النصوص النهائية لتوافق أحكام النصوص المرحلية وعليهم ألا يحملوا ضعفهم الحاضر على دين الله القوي المتين وعليهم أن يتقوا الله في مسخ هذا الدين وإصابته بالهزال بحجة أنه دين السلم والسلام . إنه دين السلم والسلام فعلاً ولكن على أساس إنقاذ البشرية كلها من عبادة غير الله وإدخال البشرية كافة في السلم كافة. إنه منهج الله هذا الذي يريد البشر على الارتفاع إليه والاستمتاع بخيره وليس منهج عبد من العبيد ولا مذهب مفكر من البشر حتى يخجل الداعون إليه من إعلان أن هدفهم الأخير هو تحطيم كل القوى التي تقف في سبيله لإطلاق الحرية للناس أفراداً في اختياره . . إنه حين تكون المذاهب التي يتبعها الناس مذاهب بشرية من صنع العبيد وحين تكون الأنظمة والشرائع التي تصرف حياتهم من وضع العبيد أيضاً فإنه في هذه الحالة يصبح لكل مذهب ولكل نظام الحق في أن يعيش داخل حدوده آمناً ما دام أنه لا يعتدي على حدود الآخرين ويصبح من حق هذه المذاهب والأنظمة والأوضاع المختلفة أن تتعايش وألا يحاول أحدها إزالة الآخر . فأما حين يكون هناك منهج إلهي وشريعة ربانية ووضع العبودية فيه لله وحده وتكون إلى جانبه مناهج ومذاهب وأوضاع من صنع البشر العبودية فيها للعباد فإن الأمر يختلف من أساسه ويصبح من حق المنهج الإلهي أن يجتاز الحواجز البشرية ويحرر البشر من العبودية للعباد

ويتركهم أحراراً في اختيار العقيدة التي يختارونها في ظل الدينونة لله وحده والمهزومون الذين يحاولون أن يلووا أعناق النصوص ليخرجوا من الحرج الذي يتوهمونه في انطلاق الإسلام وراء حدوده الأولى ليحرر البشر في الأرض كلها من العبودية لغير الله ينسون هذه الحقيقة الكبرى وهي أن هناك منهجاً ربانياً العبودية فيه لله وحده يواجه مناهج بشرية العبودية فيها للعبيد)[1] .

---

(١) فقه الدعوة لسيد قطب اختيار أحمد حسن (ص ٢١٧ ـ ٢٢٢).

٣ ـ أهداف الجهاد وغايته

إن للجهاد حكماً بالغة وأهدافاً جليلة لأن الذي شرعه هو العليم الخبير فما دام أن الآمر به هو الحكيم فالحكمة والمصلحة ثابتة فيه قطعاً وتلمس حكمة الجهاد لا يتوقف القيام به على معرفتها عند المسلم الصادق . فإن مقتضى العبودية أن ينفذ العبد أمر سيده عرف حكمته أو لم يعرف ولكن معرفة الحكمة تقوي العزائم وتشحذ الهمم وتيسر أمر التكاليف على المكلفين ونحو ذلك من الفوائد والمصالح ولنرجع إلى ما أمرنا الله بالرجوع إليه ـ الكتاب والسنة ـ نأخذ منهما أهداف الجهاد وغايته .

الهدف الرئيسي هو تعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً وإخلاء العالم من الفساد وذلك لأن خضوع البشر لبشر مثلهم وتقديم أنواع العبادة لهم من الدعاء والنذر والذبح والتعظيم والتشريع والتحاكم هو أساس فساد الأجيال المتعاقبة من لدن نوح عليه السلام إلى يومنا هذا وهو انحراف بالفطرة السوية عما خلقها الله عليه من التوحيد كما قال ﷺ عن الله قال : (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . . الحديث)[١] . فهدف الجهاد الإسلامي الأكبر هو إرجاع

(١) صحيح مسلم مع النووي (١٧ : ١٩٨).

البشـر إلى الأصل وهـو الملة الحنيفيـة التي تخضعهم لـرب العـالمين وتجعلهم يستمدون منه سبحانه منهج حياتهم الدنيا ويعبدونه كما أمر ولا يعبدون أحداً غيره وهذا الخضوع لله هو الذي يحقق لهم السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة/ يقول سيد قطب رحمه الله تحت عنوان منهج متفرد (والآن يقول قائل إذا كان الإسلام وهو منهج الله للحياة البشرية لا يتحقق في الأرض وفي دنيا الناس إلا بالجهد البشري وفي حدود الطاقة البشرية وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في البيئات المختلفة فما ميزته إذن على المناهج البشرية التي يضعها البشر لأنفسهم ويبلغون منها ما يبلغه جهدهم في حدود طاقتهم وواقعهم ولماذا يجب أن نحاول تحقيق ذلك المنهج وهو يحتاج إلى الجهد البشري ككل منهج فلا يتحقق منه شيء بمعجزة خارقة ولا بقهر إلهي ملزم وهو يتحقق في حياة الناس في حدود فطرتهم البشرية وطاقتهم العادية وأحوالهم الواقعية... ونحن ملزمون بمحاولة تحقيق ذلك المنهج ابتداء لنحقق لأنفسنا صفة الإسلام فـركن الإسلام الأول : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وشهادة أن لا إله إلا الله معناها القريب إفراد الله سبحانه بالألوهية وعدم إشراك أحد من خلقه معه في خاصية واحدة من خصائصها وأولى خصائص الألوهية حق الحاكمية المطلقة الذي ينشأ عنه حق التشريع للعباد وحق وضع المناهج لحياتهم وحق وضع القيم التي تقوم عليها هذه الحياة . فشهادة « أن لا إله إلا الله » لا تقوم ولا تتحقق إلا بالاعتراف بأن لله وحده حق وضع المنهج التي تجري عليه الحياة البشرية وإلا بمحاولة تحقيق ذلك المنهج لأسباب تتعلق بالمنهج ذاته فهو وحده المنهج الذي يحقق كرامة الإنسان ويمنحه الحرية الحقيقية ويطلقه من العبودية . هو وحده الذي يحقق له التحرر الكامل الشامل المطلق في حدود إنسانيته وعبوديته لله ،التحرر من العبودية للناس بالعبودية لله رب الناس وما من منهج آخر في الأرض يحقق هذه الخاصية إلا الإسلام . . . ونحن ملزمون بمحاولة تحقيق ذلك المنهج لأنه وحده المنهج المبرأ من نتائج الجهل الإنساني والقصور الإنساني براءته من

نتائج الضعف البشري فواضعه هو خالق هذا الكائن الإنساني العليم بما يصلحه ويصلح له وهو المطلع على خفايا تكوينه وتركيبه وخفايا الملابسات الأرضية والكونية كلها في مدى الحياة البشرية كذلك)[1] .

والأدلة على أن هدف الجهاد الأكبر (تعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من العبودية للعباد وإزالة الطواغيت كلها من الأرض وإخلاء العالم من الفساد) كثيرة جداً يقول الله عز وجل ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾[2] . ويقول تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾[3] قال ابن كثير (ثم أمر تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة أي شرك قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم.ويكون الدين لله أي يكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان)[4] . وقال ابن الجوزي (ويكون الدين لله ؛ قال ابن عباس أي يخلص له التوحيد)[5] . وقال ابن جرير الطبري (فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة ويكون الدين كله لله وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره)[6] . وقال الشوكاني (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون فتنة وأن يكون الدين لله وهو الدخول في الإسلام

---

(١) هذا الدين لسيد قطب (ص ١٥ ـ ٢٠).
(٢) البقرة: ١٩٣.
(٣) الأنفال: ٣٩.
(٤) ابن كثير (١ : ٣٢٩).
(٥) زاد المسير (١ : ٢٠٠).
(٦) تفسير الطبري (١٣ : ٥٣٧).

والخروج عن سائر الأديان المخالفة له فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله)[1] .

ويقول الرسول ﷺ « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »[2] . ويقول ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[3] ويقول ﷺ «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري »[4] ، وقد كان هذا الهدف العظيم للجهاد حاضراً في حسّ الصحابة رضي الله عنهم أثناء معاركهم مع أعداء الله ففي صحيح البخاري عن جبير بن حية قال فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً فقام ترجمان فقال ليكلمني رجل منكم فقال المغيرة سل عما شئت قال ما أنتم قال نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد نمص الجلد والنوى من الجوع ونلبس الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ومن بقي منا ملك رقابكم)[5] . وذكر

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١ : ١٩١).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣ : ٤٩).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١ : ٧٢).

(٤) مجمع الزوائد (٦ : ٤٩) وقال رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه المديني وغيره وضعفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات وصححه الألباني في الإرواء برقم ١٢٦٩.

(٥) صحيح البخاري مع الفتح (٦ : ١٩٠).

ابن كثير قصة ربعي بن عامر رضي الله عنه لما بعثه سعد بن أبي وقاص إلى رستم وفيها (. . . فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه فقالوا له ضع سلاحك فقال إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت فقال رستم ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها فقالوا له ما جاء بكم ؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله قالوا وما موعود الله قال الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي . . .)[1] .

وهذا الهدف السامي - المتضمن لإعلاء كلمة الله وهي الإسلام وإقامة سلطان الله في الأرض وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وإخلاء العالم من الفساد الأكبر الذي هو الشرك وما ينتج عنه وإزالة الطواغيت الذين يحولون بين الناس وبين الإسلام ويعبدونهم لغير الله - موضع اتفاق بين علماء الإسلام وها هي ثلة من أقوالهم .

يقول الشافعي (فدل كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أن فرض الجهاد إنما هو على أن يقوم به من فيه كفاية للقيام به حتى يجتمع أمران : أحدهما أن يكون بإزاء العدو المخوف على المسلمين من يمنعه .

---

(١) البداية لابن كثير (٧ : ٣٩).

والآخر : أن يجاهد من المسلمين من في جهاده كفاية حتى يسلم أهل الأوثان أو يعطي أهل الكتاب الجزية)[1] .

ويقول محمد بن الحسن (فرضية القتال المقصود منها إعزاز الدين وقهر المشركين)[2] ويقول ابن القيم (والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله . . . فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهله والرق على رقابهم فهذا من دين الله ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة)[3] .

ويقول ابن عبد البر المالكي (يقاتل جميع أهل الكفر من أهل الكتاب وغيرهم من القبط والترك والحبشة والفزارية والصقالبة والبربر والمجوس وسائر الكفار من العرب والعجم يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[4] .

ويقول سيد قطب (إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة الإسلام ذاته ودوره في هذه الأرض وأهدافه العليا التي قررها الله وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات . إن هذا الدين إعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد ـ ومن العبودية لهواه أيضاً وهي من العبودية للعباد ـ وذلك بإعلان ألوهية الله وحده سبحانه وربوبيته للعالمين. إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها والتمرد الكامل على كل وضع في

---

(١) الأم للشافعي (٤ : ١٦٧).
(٢) السير الكبير للشيباني (١ : ١٨٨).
(٣) أحكام أهل الذمة لابن القيم (١ : ١٨).
(٤) (ص ٤٦٦) من كتاب الكافي في فقه أهل المدينة للحافظ ابن عبد البر.

أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور أو بتعبير آخر مرادف الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه إلى البشر ومصدر السلطات فيه هم البشر هو تأليه للبشر يجعل بعضهم لبعض أرباباً من دون الله . إن هـذا الإعلان معنـاه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله وطرد المغتصبين له الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب ويقوم الناس منهم مقام العبيد.

إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكـة لله في الأرض أو بالتعبيـر القرآني الكريم : ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ ، ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾، ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون﴾ . ومملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتـولى الحاكميـة في الأرض رجال بأعيانهم هم رجال الدين كما كان الأمر في سلطان الكنيسة ولا رجال ينطقـون باسم الآلهـة كما كـان الحال في مـا يعرف بـاسم « الثيوقراطية » أو الحكم الإلهي المقدس ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة .

وقيام مملكة الله في الأرض وإزالة مملكة البشر وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية كل أولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان لأن المتسلطين على رقـاب العباد المغتصبين لسلطان الله في الأرض لا يسلمـون في سلطانهم بمجرد التبليغ والبيان وإلا فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين الله في الأرض وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال . إن هذا الإعلان العام لتحرير الإنسان في الأرض من كل سلطان غير سلطان الله بإعلان ألوهية الله وحده وربوبيته للعالمين لم يكن إعلاناً نظرياً فلسفياً سلبياً إنما كان إعلاناً حركياً واقعياً إيجابياً إعلاناً يراد له التحقيق العملي في صورة نظام يحكم البشر

بشريعة الله ويخرجهم بالفعل من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك . ومن ثم لم يكن بد من أن يتخذ شكل الحركة إلى جانب شكل البيان ذلك ليواجه الواقع البشري بكل جوانبه بوسائل مكافئة لكل جوانبه والواقع الإنساني أمس واليوم وغداً يواجه هذا الدين بوصفه إعلاناً عاماً لتحرير الإنسان في الأرض من كل سلطان غير سلطان الله بعقبات اعتقادية تصورية وعقبات مادية واقعية،عقبات سياسية واجتماعية واقتصادية وعنصرية وطبقية إلى جانب عقبات العقائد المنحرفة والتصورات الباطلة وتختلط هذه بتلك وتتفاعل معها بصورة معقدة شديدة التعقيد وإذا كان البيان يواجه العقائد والتصورات فإن الحركة تواجه العقبات المادية الأخرى وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم على العوامل الاعتقادية التصورية والعنصرية والطبقية والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة وهما معاً ـ البيان والحركة ـ يواجهان الواقع البشري بجملته بوسائل مكافئة لكل مكوناته وهما معاً لا بد منهما لانطلاق حركة التحرير للإنسان في الأرض الإنسان كله في الأرض كلها وهذه نقطة هامة لا بد من تقريرها مرة أخرى .

إن هذا الدين ليس إعلاناً لتحرير الانسان العربي وليس رسالة خاصة بالعرب إن موضوعه هو الإنسان نوع الإنسان ومجاله هو الأرض كل الأرض إن الله سبحانه ليس رباً للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية وحدهم، إن الله هو رب العالمين وهذا الدين يريد أن يرد العالمين إلى ربهم وأن ينتزعهم من العبودية لغيره والعبودية الكبرى في نظر الإسلام هي خضوع البشر لأحكام يشرعها لهم ناس من البشر وهذه هي العبادة التي يقرر أنها لا تكون إلا لله وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى أنه في هذا الدين. ولقد نص رسول الله ﷺ على أن الاتباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي صار بها اليهود والنصارى مشركين مخالفين لما أمروا به من عبادة الله وحده؛أخرج الترمذي بإسناده عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى

الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم منّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنقه (أي عدي) صليب من فضة وهو (أي النبي ﷺ). يقرأ هذه الآية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ قال فقلت إنهم لم يعبدوهم فقال بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم . وتفسير رسول الله ﷺ لقول الله سبحانه نص قاطع على أن الاتباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي تخرج من الدين وأنها هي اتخاذ بعض الناس أرباباً لبعض الأمر الذي جاء هذا الدين ليلغيه ويعلن تحرير الإنسان في الأرض من العبودية لغير الله ومن ثم لم يكن بد للإسلام أن ينطلق في الأرض لإزالة الواقع المخالف لذلك الإعلان بالبيان وبالحركة مجتمعين وأن يوجه الضربات للقوى السياسية التي تعبد الناس لغير الله أي تحكمهم بغير شريعة الله وسلطانه والتي تحول بينهم وبين الاستماع إلى البيان واعتناق العقيدة بحرية لا يتعرض لها السلطان ثم لكي يقيم نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً يسمح لحركة التحرر بالانطلاق الفعلي بعد إزالة القوة المسيطرة سواء كانت سياسية بحتة أو متلبسة بالعنصرية أو الطبقية داخل العنصر الواحد)[1] .

ويقول أبو الأعلى المودودي (إن دعوة الإسلام إلى التوحيد وعبادة الله الواحد لم تكن قضية كلامية أو عقيدة لاهوتية فحسب شأن غيره من النحل والملل بل الأمر أنها كانت دعوة إلى انقلاب اجتماعي أرادت في أول ما أرادت أن تقطع دابر الذين تسنموا ذروة الألوهية واستعبدوا الناس بحيلهم ومكايدهم المختلفة فمنهم من تبوأ مناصب السدنة والكهان ومنهم من استأثر بالملك والإمرة وتحكم في رقاب الناس ومنهم من استبد بمنابع

---

(١) في ظلال القرآن (٣: ١٤٣٣ - ١٤٣٥).

الثروة وخيرات الأرض وجعل الناس عالة عليهم يتكففون ولا يجدون ما يتبلغون به فأرادت دعوة الإسلام أن تقطع دابرهم جميعاً وتستأصل شأفتهم استئصالاً وهؤلاء تارة تسنموا قمة الألوهية جهراً وعلانية وأرادوا أن يقهروا من حولهم من الناس على أن يذعنوا لأمرهم وينقادوا لجبروتهم مستندين إلى حقوقهم التي ورثوها عن آبائهم أو استأثرت بها الطبقة التي ينتمون إليها فقالوا ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ ، و﴿أنا ربكم الأعلى﴾ و﴿أنا أحيي وأميت﴾ و﴿من أشد منا قوة﴾ إلى غيرها من كلمات الاستكبار ودعاوى الألوهية التي تفوهوا بها وتجاسروا عليها بغياً وعدواناً .

وطوراً استغلوا جهل الدهماء وسفههم فاتخذوا من الأصنام والتماثيل والهياكل آلهة يدعون الناس ويريدونهم على أداء مظاهر العبودية أمام هذه التماثيل والهياكل متوارين بأنفسهم من ورائها يلعبون بعقول الناس ويستعبدونهم لأغراضهم وشهواتهم وهم لا يشعرون فيتبين من ذلك أن دعوة الإسلام إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله الواحد الأحد وتنديده بالكفر والشرك بالله واجتناب الأوثان والطواغيت كل ذلك يتنافى ويتعارض مع الحكومة[1] والعاملين عليها المتصرفين في أمورها والذين يجدون فيها سنداً لهم وعوناً على قضاء حاجاتهم وأغراضهم ومن ثم ترى أنه كلما قام نبي من الأنبياء يجاهر الناس بالدعوة وخاطبهم قائلاً « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » قامت في وجهه الحكومات المتمكنة في عصره وثار عليه جميع من كانوا يستغلون خيرات البلاد ويستثمرونها ظلماً وعدواناً خرجت تقاومه وتضع في سبيل الدعوة العقبات وذلك أن هذه الدعوة لم تكن مجرد بيان لعقيدة كلامية أو شرح لمسألة من مسائل الإلهيات وإنما كانت نداء لانقلاب اجتماعي عالمي ما كانت بوادره لتخفى على المستأثرين بمناصب العز والجاه المستبدين بمنابع الثراء ممن يشمون رائحة الاضطراب

(١) يريد الحكومة التي تستعبد البشر من دون الله وتحلل وتحرم من عند نفسها.

السياسي قبل حدوثه بأعوام . إن الإسلام ليس بمجرد مجموعة من العقيدة الكلامية وجملة من المناسك والشعائر كما يفهم من معنى الدين في هذه الأيام بل الحق أنه نظام شامل يريد أن يقضي على سائر النظم الباطلة الجائرة الجارية في العالم ويقطع دابرها ويستبدل بها نظاماً صالحاً ومنهاجاً معتدلاً يرى أنه خير للإنسانية من النظم الأخرى وأن فيه نجاة للجنس البشري من أدواء الشر والطغيان وسعادة له وفلاحاً في العاجلة والآجلة معاً ودعوته في هذا السبيل سبيل الإصلاح والتجديد والهدم والبناء عامة للجنس البشري كافة لا تختص بأمة دون أمة أو طائفة دون طائفة فهو يدعو بني آدم جميعاً إلى كلمته حتى أنه يهيب بالطبقات الجائرة نفسها ممن اعتدوا حدود الله في أرضه واستأثروا بخيرات الأرض دون سائر الناس يهيب بالملوك والأمراء أنفسهم ويناديهم قائلاً لا تطغوا في الأرض وادخلوا في كنف حدود الله التي حدها لكم وكفوا أيديكم عما نهاكم الله عنه وحذركم إياه فإن أسلمتم لأمر الله ودنتم لنظام الحق والعدل الذي أقامه للناس خيراً وبركة فلكم الأمن والدعة والسلامة فإن الحق لا يعادي أحداً وإنما يعادي الحق الجور والفساد والفحشاء وأن يتعدى الإنسان حدوده الفطرية ويبتغي ما وراء ذلك مما لاحظ له فيه حسب سنن الكون وفطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من آمن بهذه الدعوة وتقبلها بقبول حسن يصير عضواً في الجماعة الإسلامية أو الحزب الإسلامي لا فرق في ذلك بين الأحمر منهم والأسود أو بين الغني منهم والفقير كلهم سواسية كأسنان المشط لا فضل لأمة على أمة أو لطبقة على أخرى وبذلك يتكون ذلك الحزب العالمي أو الأممي الذي سمي حزب الله بلسان الوحي وما أن يتكون هذا الحزب حتى يبدأ بالجهاد في سبيل الغاية التي أنشىء لأجلها فمن طبيعته وما يستدعيه وجوده أن لا يألوا جهداً في القضاء على نظم الحكم التي أسس بنيانها على غير قواعد الإسلام واستئصال شأفتها وأن يستنفد مجهوده في أن يستبدل بها نظاماً للعمران والاجتماع معتدلاً مؤسساً على قواعد ذلك القانون الوسط العدل الذي يسميه القرآن الكريم « كلمة

الله » فإن لم يبذل هذا الحزب الجهد المستطاع ولم يسع سعيه وراء تغيير نظم الحكم وإقامة نظام الحق؛ نظام الحكم المؤسس على قواعد الإسلام ولم يجاهد حق جهاده في هذه السبيل فأتته غايته وقصر عن تحقيق البغية التي أنشىء لأجلها فإنه ما أنشىء إلا لإدراك هذه الغاية وتحقيق هذه البغية بغية إقامة نظام الحق والعدل ولا غاية له ولا عمل إلا الجهاد . ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ ولا يظن أحد أن هذا الحزب « حزب الله بلسان الوحي » مجرد جماعة من الوعاظ المبشرين يعظون الناس في المساجد ويدعونهم إلى مذاهبهم ومسالكهم بالخطب والمقالات ليس إلا . . ليس الأمر كذلك وإنما هو حزب أنشأه الله ليحمل لواء الحق والعدل بيده ويكون شهيداً على الناس ومن مهمته التي ألقيت على كاهله من أول يوم أن يقضي على منابع الشر والعدوان ويقطع دابر الجور والفساد في الأرض والاستغلال الممقوت وأن يكبح جماح الآلهة الكاذبة الذين تكبروا في أرض الله بغير الحق وجعلوا أنفسهم أرباباً من دون الله ويستأصل شأفة ألوهيتهم ويقيم نظاماً للحكم والعمران صالحاً يتفيأ ظلاله القاصي والداني والغني والفقير وإلى هذا المعنى أشار الله تعالى في غير واحدة من آي الذكر الحكيم .

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ .

﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ .

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ .

فتبين من كل ذلك أن هذا الحزب لا بد له من امتلاك ناصية الأمر ولا مندوحة له من القبض على زمام الحكم لأن نظام العمران الفاسد لا

يقوم إلا على أساس حكومة مؤسسة على قواعد العدوان والفساد في الأرض وكذلك ليس من الممكن أن يقوم نظام للحكم صالح ويؤتى أكله إلا بعد ما ينتزع زمام الأمر من أيدي الطغاة المفسدين ويأخذه بأيديهم رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً وأضف إلى ذلك أن هذا الحزب بصرف النظر عما يرمي إليه من إصلاح العالم وبث الخير والفضيلة في أنحاء الأرض كافة لا يقدر أن يبقى ثابتاً على خطته متمسكاً بمنهاجه عاملاً وفق مقتضياته ما دام نظام الحكم قائماً على أساس آخر سائراً على منهاج غير منهاجه وذلك أن حزباً مؤمناً بمبدأ ونظام للحياة والحكم خاص لا يمكن أن يعيش متمسكاً بمبدئه عاملاً حسب مقتضاه في ظل نظام للحكم مؤسس على مبادىء وغايات غير المبادىء والغايات التي يؤمن بها ويريد السير على منهاجها فإن رجلاً يؤمن بمبادىء الشيوعية إن أراد أن يعيش في بريطانيا أو ألمانيا متمسكاً بمبدئه سائراً في حياته على البرنامج الذي تقرره الشيوعية فلن يتمكن من ذلك أبداً لأن النظم التي تقررها الرأسمالية أو الناتسية تكون مهيمنة عليه قاهرة بما أوتيت من سلطان فلا يمكنه أن يتخلص من براثنها أصلاً . وكذلك إذا أراد المسلم أن يقضي حياته مستظلاً بنظام للحكم مناقض لمبادىء الإسلام الخالدة وبوده أن يبقى متمسكاً بمبادىء الإسلام سائراً وفق مقتضاه في أعماله اليومية فلن يتسنى له ذلك ولا يمكنه أن ينجح في بغيته هذه أبداً لأن القوانين التي يراها باطلة والضرائب التي يعتقدها غرماً ونهباً لأموال الناس والقضايا التي يحسبها جائرة عن الحق وافتئاتاً على العدل والنظم التي يعرف أنها مبعث الفساد في الأرض ومناهج التعليم التي يجزم بوخامة عاقبتها وسوء نتائجها ويرى فيها هلاكاً للأمة يجد كل هذه مهيمنة عليه ومسيطرة على بيئته وأهله وأولاده بحيث لا يمكنه أن يتخلص من قيودها وينجو بنفسه وأهله من أثرها ونفوذها فالذي يؤمن بعقيدة ونظام ـ فرداً كان أو جماعة ـ مضطر بطبيعة عقيدته وإيمانه بها أن يسعى سعيه في القضاء على نظم الحكم القائمة على فكرة غير فكرته ويبذل الجهد المستطاع في

إقامة نظام الحكم مستند إلى الفكرة التي يؤمن بها ويعتقد أن فيها سعادة للبشر لأنه لا يتسنى له العمل بموجب عقيدته والسير على منهاجه إلا بهذا الطريق وإذا رأيت رجلا لا يسعى وراء غايته أو يغفل عن هذا الواجب فاعلم أنه كاذب في دعواه ولما يدخل الإيمان في قلبه وبهذا المعنى ورد في التنزيل ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ وأي شهادة أصدق وأي حجة أنصع من شهادة القرآن وحجته ففي هذه الآيات من سورة براءة قد نص القرآن الكريم على أن الذي لا يلبي نداء الجهاد ولا يجاهد بماله ونفسه في سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة الدين الذي ارتضاه لنفسه وتوطيد نظام الحكم المبني على قواعده فهو في عداد الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون . لعلك تبينت مما أسلفنا آنفاً أن غاية الجهاد في الإسلام هي هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها وهذه المهمة مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام غير منحصرة في قطر دون قطر بل مما يريده الإسلام ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة. هذه غايته العليا ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره إلا أنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها. أما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل المحيط بجميع أنحاء الأرض وذلك أن فكرة انقلابية لا تؤمن بالقومية بل تدعو الناس جميعاً إلى سعادة البشر وفلاح الناس أجمعين لا يمكنها أصلاً أن تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من أمة أو قطر بل الحق أنها مضطرة بسجيتها وجبلتها أن تجعل الانقلاب العالمي غايتها التي تضعها نصب عينها ولا تغفل عنها طرفة عين فإن الحق

يأبى الحدود الجغرافية ولا يرضى أن ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافية واصطلحوا عليها)[1] .

وهناك أهداف وحكم للجهاد كلها تابعة للهدف الرئيسي الذي تقدم آنفاً وتصب فيه منها على سبيل المثال :

١ ـ رد اعتداء المعتدين على المسلمين

قال تعالى ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾[3] .

وقال ﷺ عن ربه أنه قال : (إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً فقلت ربي إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك . . الحديث)[4] .

وقد تقدم معنا أن علماء الإسلام أجمعوا على أن رد اعتداء الكفار عن المسلمين فرض عين على كل قادر .

٢ ـ إزالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا إلى دلائل التوحيد من غير عائق

---

(١) مقتطفات من كلام أبي الأعلى المودودي نقلها سيد في الظلال (٣:١٤٤٨ - ١٤٥١).

(٢) البقرة: ١٩٠

(٣) التوبة: ١٣.

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي (١٧ : ١٩٨).

وحتى يروا نظام الإسلام مطبقاً ليعرفوا ما فيه من عدل وإصلاح للبشر وما فيه من سمو في شتى المجالات . والفتنة ثلاثة أنواع :

النوع الأول: ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين ليرتدوا عن دينهم . وقد ندب الله المسلمين للجهاد لإنقاذ المستضعفين . قال تعالى : ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾[1]

النوع الثاني: هو الأوضاع والأنظمة الشركية وما ينتج عنها من فساد في شتى مجالات الحياة فإن هذه من شأنها أنها تفتن المسلم عن دينه لذلك صارت إزالتها هي الهدف الرئيسي للجهاد كما سبق أن بينا أن اكثر السلف يفسرون الفتنة في قوله تعالى ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ بالشرك.ومن فسر الفتنة بما يمارسه الكفار لصد المسلم عن دينه من أنواع التعذيب فلا منافاة بين قوله وقول الفريق الأول؛فإزالة الشرك مقصودة ورفع الفتنة عن المسلمين وانقاذ المستضعفين مقصود كذلك وقد دل على كلا الأمرين الكتاب والسنة وإجماع فقهاء الأمة كما تقدم . ومن هذا الباب إخضاع أهل الجزية لأحكام الإسلام ومنعهم من المجاهرة بدينهم ومنعهم من التعامل بالربا والزنا ونحو ذلك لأن هذه الأوضاع من شأنها أنها تفتن المسلم عن دينه وقد أمر الله المسلمين بالجهاد حتى تزول الفتنة ورسول الله ﷺ لما صالح أهل نجران أرسل إليهم من الصحابة من يقيم على البلاد حكم الإسلام إلا في أمور النصارى الخاصة بهم داخل كنائسهم واشترط عليهم ألا يتعاملوا بالربا فإن تعاملوا به فذمة الرسول ﷺ منهم

---

(١) النساء: ٧٥

بريئة[1] . ومن إزالة الفتنة عن المسلمين فك أسراهم فإن من شأن الكفار أنهم يفتنون الأسرى عن دينهم لذلك قال الفقهاء إن فك الأسير فرض عين على المسلمين ويتعين عليهم الجهاد حتى يستنقذوا أسرى المسلمين جميعاً[2] . وقال ابن بطال فكاك الأسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور[3] .

قلت معلوم أن فرض الكفاية إذا لم يقم به من يكفي صار فرض عين على القادر حتى تحصل الكفاية فإزالة الفتنة عن المسلمين وإعزاز المسلمين وإذلال الكافرين كلها من مقصود الجهاد . وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رفع إليه ذمي نخس دابة عليها امرأة مسلمة فرمحت فأسقطتها فانكشف بعض عورتها فأمر بصلبه في الموضع[4] . وقول الله تعالى : ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ دليل على أن إلزام الكفار الذلة والصغار من أهداف الجهاد الإسلامي وكذلك إعزاز المسلمين ورفع المهانة عنهم فقد كان من أسباب طرد الرسول ﷺ ليهود بني قينقاع أن منهم رجلاً كشف عورة امرأة مسلمة ليضحك الناس عليها فقتله رجل من المسلمين كان حاضراً فلم ينكر النبي ﷺ قتل ذلك اليهودي الذي رام إذلال المسلمة بل كاد أن يقتل بقية يهود بني قينقاع حتى شفع فيهم رأس النفاق بالمدينة لعنه الله وأخزاه فترك الرسول ﷺ قتلهم لمقاصد شرعية وأجلاهم عن المدينة[5] .

النوع الثالث : فتنة الكفار أنفسهم وصدهم عن استماع الحق وقبوله

---

(١) انظر الخراج لأبي يوسف (ص ٧٧).
(٢) انظر القوانين الفقهية لابن جزي المالكي (ص ١٢٦).
(٣) فتح الباري لابن حجر (٦ : ١١٦).
(٤) تفسير القرطبي (٨ : ٨٣).
(٥) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٤ : ٣).

وذلك أن الأنظمة والحكومات الشركية تقيم حاجزاً بين الناس واستماع الحق أو قبوله بتخريبها لفطر الناس بما تشرعه لهم من مناهج في شتى مجالات الحياة فإذا فسدت فطر الناس وعقولهم قل أن يستجيبوا للهدى وإذا تربى جيل على الذلة والمهانة والعبودية للخلق من دون الخالق وتربى على الإدمان على الخمر والتمرغ في وحل الجنس والتحلل من الأخلاق الفاضلة قل أن يرتفع إلى مستوى النفس البشرية السوية التي تعرف المعروف من المنكر وتحب الخير وتبغض الشر إلا أن يتداركه الله برحمة منه . لذا كان من أهداف الجهاد إزالة الفتنة عن الكفار أنفسهم بالإضافة إلى إزالتها عن المسلمين من باب أولي فإذا زالت الفتنة عن الكفار المحكومين من قبل الطغاة المتألهين الذين يشرعون ما يفسد الفطرة البشرية لكي يضمنوا عبوديتها لهم رجي إسلامهم واستجابتهم لداعي الهدى لا سيما إذا عاشوا في المجتمع الإسلامي الذي يخضع لتشريعات الله العليم الخبير خالق النفس البشرية والعالم بما يصلحها وهذا طرف من الحكمة الإلهية في تشريع الجزية على أهل الكتاب والمجوس لإعطائهم فرصة تصلح فيها فطرهم بتطبيقها لتشريعات الإسلام العامة ومخالطة المسلمين ومعرفة ما في الدين الإسلامي من تكريم للنفس البشرية وانتشالها من القبائح إلى الفضائل ومن عبادة الخلق والشيطان والهوى إلى عبادة الحي القيوم .

٣ ـ حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار ومن الأدلة على هذا الهدف العظيم ما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه رضي الله عنه قال دعاني رسول الله ﷺ فقال إنه قد بلغني أن خالد ابن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعرنة فأته فاقتله قال قلت يا رسول الله انعته لي حتى أعرفه قال إذا رأيته وجدت له أقشعريرة قال فخرجت متوشحاً بسيفي حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلاً وحين كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما

وصف لي رسول الله ﷺ من الاقشعريرة فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أومىء برأسي الركوع والسجود فلما انتهيت له قال من الرجل قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا قال أجل أنا في ذلك قال فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني فقال أفلح الوجه قال قلت قتلته يا رسول الله قال صدقت قال ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته فأعطاني عصا فقال أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس قال فخرجت بها على الناس فقالوا ما هذه العصا قال قلت أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها قالوا أولا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا قال آية بيني وبينك يوم القيامة إن أقل الناس [المتخصرون] يومئذ يوم القيامة فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فصبت معه في كفنه ثم دفنا جميعاً)(1).

ومن ذلك أمر الرسول ﷺ بقتل كعب بن الأشرف اليهودي(2) وسلام ابن أبي الحقيق اليهودي(3) فإنهما كانا مصدر خطر على الدولة الإسلامية فأرسل لهما الرسول ﷺ من يقتلهما.

ومن ذلك حض الرسول ﷺ على الرباط وحراسة المسلمين والرباط هو المرابطة في الثغور على حدود الدولة الإسلامية وفي مقابلة الأعداء والأحاديث في فضل الرباط كثيرة جداً منها ما رواه الإمام أحمد بسنده عن

(1) مسند أحمد بن حنبل (٣: ٤٩٦) وما بين معكوفين كتب (المنحصرون) والتصويب من صحيح ابن حبان ١٦/ ١١٥ (٧١٦٠)، وصحيح ابن خزيمة ٢/ ٩٢.

(2) انظر قصة مقتله في صحيح البخاري (٥: ٢٥).

(3) انظر قصة مقتله في البداية لابن كثير (٤: ١٣٧).

أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من مات مرابطاً وقي فتنة القبر وأومن من الفزع الأكبر وغدى عليه وريح برزقه من الجنة وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة(١) .

وقال البخاري رحمه الله في صحيحه باب فضل رباط يوم في سبيل الله وقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . ثم روى بسنده عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها . . . الحديث(٢) .

وفيما تقدم دليل جلي على أن حماية الدولة الإسلامية من أهداف الجهاد العظيمة ولكن مما ينبغي أن يتنبه له أن الدولة الإسلامية ليست حوزة من الأرض لها حدود معينة يحافظ عليها فقط بل كلما امتد الإسلام إلى أرض وأزال عنها أنظمة الشرك صارت داخلة في الدولة الإسلامية فعلى المسلمين المحافظة عليها ودفع سلطان الإسلام إلى الأمام في الأراضي المجاورة لكي تتوسع رقعة الدولة الإسلامية لأن الإسلام يتطلب الأرض كلها ليخضعها لحكم الله ورسوله ﷺ فليس دين الله مراداً به بلداً معيناً أو جنساً معيناً من الأجناس البشرية .

يقول سيد قطب (وحقيقة أن حماية دار الإسلام حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج ولكنها هي ليست الهدف النهائي وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى

---

(١) مسند أحمد بن حنبل (٢ : ٤٠٤).
(٢) صحيح البخاري (٣ : ٢٢٤).

الأرض كلها وإلى النوع الإنساني بجملته فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين والأرض هي مجاله الكبير)[1] .

٤ ـ قتل الكافرين وإبادتهم ومحقهم وذلك لأن الكفر كالسرطان بل أشد فإذا لم يسلم الكافر أو يخضع للحكم الإسلامي فلا بد من استئصاله حتى لا يفسد المجتمع الذي يوجد فيه . يقول سبحانه وتعالى : ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق . . الآية﴾[2] .

ويقول جل شأنه ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾[3] . ﴿فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾[4] . ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل﴾[5] . ﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾[6] . ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾[7] ﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم فينقلبوا خائبين﴾[8] . ومن ترغيب الرسول ﷺ في قتل الكافرين قوله ﷺ « لا يجتمع في النار كافر وقاتله أبداً »[9] ويدل على هذا أيضاً حرص رسول الله ﷺ على قتل أبي جهل وغيره من صناديد الكفر . يقول عبد الله بن مسعود

---

(١) في ظلال القرآن (٣ : ١٤٤١) .
(٢) محمد : ٤ .
(٣) التوبة : ١٤
(٤) الأنفال : ١٢
(٥) البقرة : ١٩١ .
(٦) الأنفال : ٧
(٧) الأنفال : ٦٧
(٨) آل عمران : ١٢٧
(٩) سنن أبي داود مع عون المعبود (٧ : ١٧٢) .

رضي الله عنه عن مقتل أبي جهل (فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل فأصبت يده فندر سيفه فأخذته فضربته حتى قتلته قال ثم خرجت حتى أتيت النبي ﷺ كأنما أقل من الأرض فأخبرته فقال آلله الذي لا إله إلا هو فرددها ثلاثاً قال قلت آلله الذي لا إلّه إلا هو قال فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله. هذا كان فرعون هذه الأمة)[1].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استشاره رسول الله ﷺ في أسارى بدر (أرى أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم)[2] وقد نزل القرآن الكريم حاضاً على هذا الهدف وهو قتل صناديد الكفر حتى يتم الإثخان في الأرض . قال تعالى : ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ولولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾[3] .

٥ ـ إرهاب الكفار وإخزاؤهم وإذلالهم وإيهان كيدهم وإغاظتهم :﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[4] . ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣ : ٢٨٩). وقارن بما في مسند أحمد (١ : ٤٤٤).
(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٣ : ٢٩٧).
(٣) الأنفال: ٦٧ ـ ٦٨.
(٤) الأنفال: ٥٩.

من يشــاء والله عليم حكيم﴾[1] . ﴿ذلكم وأن الله مــوهن كيــد الكافرين﴾[2] .

ومما يدل على أن إخافة العدو من مقاصد الجهاد ما رواه الإمام أحمد عن أم مالك البهزية رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ خير الناس في الفتنة رجل معتزل في ماله يعبد ربه ويؤدي حقه ورجل آخذ برأس فرسه في سبيل الله يخيفهم ويخيفونه[3] . ويقول ابن القيم (. . . ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له وقد أشار سبحانه إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه أحدها قوله تعالى : ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾ سمى المهاجر الذي يهاجر إلى عبادة الله مراغماً يراغم به عدو الله وعدوه والله يحب من وليه مراغمة عدوه وإغاظته كما قال تعالى : ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ وقال تعالى في مثل رسول ﷺ وأتباعه ﴿ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ فمغايظة الكفار غاية محبوبة للرب مطلوبة فموافقته فيها من كمال العبودية وشرع النبي ﷺ للمصلي إذا سها في صلاته سجدتين وقال إن كانت صلاته تامة كانتا ترغمان أنف الشيطان وفي رواية تـرغيماً للشيـطان وسماهمـا المرغمتين فمن تعبد الله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة ولأجل هذه المراغمة حمد التبختر بين الصفين . .)[4] .

---

(١) التوبة: ١٤ ـ ١٥.

(٢) الأنفال: ١٨.

(٣) المسند(٦ : ٤١٩).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (١ : ٢٢٦).

وللجهـاد أهداف سـامية ومصـالح كـريمة وفـوائد عـظيمة تتحقق للمسلمين في ذوات أنفسهم إذا مارسوا الجهاد منها على سبيل المثال :

١ ـ كشف المنافقين فإن المسلمين في حال الرخاء والسعة ينضاف إليهم غيرهم ممن يطمعون في تحقيق مكاسب مادية وهم لا يريدون رفع كلمة الله على كلمة الكفر وقد يتصنعون الإخلاص فيخفى أمرهم على كثير من المسلمين وأكبر كاشف لهم هو الجهاد . لأن في الجهاد بذلاً لأغلى ما يملك الإنسان غير عقيدته وهو روحه والمنافق ما نافق إلا ليحفظ روحه وليوفر لنفسه ملذاتها فإذا دعا داعي الجهاد الذي قد يعرضه لفقد روحه انكشف نفاقه للناس . يقول الله تعالى : ﴿ما كان الله ليـذر المؤمنين على مـا أنتم عليـه حتى يميـز الخبيث من الطيب﴾[1] . ويقول ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتـال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾[2]. ومعرفة المؤمنين للمنافقين فيها فوائد لا تحصى، فإنهم العدو الداخلي وخطرهم يفوق خطر العدو الخـارجي أحيانـاً. فإذا عرفوا منعوا من الغزو مع المسلمين ولا يستمع المؤمنون لما يعرضونه عليهم من أراجيف وتثبيط ومن أقاويـل يلبسـونهـا ثيـاب النصـح والإصلاح وجاهدهم المؤمنون بما أمرهم الله به ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾[3] .

٢ ـ تمحيص المؤمنين من ذنوبهم فإن المجاهد المسلم إذا أخلص النية لله إذا حضر المعركة فقتل الكفار نال ثواباً عظيماً كما جاء في الحديث لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبداً[4] . وإذا خالط قلبه الرهج والخوف

(١) آل عمران: ١٧٩

(٢) محمد: ٢٠

(٣) التوبة: ٧٣.

(٤) سنن أبي داود مع عون المعبود (٧ : ١٧٢).

في سبيل الله تحاتت عنه خطاياه كما سيأتي في فضائل الجهاد وأما إذا قتله الكفار فذلك الفوز الذي لا يعدله فوز . الشهادة وما أدراك ما الشهادة .

يقول ﷺ ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة(١) . وسيأتي بيان فضائل الشهداء إن شاء الله وإنما المقصود هنا أن الشهادة في سبيل الله وتكفير الذنوب هدف رفيع وفائدة عظيمة تعود على المسلمين من جهادهم. يقول تعالى: ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾(٢) . وقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم هذا الهدف الرفيع وهو تمحيص الذنوب وهذه الفائدة العظيمة والمنزلة الرفيعه وهي الشهادة فشمروا وتسابقوا للفوز بذلك يقول ابن إسحاق عن أصحاب غزوة مؤتة (ثم مضوا حتى نزلوا معاناً من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة قال فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس)(٣) . (ولما صاف

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٦:٣٢).

(٢) آل عمران: ١٤٠ ـ ١٤٢ .

(٣) البداية والنهاية (٤ :٢٤٣).

رسول الله ﷺ وأصحابه المشركين في بدر قال لأصحابه قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض قال عمير بن الحمام الأنصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض قال نعم قال بخ بخ فقال رسول الله ﷺ ما يحملك على قول بخ بخ قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال فإنك من أهلها فأخرج تمرات من قرنه ثم جعل يأكل منهن) ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم وهو يقول:

ركضا إلى الله بغير زاد ... إلا التقى وعمل الميعاد
والصبر في الله على الجهاد ... وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

وقاتلهم حتى استشهد رحمه الله رحمة واسعة[1] .

٣ ـ تربية المؤمنين على الصبر والثبات والطاعة وبذل النفس وغير ذلك من الفوائد التربوية فإن الركون إلى الراحة والدعة وعدم ممارسة الشدائد والصعاب تورث العبد ذلاً وخمولاً وتشبثاً بمتاع الحياة الدنيا ، وخوض المعارك ومقارعة الأعداء والتعرض لنيل رضا الله في ساحات الوغى يصقل النفوس ويهذبها ويذكرها بمصيرها ويوجب لها استعداداً للرحيل حتى تصبح ممارسة الجهاد عادة لها تشتاق لها كما يشتاق الخاملون للقعود والراحة . وتتربى في النفس البشرية من الجهاد صفات كثيرة كصفة الشجاعة والنجدة والصبر والأخوة والعفو ونحو ذلك من الصفات المحمودة ويزول من النفس ما يقابلها من الصفات المذمومة كصفة الجبن والشح والأنانية ونحو ذلك .

٤ ـ الحصول على الغنائم والسبي . وإن لها لموقعاً في النفس البشرية .

---

(١) البداية لابن كثير(٣ : ٢٧٧) .

ولذلك كان ﷺ يعطي القاتل سلب المقتول وينفل جزءاً من الغنيمة لبعض الجيش إذا قاموا بعمل حربي بمفردهم . وقال لبعض أصحابه لما بلغه خبر عير أبي سفيان راجعة من الشام (هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها)[١] .

وقال ﷺ حين خروجه من المدينة قاصداً التعرض لعير قريش « اللهم إنهم حفاة فاحملهم اللهم إنهم عراة فاكسهم اللهم إنهم جياع فأشبعهم »[٢] . وقال القرطبي (ودل خروج النبي ﷺ ليلقى العير على جواز النفير للغنيمة لأنها كسب حلال وهو يرد ما كره مالك من ذلك إذ قال ذلك قتال على الدنيا .

وما جاء أن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله دون من يقاتل للغنيمة يراد به إذا كان قصده وحده وليس للدين فيه حظ [٣] .

وقال أيضاً (ثم قيل الأسباب التي يطلب بها الرزق ستة أنواع أعلاها كسب نبينا محمد ﷺ قال: جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري أخرجه الترمذي وصححه فجعل الله رزق نبيه ﷺ في كسبه لفضله وخصه بأفضل أنواع الكسب وهو أخذ الغلبة والقهر لشرفه)[٤] . وقال الشوكاني (قال ابن أبي جمرة ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول قصد إعلاء كلمة الله لم يضره ما ينضاف إليه)[٥]. وبهذا يظهر والله أعلم أن قصد الغنيمة يكون من أهداف

---

(١) البداية والنهاية (٣: ٢٥٦).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني المجلد الثالث رقم الحديث ١٠٠٣ .
(٣) تفسير القرطبي (٧: ٣٧٦).
(٤) تفسير القرطبي (٨: ١٠٨).
(٥) نيل الأوطار للشوكاني (٧: ٢٤٤).

الجهاد التابعة لا الأصلية والذي لا يجاهد إلا للغنيمة فلا خير في جهاده لأن الهدف الأصلي للجهاد هو إعلاء كلمة الله وخفض كلمة الطاغوت ومد سلطان الله على الأرض فإذا قصد المسلم بجهاده هذا ثم اشتاقت نفسه ورغبت في الحصول على غنيمة من الكفار بعد كسر شوكتهم والاستيلاء عليهم فلا حرج في ذلك إن شاء الله تعالى.

وإذا كانت هذه هي معظم أهداف الجهاد ومقاصده فما هي الغاية التي يتوقف عندها الجهاد ؟

إن الغاية التي يتوقف عندها الجهاد هي إسلام أهل الارض كلهم واعتناقهم عقيدة الإسلام من غير أهل الكتاب والمجوس، أما أهل الكتاب والمجوس فإذا دفعوا الجزية ملتزمين لأحكام الاسلام القضائية حال كونهم في ذل وصغار فإن المسلمين يوقفون جهادهم ويكفون عنهم ويحمونهم من عدوهم ولن يتوقف الجهاد الإسلامي مدى الحياة لأن الشيطان مستمر في إغواء بعض البشر والصراع بين الحق والباطل سنة إلهية لا تنتهي حتى ينتهي وجود البشر في هذه الأرض فعن جبير بن نفير أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى النبي ﷺ فقال إني سئمت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قلت لا قتال فقال النبي ﷺ: (الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يرفع الله قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك ألا إن عقر دار المؤمنين الشام والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)[1].

وقال ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناواهم إلى يوم القيامة)[2].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل (٤: ١٠٤).

(٢) مسند أحمد بن حنبل (٤: ٩٣). وهو في الصحيحين انظر اللؤلؤ والمرجان رقم ١٢٥٠.

وقال البخاري في صحيحه رحمه الله: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر لقول النبي ﷺ: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) قال ابن حجر في شرحه لهذه الترجمة: (سبقه إلى الاستدلال بهذا الإمام أحمد لأنه ﷺ ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة وفسره بالأجر والمغنم. والمغنم المقترن بالأجر إنما يكون من الخيل بالجهاد ولم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً فدل على أن لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر)[1].

وبهذا يظهر أن الجهاد مستمر إلى قيام الساعة وأنه لا ينتهي جهاد الكفار إلا إذا أسلموا أو خضعوا لحكم الإسلام ودفعوا الجزية حالة كونهم متلبسين بالذل والصغار واختلف العلماء رحمهم الله فيمن تؤخذ منه الجزية من الكفار وهذا ملخص لأقوالهم:

أجمع المسلمون على أن اليهود والنصارى من غير العرب إذا دفعوا الجزية وجب الكف عن قتالهم أما غيرهم فأشهر المذاهب في ذلك أربعة:

الأول: وهو قول الشافعي والمشهور من مذهب الإمام أحمد ومذهب أبي ثور والثورى أنه لا يقبل من أهل الشرك إلا الإسلام أو السيف ومن أوضح أدلة هذا القول أن الله فرق بين المشركين وبين أهل الكتاب في سورة التوبة فقال عن المشركين: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾[2] وقال عن أهل الكتاب: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٦: ٤٢).

(٢) التوبة: ٥

الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾[1]. وكذلك قوله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله) وما شابه ذلك من الأحاديث التي تجعل الغاية في القتال الدخول في الإسلام فهذه هي الغاية العظمى للجهاد وهي الدخول في الإسلام ويستثنى من القاعدة العامة ما استثناه الدليل وهم أهل الكتاب والمجوس.

الثاني: وهو قول أبي حنيفة ورواية عن الإمام أحمد وابن القاسم وأشهب وسحنون أن الجزية لا تؤخذ من العرب وتؤخذ ممن عداهم من الكفار عموماً.

الثالث: وهو رواية عن الإمام مالك وادعى ابن جهم عليه الإجماع أن الجزية لا تقبل من قريش فقط وتقبل من سائر الكفار.

الرابع: ان الجزية تقبل من كل كافر على وجه الأرض أياً كان دينه وهذا مروي عن الإمام مالك والأوزاعي وابن القيم وإليه مال كثير من المعاصرين[2].

ومن أوضح أدلة هذا القول الأخير حديث بريدة الذي جاء فيه: (وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ـ وذكر الإسلام والجزية والقتال إن هم أبوا. . . الحديث)[3]. غير أن أصحاب القول الأول الذين لا يرون أخذ الجزية من المشركين يقولون المراد بلفظ المشركين في هذا الحديث أهل الكتاب فإنهم يطلق عليهم اسم المشركين لما في عقائدهم من الإشراك

---

(١) التوبة: ٢٩

(٢) انظر هذه المذاهب وأدلة اصحابها في تفسير القرطبي (٨: ١١٠) وأحكام أهل الذمة لابن القيم (١: ٣٨٩) واختلاف الفقهاء للطبري (ص ٢٠٠) والمغني لابن قدامة (٨: ٣٦٢).

(٣) صحيح مسلم مع النووي (١٢: ٣٨).

قال الله عن اليهود والنصارى: ﴿ وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله.. ﴾[1] الآية ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.. ﴾[2].

والذي يظهر لي والله تعالى أعلم بالصواب أن القول الراجح هو قول الشافعي والمشهور عن الإمام أحمد وهو أن أهل الشرك لا يقبل منهم إلاالإسلام أو السيف أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء أكانوا عرباً أم غير عرب فتقبل منهم الجزية وكذلك المجوس وإن كانوا مشركين للأدلة المخصصة لهم من سائر المشركين. وهذا الترجيح لأمرين.

الأمر الأول: لو كان حكم الكفار واحداً عند الصحابة لما توقف عمر في أخذ الجزية من المجوس حتى شهد أحد الصحابة بحكمهم كما جاء في الحديث الذي رواه مالك في الموطأ: (إن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب)[3]. وذكر البخاري نحو هذا الحديث وقال ابن حجر في شرحه على هذا الحديث: (وفيه التمسك بالمفهوم لأن عمر فهم من قوله أهل الكتاب اختصاصهم بذلك حتى حدثه عبد الرحمن بن عوف بإلحاق المجوس بهم فرجع إليه)[4]. وقال أيضاً وروى أبو عبيد بإسناد صحيح عن حذيفة لولا أني رأيت أصحابي أخذوا الجزية من المجوس ما أخذتها[5].

وكل هذا في نظري يدل على أن الصحابة لو فهموا أن الجزية تؤخذ

---

(١) التوبة: ٣٠

(٢) التوبة: ٣١

(٣) موطأ مالك (ص ١٨٨).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (٦: ١٨٥ - ١٨٦).

(٥) المصدر السابق.

من كل كافر لما توقفوا في أخذها من المجوس، ثم ان عبد الرحمن بن عوف أخبرهم بقول الرسول ﷺ فيه النص على المجوس ولم يقل لهم إن آية التوبة عامة وليست خاصة بأهل الكتاب.

الأمر الثاني: أن أهل الكتاب ليسوا كغيرهم من المشركين فهم أقرب إلى الإسلام لإيمانهم بالمعاد والنبوات ثم إن بقاءهم تحت حكم المسلمين أقل خطراً من المشركين فهم يحرمون الفواحش كالزنا واللواط والسرقة ونحو ذلك ولذلك يكون بقاؤهم بالجزية فيه مصلحةلهم لتوقع إسلامهم ومصلحة للمسلمين للاستفادة من جزيتهم مع انتفاء انتشار الفساد الذي يحدث من المشركين وهذا إذا حكموا على وفق الشروط التي استنبطها الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم أما إذا ترك لهم الحبل على الغارب ورفع عنهم الصغار والذل الذي ألزمهم الإسلام به فإن خطرهم عظيم كما حدث في أواخر العصور الإسلامية لما تساهل بعض خلفاء بني العباس مع أهل الكتاب وقد لخص ابن القيم رحمه الله الحكمة من بقاء أهل الكتاب والمجوس بالجزية دون غيرهم من الكفار ـ وذلك في معرض ذكره لأقوال العلماء القائلين بذلك ـ فقال: (قال المخصصون بالجزية لأهل الكتاب المراد من إرسال الرسل وإنزال الكتب إعدام الكفر والشرك من الأرض وأن يكون الدين كله لله كما قال تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ ومقتضى هذا ألا يقر كافر على كفره ولكن جاء النص بإقرار أهل الكتاب إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فاقتصرنا بها عليهم وأخذنا في عموم الكفار بالنصوص الدالة على قتالهم إلى أن يكون الدين كله لله. قالوا ولا يصح إلحاق عبدة الأوثان بأهل الكتاب لأن كفر المشركين أغلظ من كفر أهل الكتاب فإن أهل الكتاب معهم من التوحيد وبعض آثار الأنبياء ما ليس مع عباد الأصنام ويؤمنون بالمعاد والجزاء والنبوات بخلاف عبدة الأصنام وعبدة الأصنام حرب لجميع الرسل وأممهم من عهد نوح إلى خاتم الأنبياء

والمرسلين ولهذا أثر هذا التفاوت الذي بين الفريقين في حل الذبائح وجواز المناكحة من أهل الكتاب دون عباد الأصنام ولا ينتقض هذا بالمجوس فإن رسول الله ﷺ أمر أن يسن بهم سنّة أهل الكتاب وهذا يدل على أن الجزية إنما تؤخذ من أهل الكتاب وأنها إنما وضعت لأجلهم خاصة وإلا لو كانت الجزية تعم جميع الكفار لم يكن أهل الكتاب أولى بها من غيرهم ولقال لهم حكم أمثالهم من الكفار يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية. وأما تحريم ذبائحهم ومناكحتهم فاتفاق من الصحابة رضي الله عنهم ولهذا أنكر الإمام أحمد وغيره على أبي ثور طرده القياس وإفتاءه بحل ذبائحهم وجواز مناكحتهم ودعا عليه أحمد حيث أقدم على مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ والصحابة كانوا أفقه وأعلم وأسد قياساً ورأياً فإنهم أخذوا في الدماء بحقنها موافقة لقول رسول الله ﷺ وفعله حيث أخذها منهم وأخذوا في الأبضاع والذبائح بتحريمها احتياطاً وإبقاءً لها على الأصل وإلحاقاً لهم بعباد الأوثان إذ لا فرق في ذلك بين عباد الأوثان وعباد النيران فالأصل في الدماء حقنها وفي الأبضاع والذبائح تحريمها فأبقوا كل شيء على أصله وهذا غاية في الفقه وأسد ما يكون من النظر. قالوا ولله تعالى حكم في إبقاء أهل الكتابين بين أظهرنا فإنهم مع كفرهم شاهدون بأصل النبوات والتوحيد واليوم الآخر والجنة والنار وفي كتبهم من البشارات بالنبي ﷺ وذكر نعوته وصفاته وصفات أمته ما هو من آيات نبوته وبراهين رسالته وما يشهد بصدق الأول والآخر وهذه الحكمة تختص بأهل الكتاب دون عبدة الأوثان فبقاؤهم من أقوى الحجج على منكر النبوات والمعاد والتوحيد وقد قال تعالى لمنكري ذلك: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ ذكر هذا عقب قوله: ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ يعني سلوا أهل الكتاب هل أرسلنا قبل محمد رجالاً يوحى إليهم أم كان محمد بدعا من الرسل لم يتقدمه رسول حتى يكون إرساله أمراً منكراً لم يطرق العالم رسول قبله وقال تعالى: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون

الرحمن آلهة يعبدون﴾ والمراد بسؤالهم سؤال أممهم عما جاؤوهم به هل فيه أن الله شرع لهم أن يعبدوا من دونه إلهاً غيره قال الفراء المراد سؤال أهل التوارة والإنجيل فيخبرونه عن كتبهم وأنبيائهم وقال ابن قتيبة التقدير واسأل من أرسلنا إليهم رسلاً من قبلك وهم أهل الكتاب وقال ابن الأنباري التقدير وسل من أرسلنا من قبلك وعلى كل تقدير فالمراد التقرير لمشركي قريش وغيرهم ممن أنكر النبوات والتوحيد وأن الله أرسل رسولاً أو أنزل كتاباً أو حرم عبادة الأوثان فشهادة أهل الكتاب بهذا حجة عليهم وهي من أعلام صحة رسالته ﷺ إذ كان قد جاء على ما جاء به إخوانه الذين تقدموه من رسل الله سبحانه ولم يكن بدعا من الرسل ولا جاء بضد ما جاءوا به بل أخبر بمثل ما أخبروا به من غير شاهد ولا اقتران في الزمان وهذه من أعظم آيات صدقه﴾[1]، والله أعلم.

ولما كان المرتدون والمنافقون يشاركون الكفرة الأصليين في الكفر نبين حكم جهادهم في الفصل الآتي.

---

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم (١ : ٩ - ١٢).

٤ ـ حكم جهاد المرتدين والمنافقين

الردة والنفاق من أخبث أنواع الكفر قال تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾[١] وقال: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا﴾[٢] ولأن للمنافقين والمرتدين حالات خاصة يخالفون فيها الكفار الأصليين أفردتهم بالذكر بعنوان مستقل. وقبل بيان حكم جهادهم نذكر توطئة موجزة لبيان ما هي الردة وما هو النفاق.

فنقول: الردة في اللغة من رد والرد صرف الشيء ورجعه. وارتد عنه تحول عنه. وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه[٣].

وعلى هذا فكل من دخل في الإسلام ثم خرج منه إلى دين النصارى أو اليهود أو أي دين من الأديان الوضعية كالبوذية أو إلى غير دين كالملاحدة أو نقض إسلامه بناقض وإن لم يرد الخروج من الإسلام بالكلية فهو مرتد وهو المقصود بالجهاد في هذا المبحث. . فكل من تلبس بنوع

---

(١) البقرة: ٢١٧

(٢) النساء: ١٤٥.

(٣) لسان العرب (٣:١٧٢ ـ ١٧٣).

من أنواع الشرك والكفر والنواقض الآتية بعد دخوله في الإسلام يجاهد بالسيف بعد قيام الحجة الرسالية عليه. وهذه الأنواع باختصار هي:

(١) شرك الدعاء. قال تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾[٢].

(٢) شرك النية والإرادة والقصد إذا ظهر ما يدل عليه. قال تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كنوا يعملون﴾[٣].

(٣) شرك الطاعة. قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾[٤].

(٤) شرك المحبة. قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله﴾[٥].

---

(١) العنكبوت: ٦٥

(٢) الحج: ١١ ـ ١٣

(٣) هود: ١٥ ـ ١٦.

(٤) التوبة: ٣١

(٥) البقرة: ١٦٥

(٥) كفر التكذيب. قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾[١].

(٦) كفر الإباء والاستكبار. قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[٢].

(٧) كفر الشك وهو كفر الظن. قال تعالى: ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً لكنَّا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً﴾[٣].

(٨) كفر الإعراض[٤]. قال تعالى: ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾[٥].

(٩) كفر إنكار الضروري من الدين كوجوب الصلاة والزكاة وتحريم الخمر ونحو ذلك وهذا بإجماع المسلمين[٦]. يقول الشيخ ابن تيمية لما سئل عن الدرزية والنصيرية ما حكمهم - (هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم بل ولا يقرون بالجزية فإنهم مرتدون عن دين الإسلام ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس ولا وجوب صوم

---

(١) العنكبوت: ٦٨

(٢) البقرة: ٣٤

(٣) الكهف: ٣٥ - ٣٧

(٤) بتصرف من مجموعة التوحيد (ص ٥ - ٦).

(٥) الأحقاف: ٣.

(٦) انظر (ص ٨١) من إكفار الملحدين في ضروريات الدين للكشميري و (ص ١١٦) من إيثار الحق لليماني.

رمضان ولا وجوب الحج ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرهما وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين)(١)

١٠ ـ كفر التشريع من دون الله بما يخالف حكم الله تعالى. قال الله تعالى ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾(٢). يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قداقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قال الله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون) أي يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين بخلقه من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥ : ١٦١).

(٢) المائدة: ٥٠

كل شيء العادل في كل شيء)[1]. وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله (إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً».... فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصلاً بل أحدهما ينافي الآخر.... فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام، مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر أسراب يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقهرهم عليه وتحتمه عليهم فأي كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة)[2]. وقال الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله (من أصدر تشريعاً عاماً ملزماً للناس يتعارض مع حكم الله فهذا يخرج من الملة كافراً)[3]. وقال الشيخ عبد العزيز بن باز - في معرض رده على القوميين - (الوجه الرابع من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال، إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف وهذا هو

---

(١) تفسير ابن كثير (٣: ١٢٣).

(٢) (ص ١ - ٣ - ٧) من رسالة تحكيم القوانين لابن إبراهيم.

(٣) الإيمان ومبطلاته للشريده (ص ١٤٤).

الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة)[1]. ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عليه رحمة الله عند تفسيره لقوله تعالى ﴿مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً﴾[2]. (وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهورأنّ الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم،إنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم. واعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السموات والأرض وبين النظام الذي لا يقتضي ذلك وإيضاح ذلك أن النظام قسمان إداري وشرعي. أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع فهذا لا مانع منه ولا مخالف فيه من الصحابة فمن بعدهم وقد عمل عمر رضي الله عنه من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النبي ﷺ ككتبه أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط ومعرفة من غاب ومن حضر... وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث وكدعوى أن تعدد الزوجات ظلم وأن الطلاق ظلم للمرأة وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفر بخالق السموات والأرض وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى عن أن يكون معه مشرع آخر

---

(١) نقد القومية العربية لابن باز (ص ٥٠).

(٢) الكهف: ٢٦

علواً كبيراً (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله). (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون). (لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)[1]. وقد لخص الشيخ محمد ابن عبد الوهاب أعظم نواقض الإسلام في عشرة فقال: اعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة:

الأول: الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له والدليل قوله تعالى «إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو القباب.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة كفر إجماعاً.

الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر إجماعاً.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعاً والدليل قوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فاحبط أعمالهم ﴾.

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤: ٨٣ ـ ٨٥).

السادس: من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾.

السابع: السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾.

(قلت خالف في هذا بعض العلماء ولكن ظاهر الآية يدل لما ذهب إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا يعدل عن الظاهر إلا بدليل).

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾.

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى: ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ﴾ ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطراً ومن أكثر ما يكون وقوعاً فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه)[1].

جميع ما تقدم هو رؤوس المسائل التي يحكم على صاحبها بالردة ذكرتها مختصرة لأن هذا ليس موضع بسطها بل هي تحتمل رسالة مستقلة.

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥: ٢١٢).

والمرتد يجب جهاده حتى يدخل في حظيرة الإسلام ويمتنع عما ينقض إسلامه. وجهاده أوجب وأولى من جهاد الكفار الأصليين بدليل تقديم جهاد المرتدين في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على جهاد الكفار الأصليين وقد دل على جهاد المرتدين السنّة المطهرة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم. قال ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[1]. وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما توفي النبي ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب) قال عمر: (يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله قال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)[2].

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: (وفيه منع قتل من قال لا إله إلا الله ولو لم يزد عليها وهو كذلك لكن هل يصير بمجرد ذلك مسلماً. الراجح لا بل يجب الكف عن قتله حتى يختبر فإن شهد بالرسالة والتزم أحكام الإسلام حكم بإسلامه وإلى ذلك الإشارة بالاستثناء بقوله إلا بحق الإسلام. قال البغوي الكافر إذا كان وثنياً أو ثنوياً لا يقر بالوحدانية فإذا قال لا إله إلا الله حكم بإسلامه ثم يجبر على قبول جميع أحكام الإسلام ويبرأ من كل دين خالف دين الإسلام وأما من كان مقراً بالوحدانية منكراً للنبوة فإنه لا يحكم بإسلامه حتى يقول محمد رسول الله فإن كان يعتقد أن الرسالة المحمدية إلى العرب خاصة فلا بدّ أن يقول إلى جميع الخلق فإن

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٢: ٢٣٩).
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٢: ٢٤٤).

كان كفر بجحود واجب أو استباحة محرم فيحتاج أن يرجع عما اعتقده. ومقتضى قوله (يجبر) أنه إذا لم يلتزم تجري عليه أحكام المرتد وبه صرح القفال)[1].

وقد ذكر مسلم في صحيحه هذا الحديث الذي احتج به عمر على أبي بكر وذكر له عدة طرق فيها زيادات قيمة تبين أن قتال المرتد الممتنع عن شريعة من شرائع الإسلام ثابتة بالنصوص النبوية الصحيحة لا بالقياس كما يتوهم من مناظرة أبي بكر لعمر ومن هذه الطرق ما يلي:

(١) قال مسلم حدثنا أحمد بن عبدة الضبي أخبرنا عبد العزيز يعني الدراوردي عن العلاء وحدثنا أمية بن بسطام واللفظ له حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله).

(٢) وقال: حدثنا أبو غسان المسمعي مالك بن عبد الواحد حدثنا عبد الملك بن الصباح عن شعبة عن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله).

(٣) وقال: وحدثنا سويد بن سعيد وابن أبي عمر قالا حدثنا مروان يعنيان الفزاري عن أبي مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من

(١) فتح الباري لابن حجر (١٢ : ٢٤٧).

قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)[1].

قال النووي: (وفي استدلال أبي بكر واعتراض عمر رضي الله عنهما دليل على أنهما لم يحفظا عن رسول الله ﷺ ما رواه ابن عمر وأنس وأبو هريرة وكأن هؤلاء الثلاثة سمعوا هذه الزيادات التي في رواياتهم في مجلس آخر فإن عمر رضي الله عنه لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فإنه بهذه الزيادة حجة عليه. ولو سمع أبو بكر رضي الله عنه هذه الزيادة لاحتج بها ولما احتج بالقياس والعموم)[2].

قلت: ويقاتل المرتد عن الإسلام سواء تعمد الخروج من الإسلام ورغب عنه أو ارتكب ناقضاً للإيمان مع زعمه بأن هذا الذي ارتكبه لا يخرج من الإسلام كمن يعبد القبور ويزعم أن عبادته لها ليست كفراً وكالذي يشرع للبشر من دون الله ويزعم أن تشريعه ليس بكفر فإن زعمه لا ينفعه إذا قامت عليه الحجة الرسالية يقول شارح كتاب التوحيد الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (قوله: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله»: اعلم أن النبي ﷺ في هذا الحديث علق عصمة المال والدم بأمرين: الأول: قول لا إله إلا الله. الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لا بدّ من قولها والعمل بها قال المصنف: وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه فيا لها من مسألةما أجلها ويا له من بيان ما

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١ : ٢١٠ ـ ٢١٢).
(٢) شرح النووي على مسلم (١ : ٢٠٦).

أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع. قلت ـ القائل الشيخ سليمان ـ وقد أجمع العلماء على معنى ذلك فلا بدّ في العصمة من الإتيان بالتوحيد والتزام أحكامه وترك الشرك كما قال تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ والفتنة هنا الشرك فدل على أنه إذا وجد الشرك فالقتال باق بحاله كما قال تعالى: ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ وقال تعالى: ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾. فأمر بقتالهم على فعل التوحيد وترك الشرك وإقامة شعائر الدين الظاهرة فإذا فعلوها خلي سبيلهم ومتى أبوا عن فعلها أو فعل شيء منها فالقتال باقٍ بحاله إجماعاً ولو قالوا لا إله إلا الله وكذلك النبي ﷺ علق العصمة بما علقها الله به في كتابه كما في هذا الحديث وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وفي الصحيحين عنه قال لما توفي رسول الله ﷺ وكفر من كفر من العرب فقال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه فقال عمر بن الخطاب فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. لفظ مسلم. فانظر كيف فهم صديق الأمة أن النبي ﷺ لم يرد مجرد اللفظ بها من غير إلزام لمعناها وأحكامها فكان ذلك هو الصواب واتفق عليه الصحابة ولم يختلف فيه منهم اثنان إلا ما كان من عمر حتى رجع إلى الحق وكان فهم الصديق هو الموافق لنصوص القرآن والسنّة وفي الصحيحين أيضاً عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». فهذا الحديث كآية براءة بين فيه ما يقاتل عليه الناس ابتداء فإذا فعلوا وجب الكف عنهم إلا بحقه فإن فعلوا بعد ذلك ما يناقض هذا الإقرار والدخول في الإسلام وجب القتال حتى يكون الدين كله لله بل لو أقروا بالأركان الخمسة وفعلوها وأبوا عن فعل الوضوء للصلاة ونحوه أو عن تحريم بعض محرمات الإسلام كالربا أو الزنا أو نحو ذلك وجب قتالهم إجماعاً ولم تعصمهم لا إله إلا الله ولا ما فعلوه من الأركان وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله وأنه ليس المراد منها مجرد النطق فإذا كانت لا تعصم من استباح محرماً أو أبى عن فعل الوضوء مثلاً بل يقاتل على ذلك حتى يفعله فكيف تعصم من دان بالشرك وفعله وأحبه ومدحه وأثنى على أهله ووالى عليه وعادى عليه وأبغض التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وتبرأ منه وحارب أهله وكفرهم وصد عن سبيل الله كما هو شأن عباد القبور وقد أجمع العلماء على أن من قال لا إله إلا الله وهو مشرك أنه يقاتل حتى يأتي بالتوحيد.... قال أبو سليمان الخطابي في قوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون لا إله إلا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف. وقال القاضي عياض اختصاص عصم المال والنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان وأن المراد بذلك مشركو العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحد وهم كانوا أول من دعي إلى الإسلام وقوتل عليه فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقوله لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده فلذلك جاء في الحديث الآخر ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وقال النووي لا بدّ مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ وكما جاء في الرواية الأخرى «ويؤمنوا بي وبما جئت به». وقال شيخ الإسلام لما سئل عن قتال التتار مع التمسك بالشهادتين ولما زعموا من اتباع أصل

الإسلام فقال: «كل طائفة ممتنعة من التـزام شرائـع الإسلام الـظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم أو غيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه كما قاتل أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم مانعي الـزكاة وعلى ذلـك اتفق الفقهاء بعدهم. قال: (فأيما طائفة ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء أو الأموال أو الخمر أو الميسر أونكاح ذوات المحارم أو عن التزام واجبات الدين أو محرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها التي يكفر الواحد بجحودها فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء). قال: (وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة)[1]. وبالإضافة إلى ما ذكر الشيخ سليمان فقد ذكر ابن تيمية الإجماع على قتال أهل الردة في فتاوى متعددة.

(١) وسئل شيخ الإسلام تقي الدين عمن يزعمون أنهم يؤمنون بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ويعتقدون أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ هوعلي بن أبي طالب وأن رسول الله ﷺ نص على إمامته وأن الصـحابة ظلموه ومنعوه حقه وأنهم كفروا بعد ذلك فهل يجب قتالهم ويكفرون بهذا الاعقتاد أم لا؟

فأجاب الحمد لله رب العالمين. أجمع علماء المسلمين على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله فلو قالوا نصلي ولا نزكي أو نصلي الخمس ولا نصلي الجمعة ولا الجماعة أونقوم بمباني الإسلام الخمس ولا نحرم دماء المسلمين وأموالهم أو لا نترك الربا ولا الخمر ولا الميسر أو نتبع

(١) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله (ص ١١٨ ـ ١٢٢).

القرآن ولا نتبع رسول الله ﷺ ولا نعمل بالأحاديث الثابتة عنه أو نعتقد أن اليهود والنصارى خير من جمهور المسلمين وأن أهل القبلة قد كفروا بالله ورسوله ولم يبق منهم مؤمن إلا طائفة قليلة أو قالوا أنا لا نجاهد الكفار مع المسلمين أو غير ذلك من الأمور المخالفة لشريعة رسول الله ﷺ وسنّته وما عليه جماعة المسلمين فإنه يجب جهاد هذه الطوائف جميعها كما جاهد المسلمون مانعي الزكاة وجاهدوا الخوارج وأصنافهم وجاهدوا الخرمية والقرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف أهل الأهواء والبدع الخارجين عن شريعة الإسلام. . . . وقد ثبت عن علي في صحيح البخاري وغيره من نحو ثمانين وجهاً أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وثبت عنه أنه حرق غالية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهيه وروي عنه بأسانيد جيدة أنه قال لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري وعنه أنه طلب عبد الله بن سبأ لما بلغه أنه سب أبا بكر وعمر ليقتله فهرب وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر برجل فضله على أبي بكر أن يجلد لذلك وقال عمر رضي الله عنه لصبيغ بن عسل لما ظن أنه من الخوارج لو وجدتك محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك. فهذه سنّة أمير المؤمنين عليّ وغيره قد أمر بعقوبة الشيعة الأصناف الثلاثة وأخفهم المفضلة فأمر هو وعمر بجلدهم والغالية يقتلون باتفاق المسلمين وهم الذين يعتقدون الإلهية والنبوة في علي وغيره مثل النصيرية والإسماعيلية الذين يقال لهم بيت صاد وبيت سين ومن دخل فيهم من المعطلة الذين ينكرون وجود الصانع أو ينكرون القيامة أو ينكرون ظواهر الشريعة مثل الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج بيت الحرام ويتأولون ذلك على معرفة أسرارهم وكتمان أسرارهم وزيارة شيوخهم ويرون أن الخمر حلال لهم ونكاح ذوات المحارم حلال لهم. وإن جميع هؤلاء الكفار أكفر من اليهود والنصارى فإن لم يظهر عن أحدهم ذلك كان من المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار ومن أظهر ذلك كان أشد من الكافرين كفراً فلا يجوز أن يقر بين المسلمين لا بجزية ولا بذمة ولا يحل نكاح نسائهم ولا تؤكل ذبائحهم

لأنهم مرتدون من شر المرتدين فإن كانوا طائفة ممتنعة وجب قتالهم كما يقاتل المرتدون كما قاتل الصديق والصحابة أصحاب مسيلمة الكذاب وإذا كانوا في قرى المسلمين فرقوا وأسكنوا بين المسلمين بعد التوبة وألزموا بشرائع الإسلام التي تجب على المسلمين وليس هذا مختصاً بغالية الرافضة بل من غلا في أحد من المشايخ وقال إنه يرزقه أو يسقط عنه الصلاة أو أن شيخه أفضل من النبي أو أنه مستغنٍ عن شريعة النبي ﷺ كما كان الخضر مع موسى. وكل هؤلاء كفار يجب قتالهم بإجماع المسلمين وقتل الواحد المقدور عليه منهم. ا. هـ[1]

(٢) وقال رحمه الله لما سئل عن التتار وعن عسكرهم ما يلي (...... فهؤلاء القوم المسؤول عنهم عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين وعلى قوم منتسبين إلى الإسلام وهم جمهور العسكر ينطقون بالشهادتين إذا طلبت منهم ويعظمون الرسول وليس فيهم من يصلي إلا قليل جداً وصوم رمضان أكثر فيهم من الصلاة والمسلم عندهم أعظم من غيره وللصالحين من المسلمين عندهم قدر وعندهم من الإسلام بعضه وهم متفانون فيه لكن الذي عليه عامتهم والذي يقاتلون عليه متضمن لترك كثير من شرائع الإسلام أو أكثرها فإنهم لا يوجبون الإسلام ولا يقاتلون من تركه بل من قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه وإن كان كافراً عدواً لله ورسوله وكل من خرج عن دولة المغول أو عليها استحلوا قتاله وإن كان من خيار المسلمين فلا يجاهدون الكفار ولا يلزمون أهل الكتاب بالجزية والصغار ولا ينهون أحداً من عسكرهم أن يعبد ما شاء من شمس أو قمر أو غير ذلك بل الظاهر من سيرتهم أن المسلم عندهم بمنزلة العدل أو الرجل الصالح أو المتطوع في المسلمين والكافر عندهم بمنزلة الفاسق في المسلمين

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٦٨ - ٤٧٥).

أو بمنزلة تـارك التطوع. وكـذلك أيضـاً عامتهم لا يحـرمون دمـاء المسلمين وأموالهم إلا أن ينهاهم عنها سلطانهم أي لا يلتزمون تركها وإذا نهاهم عنها أو عن غيرها أطاعوه لكونه سلطاناً لا بمجرد الدين وعامتهم لا يلتزمون أداء الواجبات لا من الصلاة ولا من الزكاة ولا من الحج ولا غير ذلك ولا يلتزمون الحكم بينهم بحكم الله بل يحكمون بأوضاع لهم توافق الإسلام تارة وتخالفه أخرى وإنمـا كان الملتـزم لشرائع الإسلام الشيزبرون وهو الذي أظهر من شرائع الإسـلام ما استفاض عند الناس وأما هؤلاء فدخلوا فيه وما التزموا شرائعه وقتال هذا الضرب واجب بإجماع المسلمين وما يشك في ذلك من عرف دين الإسلام وعرف حقيقة أمرهم فإن هذا السلم الذي هم عليه ودين الإسلام لا يجتمعان أبداً وإذا كان الأكراد والأعراب وغيرهم من أهل البوادي الذين لا يلتزمون شريعة الإسلام يجب قتالهم وإن لم يتعد ضررهم إلى أهل الأمصار فكيف بهؤلاء...)[1].

(٣) وقال رحمه الله لما سئل عن أجناد يمتنعون عن قتال التتار ويقولون إن فيهم من يخرج مكرها معهم.. فأجاب الحمد لله رب العالمين قتال التتار الذين قدموا إلى بلاد الشام واجب بالكتاب والسنّة فإن الله يقول في القرآن: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ والدين هو الطاعة فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾.

وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام والتزموا الصلاة والصيام لكن امتنعوا من ترك الربا فبين الله أنهم محاربون لـه

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨: ٥٠٤ ـ ٥٠٦).

ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا والربا هو آخر ما حرمه الله وهو مال يؤخذ برضا صاحبه فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الاسلام أو أكثرها كالتتار . . . والتتار وأشباههم أعظم خروجا عن شريعة الإسلام من مانعي الزكاة والخوارج من أهل الطائف الذين امتنعوا عن ترك الربا فمن شك في قتالهم فهو أجهل الناس بدين الإسلام وحيث وجب قتالهم قوتلوا وإن كان فيهم المكره باتفاق المسلمين كما قال العباس لما أسر يوم بدر يا رسول الله إني خرجت مكرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فإلى الله وقد اتفق العلماء على أن جيش الكفار إذا تترسوا بمن عندهم من أسرى المسلمين وخيف على المسلمين الضرر إذا لم يقاتلوا فإنهم يقاتلون وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم وإن لم يخف على المسلمين ففي جواز القتال المفضي إلى قتل هؤلاء المسلمين قولان مشهوران للعلماء وهؤلاء المسلمون إذا قتلوا كانوا شهداء ولا يترك الجهاد الواجب لأجل من يقتل شهيدا فإن المسلمين إذا قاتلوا الكفار فمن قتل من المسلمين يكون شهيدا ومن قتل وهو في الباطن لا يستحق القتل لأجل مصلحة الإسلام كان شهيدا. . .)[1].

وما تقدم هو حكم الطائفة الممتنعة ذات الشوكة والقوة والمنعة وأما المقدور عليه من المرتدين كأن يكون فردا بين المسلمين أو جماعة قليلة لا شوكة لها ولا منعة فإنه يستتاب ثلاثة أيام على رأي بعض العلماء فإن تاب وإلا قتل . يقول ابن حجر (قال ابن بطال اختلف في استتابة المرتد فقيل يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو قول الجمهور وقيل يجب قتله في الحال جاء ذلك عن الحسن وطاوس وبه قال أهل الظاهر قلت ونقله ابن المنذر عن معاذ وعبيد بن عمير وعليه يدل تصرف البخاري فإنه استظهر بالآيات

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ : ٥٤٤ ـ ٥٤٦).

التي لا ذكر فيها للاستتابة والتي فيها أن التوبة لا تنفع وبعموم قوله من بدل دينه فاقتلوه وبقصة معاذ التي بعدها ولم يذكر غير ذلك قال الطحاوي ذهب هؤلاء إلى أن حكم من ارتد عن الإسلام حكم الحربي الذي بلغته الدعوة فإنه يقاتل من قبل أن يدعى قالوا وإنما تشرع الاستتابة لمن خرج عن الإسلام لا عن بصيرة فأما من خرج عن بصيرة فلا.ثم نقل عن أبي يوسف موافقتهم لكن قال إن جاء مبادراً بالتوبة خليت سبيله ووكلت أمره إلى الله تعالى وعن ابن عباس وعطاء: إن كان أصله مسلما لم يستتب وإلا استتيب . واستدل ابن القصار لقول الجمهور بالإجماع يعني السكوتي لأن عمر كتب في أمر المرتد هلا حبستموه ثلاثة أيام وأطعمتموه في كل يوم رغيفاً لعله يتوب فيتوب الله عليه قال ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة كأنهم فهموا من قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه أي إن لم يرجع)[1] .

قلت والعجب أن ابن القصار احتج بالإجماع السكوتي على مذهب الجمهور والحادثة التي ذكرها عن عمر بن الخطاب لم تصح سندا وبالتالي يسقط الإجماع المبني عليها لأن ما بني على غير صحيح فليس بصحيح . يقول الألباني عن هذه الحادثة: إن سندها منقطع وفيها راو لم يوثقه غير ابن حبان فهو في حكم المجهول. والراوي هو محمد بن عبد الله[2]. وما في صحيح البخاري يخالف هذه الحادثة التي فيها الحبس ثلاثة أيام فقد روى البخاري بسنده عن أبي موسى قال أقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجلان من الأشعريين أحدهما عن يميني والآخر عن يساري ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك فكلاهما سأل فقال يا ابا موسى أو يا عبد الله بن قيس قال قلت والذي بعثك بالحق ما أطلعاني

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٢ : ٢٣٧).
(٢) انظر إرواء الغليل للألباني (٨ : ١٣١).

على ما في أنفسهما وما شعرت أنهما يطلبان العمل فكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته قلصت فقال لن أو لا نستعمل على عملنا من أراده ولكن اذهب أنت يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس إلى اليمن ثم اتبعه معاذ بن جبل فلما قدم عليه ألقى له وسادة قال انزل فإذا رجل عنده موثق قال ما هذا قال كان يهوديا فاسلم ثم تهود قال اجلس قال لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله ثلاث مرات. . الحديث[1].

والذي يظهر لي والله أعلم أن المرتد كالكافر فكما أن الكافر يكفي في شأنه أن يدعى مرة واحدة فإذا سمع آيات الله وقامت عليه الحجة قوتل فكذلك المرتد يدعى إلى التوبة ويكشف له ما عنده من شبهة ثم يقتل ويدل على هذا ما ذكره ابن حجر وحسنه إذ قال (وقد وقع في حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسله إلى اليمن قال له أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد وإلا فاضرب عنقه وإيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلا فاضرب عنقها وسنده حسن)[2]. ولو كان يجب الحبس ثلاثا لبينه صلى الله عليه وسلم لمعاذ والله تعالى اعلم. ولقد اطلعت على كتاب بعنوان حرية الاعتقاد في الإسلام تأليف جمال البنا ينكر مؤلفه حكم الردة ويستدل بأقوال عبد المتعال الصعيدي في كتابه حرية الفكر في الإسلام ومن شبهه أن حكم الردة لم يأت في القرآن[3]. . . وهناك شبه كلها أغرب من هذه الشبهة وقد غضب حضرة المؤلف جمال البنا عندما قرأ في جريدة الأهرام اليومية الصادرة في ١٩٧٧/٨/٦م خبراً مفاده أنه قدم إلى مجلس الدولة في مصر مشروع قانون بإعدام المرتد فقال ناصحا لمجلس الدولة. . (إن هذا القانون أمر

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٢: ٢٤٢).

(٢) فتح الباري (١٢: ٢٤٠).

(٣) انظر (ص ٥٦) من حرية الاعتقاد في الإسلام لجمال البنا.

لا يكاد يصدق ما هذا أيها السادة هل أصابتكم جنة ؟ أجماعة تكفير جديدة ؟ هل تريدون أن تنصبوا محرقة أو أن تدخلوا في الإسلام السمح محكمة بابوية يضع قضاتها العمائم ؟ أو تريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا . إن هذا القانون ردة تشريعية حقيقية لعلاج ردة إسلامية وهمية)[1]. يا سبحان مقلب القلوب والأبصار كون مجلس الدولة يشرع تشريعات تعارض القرآن صراحة كإسقاط حد الزنا والسرقة لا يغضب المؤلف الذي يدافع عن الإسلام. ويعتبره ردة وهمية . أما أن يشرع المجلس إعدام المرتد عن الإسلام فهذه هي الردة الحقيقية على رأي المؤلف . .

ويسخر المؤلف من ابن حزم لما قال (ولو أن امرأ قال لا نأخذ إلا ما وجدناه في القرآن لكان كافراً بإجماع الامة) فيقول (فهذا لا ينكر وجود الله ولا رسالة محمد ولا اليوم الآخر ويمكن أن يكون معصوم الدم والمال ما دام يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله بنص حديث الرسول ومع هذا فإن التخريج الفقهي يخرجه من الحياة ويجعله حلال الدم والمال)[2]. والذي يثير السخرية والأسى هو فكر هذا المؤلف المدخول لا ما نقله ابن حزم من إجماع الامة على تكفير من ترك العمل بالسنة المطهرة .

ولا أطيل بذكر شبه هذا المؤلف ومن نهج نهجه وإنما أقول إن حد الردة قد أجمعت عليه الأمة الإسلامية وصحت به الأدلة الشرعية . يقول ابن رشد (والمرتد إذا ظفر به قبل أن يحارب فاتفقوا على أنه يقتل)[3] وقال ابن قدامة المرتد هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر قال الله تعالى ﴿ومن يرتدد منكم عن

---

(١) المصدر السابق (ص ٦٧).

(٢) المصدر السابق (ص ٧٠).

(٣) بداية المجتهد (٢ : ٤٥٩).

دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ وقال النبي ﷺ (من بدل دينه فاقتلوه) وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد وروي ذلك عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ وأبي موسى وابن عباس وخالد وغيرهم ولم ينكر ذلك فكان إجماعا)[١] فلعل الله أن ينعم على جمال البنا ومن نهج نهجه بالتوبة النصوح وأخذ الأحكام الشرعية من مصادرها لا من أهوائهم المدخولة.. وتأويلاتهم الباطلة فإن التكأة التي يستند عليها كل محرف لدين الله هو التأويل الفاسد وقد فعل جمال البنا وأصحابه فزعموا أن الصحابة إنما قتلوا من ارتد عن دينه لأنه صار محاربا لهم بالسلاح وإلا لو لم يحارب لما قتلوه[٢]... أما الأحاديث الصحيحة التي في صحيح البخاري وغيره الآمرة بقتل المرتد فهي عندهم أحاديث آحاد لا يعمل بها في العقيدة ولا تثبت بها الحدود[٣]...

ولكن ليت شعري ما موقف هؤلاء من إجماع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على قتل المرتد سواء حارب أم لم يحارب. يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (وصورة الردة أن العرب افترقت في ردتها فطائفة رجعت إلى عبادة الأصنام وقالوا لو كان نبيا لما مات وفرقة قالت نؤمن بالله ولا نصلي وطائفة أقروا بالإسلام وصلوا ولكن منعوا الزكاة وطائفة شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولكن صدقوا مسيلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أشركه معه في النبوة وذلك أنه أقام شهودا شهدوا معه بذلك وفيهم رجل من أصحابه معروف بالعلم والعبادة يقال له

(١) المغني لابن قدامة (٨:١٢٣).
(٢) حرية الاعتقاد للبنا (ص ٦١).
(٣) انظر كتاب حرية الاعتقاد لجمال البنا (ص ٦٠) وما بعدها.

الرجال فصدقوه لأجل ما عرفوا فيه من العلم والعبادة ففيه يقول بعضهم ممن ثبت منهم :

يا سعاد الفؤاد بنت أثال طال ليلى بفتنة الرجال
فتن القوم بالشهادة والله عزيز ذو قوة ومحال

وقوم من أهل اليمن صدقوا الأسود العنسي في ادعائه النبوة وقوم صدقوا طليحة الأسدي . ولم يشك أحد من الصحابة في كفر من ذكرنا ووجوب قتالهم إلا مانع الزكاة ولما عزم أبو بكر رضي الله عنه على قتالهم قيل له كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها قال أبو بكر فإن الزكاة من حقها والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ثم زالت الشبهة عن الصحابة رضي الله عنهم . . .

الدليل الثاني : قصة أخرى وقعت في زمن الخلفاء الراشدين وهي أن بقايا من بني حنيفة لما رجعوا إلى الإسلام وكفروا بمسيلمة وأقروا بكذبه كبر ذنبهم عند أنفسهم وتحملوا بأهليهم إلى الثغر لأجل الجهاد في سبيل الله لعل ذلك يمحو عنهم آثار تلك الردة لأن الله تعالى يقول ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ ويقول ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ فنزلوا الكوفة وصار لهم بها محلة معروفة فيها مسجد يسمى مسجد بني حنيفة فمر بعض المسلمين على مسجدهم بين المغرب والعشاء فسمعوا منهم كلاماً معناه أن مسيلمة كان على حق وهم جماعة كثيرون لكن الذي لم يقله لم ينكره على من قاله فرفعوا أمرهم إلى عبد الله بن مسعود فجمع من عنده من الصحابة واستشارهم هل يقتلهم وإن تابوا أويستتيبهم فأشار بعضهم بقتلهم من غير استتابة وأشار بعضهم باستتابتهم فاستتاب بعضهم وقتل بعضهم ولم يستتبه . . .

الدليل الثالث : ما وقع في زمن الخلفاء الراشدين . قصة أصحاب علي بن أبي طالب لما اعتقدوا فيه الإلهية ـ التي تعتقد اليوم في أناس من أكفر بني آدم وأفسقهم ـ فدعاهم إلى التوبة فأبوا فخد لهم الأخاديد وملأها حطباً وأضرم فيها النار وقذفهم فيها وهم أحياء. . .

الدليل الرابع : ما وقع في زمن الصحابة أيضا وهي قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي وهو رجل من التابعين مصاهر لعبد الله بن عمر رضي الله عنه وعن أبيه مظهر للصلاح فظهر في العراق يطلب بدم الحسين وأهل بيته فقتل ابن زياد ومال إليه من مال لطلبه دم أهل البيت ممن ظلمهم ابن زياد فاستولوا على العراق وأظهر شرائع الإسلام ونصب القضاء من أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه وكان هو الذي يصلي بالناس الجمعة والجماعة لكن في آخر أمره زعم أنه يوحى إليه فسير إليه عبد الله بن الزبير جيشا فهزموا جيشه وقتلوه وأمير الجيش مصعب بن الزبير وتحته امرأة أبوها أحد الصحابة فدعاها مصعب إلى تكفيره فأبت فكتب إلى أخيه عبد الله يستفتيه فيها فكتب إليه إن لم تبرأ منه فاقتلها فامتنعت فقتلها مصعب وأجمع العلماء كلهم على كفر المختار مع إقامته شعائر الإسلام لما جنى على النبوة. . .

الدليل الخامس : ما وقع في زمن التابعين وذلك قصة الجعد بن درهم وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة فلما جحد شيئا من صفات الله مع كونها مقالة خفية عند الأكثر ضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى فقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه ولم يعلم أن أحداً من العلماء أنكر ذلك عليه بل ذكر ابن القيم إجماعهم على استحسانه فقال:

شكـر الضحية كـل صاحب سنـة   لله درك مــن أخــي قــربــان[1]

فهذه الحوادث التي وقعت في عصر الصحابة والتابعين لم يعلن أصحابها الحرب على المسلمين ومع هذا أقام الصحابة ومن بعدهم عليهم حد الردة بل إن أصحاب علي ـ عبد الله بن سبأ وحزبه أعلنوا ألوهيته فهل يتصور من شخص يعبد شخصا أن يحاربه ويقاتله وقصتهم في صحيح البخاري فقد روى البخاري بسنده عن عكرمة قال أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه[2]. ولكن لا فائدة مع هؤلاء القوم من كثرة إيراد الأحاديث من صحيح البخاري أو من غيره . ولقد رأيت في كتب بعض المعاصرين العجب العجاب فإن كان الحكم يخالف أهواءهم فدليله إما حديث آحاد!! وإما أنه حادثة فردية!! وإما أن ظاهر القرآن يخالفه!! وهكذا دواليك من التأويلات الشبيهة بتأويلات الباطنية الذين أولوا أركان الإسلام على مقتضى أهوائهم . أما إن كان الحكم يوافق أهواءهم وإن كان دليله حديثا موضوعاً ، فيحتالون لإثباته بشتى الوسائل فإما قالوا يشهد له ظاهر القرآن!! وإلا قالوا عليه العمل عند المسلمين وإلا قالوا والمصلحة المرسلة تقتضي الأخذ بهذا الحكم ونحو ذلك والذي لا يؤمن بقوله تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾[3] فإن الجدال والمناقشة معه من أصعب الأمور نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين إلى درب الرشاد.

وأما النفاق فهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر قال أبـو عبيد سمي

---

(١) مختصر السيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٩) وما بعدها.
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٢ : ٢٣٧).
(٣) الإسراء: ٣٦

المنافق منافقاً للنفق وهو السرب في الأرض وقيل إنما سمي منافقاً لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه يقال قد نفق به ونافق وله جحر آخر يقال له القاصعاء فإذا طلب قصع فخرج من القاصعاء فهو يدخل في النافقاء ويخرج من القاصعاء أو يدخل في القاصعاء ويخرج من النافقاء فيقال هكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل منه[1]. وقال الشيخ ابن تيمية (فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار كنفاق عبد الله بن أبي وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به أو بغضه أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه أو المسرة بانخفاض دينه أو المساءة بظهور دينه ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله. . . وأما النفاق الأصغر فهو النفاق في الأعمال ونحوها مثل أن يكذب إذا حدث ويخالف إذا وعد ويخون إذا ائتمن أو يفجر إذا خاصم ففي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»[2]. وللمنافقين صفات نوجزها فيما يلي:

(١) إبطان الكفر والتظاهر بالإيمان: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾[3].

(٢) صفة المخادعة: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾[4]

(٣) العزوف عن التحاكم إلى الكتاب والسنّة: ﴿ألم ترَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى

---

(١) لسان العرب (١٠: ٣٥٩).
(٢) مجموع الفتاوى الكبرى (٢٨: ٤٣٤).
(٣) البقرة: ٨
(٤) البقرة: ٩

الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾[1].

﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾[2].

(٤) موالاة الكفار وممالأتهم على المسلمين: ﴿ ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾[3].

(٥) الدس والوقيعة وإشعال نار الفتنة واستغلال الخلافات بين المسلمين ومحاولة توسيع شقتها ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾[4].

(٦) الجبن الشديد والتخلف عن الجهاد ﴿ أشحة عليكم فإذا جاء الخوف

---

(١) النساء: ٦٠ ـ ٦١
(٢) النور: ٤٧ ـ ٥١
(٣) الحشر: ١١، ١٢
(٤) المنافقون: ٧ ـ ٨

رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنّة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ﴾[1]. ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ﴾[2] ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾[3].

(٧) التخذيل والتشبيط والإرجاف ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾[4].

(٨) الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾[5].

(٩) محبة إشاعة الفاحشة ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين

---

(١) الأحزاب: ١٩
(٢) التوبة: ٤٤ - ٤٥
(٣) ال عمران: ١٦٦ - ١٦٨
(٤) التوبة: ٤٧
(٥) التوبة: ٦٧

آمنـوا لهم عـذاب اليم في الـدنيا والآخـرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[1].

(١٠) الاستهزاء بالمؤمنين والسخرية منهم ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾[2].

(١١) الكسل في عبادة الله تعالى: ﴿ إن المنافقين يخـادعون الله وهـو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قـاموا كسـالى يراءون النـاس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾[3]

(١٢) الذبذبة وعدم الاستقرار ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾[4].

(١٣) الفرح بما يصيب المسلمين من الضراء والاستياء بما يجعل الله لهم من النصر والتمكين ﴿ إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ﴾[5].

(١٤) الإفساد في الأرض مع زعم الإصلاح ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾[6].

(١٥) اتخـاذ مساجـد الضرار لتفـريق المؤمنين ومحاربتهم وصـرفهم عن

---

(١) النور: ١٩

(٢) التوبة: ٧٩

(٣) النساء: ١٤٢

(٤) النساء: ١٤٣

(٥) التوبة: ٥٠

(٦) البقرة: ١١ ـ ١٢

المساجد المؤسسة على التقوى[1] ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون﴾[2].

وغير هذه الصفات صفات كثيرة يكتشفها الربانيون العاملون بكتاب الله عز وجل تبدو من أقوال المنافقين وأعمالهم ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾[3].

وقد أمر الله رسوله بجهاد المنافقين مع الكفار فقال تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾[4].

والجهاد إذا أطلق من غير قرينة ينصرف إلى الجهاد بالسيف كما تقدم في تعريف الجهاد. وهذه الآية الكريمة لم تفرق بين جهاد الكفار وجهاد المنافقين فدل على أن المنافقين إذا عرفوا يجاهدون بالسيف كالكفار وبهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجحه ابن جرير الطبري رحمه الله فقال: (وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ما قال ابن مسعود من أن الله أمر نبيه ﷺ من جهاد المنافقين بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين)[5]. وبنحو هذا

---

(١) انظر هذه الصفات وغيرها في كتاب الجهاد لمحمد نعيم ياسين (ص ١١٥) وما بعدها وكتاب النفاق لعبد الرحمن الدوسري (ص ١٠٩)وما بعدها.
(٢) التوبة: ١٠٧
(٣) محمد: ٢٩ ـ ٣٠
(٤) التوبة: ٧٣
(٥) تفسير الطبري (٦: ١٢٧).

قال ابن رجب الحنبلي إذ قال: (والذي يظهر أن في القرآن أربعة سيوف: سيف على المشركين حتى يسلموا أو يؤسروا فإما منا بعد وإما فداء وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة وقد أمر الله بجهادهم والإغلاظ عليهم في سورة براءة وسورة التحريم وآخر سورة الأحزاب وسيف على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية وسيف على أهل البغي وهو المذكور في سورة الحجرات)[١]. وقال ابن تيمية (وجملة ذلك أنه لما نزلت براءة أمر أن يبتدىء جميع الكفار بالقتال وثنيهم وكتابيهم سواء كفوا عنه أو لم يكفوا وأن ينبذ إليهم تلك العهود المطلقة التي كانت بينه وبينهم وقيل له فيها (جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) بعد أن كان قد قيل له (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) ولهذا قال زيد بن أسلم نسخت هذه الآية ما كان قبلها فأما قبل براءة وقبل بدر فقد كان مأموراً بالصبر على أذاهم والعفو عنهم وأما بعد بدر وقبل براءة فقد كان يقاتل من يؤذيه ويمسك عمن سالمه كما فعل بابن الأشرف وغيره ممن كان يؤذيه. فبدر كانت أساس عز الدين وفتح مكة كانت كمال عز الدين فكانوا قبل بدر يسمعون الأذى الظاهر ويؤمرون بالصبر عليه وبعد بدر يؤذون في السر من جهة المنافقين وغيرهم فيؤمرون بالصبر عليه وفي تبوك أمروا بالإغلاظ للكفار والمنافقين فلم يتمكن بعدها كافر ولا منافق من أذاهم في مجلس خاص ولا عام بل مات بغيظه لعلمه بأنه يقتل إذا تكلم)[٢]. فقول ابن تيمية هذا يدل على أنه يرى أنه بعد نزول آية التوبة الآمرة بجهاد المنافقين أن جهاد المنافقين يكون بالسيف إذا علم نفاقهم وكانت المصلحة في جهادهم. وقد صرح بهذا في موضع آخر فقال: (فحيث ما كان للمنافق ظهور وتخاف من إقامة الحد عليه فتنة أكبر من بقائه عملنا بآية (دع أذاهم) كما أنه حيث عجزنا

(١) رسالة الحكم الجديرة بالإذاعة (ص ١١٢).

(٢) الصارم المسلول لابن تيمية (ص ٢٢٠).

عن جهاد الكفار عملنا بآية الكف عنهم والصفح وحيث ما حصل القوة والعز خوطبنا بقوله «جاهد الكفار والمنافقين»[1] .

وقال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ﴾ «أمر تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال بعث رسول الله ﷺ بأربعة أسياف «سيف للمشركين» فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين «وسيف لكفار أهل الكتاب» قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون «وسيف للمنافقين» جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم «وسيف للبغاة» فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله «وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيف إذا أظهروا النفاق وهو اختيار ابن جرير. وقال ابن مسعود في قوله تعالى: «جاهد الكفار والمنافقين» قال بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه[2]. وقال ابن عباس أمره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفق بهم وقال الضحاك جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم وعن مقاتل والربيع مثله وقال الحسن وقتادة مجاهدتهم إقامة

---

(١) الصارم المسلول لابن تيمية (ص ٣٥٩).

(٢) قول ابن مسعود (فبقلبه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه) غير واضح لي لأن القلب لا سلطة لأحد عليه وما في القلب آخر درجات الجهاد والإنكار كما ثبت في الأحاديث ويبدو أن في النقل عن ابن مسعود تصحيفاً وفي الكلام تقديماً وتأخيراً.

الحدود عليهم. وقد يقال إنه لا منافاة بين هذه الأقوال لأنه تارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال)[1].

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في السبب الذي لأجله ترك رسول الله ﷺ جهاد المنافقين في عهده بالسيف. فقال الطبري: (فإن قال قائل فكيف تركهم ﷺ مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم قيل إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك وأما من إذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها أنكرها ورجع عنها وقال إني مسلم فإن حكم الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه أن يحقن بذلك له دمه وماله وإن كان معتقداً غير ذلك وتوكل هو جل ثناؤه بسرائرهم ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر فلذلك كان النبي ﷺ مع علمه بهم وإطلاع الله إياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم كان يقرهم بين أظهر الصحابة ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله لأن أحدهم كان إذا اطلع عليه أنه قال قولاً كفر فيه بالله ثم أخذ به أنكره وأظهر الإسلام بلسانه فلم يكن ﷺ يأخذه إلا بما أظهر له من قوله عند حضوره إياه وعزمه على إمضاء الحكم فيه دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك ودون اعتقاد ضميره الذي لم يبح الله لأحد الأخذ به في الحكم وتولى الأخذ به هو دون خلقه)[2].

قلت ومن تعليل الطبري هذا مع ترجيحه لجهاد المنافقين بالسيف يظهر أنه لا فرق عنده بين المرتدين والمنافقين الذين يجاهدون بالسيف والصحيح أن بينهما فرقاً فإن المرتد لا يتخفى باعتقاده والمنافق يتخفى باعتقاده والقائلون بجهاد المنافقين بالسيف يريدون جهاد من اطلع على نفاقه بحجة قاطعة لا تقبل الشك أما عند الاحتمال فلا يجاهد بالسيف.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤: ١١٨ - ١١٩).

(٢) تفسير الطبري (٦: ١٢٧).

وقال القرطبي: (واختلف العلماء في إمساك النبي ﷺ عن قتل المنافقين مع علمه بنفاقهم على أربعة أقوال:

(١) قال بعض العلماء إنما لم يقتلهم لأنه لم يعلم حالهم أحد سواه وقد اتفق العلماء على بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه وإن اختلفوا في سائر الأحكام.

(٢) قال أصحاب الشافعي إنما لم يقتلهم لأن الزنديق وهو الذي يسر الكفر ويظهر الإيمان يستتاب ولا يقتل. قال ابن العربي وهذا وهم فإن النبي ﷺ لم يستتبهم ولا نقل ذلك أحد...

(٣) إنما لم يقتلهم مصلحة لتأليف القلوب عليه لئلا تنفر عنه: قال القرطبي: (وهذا قول علمائنا وغيرهم) قال ابن عطية: (وهي طريقة أصحاب مالك رحمه الله في كف رسول الله ﷺ عن المنافقين...) قال مالك: (النفاق في عهد رسول الله ﷺ هو الزندقة فينا اليوم فيقتل الزنديق إذا شهد عليه بها دون استتابة وهو أحد قولي الشافعي). قال مالك: (وإنما كف رسول الله ﷺ عن المنافقين ليبين لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه إذا لم يشهد على المنافقين...) وقال الشافعي محتجاً للقول الآخر: (السنّة فيمن شهد عليه بالزندقة فجحد وأعلن بالإيمان وتبرأ من كل دين سوى الإسلام أن ذلك يمنع من إراقة دمه وبه قال أصحاب الرأي وأحمد والطبري وغيرهم. قال الشافعي وأصحابه وإنما منع رسول الله ﷺ من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم لأن ما يظهرونه يجب ما قبله...).

(٤) وهو أن الله تعالى كان قد حفظ أصحاب نبيه عليه السلام بكونه ثبتهم أن يفسدهم المنافقون أو يفسدوا دينهم فلم يكن في تبقيتهم ضرر وليس كذلك اليوم لأنا لا نأمن من الزنادقة أن يفسدوا عامتنا

وجهالنا)[1]. وقال ابن تيمية رحمه الله: (فإن قيل فلم لم يقتلهم النبي ﷺ مع علمه بنفاق بعضهم وقبل علانيتهم؟ قلنا إنما ذاك لوجهين:

أحدهما أن عامتهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم بالبينة بل كانوا يظهرون الإسلام ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة يسمعها الرجل المؤمن فينقلها إلى النبي ﷺ فيحلفون بالله أنهم ما قالوها أو لا يحلفون وتارة بما يظهر من تأخرهم عن الصلاة والجهاد واستثقالهم للزكاة وظهور الكراهة منهم لكثير من أحكام الله وعامتهم يعرفون من لحن القول كما قال الله ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول﴾ فأخبر سبحانه أنه لو شاء لعرفهم رسوله بالسيما في وجوههم ثم قال: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ فأقسم أنه لا بدّ أن يعرفهم في لحن القول ومنهم من كان يقول القول أو يعمل العمل فينزل القرآن بخبران صاحب ذلك القول والعمل منهم كما في سورة براءة ومنهم من كان المسلمون أيضاً يعلمون كثيراً منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والأمارات ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ ثم جميع هؤلاء المنافقين يظهرون الإسلام ويحلفون أنهم مسلمون وقد اتخذوا أيمانهم جنة وإذا كانت هذه حالهم فالنبي ﷺ لم يكن يقيم الحدود بعلمه ولا بخبر الواحد ولا بمجرد الوحي ولا بالدلائل والشواهد حتى يثبت الموجب للحد ببينة أو إقرار،ألا ترى كيف أخبر عن المرأة الملاعنة أنها إن جاءت بالولد على نعت كذا وكذا فهو للذي رميت به وجاءت به على النعت المكروه فقال: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن». وكانت بالمدينة

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١:١٩٨ - ٢٠٠).

امرأة تعلن الشر فقال: «لو كنت راجماً أحداً من غير بينة لرجمتها» وقال للذين اختصموا إليه «إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار» فكان ترك قتلهم مع كونهم كفاراً لعدم ظهور الكفر منهم بحجة شرعية ويدل على هذا أنه لم يستتبهم على التعيين ومن المعلوم أن أحسن حال من ثبت نفاقه وزندقته أن يستتاب كالمرتد فإن تاب وإلا قتل ولم يبلغنا أنه استتاب واحداً بعينه منهم فعلم أن الكفر والردة لم يثبت على واحد بعينه ثبوتاً يوجب أن يقتل كالمرتد ولهذا تقبل علانيتهم وتكل سرائرهم إلى الله. . . . . والزنديق والمنافق إنما يقتل إذا تكلم بكلمة الكفر وقامت عليه بذلك بينة وهذا حكم بالظاهر لا بالباطن وبهذا الجواب يظهر فقه المسألة.

الوجه الثاني: أنه عليه الصلاة والسلام كان يخاف أن يتولد من قتلهم من الفساد أكثر مما في استبقائهم وقد بين ذلك حين قال: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» وقال: «إذاً ترعد له آنف كثيرة بيثرب» فإنه لو قتلهم بما يعلمه من كفرهم لأوشك أن يظن الظان أنه إنما قتلهم لأغراض وأحقاد وإنما قصده الاستعانة بهم على الملك كما قال: «أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم» وأن يخاف من يريد الدخول في الإسلام أن يقتل مع إظهاره الإسلام كما قتل غيره. وقد كان أيضاً يغضب لقتل بعضهم قبيلته وأناس آخرون فيكون ذلك سبباً للفتنة واعتبر ذلك بما جرى في قصة عبد الله بن أبي لما عرّض سعد بن معاذ بقتله خاصم له أناس صالحون وأخذتهم الحمية حتى سكتهم رسول الله ﷺ وقد بين ذلك رسول الله ﷺ لما استأذنه عمر في قتل ابن أبي قال أصحابنا ونحن الآن إذا خفنا مثل ذلك كففنا عن القتل. فحاصله أن الحد لم يقم على واحد بعينه لعدم ظهوره بالحجة الشرعية التي يعلمه بها الخاص والعام أو لعدم إمكان إقامته إلا مع تنفير أقوام عن الدخول في الإسلام

وارتداد آخرين عنه وإظهار قوم من الحرب والفتنة ما يربى فساده على فساد ترك قتل منافق وهذان المعنيان حكمهما باقٍ إلى يومنا هذا)[1].

وأما ابن حزم فإنه يعلل عدم قتل الرسول ﷺ للمنافقين في عهده بأن المنافقين في عهده صنفان. صنف لم يعلم ﷺ أعيانهم وصنف علم أعيانهم ثم تابوا ولم يقطع بأن توبتهم غير صحيحة لذلك لم يقتلهم. وقد أطال في إبطال كل ما يعارض قوله هذا[2]. ويرد على ابن حزم بأن النبي ﷺ لما استأذنه بعض الصحابة في قتل المنافقين لم يقل لهم إنهم تابوا ولا سبيل إلى قتل التائب من المنافقين بل علل بعلة أخرى فكيف إذاً يترك ابن حزم ظاهر قول الرسول ﷺ وهو ظاهري.. وبهذا يظهرأن المنافق إذا ظهر نفاقه وثبت ببينة شرعية يقام بها الحد قتل بالسيف وهذا هو جهاده الثابت في سورة براءة وهي آخر القرآن نزولاً فإن أنكر أنه كفر بعد قيام البينة عليه فلا يستتاب بل يقتل. أما إن أقر فإنه يستتاب و كذلك من تكررت ردته مراراً كثيرة فإن ذلك متلاعب بدينه فاسد الطوية يقتل ولا يستتاب. يقول ابن تيمية في تقرير ما سبق (ويدل على المسألة ما روى أبو إدريس قال أتى علي رضي الله عنه بناس من الزنادقة ارتدوا عن الإسلام فسألهم فجحدوا فقامت عليهم البينة العدول قال فقتلهم ولم يستتبهم قال وأتى برجل كان نصرانياً وأسلم ثم رجع عن الإسلام قال فسأله فأقر بما كان منه فاستتابه فتركه فقيل له كيف تستتيب هذا ولم تستتب أولئك قال إن هذا أقر بما كان منه وإن أولئك لم يقروا وجحدوا حتى قامت عليهم البينة فلذلك لم أستتبهم رواه الإمام أحمد.... فهذا من أمير المؤمنين علي بيان أن كل زنديق كتم زندقته وجحدها حتى قامت عليه البينة قتل ولم يستتب وأن النبي ﷺ لم يقتل من جحد زندقته من المنافقين لعدم قيام

---

(١) الصارم المسلول (ص ٣٥٥ ـ ٣٥٨).

(٢) انظر المحلى لابن حزم (١١ :٢١٢) وما بعدها.

البينة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة ﴾ إلى قوله: ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ فعلم أن من لم يعترف بذنبه كان من المنافقين ولهذا الحديث قال الإمام أحمد في الرجل يشهد عليه بالبدعة فيجحد ليست له توبة إنما التوبة لمن اعترف فأما من جحد فلا توبة له. قال القاضي أبو يعلى وغيره: وإذا اعترف بالزندقة ثم تاب قبلت توبته لأنه باعترافه يخرج عن حد الزندقة لأن الزنديق هو الذي يستبطن الكفر ولا يظهره فإذا اعترف به ثم تاب خرج عن حده فلهذا قبلنا توبته)[1]. وقال أيضاً: (وإذا ثبت أنه كافر مستهين به (يقصد بالرسول ﷺ) فإظهار الإقرار برسالته بعد ذلك لا يدل على زوال ذلك الكفر والاستهانة لأن الظاهر إنما يكون دليلاً صحيحاً معتمداً إذا لم يثبت أن الباطن بخلافه فإذا قام دليل على الباطن لم يلتفت إلى ظاهر قد علم أن الباطن بخلافه ولهذا اتفق العلماء على أنه لا يجوز للحاكم أن يحكم بخلاف علمه وإن شهد عنده بذلك العدول ويجوز له أن يحكم بشهادتهم إذا لم يعلم خلافها وكذلك أيضاً لو أقر إقراراً علم أنه كاذب فيه مثل أن يقول لمن هو أكبر منه هذا ابني لم يثبت نسبه ولا ميراثه باتفاق العلماء وكذلك الأدلة الشرعية مثل خبر العدل الواحد ومثل الأمر والنهي والعموم والقياس يجب اتباعها إلا أن يقوم دليل أقوى منها يدل على أن باطنها مخالف لظاهرها ونظائر هذا كثيرة. فإذا علمت هذا فنقول هذا الرجل قد قام الدليل على فساد عقيدته وتكذيبه به واستهانته له فإظهاره الإقرار برسالته الآن ليس فيه أكثر مما كان يظهره قبل هذا وهذا القدر بطلت دلالته فلا يجوز الاعتماد عليه وهذه نكتة من لا يقبل توبة الزنديق وهو مذهب أهل المدينة ومالك وأصحابه والليث بن سعد وهو المنصور من الروايتين عن أبي حنيفة وهو إحدى الروايات عن أحمد نصرها كثير من أصحابه وعنهما أنه يستتاب وهو المشهور عن الشافعي وقال أبو يوسف

(١) الصارم المسلول (ص ٣٦٠ ـ ٣٦١).

آخراً: اقتله من غير استتابة لكن إن تاب قبل أن أقتله قبلت توبته وهذا أيضاً الرواية الثالثة عن أحمد. . . . ويدل على جواز قتل الزنديق والمنافق من غير استتابة قوله تعالى: ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ﴾ إلى قوله: ﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ﴾ قال أهل التفسير أو بأيدينا بالقتل، إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلناكم وهو كما قالوا لأن العذاب على ما يبطنونه من النفاق بأيدينا لا يكون إلا القتل لكفرهم ولو كان المنافق يجب قبول ما يظهر من التوبة بعدما ظهر نفاقه وزندقته لم يمكن أن يتربص بهم أن يصيبهم الله تعالى بعذاب من عنده أو بأيدينا لأنا كلما أردنا أن نعذبهم على ما أظهروه أظهروا التوبة. وقال قتادة وغيره قوله تعالى: ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ﴾ إلى قوله: ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ قالوا في الدنيا القتل وفي البرزخ عذاب القبر. ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم ﴾ إلى قوله: ﴿ يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾. .

دلت هذه الآيات كلها على أن المنافقين كانوا يرضون المؤمنين بالأيمان الكاذبة وينكرون أنهم كفروا ويحلفون أنهم لم يتكلموا بكلمة الكفر وذلك دليل على أنهم يقتلون إذا ثبت ذلك عليهم بالبينة لوجوه:

أحدها: أنهم لو كانوا إذا أظهروا التوبة قبل ذلك منهم لم يحتاجوا إلى الحلف والإنكار ولكانوا يقولون قلنا وقد تبنا فعلم أنهم كانوا يخافون إذا ظهر ذلك عليهم أنهم يعاقبون من غير استتابة.

الثاني: أنه قال تعالى: ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة ﴾ واليمين إنما تكون

جنة إذا لم نأت ببينة عادلة تكذبها فإذا كذبتها بينة عادلة انخرقت الجنة فجاز قتلهم ولا يمكنه أن يجتن بعد ذلك إلا بجنة من جنس الأولى وتلك جنة مخروقة.

الثالث: أن الآيات دليل على أن المنافقين إنما عصم دماءهم الكذب والإنكار ومعلوم أن ذلك إنما يعصم إذا لم تقم بينة بخلافه ولذلك لم يقتلهم النبي ﷺ. . . . ومعلوم أن الكافر إذا أظهر التوبة من الكفر كان تركاً له في الظاهر ولا يعلم ما يخالفه أما المنافق فإذا أظهر الإسلام لم يكن تركاً للنفاق لأن ظهور هذه الحال منه لا ينافي النفاق ولأن المنافق إذا كان جهاده بإقامة الحد عليه كجهاد الذي في قلبه مرض وهو الزاني إذا زنى لم يسقط عنه حده إذا أظهر التوبة بعد أخذه لإقامة الحد عليه كما قد عرف ولأنه لو قبلت علانيتهم دائماً مع ثبوت ضدها لم يكن إلى الجهاد على النفاق سبيل فإن المنافق إذا ثبت عنه أنه أظهر الكفر فلو كان إظهار الإسلام حينئذٍ ينفعه لم يمكن جهاده. . . ويدل على جواز قتل الزنديق والمنافق من غير استتابة ما خرجاه في الصحيحين عن علي في قصة حاطب بن أبي بلتعة فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي ﷺ إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». فدل على أن ضرب عنق المنافق من غير استتابة مشروع إذ لم ينكر النبي ﷺ على عمر استحلال ضرب عنق المنافق ولكن أجاب بأن هذا ليس بمنافق ولكنه من أهل بدر المغفور لهم فإذا أظهر النفاق الذي لا ريب أنه نفاق فهو مباح الدم. . . . . وقد أخرجا في الصحيحين عن زيد بن أرقم قال خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبي لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد يا رسول الله قال فوقع في نفسي مما قالوه

شدة حتى أنزل الله تصديقي ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾ قال ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم. ففي هذه القصة بيان أن قتل المنافق جائز من غير استتابة[1] وإن أظهر إنكار ذلك القول وتبرأ منه وأظهر الإسلام وإنما منع النبي ﷺ من قتله ما ذكره من تحدث الناس أنه يقتل أصحابه لأن النفاق لم يثبت عليه بالبينة وقد حلف أنه ما قال وإنما علم بالوحي وخبر زيد بن أرقم. وأيضاً لما خافه من ظهور فتنة بقتله وغضب أقوام يخاف افتتانهم بقتله...... وذكر بعضهم أن رجلاً من المنافقين خاصم رجلاً من اليهود إلى النبي ﷺ فقضى النبي ﷺ لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر بن الخطاب فأقبل إلى عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرضَ بقضائه وزعم أنه مخاصم إليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما رويدكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر البيت فأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج به إليهما فضرب به المنافق حتى برد فقال هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزل قوله: ﴿ ألم ترَ إلى الذين يزعمون ﴾ الآية. وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقد تقدمت هذه القصة مروية من وجهين. ففي هذه الأحاديث دلالة على أن قتل المنافق كان جائزاً إذ لولا ذلك لأنكر النبي عليه الصلاة والسلام على من استأذنه في قتل المنافق ولأنكر على عمر إذ قتل من قتل من المنافقين ولأخبر عليه الصلاة والسلام أن الدم معصوم بالإسلام ولم يعلل ذلك بكراهية غضب عشائر المنافقين لهم وأن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه وأن يقول القائل لما ظفر بأصحابه

---

(١) أخذ ابن تيمية الدلالة من سياق آخر للقصة في الصحيحين عن عمر وعن جابر وفيه قال عمر ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث ـ لعبد الله ـ فقال النبي عليه الصلاة والسلام لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

أقبل يقتلهم لأن الدم إذا كان معصوماً كان هذا الوصف عديم التأثير في عصمة دم المعصوم ولا يجوز تعليل الحكم بوصف لا أثر له وترك تعليله بالوصف الذي هو مناط الحكم وكما أنه دليل على القتل فهو دليل على القتل من غير استتابة على ما لا يخفى)[1].

(١) الصارم المسلول (ص ٣٤٣ ـ ٣٥٥).

٥ ـ الترغيب في الجهاد وبيان فضائله

إن للجهاد منزلة عظيمة في الإسلام وقد عده بعض العلماء ركناً من أركان الإسلام يقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف (والجهاد ركن من أركان الإسلام الذي لا استقامة للإسلام ولا قوام لشرائعه إلاّ به)[1]. ووصفه رسول الله ﷺ بأنه ذروة سنام الدين[2]. وفضائله في الكتاب والسنّة لا تحصى كثرة، وأحيل القارىء الكريم على فصل أهداف الجهاد وغايته وفصل أثر الجهاد في انتشار الدعوة الإسلامية من هذا البحث المتواضع ليطلع على طرف من أهمية الجهاد وفوائده ،واقتصر في هذا الفصل على ذكر طرف من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تبين فضائل الجهاد والإنفاق فيه وفضائل الشهداء والمرابطة في سبيل الله تعالى وعلى الله قصد السبيل.

١ ـ سورة البقرة:

قال الله تعالى: ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع عبد الرحمن بن قاسم (٧: ١٢).
(٢) المستدرك للحاكم (٢: ٧٦).

ولكن لا تشعرون ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ وقال سبحانه: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾[3]

٢ ـ سورة آل عمران:

قال تعالى: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأنّ الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾[4].

٣ ـ سورة النساء:

قال تعالى: ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾[5]. وقال سبحانه: ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين

---

(١) سورة البقرة: ١٥٤

(٢) البقرة: ٢١٨

(٣) البقرة: ٢٦١

(٤) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١

(٥) النساء: ٧٤

بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[1].

٤ ـ سورة المائدة :

قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾[2].

٥ ـ سورة الأنفال :

قال تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير. والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم ﴾[3].

٦ ـ سورة التوبة :

قال تعالى: ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا

---

(١) النساء: ٩٥ ـ ٩٦
(٢) المائدة: ٣٥
(٣) الأنفال: ٧٢ ـ ٧٤

يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون. أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾[٣٤].

وقال: ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين. ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴾[5].

---

(١) العوبة: ١٩ ـ ٢٢.
(٢) التوبة: ٤١
(٣) التوبة: ٨٨ ـ ٨٩
(٤) التوبة: ١١١
(٥) التوبة: ١٢٠ ـ ١٢١

٧ - سورة محمد:

قال تعالى: ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾[١].

٨ - سورة الفتح:

قال تعالى: ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾[٣].

٩ - سورة الصف:

قال تعالى: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾[٤] .

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾[٥].

---

(١) محمد: ٤ - ٦

(٢) الفتح: ١٨

(٣) الفتح: ٢٩

(٤) الصف: ٤

(٥) الصف: ١٠ - ١٣

هذه بعض الآيات الكريمات الدالة على فضل الجهاد والمجاهدين وأما الأحاديث فكثيرة جداً لا تحيط بها رسالة وسوف أقتصر على ذكر طرف مما في صحيح البخاري وصحيح مسلم وبعض الصحيح مما في دواوين السنّة الأخرى.

١ ـ صحيح البخاري:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال دلني على عمل يعدل الجهاد. قال لا أجده؛ قال هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر قال ومن يستطيع ذلك. قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله[١] فيكتب له حسنات[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ﷺ أي الناس أفضل فقال رسول الله ﷺ: (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله.. الحديث)[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مثل المجاهد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد في سبيله ـ كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة)[٤].

---

(١) استنان الفرس هو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً وطوله حبله المشدود به المطول له ليرعى وهو بيد صاحبه.
(٢) صحيح البخاري (٣: ٢٠٠).
(٣) البخاري (٣: ٢٠١).
(٤) البخارى (٣: ٢٠١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. . . الحديث)[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها)[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى. .) الحديث[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: (والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل)[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك)[5].

وعن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة ـ وكان قتل يوم بدر

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) البخاري (٣: ٢٠٣).
(٤) البخاري (٣: ٢٠٣).
(٥) البخاري (٣: ٢٠٤).

أصابه سهم غرب ـ فإن كان في الجنة صبرت و إن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء قال يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)[١].

وعن أبي عيسى عبد الرحمن بن جبر أن رسول الله ﷺ قال: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)[٢].

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنةكل خزنة باب أي فل هلم..) الحديث[٤]. وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة)[٥].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها)[٦].

---

(١) البخاري (٣: ٢٠٦).
(٢) البخاري (٣: ٢٠٧).
(٣) البخاري (٣: ٢٠٨).
(٤) البخاري (٣: ٢١٣).
(٥) البخاري (٣: ٢١٦).
(٦) البخاري (٣: ٢٢٤).

٢ ـ صحيح مسلم:

وسوف نقتصر على ذكر الأحاديث التي لم نذكرها من صحيح البخاري.

فعن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾. قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم إطلاعة فقال هل تشتهون شيئاً قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا)[١].

وعن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان)[٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين)[٣].

٣ ـ بعض الأحاديث الصحاح والحسان الواردة في دواوين السنّة غير الصحيحن:

قال ﷺ: (جاهدوا في سبيل الله فإن الجهاد في سبيل الله باب من

---

(١) صحيح مسلم مع النووي (١٣ : ٣١).
(٢) صحيح مسلم مع النووي (١٣ : ٦١).
(٣) صحيح مسلم مع النووي (١٣ : ٣٠).

أبواب الجنة ينجي الله به من الهم والغم)[١].

وقال ﷺ: (أنا زعيم - والزعيم الحميل - لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة،وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً يموت حيث شاء أن يموت)[٢]. وقال ﷺ: (من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة)[٣].

وقال ﷺ: (إن للشهيد عند الله خصالاً:أن يغفر له من أول دفعة من دمه،ويرى مقعده من الجنة،ويحلى حلية الإيمان،ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر،ويأمن من الفزع الأكبر،ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها،ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه)[٤].

وقال ﷺ لمعاذ: (إن شئت أنبأتك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه)

---

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم (٣:٧٧) وقال المحققان شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط أخرجه أحمد (٥: ٣١٤،٣١٦،٣١٩،٣٢٦،٣٣٠) من حديث عبادة بن الصامت وسنده حسن وصححه الحاكم (٢ : ٧٥) ووافقه الذهبي .

(٢) زاد المعاد (٣ : ٧٧) وقال المحققان رواه النسائي (٦ : ٢١) في الجهاد . وسنده حسن وصححه ابن حبان (١٥٨٦) والحاكم (٣ : ٧١) ووافقه الذهبي .

(٣) زاد المعاد (٣ : و٧٨) وقال المحققان حديث صحيح أخرجه أبو داود (٢٥٤١) في الجهاد والنسائي (٦: ٢٥، ٢٦)، في الجهاد وابن ماجة (٢٧٩٢) والترمذي (١٦٥٧) .

(٤) زاد المعاد (٣ : ٩١) وقال المحققان أخرجه أحمد (٤ : ١٣١) والترمذي (١٦٦٣) وابن ماجه (٢٧٩٩) من حديث المقدام بن معد يكرب وإسناده صحيح

قال: أجل يا رسول الله قال: (أما رأس الأمر فالإسلام وأما عموده فالصلاة وأما ذروة سنامه فالجهاد)[1].

وقال ﷺ: (القتلى ثلاثة رجل مؤمن جاهد بماله ونفسه في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل فذاك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة. ورجل مؤمن فرق على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قتل فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه إن السيف محاء الخطايا وأدخل من أي أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض. ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى يقتل فإن ذلك في النار إن السيف لا يمحو النفاق)[2].

(١) الحاكم (٢ : ٧٦) وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .
(٢) زاد المعاد (٣: ٩٤) وقال المحققان أخرجه أحمد (٤: ١٨٥) والدارمي (٢: ٢٠٦) وسنده حسن وصححه ابن حبان (١٦١٤).

٦ ـ الترهيب من ترك الجهاد وبيان عواقبه

ترك الجهاد مع القدرة عليه كبيرة من الكبائر, يقول ابن حجر الهيتمي: (الكبيرة التسعون والحادية والثانية والتسعون بعد الثلثمائة ترك الجهاد عند تعينه بأن دخل الحربيون دار الإسلام أو أخذوا مسلماً وأمكن تخليصه منهم وترك الناس الجهاد من أصله وترك أهل الإقليم تحصين ثغورهم بحيث يخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين)[1] .

بل لا خلاف بين علماء المسلمين على أن أي طائفة امتنعت عن جهاد الكفار أو ضرب الجزية عليهم تجاهد هي بذاتها حتى ترجع إلى الصواب وتلتزم هذه الفريضة المحكمة التي ورد بها الكتاب والسنة والإجماع . يقول ابن تيمية رحمه الله : (فأيما طائفة امتنعت من بعض الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا والميسر أو عن نكاح ذوات المحارم أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته ـ التي لا عذر لأحد في جحودها وتركها ـ التي يكفر الجاحد لوجوبها فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (٢ : ١٦٣) .

الممتنعة اذا أصرت على ترك بعض السنن كركعتي الفجر والأذان والإقامة ـ عند من لا يقول بوجوبها ـ ونحو ذلك من الشعائر هل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا؟ فأما الواجبات والمحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين على الإمام أو الخارجين عن طاعته كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛فإن أولئك خارجون عن طاعة إمام معين أو خارجون عليه لإزالة ولايته،وأما المذكورون فهم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة)[1] . ولأجل هذا كان ترك الجهاد علامة النفاق قال ﷺ «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق »[2] . وقال تعالى : ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾[3] .
يقول سيد قطب عند تفسير هذه الآيات:(وهذه هي القاعدة التي لا تخطىء فالذين يؤمنون بالله ويعتقدون بيوم الجزاء لا ينتظرون أن يؤذن لهم في أداء فريضة الجهاد ولا يتلكأون في تلبية داعي النفرة في سبيل الله بالأموال والأرواح بل يسارعون إليها خفافاً وثقالاً كما أمرهم الله طاعة لأمره ويقيناً بلقائه وثقة بجزائه وابتغاء لرضاه وإنهم ليتطوعون تطوعاً فلا يحتاجون إلى من يستحثهم فضلاً عن الإذن لهم إنما يستأذن أولئك الذين خلت قلوبهم من اليقين فهم يتلكأون ويتلمسون المعاذير لعل عائقاً من العوائق يحول بينهم وبين النهوض بتكاليف العقيدة التي يتظاهرون بها وهم يرتابون فيها ويترددون)[4] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ : ٥٠٣) .
(٢) صحيح مسلم مع النووي (١٣ : ٥٦).
(٣) التوبة : ٤٤ ـ ٤٥ .
(٤) في ظلال القرآن (٣ ١٦٦٢).

وقال تعالى : ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون. فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون﴾(١) .

١ ـ وترك الجهاد سبب للهلاك في الدنيا والآخرة؛ فأما الهلاك في الدنيا فإن الجبان الرعديد الذي لا همة له في قتال الأقران ولا طاقة له بالذود عن حياضه يكون ذليلاً مستعبداً تابعاً غير متبوع، وأما في الآخرة فهو يهلك ـ إن لم يتغمده الله برحمته ـ بترك فريضة محكمة أنزلها الله في كتابه بها عز الإسلام والمسلمين وإذلال الشرك والمشركين ، قال تعالى : ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾(٢) . قال ابن كثير: (وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري فقال أناس ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا؛ صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار نجياً فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما فنزل فينا: وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد(٣) .

---

(١) التوبة : ٨١ ـ ٨٢ .

(٢) البقرة : ١٩٥ .

(٣) تفسير ابن كثير (١ : ٣٣١) وقارن بما في زاد المعاد (٣ : ٨٧) وقال المحققان لزاد المعاد وإسناده صحيح وصححه ابن حبان (١٦٦٧) والحاكم (٢ : ٢٧٥) ووافقه الذهبي .

٢ ـ وترك الجهاد سبب للذل والهوان قال ﷺ: لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا إلى ما كنتم عليه(١) .

وقد بوب البخاري عليه رحمة الله باباً على هذا المعنى في الصحيح فقال: « باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذي أمر به». وروى تحت هذا العنوان بسنده عن أبي أمامة الباهلي قال ورأى سكة وشيئاً من آلة الحرث فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل(٢) .

قال ابن حجر :(وعن الداودي هذا لمن يقرب من العدو فإنه إذا اشتغل بالحرث لا يشتغل بالفروسية فيتأسد عليه العدو فحقهم أن يشتغلوا بالفروسية وعلى غيرهم إمدادهم بما يحتاجون إليه)(٣) .

وقد صدق الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى فإن الناظر في أحوال المسلمين اليوم الذين أضاعوا معظم دينهم وكان في مقدمة ما أضاعوا جهاد الكفار وضرب الجزية عليهم يرى أنه قد ألزمهم الله الذل في رقابهم فهم يلجأون إلى الشرق الكافر أو الغرب الكافر يطلبون منهم نصرهم وعزهم وما عرفوا أن الذل لا ينزع عنهم حتى يراجعوا دينهم كما أخبر الصادق المصدوق في الحديث المتقدم . وإن استمر هؤلاء على حالهم هذه فليبشروا بما بشرهم الله به: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً﴾(٤) .

---

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد (١٥ : ٤٤) وقال البنا سنده جيد.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٥ : ٤).

(٣) فتح الباري (٥ : ٤).

(٤) النساء: ١٣٨ ـ ١٣٩

فلا عزة إلا بالإيمان ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾[1].

٣ـ وترك الجهاد سبب للبلاء قال ﷺ: (إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم)[2].

وقال ﷺ: (من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)[3].

٤ ـ وترك الجهاد سبب لعذاب الله وبطشه قال تعالى: ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾[4].

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: (والخطاب لقوم معينين في موقف معين ولكنه عام في مدلوله لكل ذوي عقيدة في الله. والعذاب الذي يتهددهم ليس عذاب الآخرة وحده فهو كذلك عذاب الدنيا؛ عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح والغلبة عليهم للأعداء والحرمان من الخيرات واستغلالها للمعادين وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد ويقدمون على مذابح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل فدفعت

---

(١) المنافقون: ٨.

(٢) الفتح الرباني (١٤: ٢٥) وقال البنا ورجال أحمد، ثقات وصححه ابن القطان وقارن بما في زاد المعاد (٣: ٨٧) إذ قال المحققان له إسناده حسن.

(٣) زاد المعاد (٣: ٨٦) وقال المحققان له أخرجه أبو داود (٢٥٠٣) وابن ماجه (٢٧٦٢) والدارمي (٢: ٢٠٩) وسنده قوي.

(٤) التوبة: ٣٩.

مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء)[1] .

وقد جعل الله عقوبة التولي عن جهاد الأعداء يوم الزحف عذاب جهنم قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾[2] .وقال ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)[3]. فقد جعل رسول الله ﷺ التولي عن قتال الكفار من الموبقات وقرنه بالشرك بالله تعالى .

٥ ـ ترك الجهاد والجبن عنه هو الفشل الذي يعرض للبوار . قال تعالى : ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا . . الآية﴾[4] .

والطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة كاد أن يستفزهما الشيطان ويتركوا الجهاد يوم أحد ولكن الله ثبتهم[5] . وقد قص الله علينا خبر بني إسرائيل لما جبنوا عن قتال أهل بيت المقدس كيف أن الله عاقبهم بالتيه أربعين سنة وحرمهم خيراً كثيراً وهذا جزاء عدل للجبان الرعديد الذي يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة قال تعالى : ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم

---

(١) في ظلال القرآن (٣: ١٦٥٥).

(٢) الأنفال: ١٥ ـ ١٦

(٣) صحيح البخاري (٣: ١٩٥).

(٤) آل عمران: ١٢٢

(٥) انظر فتح الباري (٧: ٢٧٥).

ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين. يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾[1] .

وقد وعى صحابة رسول الله ﷺ هذا الدرس فسلكوا منهجاً مخالفاً لمنهج بني إسرائيل حتى لا يجنوا الثمار المشؤومة التي جناها الإسرائيليون ؛فقد روى البخاري في صحيحه بسنده: قال المقداد يوم بدر: يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك[2] .

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد[3] لفعلنا[4]

---

(١) المائدة: ٢٠ ـ ٢٦

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٨: ٢٠٥).

(٣) برك الغماد موضع في أقاصي أرض هجر.

(٤) صحيح مسلم مع النووي (١٢: ١٢٤).

٦ ـ ترك الجهاد سبب لإفساد أهل الأرض بالقضاء على دينهم قال تعالى : ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾(١) . ﴿ولولا دفع الله النـاس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾(٢) .

فلولا أن الله يدفع الكافرين بجهاد المؤمنين ويكبت الكفار ويذلهم لاعتلوا على المؤمنين وإذا اعتلى الكافر جعل الناس يعبدونه هو بدل الله سبحانه وتعالى وإذا عبد الناس من دون الله أحداً فسدت حياتهم كلها لأن الحياة لا تستقيم إلا إذا سارت على المنهج الذي رسمه الله وهو المنهج الذي يحقق العبودية لله ويحقق الأخلاق الرفيعة والفضائل الحميدة للبشر فالذي رسم المنهج هو الله الذي خلق الحياة والأحياء، العالم بما يصلحهم،أما إذا اعتلى كافر على الأرض وشرع للناس من عند نفسه فإنه لا يعلم جميع الأمور وليس مبـرأ من النقص والهوى ولا يعلم ما الذي يصلح النفس البشرية فيتخبط خبط عشواء ويفسد الحياة كما هو الحال اليوم . ونظرة على الواقع الذي يعتلي فيه كافر كافية بتقرير هذه الحقيقة ولولا تخاذل المسلمين عن الجهاد الذي أمر الله به لصلحت حياة الناس الذين يحكمون بشرع الله.لأجل هذا شرع رسول الله ﷺ الجهاد حتى مع الإمام الفاجر الذي لم يصل إلى درجة الكفـر لأن بقاء الإسـلام وأهله يحكمهم فـاسق خيـر لهم من أن يحكمهم كافر يحكم بغير ما أنزل الله فإن الحكم بغير ما أنزل الله هو سبب فساد الأرض قال ابن قدامة: « مسألة » ويغزى مع كل بر وفاجر يعني مع كل إمام قال أبو عبد الله وسئل عن الرجل يقول أنا لا أغزو ويأخذه ولد العباس إنما يوفر الفيء عليهم فقال:سبحان الله هؤلاء قوم

---

(١) البقرة : ٢٥١ .

(٢) الحج : ٤٠ .

سوء هؤلاء القعدة مثبطون جهال فيقال أرأيتم لو أن الناس كلهم قعدوا كما قعدتم من كان يغزو أليس كان قد ذهب الإسلام . ما كانت تصنع الروم وقد روى أبو داود بإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً . . ولأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضي إلى قطع الجهاد وظهور الكفار على المسلمين واستئصالهم وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم قال الله تعالى :﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾[1] .

٧ ـ ترك الجهاد يفوت مصالح عظيمة للمسلمين منها الأجر والثواب والشهادة والمغنم والتربية الإيمانية التي لا تحصل بدون الجهاد ودفع شر الكفار وإذلالهم ورفع شأن المسلمين وإعزازهم وإدخال أناس في الإسلام وفي الجملة فترك الجهاد يفوت سائر الأهداف النبيلة للجهاد التي مر معنا ذكرها

---

(١) المغني (٨: ٣٥٠).

٧ ـ أثر الجهاد في انتشار الدعوة الإسلامية

الصراع بين الحق والباطل سنة جارية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . يقول الله عز وجل : ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾[١] . ويقول تعالى : ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمعه فإذا هو زاهق﴾[٢] . ويقول عز وجل في الحديث القدسي لنبيه ﷺ الذي رواه في صحيحه:« إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك »[٣] .

والكثير من البشر لا ينقادون للحق بدون قوة تحملهم على ذلك يقول تعالى : ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[٤] . وروى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: أول من يدعى يوم القيامة آدم فتراءى[٥] ذريته فيقال هذا أبوكم آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول أخرج بعث جهنم من ذريتك فيقول يا رب كم أخرج فيقول أخرج من كل مائة تسعة وتسعين فقالوا يا رسول الله إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا قال إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود[٦] .

---

(١) البقرة : ٢١٧ .

(٢) الأنبياء : ١٨ .

(٣) صحيح مسلم مع النووي (١٧ : ١٩٨) .

(٤) يوسف : ١٠٣ .

(٥) فتراءى: يقال تراءى لي أي ظهر وتصدى لأن أراه.

(٦) صحيح البخاري (٧ : ١٩٦)

ولكون أهل الباطل هم الكثرة دائماً فإنه لا ينقمع شرهم وفسادهم إلا بقوة ترهبهم وتكسر شوكتهم لأجل ذلك قال الله تعالى : ﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾[1] . وقال سبحانه : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[2] وقال تعالى : ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾[3] .

وبين الله عز وجل بأنه لولا جهاد المسلمين للكافرين لفسدت الأرض ولهدمت المساجد قال تعالى : ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾[4] . وقال سبحانه ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[5] .

قال ابن زيد (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لولا القتال والجهاد)[6] . وقال مقاتل (لولا دفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المسلمين وخربوا المساجد)[7] .

وقال الله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب

---

(١) الانفال : ٥٧ .
(٢) الأنفال : ٦٠ .
(٣) الانفال : ٦٧ .
(٤) البقرة : ٢٥١ .
(٥) الحج : ٤٠ .
(٦) تفسير الطبري (٧ : ١٢٤) .
(٧) زاد المسير لابن الجوزي (١ : ٣٠) .

والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾[1] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:(وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده من بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وتبيان ودلائل فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده)[2] .

إن الدين الإسلامي لا يتحقق في أنفس المسلمين ولا في واقع الناس إلا بالجهاد بجميع أنواعه . يقول سيد قطب رحمه الله:(هناك حقيقة أولية عن طبيعة هذا الدين وطريقة عمله في حياة البشر حقيقة أولية بسيطة ولكنها مع بساطتها كثيراً ما تنسى أو لا تدرك ابتداء فينشأ عن نسيانها أو عدم إدراكها خطأ جسيم في النظر إلى هذا الدين ؛ حقيقته الذاتية وواقعه التاريخي ، حاضره ومستقبله .كذلك إن البعض ينتظر من هذا الدين - ما دام منزلاً من عند الله - أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة غامضة الأسباب ودون أي اعتبار لطبيعة البشر ولطاقاتهم الفطرية ولواقعهم المادي في أية مرحلة من مراحل نموهم وفي أية بيئة من بيئاتهم وحين لا يرون أنه يعمل بهذه الطريقة ، وحين يرون أن الطاقة البشرية المحدودة والواقع المادي للحياة الإنسانية يتفاعلان معه فيتأثران به في فترات تأثراً واضحاً على حين أنهما في فترات أخرى يؤثران تأثيراً مضاداً لاتجاهه فتقعد بالناس شهواتهم وأطماعهم وضعفهم ونقصهم دون تلبية هتاف هذا الدين أو الاتجاه معه في طريقه . حين يرون هذا فإنهم يصابون بخيبة أمل

---

(١) الحديد : ٢٥ .

(٢) تفسير ابن كثير (٨ : ٥٣) .

لم يكونوا يتوقعونها أو يصابون بخلخلة في ثقتهم بجدية المنهج الديني للحياة وواقعيته أو يصابون بالشك في الدين إطلاقاً وهذه السلسلة من الأخطاء تنشأ كلها من خطأ واحد أساسي هو عدم إدراك هذا الدين وطريقته أو نسيان هذه الحقيقة الأولية البسيطة . إن هذا الدين منهج إلهي للحياة البشرية يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم في حدود طاقتهم البشرية وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في كل بيئة ويبدأ العمل من النقطة التي يكون البشر عندها حينما يتسلم مقاليدهم ويسير بهم إلى نهاية الطريق في حدود طاقتهم البشرية وبقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة . وميزته الأساسية أنه لا يغفل لحظة في أية لحظة وفي أية خطوة عن فطرة الإنسان وحدود طاقته وواقع حياته المادي أيضاً وأنه في الوقت ذاته يبلغ به ـ كما تحقق ذلك فعلاً في بعض الفترات وكما يمكن أن يتحقق دائماً كلما بذلت محاولة جادة ـ إلى ما لم يبلغه أي منهج آخر من صنع البشر على الإطلاق وفي يسر وراحة وطمأنينة واعتدال . ولكن الخطأ كله كما تقدم ينشأ من عدم إدراك طبيعة هذا الدين أو من نسيانها ومن انتظار الخوارق المجهولة الأسباب على يديه تلك الخوارق التي تبدل فطرة الإنسان ولا تبالي طاقاته المحدودة ولا تحفل واقعه المادي البيئي . أليس هو من عند الله ؟ أليس الله قادراً على كل شيء ؟ فلماذا إذن يعمل هذا الدين فقط في حدود الطاقة البشرية المحدودة وتتأثر نتائج عمله بالضعف البشري ؟ بل لماذا يحتاج أصلاً الى الجهد البشري ؟ ثم لماذا لا ينتصر دائماً ولا ينتصر أصحابه دائماً لماذا تغلب ثقلة الضعف والشهوات والواقع المادي على رفرفته وشفافيته وانطلاقه أحياناً ولماذا يغلب أهل الباطل على أصحابه ـ وهم أهل الحق ـ أحياناً . . وكلها كما ترى أسئلة وشبهات تنبع ابتداء من عدم إدراك الحقيقة الأولية لطبيعة هذا الدين وطريقته أو من نسيانها . إن الله قادر ـ طبعاً ـ على تبديل فطرة الإنسان عن طريق هذا الدين أو عن غير طريقه ولكنه سبحانه شاء أن يخلق الإنسان بهذه الفطرة لحكمة يعلمها وشاء أن يجعل الهدى ثمرة الجهد والرغبة في الهدى

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ وشاء أن تعمل فطرة الإنسان دائماً ولا تمحى ولا تعطل ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ وشاء أن يتم تحقيق منهجه الإلهي للحياة البشرية عن طريق الجهد البشري وفي حدود الطاقة البشرية . ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ وشاء أن يبلغ الإنسان من هذا كله بقدر ما يبذل من الجهد وما ينفق من الطاقة وما يصبر على الابتلاء في تحقيق هذا المنهج الإلهي القويم وفي دفع الفساد عن نفسه وعن الحياة من حوله ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ وليس لأحد من خلق الله أن يسأله سبحانه لماذا شاء هذا كله على هذا النحو الذي أراده فكان . ليس لأحد من خلقه أن يسأله سبحانه ما دام أن أحداً من خلقه ليس إلهاً وليس لديه العلم ولا إمكان العلم بالنظام الكلي لهذا الكون ومقتضيات هذا النظام في طبيعة كل كائن في هذا الوجود . . . وهذا المنهج الإلهي الذي يمثله الإسلام في صورته النهائية كما جاء بها محمد ﷺ لا يتحقق في الأرض وفي دنيا الناس بمجرد تنزله من عند الله لا يتحقق بكلمة « كن الإلهية » مباشرة لحظة تنزله ولا يتحقق بمجرد إبلاغه للناس وبيانه ولا يتحقق بالقهر الإلهي على نحو ما يمضي ناموسه في دورة الفلك وسير الكواكب. إنما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر تؤمن به إيماناً كاملاً وتستقيم عليه بقدر طاقتها وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك وتجاهد لهذه الغاية بكل ما تملك تجاهد الضعف البشري والهوى البشري في داخل النفوس وتجاهد الذين يدفعهم الضعف والهوى للوقوف في وجه الهدى وتبلغ بعد ذلك كله من تحقيق هذا المنهج إلى الحد الذي تطيقه فطرة البشر والذي يهيئه لهم واقعهم المادي ومقتضياته في سير وتتابع مراحل هذا المنهج الإلهي ثم تنتصر هذه الجماعة على نفسها وعلى نفوس الناس معها تارة وتنهزم في المعركة مع نفسها أو مع نفوس الناس تارة بقدر

ما تبذل من الجهد وبقدر ما تتخذ من الوسائل المناسبة للزمان ولمقتضيات الأحوال وقبل كل شيء بمقدار ما تمثل هي ذاتها من حقيقة هذا المنهج ومن ترجمته ترجمة عملية في واقعها وسلوكها الذاتي . . . وعلى أنه من الملاحظ الواضح أن ترك المنهج الإلهي للجهد البشري يتولى تحقيقه في حدود الطاقة البشرية يصلح للنفوس البشرية ويصلح الحياة البشرية . نقول هذا لا لنعلل به مشيئة الله سبحانه في جعل الأمر على ما جعله ولكن لنسجل فقط ملاحظة واقعية لآثار هذه المشيئة في حياة العباد .

ذلك أن حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة هذه الناس في أمر هذا الإيمان مجاهدتهم بالقلب بكراهة باطلهم وجاهليتهم والعزم على نقلهم منها إلى الحق والإسلام ومجاهدتهم باللسان بالتبليغ والبيان ورفض باطلهم الزائف وتقرير الحق الذي جاء به الإسلام ومجاهدتهم باليد بالدفع والإزالة من طريق الهدى حين يعترضونه بالقوة الباغية والبطش الغشوم وحتى يتعرض في تلك المجاهدة للابتلاء والأذى والصبر على الابتلاء والأذى والصبر على الهزيمة والصبر على النصر أيضاً . فالصبر على النصر أشق من الصبر على الهزيمة . ثم يثبت ولا يرتاب ويستقيم ولا يتلفت ويمضي في طريق الإيمان راشداً صاعداً . حقيقة الإيمان لا يتم لأنه يجاهد نفسه كذلك في أثناء مجاهدته للناس وتتفتح له في الإيمان آفاق لم تكن لتتفتح له أبداً وهو قاعد آمن ساكن وتتبين له حقائق في الناس وفي الحياة لم تكن لتتبين له أبداً بغير هذه الوسيلة ويبلغ هو بنفسه وبمشاعره وتصوراته وبعاداته وطباعه وانفعالاته واستجاباته ما لم يكن ليبلغه أبداً بدون هذه التجربة الشاقة العسيرة وهذا بعض ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ وأول ما تفسد : فساد النفوس بالركود الذي تأسن معه الروح وتسترخي معه الهمة ويتلفها الرخاء والطراوة ثم تأسن الحياة كلها بالركود أو بالحركة في مجال الشهوات وحدها كما يقع للأمم حين تبتلى

بالرخاء . فهذه كذلك من الفطرة التي فطر الله الناس عليها لقد جعل صلاح هذه الفطرة في المجاهدة لإقرار منهج الله للحياة البشرية عن طريق الجهد البشري وفي حدود الطاقة البشرية كذلك . ثم إن هذه المجاهدة وما يصاحبها من الابتلاء هي الوسيلة العملية لتمحيص الصفوف بعد تمحيص النفوس ولتنقية الجماعة من المعطلين والمعوقين والمرجفين ومن ضعاف النفوس والقلوب ومن المخادعين والمنافقين والمرائين وهذه هي الحقيقة التي شاء الله أن يعلمها للجماعة المسلمة وهي تتعرض للامتحان وتتعرض للابتلاء وتتكشف فيها خفايا النفوس كما تتميز فيها الصفوف تحت مطارق الابتلاء ومشقة التجربة ومرارة الآلام . . . ولا يتم تمام القول في طبيعة هذا الدين وطريقته حتى نضيف إلى تلك الحقيقة ـ التي نرجو أن نكون قد كشفنا عنها في هذا البيان ـ تكملة ضرورية لها لا بد من بيانها كذلك : إن كون هذا المنهج الإلهي متروك تحقيقه للجهد البشري في حدود الطاقة البشرية وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في شتى المدارج وشتى البيئات لا يعني استقلال الإنسان نهائياً بهذا الأمر وانقطاعه عن قدر الله وتدبيره ومدده وعونه وتوفيقه وتيسيره فتصور الأمر على هذا النحو مخالف في أصوله لطبيعة التصور الإسلامي ولقد بينا فيما سلف أن الله سبحانه يساعد من يجاهد للهدى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ وأنه يغير حال الناس حين يغيرون ما بأنفسهم وأنه لا يغير ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ وهذان النصان يوضحان لنا العلاقة بين الجهد البشري الذي يبذله الناس وعون الله ومدده الذي يسعفهم به فيبلغون به ما يجاهدون فيه من الخير والهدى والصلاح والفلاح فإرادة الله هي الفاعلة في النهاية وبدونها لا يبلغ الإنسان بذاته شيئاً ولكن هذه الإرادة تعين من يعرف طريقها ويستمد عونها ويجاهد في الله ليبلغ رضاه)[1] .

---

(١) من كتاب هذا الدين لسيد قطب ص ٣ ـ ١٣ .

لهذا كان تأثير الجهاد في نشر الإسلام في الأرض عظيماً يقول ابن القيم عن بعثة النبي ﷺ:(وبعثه بالكتاب الهادي والسيف الناصر بين يدي الساعة حتى يعبد سبحانه وحده لا شريك به وجعل رزقه تحت ظل سيفه ورمحه) ويقول رحمه الله (فإن الله سبحانه أقام دين الإسلام بالحجة والبرهان والسيف والعنان فكلاهما في نصره أخوان شقيقان)[1]

وقد شكك في تأثير الجهاد في نشر الإسلام في هذه الأزمنة المتأخرة بعض الذين رباهم الاستعمار على عينه فآثروا حياة الذل والاسترخاء على حياة العز والجهاد فزعموا أن الدعوة السلمية المجردة عن الجهاد هي سبب انتشار الإسلام سابقاً وهي الطريق الأصلح الآن بل بلغ بهم الأمر إلى اعتبار أن انتشار الإسلام بالجهاد فرية على الإسلام ينبغي أن تدفع !! وكان أساتذتهم في هذا العوج الفكري المستشرقون ومن أشهر هؤلاء المستشرق الخبيث توماس أرنولد الذي ألف كتاباً بعنوان « الدعوة إلى الإسلام » يهدف منه إلى إماتة الروح الجهادية عند المسلمين ومن يقرأ كتابه سالف الذكر يرى أنه حريص على تصيد الأخبار الموضوعة والواهية لكي يبرهن بأن الإسلام لم ينتشر بالجهاد وإنما انتشر بالدعوة السلمية المتبرئة من كل قوة وانتشر بالموالاة بين المسلمين والكافرين وبخلط أنظمة الكفر مع أنظمة الإسلام[2] ونحو ذلك وقد قام بترجمة الكتاب المذكور ثلاثة من أبناء المسلمين ذكروا في المقدمة ما يلي : -

(وأما مؤلف هذا الكتاب وهو العالم المحقق السير توماس أرنولد فلا نستطيع أن نقدره قدره !!)[3] .

---

(١) انظر الفروسية لابن القيم ص ٤ .

(٢) المؤلف يسمى الموالاة تسامحاً وخلط أنظمة الكفار مع أنظمة المسلمين حرية دينية ويستشهد على ذلك بحوادث من التاريخ لا تصح وإن صحت عن بعض أفراد المسلمين فليس بحجة على الإسلام.

(٣) مقدمة كتاب الدعوة لأرنولد ص ٥ .

قلت : إن قدره ـ لو يعلم هؤلاء ـ هو الضرب بالسيف حتى يبرد إن لم يخضع للإسلام ويدفع الجزية . ولعل الحامل لهؤلاء المترجمين على تقديس هذا المستشرق وكتابه هو لذع عبارات الفريق الثاني من المستشرقين الذين تعمدوا وصف الجهاد بأنه عمل بدائي يقوم به بدائيون متعطشون للدماء لا هدف لهم إلا قتل الأنفس وجمع الأموال وأخذ النساء والذرية . والجواب على هذا الفريق ليس هو قول الفريق الأول أمثال أرنولد وحزبه فإن كلا الفريقين أراد هدم الإسلام وإنما الجواب الصحيح هو تجلية حقيقة الجهاد وهدفه من الكتاب العزيز والسنة الصحيحة .

ولكن البلية كل البلية إذا تعرض للدفاع عن الإسلام من تكون ثقافته الاستشراقية أكثر من ثقافته الإسلامية أو من يعرف ما قال جولدزيهر وأرنولد وأمثالهما أكثر من معرفته لما قاله البخاري أو أحمد بن حنبل أو ابن تيمية أو ابن حجر أو النووي . لأجل هذا وقع كثير من الكتاب المسلمين في هذا الفخ الذي نصبه لهم المستشرقون فإذا سمعوا من يتهجم على فريضة الجهاد في الإسلام وعلى شدة المسلمين على الكفار وإذلالهم قالوا لهم إنكم أخطأتم والرد عليكم من أبناء جلدتكم استمعوا إلى أرنولد وهو يقول كيت وكيت إلى آخر ما يذكره أرنولد من إماتة للروح الجهادية وإقامة للمودة والمحبة بين المسلمين والكفار . ولا شك أن هذا منهج خاطىء .

قال الله تعالى : ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ ، فالأجدر بهؤلاء أن يرجعوا إلى الكتاب والسنة وما قال علماء الإسلام في شرحهما لا إلى فهم أرنولد وشرحه ولكن كما قيل فاقد الشيء لا يعطيه !

وقد يقول قائل ما دام أن تلاميذ المستشرقين من أبناء المسلمين لا يعرفون حقيقة الجهاد كما أرادها الله فما الذي حملهم على ترجيح قول أرنولد وحزبه المتضمن إماتة الروح الجهادية وتثبيت الولاء والمحبة بين

الكافرين والمسلمين على قول الفريق الثاني المتضمن قطع الموالاة بين المسلمين والكافرين ومحاربة الكافرين ؟ والجواب من وجوه : -

أولاً : إن الفريق الثاني لا يجعلون دوافع الجهاد الإسلامي هي إعلاء كلمة الله وتحرير الناس من ذل العبودية للبشر إلى عزة العبودية لله ونشر العدل على الناس بل يجعلون الدوافع دوافع أرضية هابطة من طلب المال والنساء والتسلط على الآخرين بغير مبرر مما يجعل تلاميذ المستشرقين ينفرون من هذا القول.

ثانياً : إن أسلوب الفريق الأول أرنولد وحزبه أتى في صورة الدفاع عن الإسلام لا الهجوم عليه .

ثالثاً : إن قول الفريق الأول يريح تلاميذ المستشرقين لأنه ينطبق على الواقع التعيس الذي يعيشون فيه فهم نشأوا وترعرعوا محكومين بالكفار وتلقوا علومهم على أيديهم بل وأعجبهم كثير مما يأتي من هؤلاء الحاكمين من آراء ونظريات وأساليب ومناهج للحياة فكيف إذن يرجحون القول الثاني الذي يدفعهم إلى محاربة اساتذتهم ومن أحبوا صنيعهم! إن هذا يكلفهم حملاً ثقيلاً . والحل الوحيد الذي يرونه يريحهم هو اعتناق قول الفريق الأول وتطويع الإسلام ليوافقه - ولا أطيل في ذكر الدوافع التي حملت بعض ذراري المسلمين على تبني مثل هذه الآراء فإن لي معهم وقفة في آخر هذا البحث إن شاء الله تعالى - غير أن الحقيقة التي أقررها في هذا الفصل مستنداً في تقريرها إلى كتاب الله العزيز الحميد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وإلى سنة الرسول ﷺ التي هي من عند الله ، قال تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾[1] هي أن تلاميذ المستشرقين وأساتذتهم قد كذبوا على الله

(١) النجم ٣ - ٤ .

وعلى رسوله وعلى الواقع التاريخي وهذه هي الأدلة : ـ

١ ـ إن الله سبحانه وتعالى اعتبر الجهاد سبباً لإقامة الدين وسبباً لإصلاح الأرض ـ ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾[١] ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يـذكر فيهـا اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمـور﴾[٢] فكيف يكون السبب الحقيقي لإقـامة الـدين وإصلاح الأرض تهمة تدفع لو يعقل تلاميذ المستشرقين !!

٢ ـ إن الله أمر المؤمنين بإعداد العدة لمجاهدة الكفار وإرهابهم فلو كان الإسلام لا ينتشر إلا بالدعوة السلمية فمم يخاف الكفار أمن كلام يقال باللسان فقط ؟ وقد روى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر . . الحديث[٣] ـ وهل يرعب الكفار أن يقال لهم أسلموا فإن لم تسلموا فأنتم أحرار فيما تعتقدون وتفعلون أم كان يرعبهم الجهـاد وضرب الجزية والصغار مما يحملهم على الإسلام وهذا هو نشر الإسلام عن طريق الجهاد وهو المقصود من غزوات رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم عن بريدة قال كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله عز وجل ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغـدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عـدوك من

---

(١) البقرة اية : ٢٥١ .

(٢) الحج ٤٠ ـ ٤١ .

(٣) البخاري مع الفتح ١/٣٩٩ .

المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.. الحديث)[1].

٣ - إن رسول الله ﷺ كان يدعو للإسلام وهو شاهر سيفه ويأمر بذلك قواده لعل الناس إذا رأوا القوة ورأوا تصميم المسلمين على بيع أرواحهم في سبيل ما يدعون إليه تزول عنهم الغشاوة ويعرفون أنهم أصحاب عقيدة لا أصحاب مطامع وشهوات ومن أصرح الأدلة على ذلك ما في صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال: فأرسلوا إليه فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال عليه الصلاة والسلام: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)[2] فهذه دعوة إلى الله سبحانه مقرونة بقوة

---

(١) صحيح مسلم مع النووي ١٢/٢٨ .

(٢) صحيح البخاري ٥/٧٦ .

السلاح ولولا تأثير قوة السلاح في الدعوة إلى الله لما فعل الرسول ﷺ ذلك وأمر به فهو بأبي وأمي لا يأمر أصحابه بما لا فائدة فيه .

٤ - يقول ﷺ: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم)(١)، فالمقصود من البعثة المحمدية هو نشر الإسلام وإظهاره على سائر الأديان فلو لم يكن للسيف تأثير في ذلك لما ذكره هنا .

٥ - إن الرسول ﷺ أخبر أن الله سوف يدخل كلمة الإسلام على الناس عموماً إما بعز أو بذل ولا شك أن سبب ذلك هو الجهاد لأن الكفار لا يذلون إلا من جهاد قتالي ، قال ﷺ: ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر)(٢) ، يقول الشيخ ناصر الدين الألباني بعد تصحيحه لهذا الحديث:(ومما لا شك فيه أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم ومادياتهم وسلاحهم حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان) .

٦ - إن الرسول ﷺ اعتبر ترك الجهاد ذلاً والذليل لا ينشر معتقده وإنما ينشره العزيز وهذا يستلزم أنه لا ينشر الإسلام إلا الجهاد قال ﷺ: « لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا على ما كنتم عليه »(٣) . والنفس البشرية تحب العز وتأنف الذل فإذا رأى

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢/٩٢ وصححه الألباني .
(٢) مسند أحمد ٦/٤ وقارن بما في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/٧ .
(٣) مسند أحمد ٢/٤٢ .

الناس ما فيه المسلمون من عز دخلوا في الإسلام. والعز لا يكون بغير جهاد غالباً وبهذا يكون الجهاد سبباً لانتشار الإسلام وتركه سبباً لانحساره .

٧ - إن الرسول ﷺ أخبر بانحسار الإسلام لا بانتشاره إذا خفنا من الموت في سبيل الله وأخبرنا أن الأمم تتداعى علينا ونحن نكره جهادهم وهذا بعكس كلام أبناء المستشرقين الذين يقولون إن الإسلام ينتشر بالدعوة السلمية فقط لا الدعوة المقرونة بالسيف .

قال ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها قال: قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قال: قلنا: وما الوهن قال: حب الحياة وكراهية الموت»[١] .

٨ - روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : كنتم خير أمة أخرجت للناس قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام[٢] وهذا التفسير مرفوع إلى النبي ﷺ كما قرره ابن حجر في الفتح فهل يؤتى بالناس في السلاسل من غير جهاد .

٩ - إن الصحابة رضوان الله عليهم قد صرحوا بأن المقصود من جهادهم هو نشر الإسلام كما تقدم في مبحث أهداف الجهاد عن المغيرة بن شعبة وربعي بن عامر رضي الله عنهما فإنهما قد بينا للفرس ما الذي جاء بهم من جزيرة العرب إلى بلاد الفرس وهو إعلاء كلمة الله

---

(١) مسند أحمد ٥/٢٧٨ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٨/١٦٩ .

وإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية للواحد القهار وكذلك فعل عقبة بن نافع رضي الله عنه فإنه لما بلغ طنجة أوطأ فرسه الماء حتى بلغ الماء صدرها وقال اللهم اشهد أني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك[1] .

١٠ ـ قد بينا في مبحث أهداف الجهاد بالأدلة القاطعة بأن الهدف الأسمى من تشريع الجهاد في الإسلام هو إعلاء كلمة الله وإذلال الكفر وأهله بينما يرى تلاميذ المستشرقين أن الهدف من الجهاد هو رد العدوان ـ وسيأتي الرد عليهم في موضعه إن شاء الله ـ ولكن أريد أن أوضح هنا أن الذي حمل تلاميذ المستشرقين على اعتبار انتشار الإسلام بالجهاد تهمة ينبغي أن تدفع هو انحرافهم الفكري في مفهوم الجهاد وأهدافه ولو فهموا الهدف من الجهاد كما فهمه علماء المسلمين وكما انعقد عليه الإجماع لما وقعوا فيما وقعوا فيه .

١١ ـ ذكرنا فيما سبق أن أهداف الجهاد إزالة الطواغيت وتحطيم الأنظمة الفاسدة التي تصرف الناس عن اتباع الحق ولا شك أن رفع هذه العوائق وسيلة كبرى لانتشار الإسلام ولولا الجهاد لم ترتفع لأن الطواغيت لهم قوة مادية فلا يزيلها إلا قوة مادية « لا يفل الحديد إلا الحديد » .

١٢ ـ إن الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ومن سار على نهجهم امتشقوا الحسام لدعوة الناس إلى الإسلام فإن امتنعوا عنه أو عن الجزية قاتلوهم كما تقدم في حديث بريدة الذي رواه مسلم في صحيحه وظهر من الغزوات أن الكفار لا يسلمون بمجرد إبلاغ

(١) انظر حركة الفتح الإسلامي لشكري فيصل ص ١٦٨ .

الدعوة لهم وإنما يحملهم على الإسلام غالباً الخوف من المسلمين فإذا دخلوا في الإسلام وطبقت عليهم أحكامه العادلة فمنهم من يزداد يقيناً وتصديقاً ويحسن إسلامه ومنهم من يبقى على شكه وذبذبته حتى يهلكه الله وهذا يدل على عظيم أثر الجهاد في نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله وهيمنة الحق على الناس .

١٣ ـ إن الواقع التاريخي لدعوة الرسول ﷺ يكذب المستغربين وأساتذتهم . يقول ابن حزم عن الرسول ﷺ: (وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة لم يستجب له فيها إلا أقل من مائة[1] (يقصد ابن حزم من أهل مكة) وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ومكث إلى غزوة أحد ولم يزد عدد المسلمين عن ألف وخمسمائة رجل كما جاء في صحيح البخاري عن حذيفة قال قال النبي ﷺ: «اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل فقلنا تخاف ونحن ألف وخمسمائة فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف»[2] .

قلت فلما كثرت غزوات الرسول ﷺ وصحابته انتشر الإسلام انتشاراً بالغاً في سنوات قليلة حتى كان قوام جيشه عليه الصلاة والسلام في غزوة تبوك ثلاثين ألفاً وحج معه في حجة الوداع ما بين مائة ألف إلى مائة وثلاثين ألفاً[3] والذين لم يحجوا لم يعرف عددهم ولا شك أن هذا الانتشار بسبب الجهاد بعد مشيئة الله عز وجل وقد صدق القائل :

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يجب ... وقد لان منه جانب وخطاب
فلما دعا والسيف صلت بكفه ... له أسلموا واستسلموا وأنابوا

(١) خلاصة في أصول الإسلام وتاريخه لابن حزم ص ١٢ .
(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٦/١٢٤ .
(٣) انظر حجة الوداع لمحمد الكاندهلوي ص ٢٦ .

١٤ ـ ومما يدل على أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية قوله تعالى : ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾ ، يقول ابن كثير عند تفسير هذه السورة: (المراد بالفتح هنا مكة قولاً واحداً فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي فلما فتح الله مكة دخلوا في دين الله أفواجاً فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ولم يبق في سائر العرب إلا مظهر للإسلام ولله الحمد والمنة)[1]. وقد روى البخاري في صحيحه: (إن العرب كانت تلوم[2] بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم)[3] ، قلت ولولا الجهاد لما ظهر عليهم عليه السلام فإنه كان بمكة فترة من الوقت يتلو عليهم الآيات من الله ويرون معجزاته كانشقاق القمر والإسراء ولم يبادروا بإسلامهم لا هم ولا أحياء العرب المجاورة ولكن لما صارت الآيات والحجج مقرونة بسيف يخطف رأس المعاند انقادوا كلهم وخضعوا للحق. فهل يتبصر تلاميذ المستشرقين لهذا الأمر العظيم أم على قلوب أقفالها.

١٥ ـ ومما يدل على تأثير الجهاد في نشر الإسلام قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع أهل الردة . فقد ارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ أغلب العرب ما عدا أهل المسجدين مكة والمدينة[4] . فعقد أبو بكر رضي الله عنه العزم على حربهم جميعاً ولو كان وحده، واستجاب له صحابة رسول الله ﷺ،وفي خلال سنتين نشر الإسلام

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٢١/٨ .

(٢) تلوم : تنتظر .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١٨/٨ .

(٤) انظر البداية لابن كثير ٣١٢/٦ .

على كامل جزيرة العرب يقول ابن كثير عند ذكر حوادث سنة اثنتي عشرة من الهجرة النبوية: « استهلت هـذه السنة وجيـوش الصديق وأمراؤه الذين بعثهم لقتال أهل الردة، جوالـون في البلاد يميناً وشمالاً لتمهيد قواعد الإسلام وقتال الطغاة من الأنام حتى رد شارد الدين بعد ذهابه ورجع الحق إلى نصابه وتمهدت جزيرة العـرب وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى »[1] .

١٦ - ومن له أدنى معرفة بالتاريخ الإسلامي يرى أن الإسلام وأهله يعزون بالجهاد وتعلو كلمتهم وينتشر دينهم ويهانون وتنخفض كلمتهم إذا تركوا الجهاد، ومن أكبر الأدلة على ذلك سقوط بغداد في أيدي التتار فقد ضعفت الخلافة في بغداد وانشغل الخلفاء بجمع الأموال والشهوات حتى وصل السخف بآخر خليفـة سقط في بغداد أنـه والجيوش محيطة بعاصمته والقتل جار في المسلمين قد جعل أمامه جارية تسمى عرفة ترقص وتضحكه ولم ينتبه من غفلته حتى أصاب الجارية سهم فقتلها[2] وقد سلط على المسلمين أخبث الوزراء وهو الوزير ابن العلقمي الرافضي وجعل الحل والعقد في يده وقد اجتهد هذا الوزير المنافق في إضعاف جيوش المسلمين وصرفها عن الجهاد حتى أصابهم ما أصابهم، يقول ابن كثير: (وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة (يقصد حادثة سقوط بغداد) يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٢/٦ .
(٢) البداية لابن كثير ٢٠٠/١٢ .

ذلك وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة وأن يقيم خليفة من الفاطميين وأن يبيد العلماء والمفتين والله غالب على أمره)[1]. وبهذا يظهر أثر الجهاد في نشر الإسلام وأثر تركه على المسلمين . فكيف يأتي بعد هذا من يتسمى باسم المسلمين ثم يحاول صرف المسلمين عن أكبر عون لهم على نصر الإسلام وتثبيته وتبليغه ، ويقول :إن الإسلام ينتشر بالدعوة السلمية وحدها ولا تأثير للجهاد في نشره ! إن هذا القول المدخول لم يعرف عن أحد من المسلمين إبان عزهم وصلاح أمرهم إنما أتى لما حكم الكفار بلاد المسلمين واتخذوا لهم صنائع من أبناء المسلمين وأظهروهم للناس في صورة العلماء تارة وفي صورة الزعماء تارة وهم عملاء مأجورون أو سفهاء مخدوعون أو محبون للدرهم والدينار وبريق الشهرة متملقون ، وهذا القول غريب على الحس الإسلامي ، يقول الشيخ عبد الله بن علي بن يابس ـ في نقده لكتاب محمود شلتوت العقيدة والشريعة ـ:(إن هذا الشيخ لا يرى نشر الإسلام بالسيف وإنما يقصر نشره على اللسان وهذا رأي أدخله الملاحدة على المسلمين ليحولوا بين الإسلام وبين الانتشار وليثبطوا عزائم المسلمين وهو مخالف لكتاب الله ولعمل الرسول ﷺ وأصحابه)[2] .

ولكن مما ينبغي التفطن له أن المستشرقين الكفار إذا قالوا إن الإسلام انتشر بالسيف قد يقصدون أن براهينه ودلائله غير واضحة وإنما هو دين ملك أقامه بالسيف لا دين رسول منزل من عند الله لهداية البشرية. وهذه الشنشنة ليست وليدة هذا العصر بل حكاها ابن تيمية عن أهل الكتاب في

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٢٠١ .

(٢) إعلام الانام بمخالفة شيخ الأزهر شلتوت للإسلام ص ١٩٦ .

كتابه القيم الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح[1] وذكرها تلميذه ابن القيم في مقدمة كتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى فقال: (ومن بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه ومجاهدتهم بالحجة والبيان والسيف والسنان والقلب والجنان وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان. وكان انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين فلم يصادف عنده ما يشفيه ولا وقع دواؤه على الداء الذي فيه وظن المسلم أنه بضربه يداويه فسطا به ضرباً وقال هذا هو الجواب فقال الكافر صدق أصحابنا في قولهم: إن دين الإسلام إنما قام بالسيف لا بالكتاب. افترقا وهذا ضارب وهذا مضروب وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب فشمر المجيب ساعد العزم ونهض على ساق الجد وقام لله قيام مستعين به مفوض إليه متكل عليه في موافقة مرضاته ولم يقل مقالة العجزة الجهال: إن الكفار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدال وهذا فرار من الزحف وإخلاد إلى العجز والضعف وقد أمر الله بمجادلة الكفار بعد دعوتهم إقامة للحجة وإزاحة للعذر ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة﴾ والسيف إنما جاء منفذاً للحجة مقوماً للمعاند وحداً للجاحد، قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ فدين الإسلام قام بالكتاب الهادي ونفذه السيف الماضي. شعر:

فما هو إلا الوحي أوحد مرهف ... يقيم ضباه أخدعي كل مائل
فهذا شفاء الداء من كل عاقل ... وهذا دواء الداء من كل جاهل[2]

قلت: إذا علم هذا فليس الجواب الصحيح على قولهم: (إن

---

(1) انظر الجواب الصحيح ١/٧٢.
(2) هداية الحيارى لابن القيم ص ١٠.

الإسلام انتشر بالسيف) بالنفي ؛فإن قولهم مشتمل على حق وباطل وهم يقصدون أن براهين الإسلام غير واضحة. إنما الجواب الصحيح أن يقال لهم: إن الإسلام انتشر بالسيف والسنان والحجة والبرهان لأن الناس صنفان : صنف طالب للحق مسترشد عن الهدى فإذا بانت له أدلته انقاد لها ، وصنف معاند مكابر لا يريد الهدى ولا الحق لأنه يخالف رغباته وأهواءه فهذا لا علاج له إلا السيف .

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

ويقال لهم أيضاً: هل تؤمنون بأن الإسلام من عند الله فإن قالوا: نعم ،فقد تناقضوا فكيف يكون من عند الله الحكيم العزيز العليم الخبير ويكون فيه نقص وتكون حججه وبراهينه غير واضحة ويكون في تشريعاته ما يعاب عليه !! وإن قالوا ليس من عند الله فليس جوابهم بمدح الإسلام وبيان وضوح أدلته وبراهينه بل جوابهم بإثبات أنه من عند الله بالأدلة اليقينية المبثوثة في الكتاب والسنة . وإليك أيها القارىء الكريم جواب عالم فاضل على هذه المقولة التي يرددها عباد الصليب وأذنابهم والتي تلجلج فيها تلاميذ المستشرقين ـ عن جهل أو خبث ـ وأتوا بغير الصواب وذلك لأن هذا العالم الفاضل وإن عاش في عصر الاستشراق والغزو الفكري إلا أنه اقتبس علمه من الوحي وعلى أيدي علماء المسلمين لا من المستشرقين ولا من المهزومين المبهورين بآراء ونظريات الكفار أعداء الملة والدين فكان جوابه يثلج الصدر ويلقم المعاند حجراً يقول الشيخ الجليل عبد العزيز بن حمد آل معمر في كتابه القيم (منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب): (وأما قول النصراني وكان يسوع ذا صلاح تام في سيرته حتى لم يطعن في عرضه بشيء أما محمد فهو صاحب الغزاة والقتال مغرماً بالنساء والنكاح . فالجواب وبالله التوفيق :

أما عيسى عليه السلام فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وهو أحد الخمسة أولي العزم من الرسل وهم نوح وإبراهيم

وموسى وعيسى ومحمد ﷺ تسليماً وحاشا رسل الله وأنبيائه أن يطعن عليهم في أعراضهم بشيء كيف وهم الذين اصطفاهم الله لرسالاتـه وجعلهم سفراء بينه وبين عباده فاعتقاد المسلمين في المسيح كغيره من الرسل هو ما جاء به نبيهم ﷺ وهو إنزالهم المنزلة التي أنزلهم الله إياها فلا يغلون غلو النصارى ولا يجفون جفاء اليهود . . .

وقوله : فهو صاحب الغزاة إلى آخره جوابه : أما النكاح ومحبـة النساء فقد قدمنا فيه ما يكفي وبينا أن ذلك من الفضائل لا من الرذائل ومن المناقب لا من المثالب وأنه من سنن الأنبياء والمرسلين ومن طريق عباد الله الصالحين فلا يتأتى الطعن بالنكاح وملابسة النساء إلا بتنقص الأنبياء والمرسلين كنوح وإبـراهيم وإسماعيـل وإسحاق ويعقـوب وموسى وداود وسليمان وغيرهم من أنبياء الله ورسله وكفى بذلك عماية قلب وسخافة عقل وسمة ضلالة وقبيح جهالة . وأما اعتراضه بالغزو والقتال فهو اعتراض باطل من وجوه :

الوجه الأول: أن الغزو والقتال للأعداء فضيلة متنافس فيها على الجملة دالة على شرف النفس وعلو الهمة ولم يزل التمادح به مشهوراً في القديم والحديث وإنما يذم ما كان منه ظلماً وعدواناً وليس كذلك قتال نبينا ﷺ نبينه في **الوجه الثاني**: وهو أن قتاله ﷺ إنما هو عن أمر الله تعالى وشرعه لإقامة دين الله وإبطال عبادة من سواه من الأنداد والأصنام وهذا من أعظم الفضائل وأكبر المناقب وأرفع الرتب وهو قتال الأنبياء وأتباعهم، ولنبينا ﷺ وأتباعه من هذه الفضيلة أوفر حظ وأكمل نصيب.

الوجه الثالث: أن قتاله ﷺ من أعلام نبوته وأدلة رسالته لأنه مطابق لما جاء من نعته في كتب الأنبياء عليهم السلام كما قدمنا نص الزبور في قوله: تقلد أيها الجبار بالسيف فإن شريعتك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة،وفي النص الآخر في صفته ﷺ وصفة أمته: بأيديهم سيوف

ذات شفرتين إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أنه يبعث بالسيف والقتال. وتقدم في قصة ابن الهيبان «الحبر» في وصيته اليهود باتباعهم محمداً ﷺ قوله: لا تسبقن عليه يا معشر اليهود فإنه يبعث بسفك الدماء وبسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه.

الوجه الرابع: أن القتال ليس مختصاً بشريعته ﷺ،قد قاتل كثير من الأنبياء عليهم السلام بإذن الله لهم في ذلك وأمره،وقد أمر الله بني إسرائيل بقتال الجبارين ودخول الأرض المقدسة مع موسى عليه السلام فلما عصوا أمر الله عاقبهم بالتيه أربعين سنة وبعد خروجهم منه توجهوا لقتال الجبارين مع يوشع بن نون عليه السلام ففتح الله عليهم ولم يزل الجهاد والقتال مشهوراً في بني إسرائيل ومعهم الأنبياء كما قال الله تعالى: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾. وأما كون القتال غير مشروع لعيسى عليه السلام فذلك لا يدل على أن تركه أفضل مطلقاً بل هذا من اختلاف الشرائع كما قال تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾[1].

الوجه الخامس: أن في الجهاد من المصالح العظيمة والحكم الباهرة فيما يتعلق بأمر الدنيا والآخرة ما لا يحصى،فمنها ما يترتب عليه من إعلاء كلمة الله وإقامة دينه وعزة أنصاره وإنفاذ أحكامه وقد حصل به من ذلك على يد محمد ﷺ وأصحابه وأتباعه ما شتت شمل الكفر وفرق كلمة الإشراك ورغم أنف الشيطان اللعين،ومنها إنقاذ الهالكين في الكفر والضلالة وعبادة الأصنام والأنداد وإخراجهم من ظل الكفر إلى نور الإيمان

---

(١) قلت القول بأن شريعة عيسى ليس فيها جهاد يحتاج إلى دليل شرعي من كتاب أو سنة

ومن طريق النار إلى سبيل الجنان ومن رق الشيطان إلى عبادة الرحمن وقد أنقذ بهذه الأمة وجهادها من شاء الله من الأمم الهالكين،وفي هذا المعنى ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام،ومنها ابتلاء الله تعالى عباده واختبارهم بتكليفهم القتال وبذلهم في طاعته النفوس والأموال كما قال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾وقال تعالى: ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾ وقال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾،ومنها ما يترتب على ذلك من عظم المثوبات ورفعة الدرجات بما بذلوا من مهجهم وأموالهم في طاعة الله ونصرة دينه، فالمجاهدون أرفع الناس درجة في الدنيا والآخرة.

الوجه السادس: أنه اذا كان قتاله ﷺ عن أمر الله لثبوت رسالته فالاعتراض عليه في شيء من أمره اعتراض على الله لأنه الذي شرع وأمر وهذا نظير اعتراض من يعترض من المكذبين للرسل على ذبح الحيوان للأكل بأن هذا تعذيب للحيوان لا يأذن الله فيه. واذا كانت شرائع الأنبياء جاءت بذبح بعض الحيوانات للأكل وقتل بعضها دفعاً للأذى مع أنه لا تكليف عليها ولا ذنب لها فكيف يكون الأمر في قتال أعداء الله الكافرين به المكذبين رسله العابدين معه آلهة أخرى؟ لا جرم أن قتالهم وغزوهم وجهادهم حتى يؤمنوا بالله ويتابعوا رسوله لفي غاية الصلاح ونهاية السداد وتمام الحكمة. وبالجملة؛ ففضائل الجهاد في سبيل الله أكثر من أن يأتي عليها الوصف وما كان هذا شأنه فلا شك أن المتصف به قد حاز فضلاً عظيماً واقتنى خيراً كثيراً وأن مشروعيته في هذه الملة من محاسنها

ومحاسن من جاء بها وفضائل أتباعه الذين هم خير أمه أخرجت للناس[1].

وقال رحمه الله :(فصل : قال النصراني : لا سيما حيث إن أكثر حروب الملوك بغير عدل إذ يقاتلون أمماً من غير الظالمين لهم وليس لهم ما يتعللون به على محاربتهم سوى الاختلاف في الدين وهذا ما هو إلا غاية عدم الدين إذ لا تكون عبادة الله إلا ما يصدر عن إرادة النفس وأما الإرادة فهي تنقاد بالتعليم والإقناع لا بالتهديد والقهر،ومن اضطر لتصديق الدعوى من غير إرادة منه فهو لا يصدقها بل يظهر فقط أنه يصدقها هرباً من الشدائد ومن يلزم غيره التسليم له بوساطة التعذيب له فهو بفعله هذا يدل على عدم ما يستدل به على صحة دعواه .

الجواب وبالله التوفيق : أما حروب ملوك المسلمين بعضهم لبعض في طلب الملك فليس مما نحن فيه إذ هو من قتال الفتنة الذي نهى عنه النبي ﷺ وحذر منه وهو قتال على الدنيا ، وأما القتال الشرعي فهو القتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه ولا ريب عند الموافق والمخالف أن محمداً ﷺ جاء بشرع الجهاد وتضمن الأمر به القرآن الذي أنزل عليه وإنما شرع في المدينة بعد الهجرة إلى المدينة حين اجتمع بها المهاجرون والأنصار وعند ذلك علم أعداؤه من العرب واليهود أنها كانت لهم دار منعة فخافوا منهم ما كانوا يحذرون فرموهم عن قوس واحدة وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب وكان الله يأمرهم بالصبر والعفو والصفح ثم إنه تعالى بحكمته أذن لهم في القتال ولم يفرضه عليهم فقال تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ ثم فرض عليهم القتال لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال تعالى :

(١) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب من ص ١٦٨ ـ ١٧٣ .

﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة فقال تعالى : ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ فكان محرماً ثم مأذوناً فيه ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ثم مأموراً به لجميع المشركين وإذا كان القتال عن أمر الله وشرعه كان القيام به من أكبر الفضائل وأعظم الوسائل لما فيه من بذل النفوس والأموال في مرضاة الله وما كان عن أمر الله فهو على وفق الحكمة والعدل لأنه صدر عن أمر الحكيم الخبير وقد قامت البراهين واتضحت الدلائل وظهرت المعجزات على أن محمداً رسول الله فبطل أن يكون قتال المسلمين لمن خالف الملة قتالاً بغير عدل وقد ذكرنا فيما تقدم إشارة إلى بعض ما في شرع الجهاد من الحكم والغايات المحمودة .

وأما قتال المسلمين أمماً من غير الظالمين لهم وأن السبب إنما هو الاختلاف في الدين . فهذا أوضح حجة على أنه مقتضى العدل لأنهم إنما يقاتلون المشركين بالله الكافرين به وبرسله كما كان النبي ﷺ إذا بعث سرية قال اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله فأعظم الظلم وأكبر الذنوب الشرك بالله والكفر به فشرع الله الجهاد ليكون الدين كله له كما قال تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾،وإذا كان قتالك من ظلمك واعتدى عليك حتى يكف عن ظلمه واعتدائه لا يكون ظلماً ولا قبيحاً فكيف يكون قتال الكافر بالله المكذب لرسوله وكتابه الآتى بأعظم الظلم وأكبر الذنب يقال فيه إنه بغير عدل؟ ما هذا إلا جهل عظيم كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون .

قوله فهو لا يصدقها بل يظهر فقط أنه يصدقها هرباً من الشدائد .

جوابه : إن هذا وان وجد في آحاد الناس فليس على العموم فلا تنتقض به الحكمة في مشروعية الجهاد فإنه قد دخل في الإسلام فئات من

الناس بالقتال وافتتحت ديارهم بالسيف فدخلوا وكثير منهم كارهون فلما خالطوا المسلمين وسمعوا القرآن وبلغتهم معجزات النبوة وآيات الرسالة صلحت عقائدهم وانفتحت بصائرهم وعلموا أنه الحق ودانـوا به بـاطناً وظاهراً وعلموا أبناءهم ونساءهم وبذلوا فيه نفوسهم وأموالهم هذا ما لا يرتاب فيه ذو عقل صحيح وهل يستجيز من له أدنى مسكة من عقل أن يقول إن من دخل في الإسلام بعد قيام الجهاد من العرب وغيرهم من أصناف الأمم أنهم إنما يصدقون بالإسلام ظاهراً فقط هذا مما يعلم فساده ببديهة العقل فإن الله قد خص هذه الأمة بما وهبها من الإيمان بالله ورسوله وتمام الانقياد لما جاء به الرسول منشرحة بذلك صدورهم مصـدقة بـه قلوبهم ما لم يعط غيرهم من الأمم وذلـك لما أيـد به نبيهم ﷺ من المعجزات وأنواع الأدلة والآيات ولهذا كان أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيامة وكانت أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة وأول الناس سبقاً إلى الجنة كما قال ﷺ: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة. ولا ينتقض ما ذكرناه بالمنافقين والزنادقة فإنهم مقهـورون مغمورون في المؤمنين بـل في وجودهم بين المؤمنين مع كونهم أعداء لهم في صورة أولياء واجتهادهم في الإضرار بدينهم ودنياهم وسعيهم في ذلك بكل ما أمكنهم ثم لم يظفروا بمطلوبهم ولم يحصلوا على مرادهم دليل على صحة الشريعة وأنها من عند الله عز وجل . والمقصود أن الله نصب الأدلة والبراهين على صدق رسوله وصحة ما جاء به من النبوة والكتاب وشرع الجهاد وسيلة إلى إبلاغ الحجة وإيصال الدليل إلى المكلفين فإن من كان على دين وجد عليه آباءه وأسلافه وأشربه قلبه وألفته نفسه لا يختار ديناً غيره ولا يلتفت إلى سواه فلا يصغي إلى حجج الحق وبراهينه فكان من رحمة الله بعباده أن أمر رسوله ﷺ بالجهاد لتبلغ الحجة مبلغها فينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين .

وأما قول النصراني : ومن يلزم غيره بالتسليم له بوساطة التعذيب له أو التخويف إلى آخـره، فهو كلام ساقط فإن الأنبياء عليهم السلام جاءوا

بالرسالة إلى الأمم مقرونة بالتخويف بالعذاب للمكذبين والإنذار للمخالفين كما جاءت بالبشارة للمؤمنين والرجاء للمصدقين، ومنهم من جاء بالقتال، وبنو إسرائيل لما امتنعوا من التزام أحكام التوراة لثقلها عليهم رفع الله جبلاً فوق رؤوسهم وقيل لهم التزموا وإلا وقع عليكم الجبل كما قال تعالى : ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ وقال تعالى : ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾ وأيضاً فالشرائع جاءت بالحدود وإيقاع العقوبة بالعصاة ليرتدعوا عن المعاصي والمخالفات وكل هذا إلزام بالأحكام بوساطة التعذيب والتخويف أفكان ذلك دليلاً على عدم البرهان فيما دعا إليه الأنبياء عليهم السلام وإذا لم يكن كذلك بطل هذا التمويه[1] أ . هـ .

وقد زعم تلاميذ المستشرقين بأن المسلمين لم يحملوا السيف لأجل نشر الإسلام وإخضاع أمم الكفر للإسلام وإنما حملوه لدفع الكفار عن بلادهم وأنفسهم واحتجوا بقوله تعالى : ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[2] ، والحقيقة أنه لا حجة لهم في هذه الآية الكريمة فكتاب الله لا يناقض بعضه بعضاً وإنما يصدق بعضه بعضاً وهذه الآية الكريمة لها سبب نزول رواه أبو داود وغيره بسند صحيح فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزل قوله تعالى : ﴿لا إكراه في الدين﴾ في الأنصار كانت تكون المرأة مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم كثير من أبناء الأنصار فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي[3] . وبهذا يتبين أن الآية نزلت

---

(١) المصدر السابق من ص ٢٨٤ ـ ٢٨٧ .

(٢) البقرة، الآية: ٢٥٠ .

(٣) جامع الأصول لابن الأثير ٥٣/٢ بتحقيق عبد القادر الارناؤوط وقال المحقق وأخرجه الطبري ٥٨/٣ وإسناده صحيح وصححه ابن حبان رقم (١٧٢٥) .

في إكراه أهل الكتاب على الدين ولا تشمل كل كافر لأن المرتد يكره على الرجوع إلى الدين بإجماع المسلمين ولم يدخل تحت عموم هذه الآية فدل على أن عمومها شامل لأهل الكتاب ومن أمرنا رسول الله أن نسن بهم سنتهم وهم المجوس . وبعض العلماء يجعل الآية عامة في كل كافر ما عدا المرتد ومن رفض قبول الجزية وبعضهم يجعلها منسوخة ويقول نزلت قبل الإذن بالقتال ورجح ابن جرير الطبري رحمه الله بأنها مخصوصة لا منسوخة أي خاصة بأهل الكتاب والمجوس ، أما المرتدون والمشركون فقد دلت الأدلة الشرعية على إكراههم على الدين[1] . ويرى بعض العلماء بأن الآية الكريمة خبر وليس فيها نهي وعلى هذا القول يكون معنى الآية أن المكره لا يستفيد من إيمانه يوم القيامة لأنه لم يصدق بقلبه وإن استفاد منه في الدنيا بحقن دمه وهذا القول مروي عن ابن الأنباري[2] وبهذا يمكن تلخيص الأقوال في هذه الآية فيما يلي : ـ

١ ـ أن الآية منسوخة بآية السيف .

٢ ـ أن الآية خبر لا نهي فلا حكم فيها .

٣ ـ أن الآية شاملة لعموم الكفار ما عدا المرتد ومن رفض الخضوع للجزية .

٤ ـ أن الآية خاصة بأهل الكتاب والمجوس وأنهم لا يكرهون على اعتناق الإسلام إذا خضعوا لأحكامه العامة ودفعوا الجزية حالة كونهم في ذل وصغار . وهذا القول هو أرجح الأقوال عندي لأن فيه جمعاً بين أدلة الإكراه وأدلة النهي عن الإكراه فيحمل كل دليل على جهة مختلفة عن الأخرى،وإعمال الأدلة أولى من إلغاء شيء منها ، ويرجحه سبب نزول الآية وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه مع الكفار ؛ يقول الشيخ محمد

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٢/٣ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٣٠٥/١ .

الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في كتابه القيم (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب): قوله تعالى : ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ هذه الآية تدل بظاهرها على أنه لا يكره أحد على الدخول في الدين ونظيرها قوله تعالى : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ وقوله تعالى : ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ﴾ .

وقد جاء في آيات كثيرة ما يدل على إكراه الكفار على الدخول في الإسلام بالسيف كقوله تعالى : ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ وقوله : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي شرك . ويدل لهذا التفسير الحديث الصحيح : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) الحديث . والجواب عن هذا بأمرين : -

الأول: وهو الأصح أن هذه الآية في خصوص أهل الكتاب والمعنى أنهم قبل نزول قتالهم لا يكرهون على الدين مطلقاً وبعد نزول قتالهم لا يكرهون عليه إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . والدليل على خصوصها بهم ما رواه أبو داود وابن أبي حاتم والنسائي وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله ﴿لا إكراه في الدين﴾ .

المقلاة : التي لا يعيش لها ولد ، وفي المثل أحر من دمع المقلاة .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: نزلت (لا إكراه في الدين) في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له (الحصين) كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلماً فقال للنبي ﷺ: ألا استكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله الآية . وروى ابن جرير أن سعيد بن جبير سأله أبو بشر عن هذه الآية فقال نزلت في الأنصار فقال خاصة ؟ قال خاصة، وأخرج ابن

جرير عن قتادة بإسنادين في قوله (لا إكراه في الدين قال: أكره عليه هذا الحيّ من العرب لأنهم كانوا أمة أمية ليس لها كتاب يعرفونه فلم يقبل منهم غير الإسلام ولا يكره عليه أهل الكتاب إذا أقروا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى سبيلهم.

وأخرج ابن جرير أيضاً عن الضحاك في قوله:(لا إكراه في الدين) قال: أمر رسول الله ﷺ أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان فلم يقبل منهم إلا لا إله إلا الله أو السيف ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل منهم الجزية فقال (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أيضاً في قوله : (لا إكراه في الدين) قال : وذلك لما دخل الناس في الإسلام وأعطى أهل الكتاب الجزية فهذه النقول تدل على خصوصها بأهل الكتاب المعطين الجزية ومن في حكمهم . ولا يرد على هذا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ لأن التخصيص فيها عرف بالنقل عن علماء التفسير لا بمطلق خصوص السبب ومما يدل للخصوص أنه ثبت في الصحيح:(عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل) .

الأمر الثاني : أنها منسوخة بآيات القتال كقوله ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين﴾ الآية ، ومعلوم أن سورة البقرة من أول ما نزل بالمدينة وسورة براءة من آخر ما نزل بها والقول بالنسخ مروي عن ابن مسعود وزيد بن أسلم وعلى كل حال فآيات السيف نزلت بعد نزول السورة التي فيها (لا إكراه) الآية، والمتأخر أولى من المتقدم والعلم عند الله أ ـ هـ)[1] .

قلت وليعلم أن إكراه الكفار أهل الكتاب والمجوس على قبول

---

(١) دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي ص ٤٤ ـ ٤٦ .

نظام الإسلام العام والخضوع للأحكام كقطع يد السارق ورجم الزاني ونحو ذلك لا يدخل تحت النهي عن الإكراه الوارد في الآية بإجماع المسلمين[1] .

وإذا خضع الكفار للجزية فلا يترك لهم دولة ذات جيوش وأنظمة تمارس على الأرض لأن هذا ينافي الصغار الذي أراده الله عز وجل بل إذا خضعوا للجزية حكمهم المسلمون بحكم الإسلام وأصبحت دارهم دار إسلام لا دار حرب وترك لهم حرية ممارسة شعائرهم التعبدية داخل معابدهم من غير أن يفتنوا أحداً عن دينه ، أما أنظمة البلاد فتسير على مقتضى الإسلام[2] يقول أبو الأعلى المودودي: (إن من الظاهر إنه لا بد من قوة رادعة لإقامة نظام الحياة الاجتماعية.

وهذه القوة الرادعة هي التي تعرف بالدولة،ومن الظاهر كذلك أن هذه القوة التي تحافظ على نظام الحياة الاجتماعية بما أحرزت من الغلبة والسيادة تتخذ لنفسها خطة للعمل وفق نظريتها ومذهبها الاجتماعي فيكون لنوعية هذه السيادة ولأبعاد هذه الخطة ـ على ما هي عليه من الأساس والتفصيل ـ ضلع كبير في صلاح الحياة الاجتماعية وفسادها بل لا بد حتى للحياة الفردية أن تنصاغ إلى حد عظيم في القالب الذي تضعه الدولة شاءت أو لم تشأ فيصح القول على هذا بأن الذين يعيشون في حدود دولة لا بد لهم أن يتنازلوا عن تسعين في المائة من ركائز عقيدتهم ومذهبهم ويسيروا فيها على عقيدة الدولة ومذهبها ولو كانوا لا يؤمنون بنظريتها الأساسية وخطتها التفصيلية للعمل بل لا يزال استعلاء عقيدتهم ومذهبهم على العشرة في المائة الباقية من الركائز تتململ مع مرور الأيام وتطور الحياة الاجتماعية.إنه لا بد من (إكراه) في الحياة المدنية ؛ إما من جانب

(١) نقل الإجماع الطبري في كتاب اختلاف الفقهاء ص ١٤ ، ١٩٩ .
(٢) انظر كتاب أحكام الذمة لابن القيم فهو شامل في هذا الباب .

الكفار أو من جانبنا نحن معشر المسلمين وبدل أن يقدم عليه الكفار ويتولوا قيادة الحياة المدنية ويجرونا إلى جهنم على طواعية منا أو على كراهية يجمل بنا أن نقدم عليه نحن ثم نجر الكفار إلى المكان الذي يقرب من طريق الجنة حتى يسهل عليهم انتهاجه إن شاءوا فرضوا هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الله هو مالك هذه الأرض فلا حق للعيش في أرضه والتمتع بنعمه والتصرف في ملكه إلا لمن كان مطيعاً لأحكامه متبعاً لقانونه الطبيعي والشرعي، وأما من لا يفعل هذا فهو ظالم غاصب خارج على سلطانه وما عصيانه هذا خلافاً للحق فحسب بل هو مصدر للفساد في نظام الأرض ومدعاة لفتنة أهلها فالحق أن ليس للمنحرفين عن الله وعن اتباع قانونه الطبيعي والشرعي حق للعيش في أرض الله ولكن من كمال رحمة الله وحلمه أن يمهل لهم أن يعيشوا في أرضه لا هذا فحسب بل يخيرهم في البقاء على كفرهم وشركهم وإلحادهم ودهريتهم إلى حد لا يتولد عنده فتنة لعباده الآخرين[١] غير أنه لا يقبل أبداً أن يعرضوا عن قانونه الشرعي ويسيروا نظام أرضه تبعاً لقوانينهم الوضعية ويملؤوا أرضه ظلماً وفساداً فهو لأجل هذا إذ ينهى المؤمنين بقانونه الشرعي عن إكراه الكفار على الإيمان بدين الحق يأمرهم ببذل كل جهودهم لمحو فتنة ناتجة عن غلبة الكفر والكفار حتى يقوم نظام أرضه على دينه وحده ويعيش فيها الذين لا يؤمنون بدينه صاغرين لا كابرين حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[٢]

وبما قدمناه من مراحل الجهاد وأهدافه وأثره في نشر الدعوة الإسلامية يظهر لنا منهج الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله بعد تشريع الجهاد القتالي، فهي دعوة مقرونة بالسيف المنفذ فقد كان ﷺ يرسل الجيوش لدعوة الناس إلى

---

(١) يظهر من كلام المودودي أنه يرى أخذ الجزية من كل كافر حتى من الملحد وهذا يخالف ما عليه جمهور العلماء.

(٢) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة للمودودي ص ٥٧ ـ ٥٨.

التوحيد فمن رفض الإسلام وعاند الحق وأبى دفع الجزية قاتلوه ومن رغب في الإسلام وأعلن الدخول فيه فقهوه في الدين وعلموه شرائع الإسلام، يقول ابن اسحاق: (ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم . فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون أيها الناس أسلموا تسلموا فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا)[1] ويرسل ﷺ فقهاء أصحابه إلى الأمصار لتعليم الناس دينهم كما أرسل معاذاً وأبا موسى إلى اليمن وقال لهم: (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا)[2] وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى البحرين أميراً ومرشداً ومعلماً[3] وأرسل ﷺ عمرو بن حزم إلى بني الحارث بن كعب ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم[4]، وغير هؤلاء كثير منهم المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة بعثه ﷺ إلى صنعاء وزياد بن لبيد أخو بني بياضة الأنصاري بعثه ﷺ إلى حضرموت وعدي بن حاتم الطائي بعثه ﷺ إلى طيء وبني أسد ومالك بن نويرة بعثه ﷺ إلى بني حنظلة وعلي بن أبي طالب بعثه ﷺ إلى اليمن وبعث ﷺ جملة من الرسل يحملون كتبه إلى ملوك وزعماء الأرض يدعونهم إلى الإسلام ويحذرونهم مغبة الشرك والاستكبار على الحق فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم وبعث عبد الله بن حذافة

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٥٩٢ .

(٢) صحيح البخاري ٤/٢٦ .

(٣) انظر ابن هشام ٤/٥٧٦ .

(٤) انظر ابن هشام ٤/٥٩٤ .

السهمي إلى كسرى ملك فارس وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياد ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان، وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام(١) . ولم يكن ﷺ يهاب التضحيات في سبيل إبلاغ هذا الدين وتعليمه للناس فإنه لما قدم عليه رهط من عضل والقارة وقالوا له إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام بعث معهم جمعاً من أصحابه تحت إمرة مرثد بن أبي مرثد الغنوي فغدر بهم الكفار واستشهدوا جميعاً رضي الله عنهم وأرضاهم ولم يمنعه ﷺ هذا الحادث الجلل من إرسال سبعين رجلاً من خيار الصحابة الى أهل نجد لتعليمهم القرآن وشرائع الإسلام وقد غدر بهم الكفار على بئر معونة فاستشهدوا جميعاً إلا كعب بن زيد وعمرو بن أمية الضمري(٢) وقد أرسل ﷺ جيش زيد بن حارثة ـ وجعفر الطيار وعبد الله ابن رواحة في ثلاثة آلاف ليقابل الكفار في مؤتة وهم مائة ألف أو يزيدون.

هذه سيرة رسول الله ﷺ في الدعوة الى الله بعد تشريع الجهاد القتالي : دماء وتضحيات ، صعاب ونفقات، مجالدة لأعداء الله من أهل الكفر والنفاق تربية واعداد ولم ينقطع ﷺ عن الدعوة باللسان ولا عن تربية المسلمين على العقيدة الصحيحة ، وإنما أضاف إلى ما كان يعمل في مكة

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٤/٦٠٠ ـ ٦٠٧ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٣/١٦٩ ـ ١٨٣ .

المكرمة التربية الجهادية والتربية القيادية لأنه أصبح في المدينة صاحب دولة مؤسسة على تقوى من الله فاتسعت في العهد المدني وسائل الدعوة ووسائل التربية والإصلاح وتخرج على يديه ﷺ أبطال لم يعرف التاريخ لهم مثيلاً إلا في تاريخ الرسل وأصحابهم وسجل لهم بطولات سوف تظل منارات يرنو إليها السائرون على طريقهم بأبصارهم وسوف نذكر طرفاً منها في الفقرة التالية :

٨ ـ صور جهادية من الرعيل الأول

المتتبع لسير الصحابة رضي الله عنهم يرى من الأمر عجباً!! إن السمة الغالبة عليهم هي بيع الدنيا بالآخرة وحب الاستشهاد في سبيل الله بل الشغف بالموت في سبيل الله وهذه نماذج تبين هذه الحقيقة العظيمة:

١ ـ عمير بن الحمام أخو بني سلمة: ذكر ابن إسحاق في سياق غزوة بدر أن رسول الله ﷺ حرّض الناس على القتال وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة. فقال عمر بن الحمام وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء. ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل[١].

٢ ـ عوف بن الحارث بن عفراء: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر ابن قتادة أن عوف بن الحارث قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده قال غمسه يده في العدو حاسراً فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل[٢].

---

(١) سيرة ابن هشام ٦٢٧/٢ وهو في صحيح مسلم كتاب الإمارة.

(٢) ابن هشام ٦٢٨/٢.

٣ ـ عمرو بن الجموح: قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن أشياخ من بني سلمة أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له إن الله عز وجل قد عذرك فأتى رسول الله ﷺ فقال إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يوم أحد[1].

٤ ـ أنس بن النضر: روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن عمه غاب عن بدر فقال غبت عن أول قتال النبي ﷺ لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرين الله ما أجد[2] فلقي يوم أحد فهزم الناس فقال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ إليك مما جاء به المشركون فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ فقال أين يا سعد إني أجد ريح الجنة دون أحد فمضى فقتل فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو ببنانه وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم[3].

٥ ـ عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف: وقد خرج مع الرهط الذين خرجوا مع عضل والقارة فلما غدر بهم الكفار ولم يرعهم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم أخذ عاصم سيفه وقال والله لا أقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ثم جعل ينشد:

---

(١) ابن هشام ٣/٩١. وفي المسند ٥/٢٩٥.
(٢) أجد أي اجتهد.
(٣) صحيح البخاري ٥/٣١.

مـا علتي وأنـا جلدٌ نـابـل   والقـوس فيهـا وتـر عنابـل
تزل عن صفحتها المعابل[1]   المـوت حق والحيـاة بـاطـل
وكـل مـاحـم الإلـه نـازل   بـالمـرء والمـرء إليـه آئـل

وقاتل القوم حتى قتل فلما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فمنعه الدبر فلما حالت بينه وبينهم الدبر قالوا دعوه يمسي فتذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمسك مشركاً أبداً في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته[2] .

٦ ـ جعفر بن أبي طالب:وقد كان أميراً على جيش مؤتة بعد زيد بن ثابت رضي الله عنه فلما قتل زيد شهيداً أخذ الراية جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل قال ابن إسحاق وحدثني يحيى بـن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال:حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال:والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يـا حبـذا الجنـة واقتـرابـها   طـيـبـة وبـاردا شـرابـهـا
والـروم روم قـد دنـا عـذابهـا   كـافـرة بـعـيـدة أنـسـابـهـا

عليَّ إذ لاقيتها ضرابها

(١) المعابل نصل عريض طويل .
(٢) ابن هشام ١٧١/٣ .

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه[1].

٧ ـ عبد الله بن رواحة : وقد كان الأمير الثالث على جيش مؤتة بعد زيد وجعفر ولما ودع الناس أمراء الجيش في المدينة عند سفره بكى عبد الله بن رواحة فقال الناس ما يبكيك يا ابن رواحة فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود . فقال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين فقال عبد الله ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا[2]
أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

ولما تردد الناس هل يقدمون على الروم مع كثرتهم أم يطلبون المدد من رسول الله ﷺ شجعهم عبد الله بن رواحة وقال: يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة. فقال الناس: قد والله صدق بن رواحة . . فلما قتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال :

---

(١) ابن هشام ٣٧٨/٣ .
(٢) الفزع : السعة . والزبد : رغوة الدم .

أقسمت يـا نفس لـتنـزلنـه لـتنـزلـن أو لـتـكـرهنـه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة مـالي أراك تكـرهين الجنـة
قد طال ما قد كنت مـطمئنة هـل أنت إلا نطفـة في شنة

وقال أيضاً :

يـا نفس إلا تقتلي تـمـوتي هذا حمام الموت قد صليت
ومـا تمنيت فقـد أعـطيـت إن تفعلي فعلهمـا هـديـت

يريد صاحبيه : زيداً وجعفراً . ثم نزل فلما أتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل[١] .

هذا غيض من فيض وقطرة من بحر وإلا فالناظر في سير معارك الصحابة يأخذه العجب إذا رأى شجاعتهم وإخلاصهم وقوة يقينهم وقوة ثباتهم وحبهم لله ولرسوله وتفانيهم في نصر الإسلام وإذلال الكفر لاسيما إن كان يعيش في عصر مثل عصرنا المنكود فقد كانت الجيوش الإسلامية في عهد الصحابة تتلى فيها سورة الأنفال عند التلاقي وقد سمعنا بجيوش تدعي الإسلام تصاحبها المعازف في قتالها بل والعـاهرات والخمـارات لأجل هذا كان قصص الصحابة في معاركهم إذا سمعها أبناء هذا الجيل يعتبرونها ضرباً من الخيال. ولن يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولهـا تمسك بالكتاب والسنة وحب لهما وحب للآخـرة أشد من حب الـدنيا وتضحية وفداء وقوة إيمان وثبات على الحق واستخفاف بالباطل وأهله نسأل الله العلي العظيم العزيز الحكيم أن يحشرنا مع الصحابة وأن يدخلنا معهم جنة النعيم وأن يصلح حال هذه الأمة حتى يرتفع المسلمون وينخفض الكافرون والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

(١) انظر ابن هشام ٣٧٣/٤ ـ ٣٧٩ .

الباب الثالث

موقف تلاميذ الاستشراق والاستعمار من أحكام الجهاد

١ ـ تمهيد : كيف تمكن الكفار من التأثير على المسلمين .
٢ ـ قصرهم الجهاد على جهاد الدفع فقط .
٣ ـ حكم بغض الكافرين .
٤ ـ حكم دار الحرب والكفر ودار الإسلام .
٥ ـ حكم الرق .
٦ ـ حكم الجزية .
٧ ـ حكم الأسرى .
٨ ـ الدعوة إلى القومية .
٩ ـ الدعوة إلى الوطنية .
١٠ ـ الدعوة إلى الإنسانية .
١١ ـ الدعوة إلى زمالة الأديان .
١٢ ـ الدعوة إلى السلام العالمي .

١ ـ تمهيد: كيف تمكن الكفار من التأثير على المسلمين

مر معنا أن الأمة المسلمة لما قامت بالجهاد الإسلامي الذي كلفها الله به أعزها الله وأذل أعداءها ونشرت الإسلام إلى أقصى الشرق والغرب ونشرت العدل بحكم القرآن على أقطار الأرض التي خضعت لسلطان الإسلام . ولما رأت الأمم الكافرة من الوثنيين واليهود والنصارى أن سلطان الإسلام يسير حثيثاً للسيطرة على العالم أجمع وأن عقيدة المسلمين هي التي تدفعهم لإزالة الكفر بجميع أنواعه وإخلاء العالم من الفساد فكروا وخططوا ثم اتفقوا على شن حرب ضارية على المسلمين استهدفت أول ما تستهدف المحرك الفعال الذي يدفع المسلمين للجهاد وهو العقيدة التي يعتقدونها المتضمنة أن الإسلام خير محض يجب نشره على العالم أجمع وأن الكفر بجميع أنواعه وأشكاله شر محض يجب إزالة سلطان أهله عن العباد والبلاد وإبقاء من يبقى على كفره منهم تحت الذل والصغار لا خطر له ولا أثر .

وقد صرح الكفار بخوفهم الشديد من عقيدة الإسلام هذه ؛ جاء في مجلة العالم الإسلامي الانجليزية :(إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي ولهذا الخوف أسباب منها أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عددياً بل دائماً في ازدياد واتساع . ثم إن الإسلام ليس ديناً

فحسب بل إن من أركانه الجهاد)[1] وقال روبرت بيّن:(إن المسلمين قد غزوا الدنيا كلها من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية). يقول ولفرد كانتول سميث: (إن أوروبا لا تستطيع أن تنسى ذلك الفزع الذي ظلت تحس به مدة قرون والإسلام يجتاح الإمبراطورية الرومانية من الشرق والغرب والجنوب)[2] .

ويقول لورنس براون:(الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته ؛ إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي)[3]، هذه الأقوال المعلنة ـ وما خفي أعظم ـ أطلقها من لهم شأن في التأثير على أمم الكفر لإثارة حفيظتهم على الإسلام وأهله وفعلاً قاموا بمهاجمة الإسلام في صور شتى منها : ـ

١ ـ الاستيلاء على بلاد المسلمين وحكمها بالقوة العسكرية والأنظمة الطاغوتية. وإذا حكم المسلم من قبل الكافر فهو الداء العضال والداهية الدهياء لأن الإسلام عقيدة وعبادة ومنهج حياة يسير عليه المجتمع، والحاكم الكافر لا يسير المجتمع الذي يحكمه إلا بمنهجه هو لا بمنهج المغلوبين الذي يعتقدونه . ولو أراد أن يحكمهم بمنهجهم لخرج هو من البلاد لأن من منهجهم مجاهدة الكافر وبغضه لا الخضوع له والتسليم لأمره. قال تعالى : ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾[4] ، وإذا سير المجتمع على غير أحكام الإسلام فلا إسلام لأفراد ذلك المجتمع إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان أو جاهد الكفار بما يستطيع . وبالفعل حكم الكفار بلاد المسلمين التي استولوا عليها بمنهجهم هم لا بمنهج الإسلام

---

(١) المستشرقون والإسلام لمحمد قطب ص ٣٢ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) التبشير والاستعمار لمصطفى خالدي وزميله ص ١٨٤ .
(٤) سورة النساء ١٤١ .

فمسخوا الفطرة البشرية بكفرهم وأحلوا القوانين الوضعية محل الشريعة الإسلامية المطهرة ورسموا خطط التعليم والاقتصاد والاجتماع على ما يوافق تفكيرهم لا على منهج الإسلام . فكانت الطامة الكبرى : خروج أجيال من الإسلام عناداً واستكباراً . وانحراف مفاهيم آخرين حتى ظنوا بتأثير التربية الإستعمارية الكفرية أن الإسلام مثل الديانة النصرانية المحرفة : أي عقيدة في الضمير والوجدان بدون أن يطبق نظامه على المجتمع في جميع الأمور وظنوا أن الدين لا علاقة له بواقع الحياة بل هو مختص بالشعائر التعبدية كما هو الشأن في الديانة النصرانية المحرفة التي تزعم أن الحياة قسمان قسم لله تؤخذ أحكامه من رجال الكنيسة وقسم لقيصر تؤخذ أحكامه من قيصر !

يصف الأستاذ محمد قطب كيفية استيلاء الكفار على بلاد المسلمين وعلى أفكارهم فيقول:(فما إن سقطت آخر دويلة مسلمة في الأندلس عام ١٤٩٣ حتى أصدر البابا منشوراً بتقسيم أرض الكفار (يقصد المسلمين) بين إسبانيا والبرتغال ثم انطلقت البرتغال بادىء ذي بدء تتحسس الطريق حول العالم الإسلامي لترى من أي منفذ تنفذ إليه وكانت رحلة فاسكووا دي جاما الشهيرة رحلة استكشافية صليبية فقد قال عندما وصل إلى المحيط الهندي بعد أن دار حول رأس رجاء الصالح:(الآن طوقنا رقبة الإسلام ولم يبق إلاّ جذب الحبل ليختنق فيموت !! وهذا مع أن الذي هداه في رحلته تلك هو البحار المسلم ابن ماجد وهو الذي كشف له الطريق ! وتوالت بعد البرتغال بقية الدول الأوروبية تتنافس فيما بينها على اغتصاب الأرض الإسلامية والاستيلاء عليها مدفوعة بذات الدافع الصليبي الذي دفع البرتغال من قبل حتى إذا تم القرن التاسع عشر كانت كل الأرض الإسلامية تقريباً قد وقعت تحت قبضة الصليبية فيما عدا تركيا ذاتها وأجزاء من الجزيرة العربية . وجاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨ فكانت

بدء الجولة الصليبية الثالثة على هذا الجزء من العالم الإسلامي ؛كان من أهم أهداف نابليون في مصر تنحية الشريعة الإسلامية واستبدال القانون الوضعي بها ولما لم يرض علماء الأزهر عن ذلك أمر بضرب الأزهر بالقنابل من القلعة وكانت ثورات القاهرة التي انتهت بخروج الحملة من مصر بعد ثلاث سنوات من مقدمها ولكن النفوذ الثقافي الفرنسي ظل باقياً في مصر وامتد امتداداً واسعاً من خلال محمد علي وأبنائه حتى عصر إسماعيل وكانت فرنسا شديدة الحرص على نفوذها الثقافي لأغراض صليبية ـ يحدثنا عنها شاتليه في مقدمة كتابه الغارة على العالم الإسلامي فيقول: « قلنا في سنة ١٩١٠ عندما كنا نخوض على صفحات هذه المجلة (يعني مجلة العالم الإسلامي الفرنسية) في موضوع السياسة الإسلامية (أي السياسة التي ينبغي اتباعها تجاه الإسلام والبلاد الإسلامية): ينبغي لفرنسا أن يكون عملها في الشرق مبنياً قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل ألا نقتصر على المشروعات الخاصة التي يقوم الرهبان والمبشرون وغيرهم بها . . . فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة إلى الغرض العام الذي نتوخاه وهو غرض لا يمكن الوصول إليه إلا بالتعليم الذي يكون تحت الجامعات الفرنساوية . . وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم إلى حيز العمل ليبث في دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنساوية » ويقول: « ولا شك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ولا يتم ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية فبنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يحتك الإسلام بصحف أوروبا وتتمهد السبيل لتقدم إسلامي مادي . . ثم جاء الاحتلال البريطاني إلى مصر سنة ١٨٨٢ هـ ليقوم بالجولة الثانية بعد فرنسا وقام جلادستون رئيس الوزارة البريطانية يومئذ في مجلس العموم البريطاني يقول (ما دام المصحف في أيدي المصريين فلن يقر لنا قرار في تلك البلاد) هكذا

بصراحة ! وقال المعتمد البريطاني اللورد كرومر في تقريره السنوي الشهير المسمى (مصر الحديثة) : (إن واجب الرجل الأبيض ـ يقصد الحاكم الإنجليزي ـ الذي وضعته العناية الإلهية (!) على رأس هذه البلاد مصر هو تثبيت دعائم الحضارة المسيحية إلى أقصى حد ممكن بحيث تصبح هي أساس العلاقات بين الناس . وإن كان من الواجب منعاً من إثارة الشكوك (!) ألا يعمل رسمياً على تنصير المسلمين وأن يرعى من منصبه الرسمي المظاهر الزائفة للدين الإسلامي كالاحتفالات الدينية وما شابه ذلك) وبذلك رسم سياسة محددة للعمل الصليبي تجاه الإسلام تعمل على المدى الطويل لتحويل المسلمين عن الإسلام)[1] .

٢ ـ الغزو الفكري مع الغزو المسلح : لم يقتصر الكفار على غزو بلاد المسلمين الغزو العسكري بل صاحبه غزو فكري وثقافي يهدف إلى هدم العقيدة الإسلامية واجتثاثها من أساسها لكي يفقد المسلمون أكبر دافع لهم على مقاومة الكفار ومحاربتهم وهو العقيدة الصحيحة التي تحرم على المسلم الخضوع للكافر وتحرم محبته وموالاته وإطاعة أمره والركون إليه وقد جرب الكفار المسلمين في الحملات الصليبية الأولى فعرفوا أنه لا يمكن إخضاعهم بدون هدم عقيدتهم وأخلاقهم فقرروا أن يكون غزوهم الأخير مصحوباً بالغزو الفكري .

يقول الدكتور علي جريشة وزميله الزيبق : «وقد ظهرت أخيراً وثيقة خطيرة تلقي الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري وهذه الوثيقة تتضمن وصية القديس لويس ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة ووقوع لويس في أسر المصريين في مدينة المنصورة وقد بذل الملك لويس فدية عظيمة للخلاص من الأسر وبعد أن عاد إلى فرنسا أيقن أنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على

---

(١) المستشرقون والإسلام لمحمد قطب ص ١٨ وما بعدها .

المسلمين عن طريق القوة الحربية لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام وصون الحرمات والأعراض، والمسلمون قادرون دوماً للانطلاق من عقيدتهم إلى الجهاد ودحر الغزاة، وأنه لا بد من سبيل آخر وهو تحويل التفكير الإسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري»[1].

ويمكن تلخيص الأمور التي يحاربنا الكفار اليوم عن طريقها لإماتة الروح الجهادية في الأمة الإسلامية وزحزحتها عن عقيدتها والقضاء على قوتها وتفتيت وحدتها في ثلاث جبهات : ١ ـ جبهة المبشرين . ٢ ـ جبهة المستشرقين . ٣ ـ جبهة الصنائع والعملاء والمغفلين من أبناء المسلمين .

ويحسن بي أن ألم إلمامة سريعة في هذا التمهيد بكل جبهة ليتبين للقارىء كيف أن تلاميذ هذه الجبهات ورثوا أساتذتهم وصاروا يرددون أقاويلهم كالببغاء وصاروا ينفذون مخططات الأعداء كاملة وهم يرتدون لباس الإسلام .

١ ـ جبهة التبشير تتلخص أهدافها فيما يلي : ـ

١ ـ تنصير المسلمين يقول كريستين واركوس: إن الوسيلة التي تأتي بأحسن الثمار في تنصير المسلمين إنما هي تعليم أولادهم الصغار[2] .

٢ ـ صرف المسلمين عن دينهم وإن لم يدخلوا في المسيحية؛ يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في الشرق الأوسط في مؤتمر القدس الذي عقده المبشرون في عام ١٩٣٥: أيها الإخوان الزملاء ممن كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد

---

(١) أساليب الغزو الفكري لجريشة وزميله الزيبق ص ١٩ .

(٢) انظر الطريق إلى حكم إسلامي للضناوي ص ١٤٩ .

الإسلام فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم خير أداء ووفقتم لها أسمى التوفيق وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل وجه لم يفطن بعضكم للغاية الأساسية منه. إني أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا أحد ثلاثة : إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه بالإسلام، وإما رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته قد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، أما الآخر فيبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية. ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا ـ المسلم ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ولذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية وهذا ما قمتم به خير قيام وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم عليه دول المسيحية والمسيحيون جميعاً من أجله كل التهنئة لقد قبضنا أيها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة أو التي تخضع للنفوذ المسيحي أو التي يحكمها المسيحيون حكماً مباشراً ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات ، وفي المدارس التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية وفي مراكز كثيرة ولدى شخصيات لا تجوز الإشارة اليها الأمر الذي يعود فيه الفضل إليكم أولاً وإلى ضروب كثيرة من التعاون باهرة النتائج وهي من أخطر ما عرف البشر في حياة الإنسانيه . إنكم أعددتم بوسائلكم الخاصة جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد. إنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم

من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل فإذا تعلم فللشهوات وإذ تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء. إن مهمتكم تتم على أكمل وجه وقد انتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضي عنكم الاستعمار فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الله[1].

٣ ـ اختيار بعض الأشخاص وتعهدهم والإيحاء لهم بخلق اتجاهات معادية للإسلام بغية زعزعة عقائد المسلمين؛يقول حنا مليلكان: إن للمدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة في أوطانهم[2] ، ويقول الضناوى: إن مصطفى كمال أتاتورك دخل المدرسة الحربية في استانبول بعد أن كان إبان العطلات المدرسية في سلانيك يتلقى الدروس الفرنسية سراً من رئيس دير فرنسي يدير مدرسة وكان يشدد على تلميذه مصطفى ويعتني به عناية خاصة فلماذا كان يتلقى الدراسة سراً من رئيس دير يدير مدرسة علنية وما معنى هذه العناية الخاصة ثم لماذا انتقل الى الحربية في استانبول هذا ما أنبأتنا به الأيام فيما بعد فقد كان عضواً في الاتحاد والترقي ثم أصبح قائداً غازياً محرراً للبلاد ثم أصبح رئيساً ثم ألغى الخلافة والسلطنة[3]

---

(١) ص ١٠٥ ـ ١٠٧ من كتاب ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية لإبراهيم الجبهان وقال المؤلف بعد إيراد هذا النص (لقد ظهرت يهودية (صموئيل زويمر) على حقيقتها حينما طلب عند موته (حاخاما) لتلقينه ودفنه بموجب التعاليم اليهودية .

(٢) الطريق إلى حكم إسلامي للضناوي ص ١٤٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣١ .

ويقول زويمر: تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها[1] .

٤ ـ دراسة التطور الفكري والسياسي في المنطقة الإسلامية للتعديل في وسائل الحرب التي تشن عليها وهذا الهدف يقوم به المبشرون والمستشرقون على السواء فإن أغلب المستشرقين مبشرون كما أن أكثر المبشرين مستشرقون ويشترط فيمن يقوم بالتبشير في البلاد الإسلامية أن يكون قد قرأ ما كتبه المستشرقون عن المنطقة الإسلامية .

يقول الأستاذ محمد قطب: يعمل المستشرقون لهدفين رئيسيين كبيرين فهم أولاً يرصدون كل حركة إسلامية فكرية أو حركية بما هو ميسر لهم من وسائل تخصصهم من قراءة ما يكتبه المسلمون بلغاتهم ـ العربية بصفة خاصة والتركية والأوردية والفارسية . . الخ ـ والتحدث المباشر إليهم بألسنتهم ثم يبلغون بها دولهم التي تنفق عليهم لتكون على علم بها أولاً بأول ويشيرون عليها ـ خفية أو علانية ـ بما ينبغي لها أن تعمل تجاه تلك الحركات فهم بهذه الصفة (قلم مخابرات ثقافي) إن صح التعبير يتحسس الأخبار ويبلغ عنها ويشير بالتدبير. وهم ثانياً يقومون بجهود (علمية) منظمة للتشويش على المسلمين وفتنتهم عن دينهم وتشتيت جهودهم وأفكارهم عن التجمع في حركة بانية هادفة لتحقيق الإسلام في واقع الأرض في أي ركن من بلاد الإسلام[2] .

ويمكن تلخيص أشهر وسائل المبشرين التي اتخذوها لتحقيق إفسادهم فيما يلي :

---

(١) حقائق عن التبشير لعماد شرف ص ٣٢ .

(٢) المستشرقون والإسلام لمحمد قطب ص ٢٠ ـ ٢١ .

١ ـ التعليم في الروضة والمدارس والجامعات: يقول هنري جيب وهو من أكبر المبشرين الذين عرفهم الشرق الإسلامي: إن التعليم إنما هو واسطة إلى غاية فقط في الإرساليات المسيحية هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية ! وقالت المستشرقة آنا ميلفان : (في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة)[١] .

٢ ـ المطبوعات من كتب مؤلفة . . أو مترجمة وصحافة: وقد استغلها المبشرون أسوأ استغلال لإفساد عقائد الناس بل أول من بدأ بالصحافة في مصر هم النصارى أمثال إميل وجورجي زيدان وسليم تقلا وفؤاد صروف وقد أسسوا دار الهلال ودار الأهرام ودار المقتطف وكلها تهدف إلى خدمة التبشير والاستعمار . يقول محمد علي الضناوي (ولقد اعتمد المبشرون مدينتين لنشر كتبهم وصحفهم: القاهرة وبيروت أما القاهرة فاتخذها البروتستانت مركزاً لتوزيع المنشورات المسيحية في القطر المصري وفي جميع العالم الإسلامي، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت؛ تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله . أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٨٧ م وقاموا عن طريقها بعمل تبشيري في الدرجة الأولى)[٢] .

٣ ـ الخدمات الطبية والاجتماعية: يقول موريسون نحن متفقون بلا ريب

---

(١) انظر الطريق إلى حكم إسلامي للضناوي ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .
(٢) الطريق إلى حكم اسلامي للضناوي ص ١٥٥ .

على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين مرضى العيادة الخارجية في المستشفيات أن نأتي بهم إلى المعرفة المنقذة معرفة ربنا يسوع المسيح وأن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية. ويقول بول هاريسون: إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عمان بأسرها . . لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى[1]. يقصد أنه لا يرضى عن إنشاء مستشفى للطب فقط ما لم يقم بدوره الخبيث في إفساد عقائد الناس.

٤ ـ رعاية بعض الأحزاب والمنظمات : وقد ضرب النصارى الرقم القياسي في الدخول في أحزاب ومنظمات عربية بهدف خدمة الاستعمار وتحويل المسلمين عن دينهم إلى غير ذلك من الغايات الخبيثة ومن هؤلاء: ميشيل عفلق لحزب البعث العربي الاشتراكي، وجورج حبش للقوميين العرب وللجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ونايف حواتمة للجبهة الشعبية الديمقراطية، وأنطون سعادة للحزب القومي السوري ، أما القومية العربية فتولى كبر نشرها النصارى كما سيأتي .

٢ ـ جبهة الاستشراق :

المستشرقون لفظ يطلق على من اهتم من الكفار بدراسة الدين الإسلامي ودرس أحوال المشرق الإسلامي سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو العادات والتقاليد أو اللغات واللهجات . وهؤلاء اتجهوا إلى دراسة الإسلام وعلومه وأحوال أهله بدوافع شيطانية تهدف إلى محق الإسلام وإحلال كفرهم محله في غالب الأحيان . يقول الدكتور مصطفى السباعي عن دوافع الاستشراق ما يلي :

---

(١) حقائق عن التبشير لعماد شرف ص ٥٣ ـ ٥٤ .

١ ـ الدافع الديني : لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لنتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني فقد بدأ بالرهبان كما رأينا واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر كما سنرى وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام ـ وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين ـ دين لا يستحق الانتشار وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء يحثهم دينهم على اللذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى . فلم يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله فاستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية . وهنالك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية وهم قبل كل شيء رجال دين فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث .

٢ ـ الدافع الاستعماري :

لم ييأس الغربيون بعد الحروب الصليبية من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها

وإلى مواطن الضعف فيغتنموها ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية فنفقد الثقة بأنفسنا ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادىء العقائدية وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لنا من بعده قائمة . .

٣ ـ الدافع التجاري :

ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين .

٤ ـ الدافع السياسي :

وهنالك دافع آخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية في كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيراً ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون ـ ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية ـ يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض وبين الدول العربية والدول الإسلامية بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماماً نفسية كثير من المسؤولين في تلك البلاد وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم .

٥ ـ الدافع العلمي :

ومن المستشرقين نفر قليل جداً أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها . .)[١] ، ويعتبر الأستاذ محمد قطب المستشرقين والمبشرين عصابة واحدة هدفها واحد وإن اختلفت أساليبهم ولبست لباس العلم المتجرد أحياناً فكل ذلك من قبيل التمويه والدجل واصطناع النزاهة الكاذبة[٢] . ثم يذكر رؤوس المسائل المفتراة على الإسلام والتي يكاد يتفق عليها عامة المستشرقين والمبشرين فيقول: (من الخطوط الرئيسية المتفق عليها بين هذه العصابة عدة أمور ، أو (رؤوس موضوعات) معينة يتناولها كل منهم من الزاوية التي تروق لمزاجه أو يجد نفسه موفقاً في تناولها :

١ ـ التشكيك في صحة العقيدة وكون الإسلام ديناً منـزلاً من عند الله والتشكيك في تلقي الرسول ﷺ وحياً من عند الله[٣] .

٢ ـ تشويه صورة الرسول ﷺ والغمز والتجريح لشخصه الكريم .

٣ ـ تشويه صورة رجالات الإسلام الذين لهم توقير خاص في نفوس المسلمين بما يثير الشك في دوافعهم وأفعالهم وتشويه صورة العصر الأول من الإسلام بما يفسد روعته وتفرده وارتفاعه .

٤ ـ تشويه تاريخ الإسلام كله بتصويره في صورة مهلهلة لا تشرف قوماً أن يكون هذا تاريخهم وهذه حصيلتهم في واقع الحياة .

٥ ـ الإلحاح بصفة خاصة على أن الإسلام قد انتشر بالسيف ليقوم

---

(١) الاستشراق والمستشرقون للسباعي ص ١٦ ـ ١٩ .

(٢) انظر المستشرقون والإسلام لمحمد قطب ص ٢٠

(٣) الترقيم ليس في النص وإنما وضعته لتتضح رؤوس المسائل.

المسلمون بالدفاع عن هذه (الخطيئة) والاعتذار عنها فيقولوا :أبداً إن الإسلام لم يستخدم القوة إلا للدفاع، (ولذلك هدف سنشرحه في سياق الحديث).

٦ ـ الإيحاء بأن الإسلام أصبح شيئاً من تراث الماضي البعيد جاء في دوره التاريخي وانقضى بانقضاء ذلك الدور .

٧ ـ الإيحاء بأن الإسلام دين (عربي) بمعنى أنه مطبوع بطابع العرب ومفصل على قدهم لنفي أنه دين عالمي نزل للبشر كافة ويصلح للبشر كافة ثم القول المناقض لبعض المستشرقين بأن الإسلام ليس ديناً عربياً للقول بأنه استمد من المصادر اليهودية والمسيحية والفارسية . . إلخ .

٨ ـ القول بأن الإسلام دين رجعي جامد متأخر لا يصلح للتطبيق اليوم ولا يساير الحياة والقول بأنه بصفة خاصة يكبل المرأة ويقيدها ويقف في سبيل تحررها، ثم القول المناقض لذلك تماماً من أن الإسلام دين مرن متطور ، وأنه يستطيع مسايرة الحياة الحديثة (بتطوير) مفاهيمه وتطوير الفقه الإسلامي بما يناسب الحياة الحاضرة ، وأنه يسمح للمرأة ـ بالذات ـ بالتحرر والتطور . . على الاتساع ! .

٩ ـ القول بأن الإسلام ليست له نظم وإنما هو مجموعة توجيهات عامة وأنه لا يحوي بصفة خاصة نظاماً للحكم ، وأنه استمد كل (نظمه) من البيزنطيين والفرس .

١٠ ـ الربط ـ والخلط ـ بين الإسلام والمسلمين بحيث تضيع الصورة المتميزة للإسلام ويصبح الإسلام هو ما يصنعه المسلمون ، فإذا كان المسلمون اليوم ـ مثلاً ـ ضعافاً ومتأخرين . . فكذلك الإسلام .

١١ ـ تمييع المفهوم الإسلامي للحياة وإخراج (الحكم) من الحساب

والقول بأن المسلمين بخير والإسلام بخير ولو لم يحكم الناس بما أنزل الله بل ولو لم يؤدوا حتى العبادات !

١٢ - الإلحاح على فكرة أن المسلمين يجب أن يأخذوا الحضارة الغربية بكاملها . . ثم يظلوا مسلمين (عقيدة) وإلا . . فليس أمامهم إلا أن يتخلوا عن الإسلام .

١٣ - تبني الحركات المنحرفة عن سبيل الإسلام وتكبيرها وتمجيدها ولفت الأنظار اليها .

١٤ - إزجاء المديح لشخصيات معينة من الكتاب والزعماء المسلمين المحدثين ومهاجمة آخرين بأعيانهم[١] .

هذه الشبه وغيرها كثير تأثر بها العالم الإسلامي لعوامل وأسباب كثيرة من أهمها البعثات التي تبتعث لبلاد الكفار فيتتلمذون على المستشرقين من اليهود والنصارى وإذا رجعوا إلى بلادهم رجعوا بأفكار أساتذتهم ثم جعلوا في أعلى المناصب في بلادهم فنشروا ما عندهم من هذا الزيف لكونهم في مكان الصدارة والتوجيه والتخطيط !!

٣ - جبهة الصنائع والعملاء والمغفلين من أبناء المسلمين :

لقد حرص الكفار في أثناء سيطرتهم العسكرية والفكرية على العالم الإسلامي - على تربية أشخاص وزعماء ومنظمات وأحزاب وعلماء على أعينهم حتى قلبوا موازينهم الفكرية والعقيدية وصاروا يهدمون في الإسلام أكثر مما يبنون ويستفيد منهم المستعمر في تنفيذ خططه وأهدافه وهم يخفون على الدهماء من الناس أحياناً لأنهم لا يظهرون عداءهم للإسلام في بعض الأحيان . وهذا الأمر من أعظم كيد سياسة المستعمر التي

---

(١) المستشرقون والإسلام لمحمد قطب ص ٢٣ .

انتهجها وهي: (يجب أن يقطع الشجرة أحد أغصانها) فاصطفى له صنائع ينشرون ما يهدم الدين صراحة تارة وباسم الدين تارة وباسم حرية الفكر والرأي تارة. ومن هؤلاء على سبيل المثال: طه حسين، وعلي عبد الرازق ومنصور فهمي[1] فإن لهم آراء شاذة مصادمة للإسلام تدل على عمالتهم للدوائر الاستشراقية وأمثالهم في العالم الإسلامي - من أصحاب الأقلام المسمومة - كثير. ولا شك أن بعض أبناء المسلمين تأثر بالتربية الاستعمارية فصار يخدم الاستعمار من غير اتفاق معه على العمالة بل يظن نفسه يسدي إلى أبناء جنسه ووطنه معروفاً وهذا الصنف من الناس كثير وخطرهم أشد على الإسلام والمسلمين من العملاء الحقيقيين وذلك لانخداع الناس بهم ولظهور نزاهتهم عن العمالة مع العلم بأنهم يؤدون ما يؤديه العميل وزيادة.

ومما ساعد المستعمر على بلوغ أهدافه في العالم الإسلامي برامج التغريب التي صبت عليه صباً مدعومة بوسائل الإعلام وبالحكومات وبرجال الفكر والصحافة إلا من عصمه الله من الزيغ. يقول الدكتور محمد محمد حسين: وبرامج التغريب تحاول أن تخدم هدفاً مزدوجاً فهي تحرس مصالح الاستعمار بتقريب الهوة التي تفصل بينه وبين المسلمين نتيجة لاختلاف القيم ونتيجة للمرارة التي يحسها المسلم إزاء المحتلين لبلاده ممن يفرض عليه دينه جهادهم وهي في الوقت نفسه تضعف الرابطة الدينية التي تجمع المسلمين وتفرق جماعتهم التي كانت تلتقي على وحدة القيم الفكرية والثقافية أو بتعبير أشمل وحدة القيم الحضارية فيستطيع الاستعمار أن ينفرد بكل بلد على حدة وأن يتفرغ لمواجهة ما عساه ينشأ من ثورات وظهره آمن من ثورات المناطق الإسلامية الأخرى في مستعمراته التي قد تهب

---

(١) انظر بعض آراء هؤلاء وما صدر في حق بعضهم من فتاوى في كتاب العالم الإسلامي والمكائد الدولية لفتحي يكن من ص ١٠٩ - ١٢٢.

لمساندتها ، وقد لاحظ كرومر وجود هذا الخلاف الشديد بين المسلمين وبين المستعمر الغربي في العقائد وفي القيم وفي التقاليد والعادات وفي اللغة وفي الفن وفي الموسيقى وذلك في فصل طويل عقده في كتابه الذي ألفه عقب مغادرته لمصر بعد أن وضع أساس السياسة الإنجليزية وأشرف على تنفيذها مدة تقرب من ربع قرن . لاحظ كرومر في هذا الفصل أن هذه الخلافات هي السبب في انعدام ثقة المسلم بالمستعمر الأوروبي وسوء ظنه به وهي السبب في وجود هوة واسعة تفصل بينهما وتجعل مهمة المستعمر محفوفة بالمتاعب ودعا من أجل ذلك إلى العمل بمختلف الوسائل على بناء قنطرة فوق هذه الهوة وقد اتخذت هذه الوسائل طريقين : -

أحدهما هو تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشؤون تنشئة خاصة تقربهم من الأوروبيين ومن الإنجليز على وجه الخصوص في طرائق السلوك والتفكير ومن أجل ذلك أنشأ كرومر (كلية فكتوريا) التي قصد بها تربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي ليكونوا من بعدهم أدوات المستعمر الغربي في إدارة شؤون المسلمين وليكونوا في الوقت نفسه على مضي الوقت أدواته في التقريب بين المسلمين وبين المستعمر الأوروبي وفي نشر الحضارة الغربية . . .

أما الوسيلة الأخرى التي اتخذها الإستعمار لإيجاد هذا التفاهم المفقود وعمل على تنفيذها فهي أبطأ ثماراً من الوسيلة الأولى ولكنها أبقى آثاراً كما لاحظ اللورد لويد وهي تتلخص في تطوير الإسلام نفسه وإعادة تفسيره بحيث يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية أو قريب منها وغير متعارض معها على الأقل بدل أن يبدو عدواً لها أو معارضاً لقيمها وأساليبها. إلى جانب هذين المنهجين وجد منهج ثالث في بلاد العرب بخاصة لم يعمل عملاً مباشراً في صلات الإسلام بالحضارة الغربية ولكنه ترك أثراً غير

مباشر في توجيهها وهذا المنهج الثالث والعنصر الجديد ممثل في نصارى العرب ونصارى الشام منهم على وجه الخصوص . . . كانت آمال هذا الفريق من نصارى العرب تتعلق بالعلمانية الغربية التي تقوم على الفصل بين الدين والدولة والتي لا يتحكم فيها الإسلام في التنظيم السياسي والاجتماعي والتي يزول معها إحساس المسلمين بالاعتزاز وإحساس النصارى بالذلة والانكسار الذي يخالط مشاعر الأقليات في أكثر الأحيان)[1] . كل الجبهات الثلاث المتقدمة ـ التي يحاربنا الكفار عن طريقها ـ متضافرة ساعدت على إماتة الروح الجهادية في الأمة المسلمة وصرفتها عن عقيدتها الصافية وجعلت المسلمين تلتبس عليهم مفهومات وأحكام كثيرة تتعلق بالجهاد وغيره من أصول الإسلام . وقد صادفت هذه الحرب المشبوبة من قبل الكفار قابلية لدى المسلمين وضعفاً وخوراً وانحرافاً جعلت التأثير يبلغ مداه قال تعالى : ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾[2] ، أما إذا تخلف الصبر والتقوى فالكيد يضر بتقدير الله، ومن أهم الأمور التي جعلت كيد الكفار وغزوهم ينجح في تفتيت وحدة المسلمين وعقائدهم ما يلي : ـ

١ ـ عدم توحيد مصدر التلقي عند أكثر الأجيال المتأخرة من أبناء المسلمين فلقد كان المسلمون الأوائل لا يتلقون عقائدهم إلا عن الله وكذلك أحكامهم في جميع الأمور وقد غضب رسول الله ﷺ لما رأى أحد الصحابة يقلب التوراة في يديه فقال له:(ألم آت بها بيضاء نقية لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي)[3] وكان المسلمون الأوائل إذا

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية لمحمد حسين ص ٤٥ ـ ٤٨ .

(٢) آل عمران ١٢٠ .

(٣) انظر إرواء الغليل للألباني ٣٤/٦ والسنة لابن أبي عاصم ٢٧/١ ، وقال الألباني عن القصة سندها حسن .

فتحوا بلاد الكفار ووجدوا فيها كتباً ترجموا ما يحتاجونه من العلوم البحتة كالطب والهندسة ويحرقون ما عدا ذلك من كتب الآداب والعقائد فقد أغناهم الله بعقائد وآداب الإسلام ولكن في العصور المتأخرة فرّط الخلف في منهج السلف إلا من عصم الله فتوسعوا في الترجمة حتى ترجمت كتب الشرك والسحر وصار بعض الناس يقدسون الفلاسفة كسقراط وأرسطو ويجعلون نصوصهم كنصوص الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى كثرت البدع وكثرت الاختلافات وانشغل الناس بها عن الجهاد في سبيل الله .

٢ ـ الجهل بالكتاب العزيز والسنة الصحيحة حتى ممن يتصدون للدفاع عن الإسلام فبعضهم يسيء إلى الإسلام لقلة فقهه بالكتاب والسنة وهو يحسب أنه يحسن صنعاً .

٣ ـ الاهتمام الزائد بآراء الكفار والتنقيب عنها حتى ولو لم تكن مشهورة للرد عليها . وكان السلف الصالح لا يتوسعون في هذا المجال إلا إذا كانت الشبهة مشهورة منتشرة وخافوا أن يلحق المسلمين منها فساد فعند ذلك يهدمونها بالأدلة الصريحة من الكتاب والسنة ويحرصون على تعليم الناس العقيدة الصحيحة فإن من عرف الحق حصل عنده مناعة فلا يقبل الباطل في الغالب.

٤ ـ الآثار التي أنتجتها الفرق المبتدعة التي تنخر في كيان الأمة الإسلامية وتضعفها وتسهل عملية غزوها كفرق الروافض والصوفية والمعتزلة والفلاسفة الجهمية .

٥ ـ تخلي علماء المسلمين عن حكم الشعوب الإسلامية والرضاء بأن يقودهم ويتولى أمرهم حكام فسقة يهتمون بعروشهم أكثر مما يهتمون بالإسلام .

٦ ـ جبن بعض العلماء وعدم إنكارهم ما يحدث في المجتمعات الإسلامية

من انحرافات وحبهم للعاجلة جعل الشرور تستفحل . فإذا سكت العالم فمتى يتعلم الجاهل !!

٧ ـ انحراف المفاهيم الصحيحة لمعاني العقائد والأحكام الإسلامية عند جمهرة الناس حتى ظنوا أن من قال لا إله إلا الله فهو المسلم ولو فعل ما فعل من الشرك والكفر وأن معنى أشهد أن لا إله إلا الله الاعتراف بأن الله موجود فحسب وأن العبادة هي الشعائر التعبدية فحسب وأن التشريع مع الله لا يخرج من الإسلام وأن الكفار لا يجاهدون إلا إذا اعتدوا وأن محبة الكفار وموالاتهم سياسة لا تخدش الدين ونحو ذلك من العظائم التي يجهلها كثير من أبناء المسلمين .

كل هذه الانحرافات وغيرها كثير هي التي سببت إماتة الروح الجهادية وأوجدت تربة خصبة يغرس فيها المبشرون والمستشرقون ما أرادوا من أهواء وشبهات وعقائد تغاير عقائد الإسلام. ولا يتسع هذا التمهيد لأكثر من هذا وجاء دور الشروع في بيان الأحكام التي لها علاقة بالجهاد والتي نالها تحريف تلاميذ الاستعمار فحرفت عن وجهها الصحيح الثابت في الكتاب والسنة والعون من الله.

٢ ـ قصرهم الجهاد على جهاد الدفع فقط

ابتدع تلاميذ المستشرقين ومن سار على نهجهم بدعة منكرة تخالف الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وإجماع سلف الأمة وهذه البدعة هي أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط وأن المسلمين لا يجوز لهم أن يغزوا الكفار لأجل إخضاعهم لسلطان الإسلام وإعلاء كلمة الله على كلمتهم إلا إذا سبق الكفار بالاعتداء على المسلمين[١] ، وهذه البدعة المنكرة لم يقلها أحد من علماء المسلمين المعتبرين وأول ما ظهرت فيما أعلم على أيدي تلاميذ المدرسة العقلية الحديثة التي من أشهر رجالها: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا . وتلاميذ هذه المدرسة أعجبوا بما عند الغرب من مفاهيم في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية فبذلوا قصارى جهودهم ليوضحوا للناس أن هذه المفاهيم موجود مثلها وأفضل منها في الإسلام . ولقد كان أعداء الإسلام من مبشرين ومستشرقين يحملون على الإسلام حملة شعواء قوامها أن الإسلام انتشر بالسيف بينما انتشرت المسيحية بالمحبة والسلام فأراد هؤلاء أن ينفوا التهمة عن الإسلام فقالوا: إن الإسلام لا يستخدم السيف إلا للدفاع فحسب وقد غاب عن

---

(١) سوف يأتي في صلب هذا البحث أسماء بعض المؤلفات التي قال أصحابها بهذا القول .

أذهانهم الفرق بين أهداف الجهاد في الإسلام وأهداف الحروب الأخرى التي يعرفها الناس في جاهلياتهم والتي عرفتها أوروبا في تاريخها كله . والسبب الذي لأجله غاب عنهم وعن غيرهم من كثير من أعداء الإسلام ومن أبنائه الفرق بين جهاد الإسلام وبين حرب الكفار يوضحه أبو الأعلى المودودي فيقول:(. . لكنا إذا أنعمنا النظر في المسألة من الوجهة العلمية ودققنا النظر في الأسباب التي أشكل لأجلها استجلاء حقيقة الجهاد في سبيل الله واستكناه سرها على المسلمين أنفسهم فضلاً عن غير المسلمين لاح لنا أن مرجع هذا الخطأ إلى أمرين مهمين لم يسبروا غورهما ولم يدركوا مغـزاهما على وجـه الحقيقة. فـالأول أنهم ظنوا الإسـلام نحلة بالمعنى الذي تطلق عليه النحلة عامة . الثاني أنهم حسبوا المسلمين أمة بالمعنى الذي تستعمل فيه هذه الكلمة في عامة الأحوال فالحقيقة أن خطأ القوم في فهم هذين الأمرين المهمين وعدم استجلائهم لوجه الحق في هاتين المسألتين الأساسيتين هو الذي شوه وجه الحقيقة ، الناصعة في هذا الشأن وعاقهم عن إدراك مغزى الجهاد الإسلامي بل الحق والحق أحق أن يتبع أن هذا الخطأ الأساسي في فهم هاتين المسألتين قد أرخى سدوله على حقيقة الدين الإسلامي بأسره وقلب الأمر ظهراً لبطن وجعل موقف المسلمين من العالم ومسائله المتجددة ومشاكله المتشعبة حرجاً ضيقاً لا يرضاه الإسلام وتعاليمه الخالدة . فالنحلة على حسب الاصطلاح الشائع عندهم لا يراد بها إلا مجموعة من العقائد والعبادات والشعائر . ولا جرم أن النحلة بهذا المعنى لا تعدو أن تكون مسألة شخصية فأنت حر في ما تختاره من العقيدة ولك الخيار في أن تعبد بأي طريق شئت من رضيت به رباً لنفسك وإن أبت نفسك إلا التحمس لهذه النحلة والانتصار لعقيدتها فلك أن تخترق الأرض وتجوب بلاد الله الشاسعة داعياً إلى عقيدتك مدافعاً عن كيانها بالحجج والبراهين مجادلاً من يخالفونك فيها بمرهفات الألسنة وأسنة الأقلام ، أما السيف وآلات الحرب والقتال فما لك ولها في هذا الشأن أتريد أن تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين بعقيدتك وإن كان الإسلام

نحلة كنحل العالم على حسب الاصطلاح الشائع عندهم كما يزعمون فالظاهر أنه لا شأن فيها للسيف وأدوات الحرب كما قالوا . ولو كان موقف الإسلام في نفس الأمر كما زعموا ووصفوا لما كان فيه مساغ للجهاد ولم يكن من الإسلام في ورد ولا صدر لكن الأمر على خلاف ذلك كما سوف تعرفه في ما يأتي من البيان وكذلك كلمة (الأمة) فما هي إلا عبارة عن طائفة من الناس متوافقة فيما بينها اجتمعت وتألفت وامتازت من بين طوائف أخرى لاشتراكها في بعض الأمور الجوهرية فالطائفة التي تكون أمة بهذا المعنى لا يبعثها على استخدام السيف إلا امران : إما ان يعتدي عليها معتد ويريد أن يسلبها حقوقها المعروفة ، وإما أن تحمل هي بنفسها على طائفة أخرى لتنتزع من يدها حقوقها المعروفة ففي الصورة الأولى منهما لها سعة في الأمر وهي لا تخلو من وازع خلقي يلجئها إلى استخدام السيف والبطش بمن اعتدى عليها وإن كان بعض المتشدقين بالأمن والسلام لا يبيح ذلك أيضاً .

أما الصورة الثانية : أي الاعتداء على حقوق غيرها والإغارة على الشعوب والأمم من غير ما سبب لا يبيحها غير بعض الجبابرة المسيطرون حتى أن ساسة الدول الكبرى كبريطانيا وأمريكا أيضاً لا يقدرون أن يجترئوا على القول بجوازها . فإن كان الإسلام نحلة كالنحل الأخرى والمسلمون أمة كغيرهم من أمم العالم فلا جرم أن الجهاد الإسلامي يفقد بذلك جميع المزايا والخصائص التي جعلته رأس العبادات ودرة تاجها لكن الحقيقة أن الإسلام ليس بنحلة كالنحل الرائجة وأن المسلمين ليسوا بأمة كأمم العالم بل الأمر أن الإسلام فكرة[1] انقلابية ومنهاج انقلابي يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره ويأتي بنيانه من القواعد ويؤسس بنيانه من جديد حسب فكرته ومنهاجه العملي ومن هناك تعرف أن لفظ المسلم وصف

---

(١) الأولى أن يقول عقيدة .

للحزب الانقلابي العالمي الذي يكونه الإسلام وينظم صفوفه ليكون أداة في إحداث ذلك البرنامج الانقلابي الذي يرمي إليه الإسلام ويطمح إليه ببصره ،والجهاد عبارة عن الكفاح الانقلابي عن تلك الحركة الدائبة المستمرة التي يقام بها للوصول إلى هذه الغاية وإدراك هذا المبتغى . . إن الاسلام ليس بمجرد مجموعة من العقيدة الكلامية وجملة من المناسك والشعائر كما يفهم من معنى الدين في هذه الأيام بل الحق أنه نظام كلي شامل يريد أن يقضي على سائر النظم الباطلة ، الجائرة الجارية في العالم ويقطع دابرها ويستبدل بها نظاماً صالحاً ومنهاجاً معتدلاً يرى أنه خير للإنسانية من النظم الأخرى وأن فيه نجاة للجنس البشري من أدواء الشر والطغيان وسعادة له وفلاحاً في العاجلة والآجلة معاً[1] . غاب عن تلاميذ المدرسة العقلية الحديثة هذا المفهوم للجهاد أو أرادوا صرف المسلمين عن هذا الهدف فإن بعض الباحثين المعاصرين أثبتوا بالأدلة العلمية بأن رواد المدرسة العقلية كانوا على تفاهم مع الاستعمار وأدواته مع الصهيونية والماسونية لأجل صرف المسلمين عن المفاهيم الصحيحة للإسلام وتقريب المفاهيم الإسلامية من المفاهيم الأوروبية ومن هؤلاء الباحثين الأستاذ غازي التوبة في كتابه الفكر الإسلامي المعاصر ـ دراسة وتقويم ـ والدكتور محمد محمد حسين في كتابيه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، والإسلام والحضارة الغربية،والاستاذ فهد الرومي في كتابه (منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير) يقول الأستاذ فهد الرومي: وخلاصة ما نقلنا من نقد لهم هنا أنهم :

١ ـ غير ملتزمين للشعائر الإسلامية من صلاة أو حج . . الخ .

٢ ـ أن تعاونهم مع الاحتلال ودول الاستعمار إما لأنهم عملاء كما يقول بعض النقاد أو سذاجة منهم كما يقول آخرون .

---

(١) الجهاد للمودودي ص ١٠ ، ١٢ ، ٣١ .

٣ ـ أن لهم دعوة باطنية يظهرون منها ما يخالف حقيقتها وباطنها .

٤ ـ أنهم جاروا مذهب الاعتزال في كثير من مذاهبهم حتى أطلق عليهم أنهم معتزلة العصر الحديث .

٥ ـ أنهم الوسيلة التي اتخذها الاستعمار والمستعمرون لتحويل وتحوير الإسلام من الداخل ليعطي السند الفكري والدعم الديني لمعطيات الحضارة الغربية .

٦ ـ أن منهجهم في التفسير ضال ومنحرف .

كل هذا وغيره كثير كشفه الناقدون لهم لكن هذا كله،ولكنهم كلهم لم يكن لهم من الأثر ما يذكر في التقليل من رواج حسن سيرتهم بين الناس وانخداع العلماء بهم قبل العوام حتى وصلوا إلى درجة لا يجرؤ عالم من العلماء على نقدهم علانية أمام ملأ من الناس في مجتمعهم.لم يكن السبب في هذا سراً لا يعلمه أحد بل علمه وخبره الكثيرون وأعلنوه للناس أيضاً؛قالوا:إن السبب أن الاستعمار يقف خلفهم ويؤيدهم ويساند دعوتهم ويحميهم أينما ساروا ويحمي أفكارهم ومبادئهم في اللحظة التي يحتاجون فيها إلى الحماية ويسعى إلى ترويج آرائهم بين المسلمين وإيصال صوتهم ودعوتهم إلى الناس،وجند الاستعمار جنوداً من المستشرقين للثناء عليهم ومدحهم حتى يروج ذلك بين الكتاب المسلمين فينقلوه عنهم نقل الإعجاب والتأييد والافتخار . . ونبدأ أول ما نبدأ برجل أعلن عداءه للإسلام حيث قال:جئت إلى مصر لأمحو ثلاثة القرآن والكعبة والأزهر.ترى من الذي عاون هذا الرجل لتحقيق هدفه ؟ إنهم ولا شك رجال المدرسة العقلية من حيث يدرون [فيكونون عملاء] ، أو من حيث لا يدرون [فيكونون سذّاجاً] قال كرومر في تقريره السنوي لعام ١٩٠٥ عن محمد عبده:(كان لمعرفته العميقة بالشريعة الإسلامية ولآرائه المتحررة المستنيرة أثرها في جعل مشورته والتعاون معه عظيم الجدوى) وقال أيضاً : (لا

ريب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشد إليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الإصلاح من المسلمين الخير منه لبني ملتهم إذا ساروا فيه فأتباع الشيخ حقيقيون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوروبيين)،وقال أيضاً:(إن أهميته السياسية ترجع إلى أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين الغربْ وبين المسلمين وأنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع فهم الخلفاء الطبيعيون للمصلح الأوروبي).وقد امتثل هو ما دعا إليه فمال إليهم وعطف عليهم وقدم لهم كل عون وتشجيع فكانوا له حلفاء طبيعيين فوجبت عليه حمايتهم؛صرح اللورد كرومر بنفسه:(إن الشيخ محمد عبده يظل مفتياً في مصر ما ظلت بريطانية العظمى محتلة لها) . . وكان لأفكار المدرسة العقلية صدى كبير في دراسات المستشرقين . . فهذا جب يقول عنهم: (لسوء الحظ ظل قسم كبير من المسلمين المحافظين ولا سيما في الهند لا يخضعون لهذه الحركات الإصلاحية المهدئة وينظرون إلى الحركة التي تزعمتها مدرسة عليكرة بالهند ومدرسة محمد عبده بمصر نظرة كلها ريبة وسوء ظن لا تقل عن ريبتهم في الثقافة الأوروبية نفسها). . ويقول إن تلامذته هم من أولئك الذين تعلموا على الطريقة الأوروبية وذلك من ناحيتين: أولاهما أن ما كتبه الشيخ كان بمثابة درع واقية للمصلحين الاجتماعيين والسياسيين فإن عظمة اسمه قد ساهمت في نشر أخبار لم تكن تنشر من قبل ثم إنه قد أقام جسراً من فوق الهوة السحيقة بين التعليم التقليدي والتعليم العقلي المستورد من أوروبا الأمر الذي مهد للطالب المسلم أن يدرس في الجامعات الأوروبية دون خشية من مخالفة معتقده . . أما الجاسوس البريطاني الفريد سكاون بلنت فيصف دعوتهم بأنها: (الإصلاح الديني الحر) ويصفهم بأنهم: (زعماء الإصلاح في الأزهر) . . وقال عن الأفغاني: (ومن أغرب ما يروى أن الفضل في نشر هذا الإصلاح الديني الحر بين العلماء في القاهرة لا يعود إلى عربي أو مصري أو عثماني ولكن إلى رجل عبقري غريب يدعى السيد جمال الدين

الأفغاني)[1]. إن غرضي من هذا الاستطراد فيما يتعلق بالمدرسة العقلية الحديثة هو أن أبين للقارىء بأن هذه البدعة المنكرة يهدف منها أصحابها إلى تقريب مفهوم إسلامي جاء من عند الله إلى مفهوم بشري منحرف ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المنحرفون يقول محمد عبده عن الجهاد الإسلامي: (فقتال النبي ﷺ كله كان مدافعة عن الحق وأهله وحماية لدعوة الحق ولذلك كان تقديم الدعوة شرط لجواز القتال وإنما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان فإذا منعنا من الدعوة بالقوة بأن هدد الداعي أو قتل فعلينا أن نقاتل لحماية الدعاة ونشر الدعوة لا للإكراه على الدين فالله يقول (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ويقول: (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) وإذا لم يوجد من يمنع الدعوة ويؤذي الدعاة أو يقتلهم أو يهدد الأمن ويعتدي على المؤمنين فالله تعالى لا يفرض علينا القتال لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح ولا لأجل الطمع في الكسب ولقد كانت حروب الصحابة في الصدر الأول لأجل حماية الدعوة ومنع المسلمين من تغلب الظالمين لا لأجل العدوان فالروم كانوا يعتدون على حدود البلاد العربية التي دخلت حوزة الإسلام ويؤذونهم وأولياؤهم من العرب المتنصرة ومن يظفرون به من المسلمين . وكان الفرس أشد إيذاء للمؤمنين منهم فقد مزقوا كتاب النبي ﷺ ورفضوا دعوته وهددوا رسوله وكذلك كانوا يفعلون وما كان بعد ذلك من الفتوحات الإسلامية اقتضته طبيعة الملك ولم يكن كله موافقاً لأحكام الدين فإن من طبيعة الكون أن يبسط القوي يده على جاره الضعيف ولم تعرف أمة قوية أرحم في فتوحاتها بالضعفاء من الأمة العربية شهد لها علماء الإفرنج بذلك وجملة القول في القتال أنه شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها فعلى من يدعي من الملوك والأمراء أنه يحارب للدين أن يحيي الدعوة الإسلامية ويعد لها عدتها من العلم والحجة بحسب حال العصر

---

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص ٨٠٤ ــ ٨٠٨ .

وعلومه ويؤيد ذلك بالاستعداد التام لحمايتها من العدوان. ومن عرف حال الدعاة إلى الدين عند الأمم الحية، وطرق الاستعداد لحمايتهم يعرف ما يجب في ذلك وما ينبغي له في هذا العصر[1]، ويقول محمد رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى: (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون): هذه غاية للأمر بقتال أهل الكتاب ينتهي بها إذا كان الغلب لنا. أي قاتلوا من ذكر عند وجود ما يقتضي وجوب القتال كالاعتداء عليكم أو على بلادكم أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم[2] فهذا تصريح واضح من رواد المدرسة العقلية الحديثة بأن الجهاد في الإسلام هو للدفاع فقط وسيأتي موقفهم من الجزية ومن دار الحرب مما يبين بوضوح لا خفاء فيه أن المدرسة العقلية الحديثة هي التي حملت لواء الانهزامية وتذويب الشخصية الإسلامية في الشخصية الغربية وتفسير النصوص بأهوائهم معرضين عن تفسير علماء الإسلام لها.

وقد تأثر بهذه البدعة المنكرة - قصر الجهاد على الدفاع - كثير من الكتاب المعاصرين كعبد الوهاب خلاف في كتابه السياسة الشرعية، ومحمود شلتوت في كتابه من هدى القرآن، ومحمد أبو زهرة في كتابه العلاقات الدولية، ومحمد عبد الله دراز في كتابه دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، ووهبه الزحيلي في كتابه العلاقات الدولية في الإسلام، ومحمد عزة دروزة في كتابه الجهاد في سبيل الله في القرآن والحديث، وحامد سلطان في كتابه أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية، وعلي علي منصور في كتابه الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، وجمال البنا في كتابه حرية الاعتقاد في الإسلام، وعبد الخالق النواوي في كتابه العلاقات الدولية والنظم القضائية، ومحمد رأفت عثمان في كتابه الحقوق

(١) تفسير المنار ٢/٢١٥ - ٢١٦.
(٢) تفسير المنار ١٠/٢٨٩.

والواجبات والعلاقات الدولية ،وأحمد محمد الحوفي في كتابه سماحة الإسلام،وغير هؤلاء كثير من الكتاب وأصحاب الرسائل العلمية بل هو تيار جارف عند كتاب هذا العصر يكاد يطغى على الحق ويغطيه لولا حفظ الله للحق بحفظ أصوله ـ الكتاب والسنة ـ ثم لولا وجود كتب فقهاء الإسلام وعلمائه الذين ماتوا قبل إطلالة هذا العصر المشؤوم الذي توجه فيه معارف المسلمين وعلومهم بأيدي أعدائهم . وقد تصدى لهذه البدعة جمع من علماء المسلمين وبعض طلبة العلم فأنكروها على أصحابها. ومن أشهر هؤلاء العالم الجليل سليمان بن سحمان،والشيخ سليمان بن عبد الرحمن ابن حمدان في كتابه القيم (دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع)،والشيخ عبد الرحمن الدوسري في كتابه الأجوبة المفيدة في مهمات العقيدة،والشيخ أبو الأعلى المودودي في كتابه الجهاد،والشهيد سيد قطب في كتابه معالم في الطريق،وفي تفسيره الشهير في ظلال القرآن، والشيخ محمد قطب في كتابه المستشرقون والإسلام (مخطوط)،والدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه مجموعة بحوث فقهية،والأستاذ صالح اللحيدان في كتابه الجهاد بين الطلب والدفاع، والأستاذ محمد بن ناصر الجعوان في كتابه القتال في الإسلام والأستاذ عبد الله بن أحمد قادري في كتابه (حقيقة الجهاد في سبيل الله وغايته)، والأستاذ عابد بن محمد السفياني في كتابه (دار الإسلام ودار الكفر وأصل العلاقة بينهما) (مخطوط).

ولنلق نظرة على الشبه التي أثارها أهل الدفاع حول بعض الأدلة الشرعية التي زعموا أنهم يستندون عليها في تقرير بدعتهم المخالفة للإجماع وتبيين تهافت شبههم بما قرره علماء التفسير والحديث حول هذه الأدلة .

١ ـ زعم أهل الدفاع بأن حجتهم في تقرير مذهبهم قول الله تعالى في سورة البقرة ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله

لا يحب المعتدين﴾[1] فقالوا: إن الله قيد قتال الكفار بحال اعتدائهم وكل آية في القرآن تأمر بقتال الكفار مطلقاً تحمل على هذه الآية[2].

وذهلوا عن تفسير السلف الصالح لهذه الآية، وعن أحاديث الرسول ﷺ وعن سيرته وسيرة خلفائه الراشدين مع الكفار وخالفوا إجماع المسلمين وذلك لأن تفاسير السلف لهذه الآية الكريمة تدور على مذهبين اثنين: -

المذهب الأول: أن هذه الآية مرحلية وقد أمر الرسول ﷺ في فترة من الزمن بأن يقاتل المعتدي الذي يقاتله ويكف عمن سالمه وذلك لقلة المسلمين وحاجتهم إلى مسالمة من يسالمهم وأصحاب هذا القول يقررون جميعا أن هذه المرحلة أتت بعدها المرحلة الأخيرة وهي مرحلة ابتداء جميع الكفار بالقتال حتى يخضعوا لسلطان الإسلام ويدفعوا الجزية أو يسلموا وأن النهي عن قتال من لم يقاتل منسوخ بسورة التوبة لما فيها من الأمر بقتال جميع المشركين وأهل الكتاب وهذا القول مروي عن الربيع ابن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

المذهب الثاني: أن قوله تعالى ﴿الذين يقاتلونكم﴾ في هذه الآية ليس شرطا في القتال وإنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال أهل الإسلام والمراد بقوله تعالى ﴿ولا تعتدوا﴾ أي لا ترتكبوا المناهي من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم في القتال

---

(١) البقرة آية ١٩٠.

(٢) انظر ص ٩٥ من كتاب العلاقات الدولية لوهبة الزحلي.

ولا قدرة لهم على القتال ، والرهبان وأصحاب الصوامع ، وهذا القول مروي عن ابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن والبصري ومقاتل بن حبان ورجحه الطبري وتابعه ابن كثير على ترجيحه[1] وبهذا يظهر أن أصحاب المذهب الأول يوافقون أصحاب المذهب الثاني في النتيجة فإن القائلين بأن الاعتداء في هذه الآية شرط للقتال يقولون إنه منسوخ فصارت النتيجة وجوب مقاتلة الكفار سواء اعتدوا أم لم يعتدوا على .كلا المذهبين ولم أجد قولا لأحد من السلف بأن شرط الاعتداء لم ينسخ وبهذا يظهر مخالفة أهل الدفاع لتفاسير السلف جميعا والإتيان بتفسير محدث من أهوائهم للانهزام الداخلي الذي يحسون به أو لسوء قصد منهم ـ فالله أعلم بنياتهم ـ ولكن الانحراف يجب أن ينكر على صاحبه ولو حسنت نيته لا سيما إذا كان القول المحدث في مسألة قد بحثها السلف الصالح من أمثال ابن عباس وابن الربيع وابن زيد وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من جهابذة العلماء الذين يتقرب العبد المسلم إلى الله بحبهم في الله ويشهد لهم بالعلم النافع المتلقى من الكتاب والسنة. يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري: إن قتال الكفار على العموم واجب بالنصوص القطعية من وحي الله كتاب وسنة وهذا القتال الواجب

---

(١) انظر هذين القولين في تفسير ابن كثير ١/٣٢٨ ومعالم التنزيل للبغوي ١/١٦٨ وفتح القدير للشوكاني ١/١٩٠ وزاد المسير لابن الجوزي ١/١٩٧ وتفسير الطبري ٣/٥٦١ .

للهجوم لا للدفاع كما تصوره بعض المنهزمين هزيمة عقلية باسم الدفاع عن تشويه سمعة الإسلام والـذين اشتبهت عليهم معـاني النصـوص التي يفيــد بعضهـا الخصوص فأعمتهم هزيمتهم العقلية أو الهوى عن النظر في العمومات الصارفة الناسخة لما قبلها لكونها عامة ومتأخرة قال الله سبحانه وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قـاتلوا الذين يلونكم من الكفـار وليجدوا فيكم غلظة واعلمـوا أن الله مع المتقين ﴾، وقـال ﴿ فإذا انسلخ الأشهـر الحـرم فـاقتلوا المشـركين حيث وجـدتمـوهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقـامـوا الصـلاة وآتـوا الـزكـاة فخلوا سبيلهم ﴾ وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » وغير ذلك من النصوص الواضحة التي لا نطيـل بها المقام ولكن المهزومين وأصحاب الهوى يضربون صفحا عن هذه النصوص القاطعة العامة النـاسخة لمـا قبلها لتأخرها في النزول ويتمسكون فقط بقوله تعالى ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ﴾ كما يأخذون التعليل بآية الإذن في الجهاد غـافلين أو متغافلين أن مشروعية القتال جاءت في القرآن على مراحل :

الأولى : الإذن المفيد للإباحة مقرونا بأسبابه كما في الآيتين ٣٩، ٤٠ من سورة الحج .

الثانية : تقييده بحالة الاعتداء كما في الآيتين ١٩٠ ، ١٩١ من سورة البقرة .

الثالثة : تعميم وجوبه على الفور ابتداء كما في سورة براءة التي ورد فيها الإعلان من الله ورسوله بالبراءة من كل مشرك وكافر ونقض عهودهم غير المؤجلة وإمهالهم أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر ثم بعدها يقاتلون ويطاردون ويحاصرون ويلزمون كل مرصد حتى يتوبوا من الشرك ويقيموا الصلاة التي هي عمود الإسلام ويؤتوا الزكاة التي هي حقه المالي وذلك في الآية الخامسة السالفة الذكر التي قيد الله فيها تخلية سبيلهم بذلك والحديث الصحيح تضمنه أيضا)[١] .

٢ ـ زعم أهل الدفاع أن قوله تعالى ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾[٢] حجة لهم فيما ذهبوا إليه وقرروا بأن أصل العلاقة بين المسلمين والكفار هي السلم وأنهم لا يحاربون إلا إذا اعتدوا وأنه يجب إجابتهم إلى طلب السلام وجعلوا من هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾[٣]، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾[٤] وفسروا السلم في هذه الآية الأخيرة بالمسالمة !!! وجعلوا ابتداء الكفار بالجهاد من اتباع خطوات الشيطان !!! يقول عثمان الشرقاوي: (. . . . فيحرم المضي في الحرب بعد طلب الصلح فالحرب لم تشرع إلا لضرورة قال تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة . . ﴾ الآية ﴿ وإن جنحوا للسلم

(١) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للدوسري ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .
(٢) الأنفال ، ٦ .
(٣) النساء ، ٩٠ .
(٤) البقرة ، ٢٠٨ .

فاجنح لها. . ﴾ الآية)[1]. ويقول المحمصاني بعد أن استعرض أهداف الحرب في القانون الدولي العام: (. . أما في الشرع الإسلامي فلقد رأينا أن الحرب الاعتدائية محرمة وأن الحرب لا تباح إلا في الظروف الآتية: -

أولاً : الحرب التأديبية كمنع البغي والعصيان .

ثانيا : الحرب الدفاعية المحضة لرد العدوان .

ثالثا : الحرب الوقائية لتجنب الخطر الذي يهدد البلاد جميعا أو الدين أو حرية العقيدة أو أماكن العبادة .

رابعاً : الحرب الزجرية أو التعاطفية لدفع الاضطهاد والظلم لا سيما عن أمة صديقة أو حليفة وإن كانت غير إسلامية)[2].

ويقول وهبة الزحيلي: (إن الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم)[3] وبقية أهل الدفاع لا تخرج أقوالهم عن أقوال هؤلاء .

وقد غفل أهل الدفاع أو تغافلوا عن قوله تعالى : ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾[4]، وقوله تعالى : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾[5].

وكعادتهم لم يعولوا على تفسير السلف الصالح للآيات التي يحتجون بها مع العلم بأن تفسير كتاب الله لا يتلقى إلا عن طريقهم عليهم رضوان الله ولم يقل أحد من السلف فيما أعلم بوجوب الجنوح إلى السلام إذا

---

(١) شريعة القتال للشرقاوي ص ٢٦ .

(٢) القانون والعلاقات الدولية للمحمصاني ص ٢٠٥.

(٣) العلاقات الدولية في الإسلام ص ٩٤ .

(٤) محمد ٣٥ .

(٥) آل عمران ١٣٩ .

طلب الكفار ذلك كما يزعم أهل الدفاع بل للسلف الصالح في الآيات التي تجيز مسالمة الكفار ومهادنتهم ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول : مذهب من يقول بالنسخ لكل آية فيها المسالمة مع الكفار بآية السيف التي في براءة قال السيوطي:(وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر والنحاس في ناسخه وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه في قوله وإن جنحوا للسلم أي للصلح فاجنح لها ، قال:كانت قبل براءة وكان النبي ﷺ يوادع الناس إلى أجل فإما أن يسلموا وإما أن يقاتلهم ثم نسخ ذلك في براءة فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . .)[1]، والقول بالنسخ مروى عن عكرمه ومروي عن ابن عباس غير أن ابن عباس يقول الناسخ لها قوله تعالى ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم ﴾[2] ويروى النسخ أيضا عن مجاهد وزيد ابن أسلم وعطاء الخرساني والحسن[3].

المذهب الثاني : أن المراد بالآيات المجيزة للمسالمة أهل الكتاب والمجوس إذا رغبوا في السلم مع التزامهم بدفع الجزية وليس المراد المسالمة الخالية من الخضوع للحكم الإسلامي ودفع الجزية ، قال القرطبي ـ بعد ذكره لمن قال بالنسخ ـ وقيل ليست بمنسوخة بل أراد قبول الجزية من أهل الجزية وقد صالح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده من الأئمة كثيرا من بلاد العجم على ما أخذوه منهم وتركوهم على ما هم فيه وهم قادرون على استئصالهم)[4].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ٣/١٩٩ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ٨/٣٩ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٤/٢٧ .

(٤) القرطبي ٨/٤٠ .

المذهب الثالث: أن المراد بالآيات المجيزة للمسالمة مع الكفار حالة الضرورة الملجئة إلى المسالمة والمصالحة أو تحقق المصلحة للمسلمين في ذلك قال ابن العربي: (فإذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة وجماعة عديدة فلا صلح كما قال:

فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا
وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

وإذا كان للمسلمين مصلحة في الصلح لنفع يجتلبونه أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يبتدىء المسلمون به إذا احتاجوا إليه)[1]، وقال ابن كثير - معقبا على قول القائلين بالنسخ -:(.. فيه نظر لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك فأما إذا كان العدو كثيفاً فإنه تجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة)[2] وقال ابن عابدين: (وإن جنحوا للسلم: أي مالوا والآية مقيدة برؤية المصلحة إجماعاً لقوله تعالى ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ﴾[3].

هذه أقوال علماء الإسلام في مسالمة الكفار فأين أقوال أهل الدفاع من بينها ؟! عاملهم الله بما يستحقون.

وأما قوله تعالى: ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم ﴾.. الآية فلا حجة لهم فيها ولو ارتضوا تفسير السلف الصالح لها لما وقعوا فيما وقعوا فيه. يقول الشوكاني عند تفسيرها:(وأخرج أبو داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس والبيهقي في سننه عن ابن عباس في قوله إلا الذين يصلون.. الآية قال نسختها براءة فإذا انسلخ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٢٨.

(٣) حاشية ابن عابدين ٤/١٢٣.

الأشهر الحرم . . الآية . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله فإن اعتزلوكم قال نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم: وأخرج ابن جرير عن الحسن وعكرمة في هذه الآية قال نسختها براءة)[1]، أما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ فهو من المضحكات ! فإن السلم في الآية مراد به الإسلام أو الطاعة، يقول ابن الجوزي عند تفسير هذه الآية: (وفي معنى السلم قولان أحدهما أنه الإسلام قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي وابن قتيبة والزجاج في آخرين . والثاني : أنها الطاعة روي عن ابن عباس أيضا وهو قول أبي العالية والربيع)[2] وذكر الشوكاني القولين السابقين عن جمع من السلف بل لم يذكر غيرهما[3]. ولو سلمنا لهم على سبيل الافتراض بأن معنى السلم في الآية الموادعة لكان حكم هذه الآية مثل آية وإن جنحوا للسلم فاجنح لها؛ إما النسخ وإما حالة الضرورة أو تحقق المصلحة الراجحة للمسلمين . على أن التفاسير الثابتة عن السلف هي التي يجب المصير إليها وهي تفسير السلم في هذه الآية بالإسلام . قال البغوي رحمه الله عند تفسير هذه الآية: (قال مجاهد: ادخلوا في السلم أي في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم كافة يعني جميعا)[4].

ثم ليت شعري ما يقول أهل الدفاع في قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾[5] فهل لا يعتدي على المسلمين إلا الذين يلونهم وما الفائدة من ذكر القريب من المسلمين إذا كان لا يقاتل إلا المعتدي !! يقول ابن

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٤٩٧/١ .
(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٢٢٥/١ .
(٣) فتح القدير للشوكاني ١٩٢/١ .
(٤) تفسير البغوي ١٩٦/١ .
(٥) التوبة ١٢٣ .

كثير عند تفسير هذه الآية: (أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولا فأولا الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا شرع في قتال أهل الكتاب فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لكونهم أهل الكتاب فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد وضيق الحال وكان ذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجته حجة الوداع ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد الحجة بأحد وثمانين يوما فاختاره الله لما عنده . وقام بالأمر وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر رضي الله عنه وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل فثبته الله تعالى به فوطد القواعد وثبت الدعائم ورد شارد الدين وهو راغم ورد أهل الردة إلى الإسلام وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام وبين الحق لمن جهله وأدى عن الرسول ما حمله ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان وإلى الفرس عبدة النيران ففتح الله ببركة سفارته البلاد وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد وأنفق كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده وولي عهده الفاروق الأواب شهيد المحراب أبي حفص عمر بن الخطاب فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين وقمع الطغاة والمنافقين واستولى على الممالك شرقا وغربا وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعدا أو قربا ففرقها على الوجه الشرعي والسبيل المرضي ثم لما مات شهيدا وقد عاش حميدا أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان شهيد الدار فكسا الإسلام رياسة حلة سابغة وأمدت في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة وظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمة الله وظهر دينه وبلغت الأمة

الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها فكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار امتثالا لقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ وقوله تعالى ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ أي وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا لأخيه المؤمن غليظا على عدوه الكافر كما قال تعالى ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ وقال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: أنا الضحوك القتال يعني أنه ضحوك في وجه وليه قتال لهامة عدوه، وقوله تعالى : ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم إن اتقيتموه وأطعتموه وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الأعداء في سفال وخسار)[١].

ثم إن علماء الإسلام تكلموا على حكم قتال الكفار قبل أن تبلغهم الدعوة إلى الإسلام كما هو مبسوط في كتب التفسير والأحاديث والفقه. فلو كان لا يقاتل إلا المعتدي فما فائدة هذا البحث في هذا الباب ! هل يتصور أن يعتدي الكفار على المسلمين وهم لا يعرفون من المسلمون ؟ وإلى ماذا يدعون ؟.

٣ - يعمد أهل الدفاع إلى تعليل بعض علماء الإسلام قتل الكفار بأنه لأجل المحاربة ويحورونه بشكل مثير للعجب حتى يخيل للقارىء بأن هناك من علماء الإسلام من يقول: إن الكفار لا يجاهدون حتى يعتدوا على المسلمين !.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/١٧٤ - ١٧٥ .

والحق أن المسلمين قبل أن يدخل الاستعمار بلادهم ويتخذ له صنائع منهم ما كانوا يعرفون هذا القول المنكر بل الإجماع منعقد على وجوب تطلب الكفار في عقر دارهم وتخييرهم بين خصال ثلاث الإسلام أو الجزية أو القتال ـ على خلاف في قبول الجزية من غير أهل الكتاب والمجوس ـ وقد نقلنا ما يثبت الإجماع مفصلا في بداية الباب الثاني فلا نكرر ذكره .

ولم يفهم أهل الدفاع تعليل بعض علماء الإسلام قتل الكفار بالمحاربة والمقاتلة أو تعمدوا كتمان ما فهموه . وذلك لأن العلماء الذين عللوا قتل الكفار بالمحاربة والمقاتلة نصوا على مرادهم وهو تلمس الحكمة الشرعية في أمر الله سبحانه بقتال كل كافر باستثناء النساء والأطفال والرهبان والشيوخ العجزة فقالوا: لو كان علة القتال الكفر لوجب قتل كل كافر فإذا العلة هي القدرة على المحاربة والمقاتلة فإن من عنده القدرة على القتال فهو مصدر خطر على المسلمين ولم يقل هؤلاء العلماء إن الكافر لا يقاتل إلا إذا حارب بالفعل واعتدى كما هو قول أهل الدفاع الذين يحرفون نصوص العلماء لكي يظهروا للناس بأنهم لم يخرقوا الإجماع وأن هناك طائفة من العلماء تقول بقولهم ولو كلف الدفاعيون أنفسهم بالرجوع إلى كتب الأحناف الذين يعللون قتل الكفار بالمحاربة لوجدوا أقوالهم صريحة لا تحتمل التأويل في النص على أنه لا يشترط في جهاد الكفار أن يكونوا قد اعتدوا وحاربوا بالفعل . جاء في كتاب تنوير الأبصار ـ وهو من أشهر كتب الأحناف ـ ما يلي: (وهو ـ أي الجهاد ـ فرض كفاية ابتداء وفرض عين إن هجم العدو)[1].

وجاء في كتاب تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ـ وهو من مراجع فقه

(١) حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة ١٢٣/٤ .

الأحناف ـ ما يلي : (الجهاد فرض كفاية ابتداء يعني يجب علينا أن نبدأهم بالقتال وإن لم يقاتلونا لقوله تعالى﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾و﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ وقال: ﴿انفروا خفافاً﴾ الآية، وقوله عليه الصلاة والسلام: الجهاد فرض ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل،وقوله عليه الصلاة والسلام: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله. . الحديث،وعليه إجماع الأمة)[1] وجاء في شرح فتح القدير ـ وهو من أمهات كتب الأحناف ـ ما يلي: (وقتال الكفار واجب وإن لم يبدؤوا للعمومات)[2] أي عموم النصوص الشرعية ويقول السرخسي: (فأما بيان المعاملة مع المشركين فنقول الواجب دعاؤهم إلى الدين وقتال الممتنعين منهم من الإجابة لأن صفة هذه الأمة في الكتب المنزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبها كانوا خير الأمم ، قال الله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة ﴾. . الآية، ورأس الأمر بالمعروف الإيمان بالله فعلى كل مؤمن أن يكون آمرا به داعيا إليه وأصل المنكر الشرك فهو أعظم ما يكون من الجهل والعناد لما فيه من إنكار الحق من غير تأويل فعلى كل مؤمن أن ينهى عنه بما يقدر عليه)[3].

قلت: قاتل الله الهوى الضال الذي يحرف صاحبه عن الحق؛ألم ير أهل الدفاع كلام أئمة الأحناف هذا وهم يقلبون صفحات الكتب للبحث عما قالوه من تعليل لقتل الكفار. إن التعليل مذكور إلى جانب هذه الأقوال ولكن تلاميذ المستشرقين يتعمدون التحريف ولا يريدون الحقيقة!!

أما بقية العلماء من المذاهب الأخرى فهم كالأحناف في النتيجة وهي وجوب تطلب الكفار في عقر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وقتالهم إن

---

(١) تبيين الحقائق ٣/٢٤١ .
(٢) فتح القدير ٥/٤٤١ .
(٣) المبسوط ٢/١٠ .

لم يقبلوه أو يقبلوا الخضوع للجزية،وإن اختلفوا مع الأحناف في تعليل قتال الكفار يقول ابن العربي:(فإن قيل لو كان المبيح للقتل هو الكفر لقتل كل كافر وأنت تترك منهم النساء والرهبان ومن تقدم ذكره معهم فالجواب أنا إنما تركناهم مع قيام المبيح بهم لأجل ما عارض الأمر من منفعة أو مصلحة ، أما المنفعة فالاسترقاق فيمن يسترق فيكون مالاً وخدماً وهي الغنيمة التي أحلها الله تعالى لنا من بين الأمم،وأما المصلحة فإن في استبقاء الرهبان باعثا على تخلي رجالهم عن القتال فيضعف حربهم ويقل حزبهم فينتشر الاستيلاء عليهم)[1].

قلت : وبحث العلماء في علل الأحكام وحكم التشريع لا يغير من الأحكام المنصوص عليها شيئا . فإذا أمر الله بقتال الكفار واستثنى منهم صنفاً أو صنفين كالنساء والأطفال فنحن ننفذ أوامر الله في القتال وفي الاستثناء وإن عرفنا الحكمة فبها ونعمت وإن لم نعرفها فنجزم يقينا أن في أمر الله حكماً ومصالح لأنه سبحانه الحكيم العليم المنزه عن العبث وإذا عرفنا لحكمٍ ما حكمة واحدة فلا نجزم أنه ليس هناك غيرها فإن هذا من القول على الله بلا علم وليس من دين المسلم التوقف في حكم ما لأنه لم يظهر له تعليله أو مصلحته بل هذا من عمل إبليس الذي امتنع عن السجود زاعماً أن أمر الله له به لا يكفي لعدم ظهور حكمته فليحذر أهل الدفاع أن يكون إمامهم ابليس أعاذنا الله من وسوسته وأعوانه .

٤ ـ زعم أهل الدفاع بأن للجهاد غاية وهي رفع الفتنة عن المسلمين فإذا كان الكفار يسمحون بحرية التدين ـ على الطريقة الأوروبية ! ـ فلا داعي لقتالهم وإخضاعهم لسلطان الإسلام بل يسالمون ! ويحتجون بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله والفتنة عندهم منع المسلم من إظهار إسلامه وتعذيبه فقط. وهذا الزعم باطل من وجوه: -

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١/١٠٩ .

١ ـ الوجه الأول : أن المراد بالفتنة في الآية الكريمة الشرك فمعنى الآية قاتلوهم حتى لا يكون شرك . قال الشوكاني:(قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة . فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون فتنة وأن يكون الدين لله وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله . . . ثم روى عن أبي العالية أنه قال والفتنة أشد من القتل يقول الشرك أشد من القتل، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة بقول شرك بالله ويكون الدين أي ويخلص التوحيد لله وعن مجاهد أنه قال الفتنة الشرك)[١] .

٢ ـ الوجه الثاني : لو كانت الفتنة في الآية هي صرف المسلمين عن دينهم ـ كما هو قول لبعض علماء التفسير ـ فإن السماح بحرية التدين على الطريقة الأوروبية والطريقة الأمريكية وسائر أنواع الديمقراطيات لا يعني شيئا بالنسبة للمسلم فإن المسلم لا بد أن تخضع حياته كلها لله في شتى الأمور فهل يسمح الكفار أصحاب الديمقراطيات لمسلمين يقيمون في أرضهم أن يجعلوا لهم محكمة تنفذ الحدود والتعزير ونحو ذلك فإن لم يسمحوا بأن يمارس المسلم إسلامه كاملا فلا شك أنهم يفتنونه عن دينه فهل يتعقل أهل الدفاع وأصحاب التعايش السلمي هذا الأمر . أم أن فهمهم للتدين هو أيضا الفهم الأوروبي أي أن الدين هو شعائر العبادات فقط وليس هو نظام الحياة . إن المناهج والسياسات والأوضاع الشاذة التي يطبقها الكفار على الأرض التي يحكمونها هي من أنواع الفتنة التي تصرف المسلم عن دينه وتصرف الكافر عن الدخول في الإسلام، وإن من غاية الجهاد إزالة هذه الفتنة عن المسلمين وعن الناس عموما .

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ١/١٩١ .

٣ ـ الوجه الثالث: إن أهل الدفاع غفلوا أو تغافلوا عن تكملة الآية الكريمة وهي قوله تعالى ويكون الدين لله. والدين من الدينونة وهي الطاعة فلا بد أن تكون الطاعة والخضوع في شتى الأرض لله سبحانه أي بمعنى أنه لا بد أن يستمر المسلمون في جهادهم حتى لا يبقى أرض يقوم عليها سلطان غير سلطان الله ويطاع فيها أحد من دون الله ولأجل هذا كانت فريضة الجهاد مستمرة باقية إلى يوم القيامة لأن الشيطان مستمر في إغواء الناس وصرفهم عن سلوك الطريق المستقيم والمسلمون مستمرون في جهاد أتباع الشيطان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهذه الحقيقة للجهاد الإسلامي مكان إجماع بين علماء السلف ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين)[١].

فانظر كيف نقل اتفاق المسلمين على قتال من يمنع أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا وابن تيمية من أكثر العلماء معرفة بمذاهب فقهاء الأمة الإسلامية فهل يظن ظان أنه يعلم خلافا لأحد من المسلمين في هذه الغاية العظيمة للجهاد ويكتمه اللهم لا. وهذا إمام المفسرين في عصره ابن جرير الطبري ينقل إجماعا مشابها لما نقله ابن تيمية إذ يقول:(وأجمعوا أن موادعة أهل الشرك من عبدة الأوثان ومصالحة أهل الكتاب على أن أحكام المسلمين عليهم غير جائزة إلى الأبد باطلة إذا كان بالمسلمين قوة على حربهم)[٢] فليت شعري ما موقف أصحاب الدفاع والتعايش السلمي من هذا الإجماع !! ويقول الإمام الشوكاني في السيل الجرار:(غزو الكفار ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام أو تسليم

---

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٣١ .

(٢) اختلاف الفقهاء للطبري ص ١٤ .

الجزية أو القتل معلوم من الضرورة الدينية ولأجله بعث الله تعالى رسله وأنزل كتبه وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعثه الله إلى أن قبضه إليه جاعلا لهذا الأمر من أعظم مقاصده ومن أهم شؤونه وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها المقام ولا لبعضها وما ورد في موادعتهم أو في تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين بما ورد من ايجاب المقاتلة لهم على كل حال مع ظهور القدرة عليهم والتمكن من حربهم وقصدهم الى ديارهم)[1].

٥ ـ وزعم أهل الدفاع بأن شيخ الإسلام ابن تيمية المعروف بفضله وعلمه واطلاعه على مذاهب العلماء يوافقهم فيما ذهبوا إليه بأن القتال في الإسلام للدفاع ! واعتمدوا في هذا الزعم على رسالة تباع في الأسواق بعنوان (قتال الكفار) طبعت مع مجموعة رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية عام ١٣٦٨هـ وضربوا صفحا عن أقوال ابن تيمية المتعلقة بالجهاد في سائر كتبه التي قد ثبتت نسبتها إليه يقينا ككتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول وكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح وكتاب السياسة الشرعية ورسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يشيروا ولو من طرف خفي بأن لابن تيمية أقوالا تخالف ما في رسالة القتال التي يعتمدون عليها ويذيعونها بين الناس وهكذا الهوى المنحرف يفعل بأصحابه الأفاعيل !!.

ورسالة القتال المنسوبة إلى ابن تيمية لم تصح نسبتها إليه فلم يذكرها أعرف الناس بكتب ابن تيمية وهو تلميذه المحقق ابن القيم ضمن مؤلفات ابن تيمية وقد أفرد لمؤلفات ابن تيمية رسالة خاصة عدد فيها أكثر ما ألفه ابن تيمية من كتب ورسائل وفتاوى فذكر ما يقرب من المئتين ولم

---

(١) العبرة للقنوجي ص ٧ .

يكن من بينها رسالة القتال[1]، وقد رفض هذه الرسالة الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم جامع فتاوى ابن تيمية ولم يدخلها ضمن الفتاوى إذ قال[2]:(ولم أضع في هذا المجموع إلا ما أعرفه لشيخ الإسلام وقد أعرضت عن نزر قليل نسب إليه كمنظومة في عقائد ونقل محرف لترك البداءة بقتال الكفار وقد ردّ عليه الشيخ سليمان بن سحمان وأوضح تحريفاته في عدة كراريس) قلت: وقد ردّ على هذه الرسالة المنسوبة إلى ابن تيمية العالم المحقق الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان المدرس بالمسجد الحرام رحمه الله رحمة واسعة وذلك بكتابه القيم:(دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع) المطبوع في دار الطباعة والنشر في عمان جاء في مقدمته ما يلي:

(أما بعد فقد وقفت على رسالة منسوبة لشيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى ورضي عنه مضمونها أن قتال الكفار سببه المقاتلة لا مجرد الكفر وأنهم إذا لم يقاتلونا لم يجز لنا قتالهم وجهادهم على الكفر وأن هذا القول هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والاعتبار واستدل لما زعمه ببعض آيات شبه بها ولبس وأولها على غير معناها المراد بها مثل قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ الآية وقوله ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾، وقوله ﴿لا إكراه في الدين﴾، وحديثين حرفهما لفظاً ومعنى وضرب صفحاً عن الآيات المحكمة الصريحة التي لا تحتمل التأويل والأحاديث الصحيحة التي تكاد تبلغ حد التواتر في الأمر بقتال الكفار والمشركين حتى يتوبوا من كفرهم ويقلعوا عن شركهم، وهذه طريقة أهل الزيغ والضلال يدعون المحكم

---

(١) انظر مؤلفات ابن تيمية لابن القيم بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ دار الكتاب ـ الجديد ـ بيروت.

(٢) انظر مجموع الفتاوى جـ ٨ ص ٥.

ويتبعون المتشابه كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ ولما رأها بعض من ينتسب إلى العلم وليس من أهل الدراية والفهم صادفت هوى في نفسه فطار فرحا ظانا أنها الضالة المنشودة وراجت لديه بمجرد نسبتها لشيخ الإسلام فسعى في طبعها ونشرها على كذبها وقشرها .

وما علم المسكين أنه قد استسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم وأنها محض افتراء وتزوير على الشيخ وقد نزه الله شيخ الإسلام عن هذا الخطل الواضح والجهل الفاضح والخوض في شرع الله بغير علم ولا دراية ولا فهم ولكن الأمر كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه للحارث بن الأحوص لما قال له أتظن أن طلحة والزبير كانا على باطل فقال له: يا حارثة إنه لملبوس عليك، إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله. فهذا الذي طبعها ونشرها ممن لا يعرف الحق إلا بالرجال فهو ملبوس عليه كما قال أمير المؤمنين ؛ لأنه لو عرف الحق في هذا الباب لما راجت عنده هذه الرسالة ولقابلها بالإنكار والرد ونبذها نبذ النواة لأنها تتضمن إبطال فريضة دينية هي ذروة سنام الإسلام ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ، وقد جاء في حديث مرسل: إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند حلول الشهوات. فبالبصر النافذ تندفع الشبهة وبالعقل الكامل تندفع الشهوة . وحيث إن ما جاء في هذه الرسالة مخالف لنصوص الكتاب والسنة ولما أجمعت عليه الأمة في الصدر الأول ومخالف أيضا لما نص عليه شيخ الإسلام نفسه في كتبه المشهورة المتداولة المعروفة لدى الخاص والعام كالجواب الصحيح، والصارم المسلول، ومنهاج السنة، والسياسة الشرعية وغيرها من كتبه التي سنذكر نصه فيها بالحرف ونحيل على الكتاب ليسهل الوقوف عليه لمن أحب ذلك

وليعلم أن هذه الرسالة مزورة عليه ولا تصح نسبتها إليه بوجه من الوجوه وأن من نسبها إليه فقد شارك المفتري في عمله وما يترتب عليه من إثم ، وبما أن الله تعالى قد أوجب على أهل العلم البيان وعدم الكتمان في قوله عز من قائل: ﴿وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ ولما لم أر من قام بهذا الواجب ولا أعاره من العناية والأهمية جانبا إلا أنه بلغني أن شيخنا الشيخ سليمان بن سحمان قد رد عليها ولكن أصبح رده غير موجود.وخوفاً من أن يظن أن هذه المسألة من مسائل النزاع فضلا عن أن يظن أنها من مسائل الإجماع فيغتر بها جاهل لا تفريق له بين الحق والباطل والحالي والعاطل،أو يحتج بها ملحد منافق مجادل مشاقق تصديت لبيان ما فيها من فساد وتحريف وإلحاد . . . وقد ارتكب واضع هذه الرسالة ومفتريها بعمله هذا أنواعاً من المحرمات والعظائم فمنها الفرية على الله تعالى بأن هذا شرعه ودينه الذي شرعه لعباده وقد قال تعالى: ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ﴾، قال قتادة:هي لكل مفتر إلى يوم القيامة ، ومنها الإلحاد في آيات الله وأحاديث رسوله ﷺ وسلم وتأويلها على غير معناها المراد بها،ومنها الكذب على إمام من أئمة المسلمين ونسبة ما لم يقل إليه وقد نقل فيها بعض عبارات من الصارم المسلول وغيره من كتب الشيخ تصرف فيها أسوأ التصرف ليوهم أنها من كلام الشيخ ولكن ركاكة مبانيها وتناقض عباراتها ومعانيها يدل دلالة ظاهرة على أنها لم تصدر من كاتب قدير فضلا عن عالم نحرير كشيخ الإسلام رحمه الله تعالى ثم إنه لو فرض أن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أو غيره من أهل العلم المقتدى بهم غلط في مسألة من المسائل مع قيام الدليل من الكتاب والسنة على خلاف ما قاله لم يوافق على ذلك لأنه ليس بمعصوم من الخطأ فهو أسوة غيره من المجتهدين الذين يصيبون وقد يخطئون وهم مأجورون على اجتهادهم في الصواب والخطأ فمن أصاب فله أجران: أجر على اجتهاده في تحري الحق وأجر على إصابته.ومن أخطأ فله أجر على اجتهاده في تحري الحق وخطؤه مغفور له لما روى عمرو بن

العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر). رواه البخاري. ولكن هذه المسألة ليست من أفراد المسائل التي ربما يحصل فيها الاشتباه ويقع فيها الخطأ ويكون فيها مجال للاجتهاد بل هي أصل من أصول الدين وفرض من فروضه ينبني عليها كثير من أحكامه ولا مجال للاجتهاد فيها لوضوح أدلتها من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم)[1]، وقد اطلعت على الرسالة المذكورة فاتضح لي ما اتضح للشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله من أن الرسالة منحولة على الشيخ وفيها عبارات كثيرة مأخوذة من كتبه ولقد حرص واضعها على عدم ذكر جهاد الابتداء والطلب بينما الناظر في مؤلفات ابن تيمية المشهورة يجد أن قوله في الجهاد لا يخالف إجماع المسلمين بل يوافقهم وقد نقل بنفسه الإجماع كما تقدم قريباً ونص على وجوب جهاد الابتداء والطلب في مواضع من كتبه فقال في كتابه القيم الجواب الصحيح:(.... فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداء ودفعا فلأن يجب علينا بيان الإسلام وأعلامه ابتداء ودفعا لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى..)[2] وقال في كتابه الصارم المسلول:(... لما نزلت براءة أمر النبي ﷺ أن يبتدىء جميع الكفار بالقتال وثنيهم وكتابيهم سواء كفوا أم لم يكفوا)[3].

وبهذا تظهر براءة ابن تيمية من تلك الرسالة المخالفة للإجماع ولأقواله هو نفسه.

٦ - إن أهل الدفاع بهذا القول الشنيع أعطوا للدويلات القائمة في البلاد الإسلامية سنداً شرعياً - إن كانت في حاجة إلى سند - بأن تنضم إلى

---

(١) دلالة النصوص والإجماع لابن حمدان ص ١ - ٥ .

(٢) الجواب الصحيح ١/٧٥ .

(٣) الصارم المسلول ص ١١٢ .

ما يسمى بهيئة الأمم المتحدة التي تحرم الحروب إلا في صورة واحدة هي صورة رد الاعتداء المسلح[1] فإن جهاد الابتداء والطلب محرم في شريعة الأمم المتحدة وهي تدعو إلى أن يعيش الناس عموما على مختلف أديانهم من وثنية ومجوسية وبوذية ويهودية ونصرانية وهندوسية ـ بل حتى الملاحدة الذين لا يعترفون بوجود الله ـ في وئام وسلام ومحبة وتعاون وإذا حصل بينهم نزاع على الحدود الأرضية فيتحاكمون إلى مجلس الأمن الطاغوتي الذي ما عرف الرجوع إلى ما أنزل الله طرفة عين.لو يعقل أهل الدفاع ما يترتب على قولهم المشؤوم من إسقاط لفريضة الجهاد ومن تحكيم للكفر لأعلنوا براءتهم من ذلك القول الخبيث إن كان فيهم من يحب الله ورسوله ويعرف حدود ما أمر الله به ولننقل الآن ملخصا لأحد القرارات الهامة لهيئة الأمم المتحدة ـ التي قررت المبادىء للعلاقات الدولية ـ ليعرف المسلم ماذا يراد بفريضة الجهاد في عصر ما يسمى بالتنظيم الدولي الذي هو في الحقيقة تنظيم دولي لهدم الإسلام لا لشيء آخر .

« القرار رقم ٦٢٢٥ «الدورة ٢٥»»

إن الجمعية العامة . . . تعلن رسميا المبادىء الآتية . .

١ ـ مبدأ امتناع الدول في علاقاتها الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استعمالها ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي نحو آخر يتنافى مع مقاصد الأمم المتحدة .

٢ ـ مبدأ فض الدول لمنازعاتها الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يعرض السلم والأمن الدوليين ولا العدل للخطر .

---

(١) انظر ميثاق الأمم المتحدة ص ٩٢٣ من كتاب القانون الدولي العام ـ تأليف : أبو هيف .

٣ ـ المبدأ الخاص بواجب عدم التدخل في الشؤون التي تكون من صميم الولاية القومية لدولة ما وفقا للميثاق .

٤ ـ مبدأ تساوي الشعوب في حقوقهـا وحقها في تقـرير مصيـرها بنفسها .

٥ ـ مبدأ المساواة في السيادة بين الدول . . وتتضمن المساواة في السيادة العناصر الآتية بوجه خاص:

أ ـ الدول متساوية من الناحية القانونية .

ب ـ تتمتع كل دولة من الدول بالحقوق الملازمة للسيادة الكاملة .

جـ ـ على كل دولة واجب احترام شخصية الدول الأخرى.

د ـ حرمة السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي للدولة.

هـ ـ لكل دولة الحق في أن تختار وأن تنمي بحرية نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

و ـ وعلى كل دولة واجب تنفيذ التزاماتها الدولية تنفيذاً كاملاً يحدوه حسن النية والعيش في سلام مع الدول الأخرى(١).

ويقول الشيمي :(وأصدرت الجمعية العمومية في اجتماعها في ٢٤ سبتمبر من عام ١٩٢٧ قراراً بإجماع الآراء جاء فيه أنها تسلم بما يربط الجماعة الدولية من تضامن وتعلن عن عزمها على حماية السلم العام وتقر فكرة أن الحرب العدوانية لا يصح استخدامها كوسيلة لحسم المنازعات

---

(١) انظر كتاب تحريم الحروب للشيمي من ص ٦٤٥ ـ ٦٥٥ ، والترقيم من عندي للإيضاح .

بين الدول وتعتبر هذه الحرب جريمة دولية وتطبيقا لذلك قامت بوضع قاعدتين التزمت بهما الدول الأعضاء هما :

١ ـ إن كل حرب اعتداء محرمة وستظل محرمة .

٢ ـ من واجب الدول أن تلجأ إلى جميع الوسائل السلمية لحسم ما بينها من منازعات دولية مهما كانت طبيعتها[١].

ومما لا شك فيه عند الدول المصدقة على هذا الميثاق أن جهاد الابتداء والطلب (وهو تطلب الكفار في عقر دارهم من غير اعتداء منهم وإرغامهم على الإسلام أو الجزية) يعتبر حربا عدوانية يعاقب عليها القانون الدولي وتعتبر جريمة في نظره وقد سهلت آراء أهل الدفاع المنحرفة المخالفة للإجماع انضمام الدول القائمة في البلاد الإسلامية إلى هذه الجمعية التي تحرم ما أوجب الله فصاروا يتابعونهم على تشريعهم ويتركون ما شرع الله نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

---

(١) تحريم الحروب للشيمي ص ٣١٧ .

٣ ـ حكم بغض الكافرين

إن بغض الكافرين ومعاداتهم دعامة من دعائم العقيدة الإسلامية بل من أوثق الدعائم قالﷺ:(أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)[١]، وكما حرف تلاميذ الاستشراق والاستعمار مفهوم الجهاد الإسلامي وقصروه على جهاد الدفع فقط ، حرفوا هذه العقيدة المهمة بل أحلوا محل بغض الكافرين وعداوتهم محبتهم وصداقتهم وقد فعل هذا التحريف فعله في إماتة الروح الجهادية وعدم استعلاء المؤمن بإيمانه ولم يتأسوا بإبراهيم عليه السلام كما أمرهم بذلك رب العزة والجلال ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾[٢] بل وصل بهم سوء حالهم إلى أن اعتبروا هذا الانحراف المشين أصلا من أصول الإسلام!!.

وقد حمل لواء هذا الانحراف رواد المدرسة العقلية الحديثة في هذا العصر أيضا فقد ذكر محمد عبده في كتابه الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ثمانية أصول زعم أنها أصول الإسلام ضمنها تحريف هذه العقيدة

---

(١) الإيمان ، لأبي بكر بن أبي شيبة ص ٤٥ وقد حسنه الألباني .
(٢) الممتحنة ٤ .

المهمة:(محبة المؤمنين وبغض الكافرين) ومما يثير العجب والأسى في آن واحد أن هذه الأصول التي ذكرها محمد عبده للإسلام لم يكن من بينها لا أركان الإسلام ولا أركان الإيمان وما أدري على أي شيء استند في تسميتها أصولا وها هي ذي أصول الإسلام على زعمه التي ذكرها في كتابه :

١ ـ الأصل الأول : النظر العقلي لتحصيل الإسلام ، وقال في التمهيد لهذا الأصل:(فلا يصح أن يؤخذ الإيمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله الله إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز أن ينزل كتابا ويرسل رسولا)(١).

٢ ـ الأصل الثاني : قال عنه : اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه(٢) على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل !!

٣ ـ الأصل الثالث : البعد عن التكفير .
٤ ـ الأصل الرابع : الاعتبار بسنن الله في الخلق .
٥ ـ الأصل الخامس : قلب السلطنة الدينية .
٦ ـ الأصل السادس : حماية الدعوة لمنع الفتنة .
٧ ـ الأصل السابع : مودة المخالفين في العقيدة .
٨ ـ الأصل الثامن : الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة(٣) .

---

(١) الإسلام والنصرانية لمحمد عبده ص ٤٨ .

(٢) ليعلم القارىء الكريم أن هذا القليل الذي لا ينظر إليه في نظر الشيخ هم الصحابة والتابعون وأئمة المذاهب الأربعة. وغيرهم من أعلام الإسلام وإن هذا الأصل الذي ذكره من أصول الفلاسفة والمعتزلة وأن تعارض النقل الصحيح مع العقل الصحيح غير ممكن!!

(٣) انظر هذه الأصول من ص ٤٨ إلى ص ٧٠ من كتاب الإسلام والنصرانية لمحمد عبده.

أما محبة المؤمنين وشهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة والإيمان بالغيب فلم يذكرها الشيخ في أصول الإسلام !! ألم يقرأ هذا الشيخ قول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾[1] وقوله تعالى : ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾[3]، وقوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[5] ، وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾[6] إلى غير ذلك من الآيات؛ألم يقرأ هذا الشيخ حديث الرسول ﷺ الذي أخرجه مسلم في صحيحه:(لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه)[7] ، فهل يضيق الإنسان على من بينه وبينه مودة؟ وحديث الرسول ﷺ في خطبة

---

(١) الممتحنة ١ .

(٢) المجادلة ٢٢ .

(٣) آل عمران ٢٨ .

(٤) النساء ١٤٤ .

(٥) المائدة ٥١ .

(٦) التوبة ٢٣ .

(٧) صحيح مسلم كتاب السلام ٤/١٧٠٧ .

أول جمعة بالمدينة :(الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله . . . ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله . .)[1].

وقد تابع محمد عبده من هم على شاكلته من أهل الدفاع ومودة الكافرين فمن يقرأ مقدمة كتاب محاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة يجده يصف أقباط مصر بأنهم إخوانه وأبناؤه وأصدقاؤه بل يصفهم بأنهم من المخلصين ولم يكونوا من الذين ظلموا[2] ، وقد عدد قواعد العلاقات الدولية في الإسلام فجعلها تدور على مجموعة نقاط هي :

١ ـ المساواة . ٢ ـ التعاون . ٣ ـ الكرامة الإنسانية . ٤ ـ التسامح . ٥ ـ الحرية . ٦ ـ الفضيلة . ٧ ـ العدالة . ٨ ـ المعاملة بالمثل . ٩ ـ الوفاء بالعهد . ١٠ ـ المودة . وقال تحت هذه القاعدة العاشرة (المودة) :

(إن الأخوة الإنسانية العامة التي أوجب الإسلام بها التعارف عندما يختلف الناس أجناساً وقبائل يجب وصلها بالمودة والعمل على الإصلاح ومنع الفساد ولو اختلف الناس ديناً وأرضاً وجنساً . . وإن المودة الموصولة لا يقطعها الحرب ولا الاختلاف في الدين . وفتح باب المودة للشعوب قد ينهي الحرب ويفتح باب السلام العزيز الكريم)[3]!! ويقول في كتابه

---

(١) البداية والنهاية ٢١٣/٣ وقال ابن كثير هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال ثم أورد ابن كثير خطبة النبي ﷺ عن طريق البيهقي وقال هذه الطريق أيضاً مرسلة إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ .

(٢) انظر محاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة ص ٤ .

(٣) انظر العلاقات الدولية لأبي زهرة من ص ٢٦١ ـ ٢٧١ .

المجتمع الإنساني في ظل الإسلام: (تقدم العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس المودة)[1]. ويزعم أهل المودة للكافرين بأن قول الله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾[2] تدل على جواز مودة الكفار[3]، وهذا استدلال غريب حقاً فإن البر، لا يعني المودة بل: يعني العدل والإحسان إلى الغير بأي نوع من أنواع الإحسان، والمسلم مأمور بالعدل مع من يبغضه ويعاديه، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[4]، يقول ابن الجوزي عند تفسير آية الممتحنة: ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم.. الآية ﴾، قال المفسرون: وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين وجواز برهم وإن كانت الموالاة منقطعة منهم.. وأن تبروهم وتقسطوا إليهم أي تعاملوهم بالعدل فيما بينكم وبينهم)[5].

قلت: فالصلة والهدية والضيافة والصدقة، لا يلزم منها المحبة ولا المودة في جميع الأحوال، فالكافر تبغضه لأن الله يبغضه وتعدل معه وتحسن إليه. وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يهدون للمشركين هدايا وهم معهم وليس بينهم وبينهم مودة كما بوب البخاري رحمه الله على ذلك فقال: (باب صلة الوالد المشرك)، (باب صلة الأخ المشرك)[6] وأورد في هذا الصدد عدة أحاديث منها حديث عمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) المجتمع الإنساني ص ١٩٠ .

(٢) الممتحنة ٨ .

(٣) انظر الإسلام والنصرانية لمحمد عبده ٤٨ وما بعدها والعلاقات الدولية لأبي زهرة ص ٤٢ .

(٤) المائدة ٨ .

(٥) زاد المسير لابن الجوزي ٨/٢٣٧ .

(٦) انظر صحيح البخاري مع الفتح ١٠/٣٤٦ ، ٣٤٧ .

عنه أن رسول الله ﷺ أهدى إليه حلة سيراء وأنه أرسل بها إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم[1] ، فهل يقول مسلم: إن بين عمر بن الخطاب وأخيه المشرك مودة ! كلا والله وهو القائل لرسول الله ﷺ عندما استشاره في أسارى بدر :(. . . ولكني أرى أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه وتمكن علياً رضي الله عنه من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين)[2] وقال ابن عبد البر في الأحكام المستفادة من قصة إهداء عمر لأخيه المشرك :(فيه جواز الهدية للكافر ولو كان حربياً)[3] .

فالعدل في المعاملة وإطعام الطعام والمجادلة بالحسنى شيء والمحبة والمودة والصداقة شيء آخر،فالنوع الأول لا يدخل في الموالاة .

أما النوع الثاني فهو من الموالاة ولا تجوز مودة الكافر ومحبته ولو كان ذمياً بل الواجب بغضه لأن الله يبغضه والمؤمن الحق هو الذي يحب ما يحب الله ويبغض ما يبغض الله؛فها هو عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لما أرسله رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر - وهم أهل ذمة - لكي يخرص نخيل خيبر فحاولوا رشوته قال لهم :(يا أعداء الله تطعموني السحت والله قد جئتكم من عند أحب الناس إليّ ولأنتم أبغض إلى من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض)[4] فهل جهل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وأرضاه أصلاً من أصول الإسلام وقاعدة من قواعد العلاقات الدولية كما يزعم أصحاب مودة الكافرين .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١٠/٣٤٧ .
(٢) مسند أحمد بن حنبل ١/٣١ .
(٣) انظر فتح الباري ١٠/٢٥٤ .
(٤) البداية والنهاية ٤/١٩٧

ولأصحاب مودة الكافرين فهم غريب لقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[1] . فهم كعادتهم لا يأخذون تفسير السلف للآيات والأحاديث إلا إذا وافق ما عندهم يقول أبو زهرة :(ولقد جعل القرآن الكريم اختلاف الناس شعوباً وقبائل للتعارف والتعاون لا للتباغض والتنازع ولذلك قال سبحانه : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . . الآية﴾ فاختلاف الشعوب في الأرض له غاية جليلة أرادها الله سبحانه وتعالى وهي التعارف وهذا التعارف له ظواهر : ـ

الأولى : اللقاء على مودة وتراحم في أمن وسلام لا في حرب وخصام .

الثانية : التعاون على أن ينتفع الإنسان بكل خيرات الأرض بحيث ينتفع أهل كل إقليم بما في الإقليم الآخر من خير ويمده بما عنده من فائض أرضه في مقابل أن ينتفع هو بما عنده فإذا كانت الأرض مختلفة فيما تنتج فالإنتاج كله للإنسانية كلها فتكون تفرقة الأقاليم ليكون الاستغلال كاملاً فتستغل الأرض في كل أجزائها مهما تباعد وتتفرق .

الثالثة : من الظواهر تكريم الإنسان في هذه الأرض فلا يوجد تعارف إذا كان إقليم يحتقر إقليماً لأن ذلك يكون تناكراً ولا يكون تعارفاً.ولا بد أن يحترم أهل الأرض حرية أهلها فلا يكون إذا لم تحترم الحرية لأنه إذا كان أساس العلاقات الإرهاق النفسي وعدم احترام الحرية الشخصية لا يكون ذلك تعارفاً بل يكون استعباداً واسترقاقاً او استعماراً بلغة ذلك العصر . فأهل كل بلد يدير إدارته بالطريق التي يراها ويعتنقون من العقائد ما شاءوا من غير حريجة دينية ولا إرهاق نفسي بل إن الإسلام ذهب به فرط احترامه للحرية إلى

---

(١) الحجرات ١٣

حماية العقيدة الدينية المخالفة من أن يعتدى عليها وقاعدته الفقهية: « وأمرنا أن نتركهم وما يدينون » . . وإن التعارف لا يكون كاملاً إلا إذا أزيلت المحاجزات الإقليمية في الأرضين بحيث يهاجر كل إنسان إلى ما يحب من الأرض)[1].

فانظر أيها القارىء إلى هذا الفهم الغريب فقد جعل هذا الكاتب من معاني التعارف المودة والرحمة وعدم الخصام والتنازع والتكريم والحرية الشخصية والتعاون إلى غير ذلك ولم يقل أحد من علماء السلف إن الآية تدل على هذه المعاني. واللغة لا تساعد الكاتب على ما ذهب إليه فإن الرجل يعرف الرجل ويبغضه ويعاديه أو يحبه ويسالمه فلا علاقة بين التعارف والمودة؛ يقال اعرف عدوك واعرف الشر لكي تجتنبه وليس في هذا أمر بمحبة العدو أو محبة الشر باتفاق العقلاء، والرسول ﷺ كان يعرف أبا جهل وأبا لهب ويعرف قبائل اليهود بل ويعرف الشيطان ولم يقل مسلم إن بينه وبين من يعرف من هؤلاء مودة ورحمة. وإليك تفسير السلف للآية التي حمّلها الكاتب ما لا تحتمل : قال مجاهد: لتعارفوا كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا، وقال ابن كثير: لتعارفوا أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته، وقال ابن الجوزي: ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النسب وبعده، وقال الزجاج: جعلناكم كذلك (أي شعوباً وقبائل) لتعارفوا لا لتفاخروا[2] ، فأين في تفسير السلف لتعارفوا أي لتتحابوا ولا تتباغضوا . . لو كان الأمر كذلك لما جاز لمسلم أن يبغض كافراً فضلاً عن فاسق وهذا خلاف ما عليه إجماع المسلمين وخلاف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (. . والمؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه فإن الظلم لا يقطع

(١) المجتمع الإنساني لأبي زهرة ص ٥١ - ٥٣ .
(٢) انظر تفسير ابن كثير ٧/٣٦٥ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٧/٤٧٤ .

الموالاة الإيمانية ، قال تعالى : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة﴾ فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي والأمر بالإصلاح بينهم فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين[1] فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه)[2]. ويقول البغوي رحمه الله:(وقد اتفق علماء السنة على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم)[3] .

قلت: إن غاية المبتدع ونهاية أمره أن يكون كافراً فإذا اتفق علماء السنة على معاداته فالكافر من باب أولى .

إن تحريف هذه العقيدة المهمة:(بغض الكافرين ومعاداتهم) وإحلال مودتهم ومحبتهم مكانها أماتت الروح الجهادية في شباب المسلمين وأفقدتهم الغيرة الدينية والعزة الإيمانية، وهذا التحريف لبنة من لبنات العلمانية والإنسانية[4] والتعايش السلمي ونحو ذلك من الشعارات التي لا تقيم للعقيدة وزناً فأصبح الدين كأنه مسألة شخصية لكل إنسان أن يعتقد ما يريد من غير نكير ولا معاداة ولا مفاصلة . ولا شك أن هذا التحريف بذرة

---

(١) النوعان هما نوعا الهجر الشرعي ، فالأول بمعنى الترك للمنكرات والثاني بمعنى العقوبة عليها وهو الهجر على وجه التأديب .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٠٨ .

(٣) شرح السنة للبغوي ١/٢٢٧ .

(٤) سوف يأتي ما المراد بالإنسانية التي يتشدق بها كثير من تلاميذ الاستعمار .

زرعها المستشرقون والمستعمرون وتعهدها بالسقي والحرث تلاميذهم من أبناء المسلمين نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين وأن يرد الشاردين عن الصواب إلى دينهم الحق؛يقول الشيخ حسين والشيخ عبد الله أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى في أثناء جواب لهما :

المسألة الحادية عشرة: رجل دخل هذا الدين وأحبه ولكن لا يعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم أو قال أنا مسلم ولكن لا أقدر أن أكفر أهل لا إله إلا الله ولو لم يعرفوا معناها ورجل دخل هذا الدين وأحبه ولكن يقول لا أتعرض للقباب وأعلم أنها لا تنفع ولا تضر ولكن ما أتعرضها .

الجواب : إن الرجل لا يكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيد ودان به وعمل بموجبه وصدق الرسول ﷺ فيما أخبر به وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به وآمن به وبما جاء به فمن قال لا أعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم أو قال لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله أو قال لا أتعرض للقباب فهذا لا يكون مسلماً بل هو ممن قال الله فيهم ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً ﴾ والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين ومنابذتهم وتكفيرهم)[1] ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: (إن الله تعالى عقد الأخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم ونهى عن موالاة الكافرين كلهم. من يهود ونصارى ومجوس ومشركين وملحدين ومارقين وغيرهم ممن ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين ودلائل هذا من الكتاب والسنة كثيرة معروفة فكل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية فإنه تجب محبته وموالاته ونصرته وكل من كان بخلاف ذلك فإنه يجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة فالولاء والبراء تابع للحب والبغض،والحب والبغض هو

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٨/١١١ .

الأصل. وأصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم وأن تبغض في الله أعداءه وأعداء رسله)[1] وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف رحمه الله: (. . . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد: أما زهدك في الدنيا فتعجلت به راحة نفسك، وأما انقطاعك إلي فتعززت به فماذا عملت في ما لي عليك؟ قال يا رب فما لك عليّ؟ قال: هل واليت لي ولياً أو عاديت عدواً؟

وقد قال تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ قال بعض العلماء الفضلاء الفتنة في الأرض والشرك والفساد الكبير اختلاط المسلم بالكافر والمطيع بالعاصي فعند ذلك يختل نظام الإسلام وتضمحل حقيقة التوحيد ويحصل من الشر ما الله به عليم فلا يستقيم الإسلام ويقوم قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويرتفع علم الجهاد إلا بالحب في الله والبغض فيه وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه والآيات الدالة على ذلك أكثر من أن تحصر، وأما الأحاديث فأشهر من أن تذكر فمنها: حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه)، وعن أبي ذر رضي الله عنه: (أفضل الإيمان الحب في الله والبغض فيه)، وفي حديث مرفوع: (اللهم لا تجعل لفاجر عندي يداً ولا نعمة فيوده قلبي فإني وجدت فيما أوحيته إلي: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: (المرء مع من أحب)، وقال ﷺ: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)، وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه مرفوعاً: (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي)، وعن علي رضي الله عنه مرفوعاً: (لا يحب رجل قوماً إلا حشر معهم)، وقال ﷺ:

(١) الفتاوى السعدية للسعدي ص ٩٨ .

(تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي والقوهم بوجوه مكفهرة والتمسوا رضى الله بسخطهم وتقربوا إلى الله بالتباعد عنهم)، وقال عيسى عليه السلام: «تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالبعد عنهم واطلبوا رضى الله بسخطهم»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الإيمان ولو كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك يعني حتى تكون محبته وموالاته لله وبغضه ومعاداته لله). قال رضي الله عنه: وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً. فإذا كان هذا كلام ابن عباس وهو في خير القرون فما زاد الأمر بعده إلا شدة وبعداً عن الخير كما قال ﷺ: (لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه) بل كانت موالاة الناس اليوم ومحبتهم ومعاشرتهم على الكفر والشرك والمعاصي فليحذر العبد كل الحذر من الانهماك مع أعداء الله والانبساط معهم وعدم الغلظة عليهم أو أن يتخذهم بطناء وأصحاب ولايات ويستنصح منهم فإن ذلك موجب لسخط الله ومقته؛ قال القرطبي رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ نهى الله عباده المؤمنين أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء والبدع أصحاباً وأصدقاء يفاوضونهم في الرأي ويسندون إليهم أمورهم)[1].

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢١٣/٧

٤ ـ حكم دار الحرب والكفر

من الأحكام التي تخبط فيها تلاميذ الاستشراق والاستعمار بغير علم حكم دار الحرب والكفر فاعتبروا دار الحرب هي التي تعلن الحرب على المسلمين فعلاً ، أما الدولة الكافرة التي لا تمارس حرب المسلمين فعلاً والتي يأمن فيها المسلمون لو دخلوها فليست بدار حرب عندهم وإن لم يكن بينها وبين المسلمين عقد هدنة بل بلغ بهم الأمر إلى اعتبار الدنيا داراً واحدة ولا مبرر لتقسيمها إذا لم يحصل اعتداء على بلاد المسلمين(١) وعلى رأي هؤلاء إن روسيا الشيوعية ومن يسير في فلكها وأمريكا الصليبية ومن يسير في فلكها باستثناء إسرائيل ليست دارهم دار حرب وكفر يجب جهادها عند الاستطاعة ولو حصل صلح مع اسرائيل يصبح الجهاد ساقطاً عن المسلمين تجاه جميع أمم الكفر ما دام أن المسلمين يأمنون على حياتهم إذا ذهبوا إليهم!! وهذا جهل منهم أو تجاهل بالمقصود من دار الكفر التي يجب على المسلمين محاربتها دائماً وأبداً حتى يخضعوها لسلطان الإسلام إن كان فيهم على ذلك قدرة . وقد قرر علماء الإسـلام أن دار

(١) انظر السياسة الشرعية لعبد الوهاب خلاف ص ٧٥ وآثار الحرب في الفقه الاسلامي للزحيلي ١٩٤ وما بعدها)وص ٢٧٧ وما بعدها من العلاقات الدولية لأبي زهرة .

الكفر هي الدار التي فيها الغلبة لأحكام الكفر وسلطانه أما الدار التي فيها الغلبة لأحكام الإسلام وسلطانه فهي دار الإسلام ولو لم يكن فيها إلا أهل الذمة إذا كان الحاكم المعين عليهم من قبل أهل الإسلام يقيم فيهم حكم الله عز وجل ؛ يقول القاضي أبو يعلى: (وكل دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي دار الكفر)(١) وجاء في كشاف القناع ما يلي: (وتجب الهجرة على من يعجز عن إظهار دينه بدار الحرب وهي ما يغلب فيها حكم الكفر)(٢) .

قلت : وقد يتوقف المسلمون عن جهاد دار الكفر والحرب لأجل معاهدة مؤقتة أو لأجل ضعف المسلمين، وهذا التوقف لا يزيل عن دار الكفار اسمها بل هي دار كفر وحرب؛ فإن دار الفرس والروم كانت بالنسبة للمسلمين في عهد الرسول ﷺ دار كفر وحرب قبل أن يسير الرسول ﷺ جيوشه لحربها ، وقبل أن يحصل منهم اعتداء على المسلمين، بل كل بلاد الكفر الخاضعة لغير حكم الإسلام فهي دار كفر وحرب لها جميع أحكام دار الكفر حتى وإن كان بينها وبين المسلمين موادعة كمكة في زمن صلح الحديبية فهي دار كفر لأنها لا تجري فيها أحكام الإسلام ولم تخضع لحكم المسلمين ؛ يقول الشيخ حسن أيوب: (ودار أهل الذمة تسمى دار إسلام لأنها محكومة باسمه وحاكمها مسلم وهو ينفذ الأحكام الإسلامية العامة على أهل الذمة . . بخلاف دار الصلح فإنها دار حرب كما كانت مكة بعد صلح الحديبية ولذلك لا صلة لها بالإسلام بل هي في الغالب مضادة له ومحاربة لولا عقد الصلح والهدنة)(٣) .

قلت : ومما يدل على أن الدار الخاضعة لحكم الإسلام تعتبر دار

---

(١) المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى ص ٢٧٦ .

(٢) كشاف القناع ٣/٤٣ .

(٣) الجهاد والفدائية في الإسلام لحسن أيوب ص ٢٧٧ .

إسلام وإن كان أهلها كلهم كفاراً قصة خيبر،فإن الرسول ﷺ بعد أن فتحها عين عليها والياً مسلماً يقيم فيهم حكم الله وأهلها هم اليهود وهم لا زالوا على كفرهم ، قال البخاري في صحيحه:باب استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر ثم روى بسنده عن أبي سعيد وأبي هريرة أن النبي ﷺ بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خيبر فأمَّره عليها[1] .

وقال ابن حزم:(وإذا كان أهل الذمة في مدائنهم لا يمازجهم غيرهم فلا يسمى الساكن فيهم لإمارة عليهم أو لتجارة بينهم كافراً ولا مسيئاً بل هو مسلم محسن ودارهم دار إسلام لا دار شرك لأن الدار إنما تنسب للغالب عليها والحاكم والمالك لها ولو أن كافراً مجاهداً غلب على دار من دور الإسلام وأقر المسلمين على حالهم إلا أنه هو المالك لها المنفرد بنفسه في ضبطها وهو معلن بدين غير الإسلام لكفر بالبقاء معه كل من عاونه وأقام معه وإن ادعى أنه مسلم)[2] .

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن بني عبيد القداح:(... فإنهم ظهروا على رأس المائة الثالثة فادعى عبيد الله أنه من آل علي من ذرية فاطمة وتزيا بزي الطاعة والجهاد في سبيل الله فتبعه أقوام من أهل المغرب وصار له دولة كبيرة في المغرب ولأولاده من بعده ثم ملكوا مصر والشام وأظهروا شرائع الإسلام واقامة الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين لكن أظهروا أشياء من الشرك ومخالفة الشرع وظهر منهم ما يدل على نفاقهم فأجمع أهل العلم على أنهم كفار وأن دارهم دار حرب مع إظهارهم شعائر الإسلام وشرائعه وفي مصر من العلماء والعباد ناس كثير وأكثر أهل مصر لم يدخل معهم فيما أحدثوه ومع ذلك أجمع العلماء على ما ذكرنا حتى أن بعض أكابر العلماء المعروفين بالصلاح قال لو أن معي

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٧/٣٨٠ .
(٢) المحلى لابن حزم ١٣/١٤٠ .

عشرة أسهم لرميت بواحد للنصارى المحاربين ورميت بالتسعة في بني عبيد ولما كان في زمن السلطان محمود بن زنكي أرسل إليهم جيشاً عظيماً فأخذوا مصر من أيديهم ولم يتركوا جهادهم لأجل من فيها من الصالحين فلما فتحها السلطان فرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً وصنف ابن الجوزي كتاباً في ذلك سماه النصر على مصر وأكثر العلماء التصنيف والكلام في كفرهم مع ما ذكرنا من إظهار شرائع الإسلام الظاهرة)(١) فهذا تصريح من الشيخ محمد بن عبد الوهاب بإجماع العلماء على أن دار بني عبيد دار حرب مع أن المسلمين فيها كثير ويأمنون على أنفسهم إذا لم يعارضوا الحكومة كما أن المسلمين في دول الكفر اليوم يأمنون على أنفسهم إذا لم يعارضوا الحكومات وأنظمة البلاد الكفرية فما الذي صير بلاد بني عبيد بلاد حرب وبلاد الكفار اليوم ليست بلاد حرب !!

ولقد أراد تلاميذ الاستشراق والاستعمار ومن تأثر بهم من تغييرهم لحكم دار الكفر والحرب تنويم مشاعر المسلمين المغلوبين على أمرهم الذين يحكمهم الكفار بحيث يظنون أنهم في دار إسلام لا دار كفر ولو شعروا أنهم في دار كفر وحرب لضاقوا ذرعاً ولأعدوا العدة لكي تصبح دارهم دار إسلام .

وأرادوا رفع الحرج والمشقة عن كثير من أبناء المسلمين الذين يقطنون في ديار الكفار ويتجنسون بجنسيتهم فأوهموهم أن ديار الكفار ليست بدار حرب ما دام المسلمون يأمنون فيها على أرواحهم إذا لم يعارضوا كفر تلك البلاد . وقد أفتى صنف من هؤلاء الذين تربوا على موائد الاستعمار بأن بلاد الهند إبان الاستعمار الإنجليزي لم تصر دار كفر ولا يجوز الجهاد للانجليز لأن الجهاد لا يحل في دار الإسلام، يقول مولوي كرامت علي :(إن الهند دار إسلام ولا يسمح بالجهاد في دار الإسلام وهذا

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٨/٢٣

الأمر أوضح من أن يستدل عليه فلو عزم الضال أو فاقد الوعي على الجهاد ضد حكام الهند الإنجليز تعتبر تلك الحرب حرب بغاة وثورة ضد الحكومة مما منع الفقه الإسلامي القيام به ولذا لا تجوز مثل هذه الحرب فلو فرض أن قامت مثل هذه الحرب فيجب على المسلمين تأييد حكامهم للقضاء على البغاة وهذا الأمر واضح في فتاوى عالمكيرية)[1]!!

وقد كتب الأستاذ عبد الله أحمد قادري فصلاً مفيداً في رسالته للدكتوراه حول دار الإسلام ودار الكفر جاء فيه ما يلي: (أحب في هذا المبحث أن أكتب خلاصة أبين فيها معنى دار الإسلام ومعنى دار الكفر مما حرره فقهاء الإسلام في هذا الباب ثم أذكر بعد ذلك المفهوم المحرف في أذهان عامة المسلمين وما يترتب عليه من آثار معوقة عن الجهاد في سبيل الله ثم ورد إليّ السؤال الآتي :

ألا يمكن العثور على آيات من القرآن الكريم يستنبط منها معنى الدارين دار الإسلام ودار الكفر؟ وأخذت أستعرض بعض آي القرآن الكريم وأتأمل فيما أظن أنه يتضمن ما قصدت فخرجت بطائفة ـ لم نستقص غيرها ـ ظهر لي منها جلياً ما يمكن به وزن أي دار بأنها دار إسلام أو دار كفر . والقاعدة العامة التي تجمع شتيت المعاني التي دلت عليها تلك الآيات أن دار الإسلام هي الأرض التي تعلو فيها كلمة الله ويظهر توحيده وطاعته ويؤمر فيها بالمعروف وينهى عن المنكر،وأن دار الكفر هي الأرض التي يظهر فيها الظلم ،وأعظم الظلم الشرك بالله وإعطاء غيره حق التشريع والتحليل والتحريم فيما لم يأذن به . فتحارب بذلك الفضائل وأهلها

---

(١) ص ٣١٦ من كتاب مسلمو الهند تأليف وليم ولسن هنتر ترجمة صادق حسين إلى اللغة الأردية وقد ترجم لي النص إلى اللغة العربية الطالب بالدراسات العليا بمكة خادم حسين وهو ثقة عندي وقد حفل الكتاب بمجموعة كبيرة من فتاوى تلاميذ الاستعمار كما يقول المترجم خادم المذكور ولكن اكتفيت بنقل واحدة منها للدلالة على البقية .

ويمكن للرذائل ويكرم أهلها ويؤمر فيها بالمنكر وينهى عن المعروف ويكفي أن نقتصر على سرد تلك الآيات والإشارة إلى ما توزن به دار الكفر من المعاني إن كانت الآيات واردة في هذا النوع ويظهر من آيات سورة الحج التالية أنها قد جمعت بين الميزانين؛قال تعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ فقد نص الله سبحانه على المعنى العام الذي تصير به الدار دار كفر وهو الظلم ـ والمراد سيطرته لا مجرد وقوعه ـ وبين سبحانه أعظمه وهو الشرك وذكر بعض أجزائه وهو إخراج المظلومين بدون حق وكذلك تهديم أماكن العبادة . ونص سبحانه على الأصول التي تتفرع منها المعاني التي تصير بها الدار دار إسلام وهي إقام الصلاة وهي رمز الطاعة لله وتوحيده وقوة الصلة به،وإيتاء الزكاة وهي رمز لأداء الحقوق التي يأمر الله بأدائها،ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما قاعدة الحفاظ على دين الله والذب عنه والدعوة إليه والجهاد في سبيل الله من أجل رفع كلمته . وقال تعالى : ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ ؛ فالأرض التي يستضعف الكفار فيها المؤمنين بل وغير المؤمنين ؛ الذين يبلغ بهم الأمر أن يلحوا في دعاء الله ليخرجهم منها بسبب ذلك الظلم وذلك الاستضعاف ـ وهو لا يكون كذلك إلا إذا سيطر الظلمة وأهل الكفر ونفذوا حكم غير الله في الأرض ـ هذه الأرض أرض كفر،ولو كان الكفر غير مسيطر فيها لوجد فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدافع عن المستضعفين،ولعدم وجود ذلك أمر الله المؤمنين بقتال من استضعفهم في صورة إنكار عليهم إذا لم يقاتلوا . وقال تعالى : ﴿وقال

الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ فالأرض التي يسعى رؤوس الكفر الذين بيدهم السلطة فيها لإجبار المسلمين على العودة إلى الشرك أو إخراجهم منها هي دار كفر وليست دار إسلام . وقال تعالى : ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولوا كنا كارهين﴾ وهي كسابقتها . وقال تعالى : ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ ، فالأرض التي يستضعف فيها المؤمن ويجب عليه أن يهاجر منها ليست دار إسلام وإنما هي دار كفر . وقال تعالى : ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ فالدار التي تعلن فيها الفاحشة ويفتخر بها وتصبح هي الممدوحة والمدعومة وتنتقص الفضيلة وتصبح سبباً للعقاب وإخراج أهلها من ديارهم والمفتخرون بالرذيلة والمنتقصون للفضيلة هم كفرة يحاربون حكم الله وأهله مع تمكنهم وسيطرتهم لا يمكن أن تكون تلك الدار دار إسلام بل هي دار كفر.وقال تعالى : ﴿وأُلقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين﴾.

فالأرض التي يجبر نظام حاكمها أهلها على استئذانه في الإيمان بما تتيقنه قلوبهم وإلا جوزوا هذا الجزاء الظالم دار كفر وليست دار إسلام. وقال تعالى: ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن

على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾.

فالدار التي يعلو فيها شأن الكفار ويظهر فيها الفساد بإيجاد أحزاب متصارعة من أجل إضعافهم وهيمنة هذا الحاكم عليهم ويستضعف بعض أهلها فلا يجدون ناصراً ولا آمراً بمعروف أو ناهياً عن منكر بل صاحب المنكر هو الآمر الناهي المحاد لله ولعباده المؤمنين هي دار كفر وليست دار إسلام . . . وخلاصة الكلام أن دار الإسلام هي الدار التي يظهر فيها حكم الله ويختفي حكم الكفر وأن دار الكفر هي التي يظهر فيها حكم الكفر ويختفي حكم الإسلام وهذا ما سجله فقهاء الإسلام في كتبهم ولكن يجب أن نبين هنا ما تصير به البلاد الإسلامية دار كفر ، والباحث يميل إلى تلك القاعدة وهي: (إن أي بلد كانت فيه القوة والسلطان للكفار الذين يطبقون أحكام الكفر ويقصون أحكام الإسلام من حياة الناس السياسية والعسكرية ولا يستطيع المسلمون أن يطبقوا من أحكام الإسلام إلا ما أذن به ذوو السلطان الكفرة مما لا تعلو به كلمة الله ولا تسقط به راية الكفر فإن ذلك البلد الذي تحققت فيه هذه الأمور هو دار كفر وليس دار إسلام) ولو كان أغلب سكانه مسلمين ولو كان حكام الكفر ينسبون أنفسهم إلى الإسلام لأن العبرة في دار الإسلام بظهور أحكام الله فيها وكون كلمة الله هي العليا والعبرة في دار الكفر بظهور أحكام الكفر وكون مناهج الحياة فيها هي مناهج كفر لا مناهج إسلام ولا يهولن القارىء أن هذه القاعدة تنطبق على بلدان أغلب سكانها مسلمون يقيمون شعائر دينهم التي أذن لهم بإقامتها حكامهم المحاربون لله ولرسوله وللمؤمنين فإن العبرة ليست بكثرة من ينتسب إلى الإسلام وإنما هي بمن يطبق أحكامه ويظهرها وينصرها بعكس هذه المسألة وهو أن يغلب المسلمون على بلد أغلب سكانه كفار فيقيمون في هذا البلد أحكام الإسلام وهم أقل من سكانه فإنه يكون دار إسلام وليس دار كفر فكذلك إذا استولت شرذمة من الكفار على بلد أغلب سكانه مسلمون فأقامت تلك

الشرذمة في هذا البلد أحكام الكفر فإنه يصير بلاد كفر وليس بلاد إسلام ومن أوضح الأمثلة على ذلك ألبانيا التي لا زالت أسماء بعض حكامها أسماء مسلمين وأغلب سكانها مسلمون ولكن الزمرة الحاكمة فيها اشتطت في تطبيق أحكام أعظم كفر وجد على ظهر الأرض وهو الإلحاد الماركسي وإذا كانت ألبانيا أصبحت دار كفر بذلك فما الفرق بينها وبين بلدان أخرى في غير أوروبا تسير في نفس هذا السبيل ويعلن للملأ حكامها بأنهم لينينيون ماركسيون أو علمانيون لا يعترفون بحكم الله في أي جزئية من الجزئيات وقد يخدرون المسلمين بالإذن لهم بتطبيق بعض الأحكام التي لا يرون من تطبيقها ضرراً على حكمهم الكافر . . . إن حكام تلك البلدان لو ظهر في بلدانهم أمثال أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وعمر بن عبد العزيز يدعون إلى الإسلام لحاربوهم وقاتلوهم نصراً لنظام كفرهم الذي به بقوا متربعين على كراسي الحكم فكيف تكون الدار التي يحكمونها دار الإسلام بمعناه الحق . . . هذا وإن البلدان التي كانت دار إسلام ثم سيطر عليها كفار يطبقون أحكام الكفر ويحاربون حكم الله لهي أولى بجهاد المسلمين لإعادة إعلاء كلمة الله فيها لا سيما إذا كان أغلب سكانها مسلمين مستضعفين وبهذا يظهر أن من المعاني التي حرفت وجهل المسلمون حقيقتها معنى دار الإسلام ومعنى دار الكفر وأن كثيراً من المسلمين يسيطر عليهم الكفار بإظهار حكم الكفر ويحاربون الإسلام والمسلمين وهم يظنون أن بلادهم دار إسلام بسبب ما يأذن لهم به أولئك الحكام من إقامة بعض شعائر دينهم التي يدركون أنهم لا خطر عليهم منها وإذا أدركوا أن خطراً ما سيتحقق من إقامة بعضها حظروه أو ضيقوا الخناق على أهله،ولو فقه المسلمون هذا المعنى لما غفلوا عن الاستعداد للجهاد في سبيل الله وإعداد العدة لطرد من دنسوا ديارهم بإظهار أحكام الكفر فيها وقلبوها إلى ديار كفر بعد أن كانت دار إسلام)[1] .

---

(١) انظر حقيقة الجهاد في سبيل الله للقادري ٢/٦٨٢ ـ ٦٩١ .

٥ ـ حكم الرق

من الأحكام الإسلامية المتعلقة بالجهاد التي حرفها تلاميذ الاستشراق والاستعمار حكم الرق حتى أنَّا نرى بعض أولئك الضعاف المهازيل من قليلي العلم والتقوى ـ الذين أعجبوا بمبادىء الدول الغربية والشرقية من الدول الكافرة والملحدة ـ يعتذرون عن رب العالمين في تشريعه للجهاد ويعللون إباحة الإسلام للرق بتعليلات ساقطة من عند أنفسهم لم يدل عليها دليل من كتاب ولا سنّة ولا قال بها أحد من علماء المسلمين ولا من جهلائهم قبل أن تدعوا الدول الغربية إلى إلغاء الرق؛يقول الدكتور محمد عبد الجواد محمد:(من المعروف أن بريطانيا كانت أول دولة ألغت الرق وكان ذلك في سنة ١٨٣٢ م،وتلتها أمريكا بإلغائه في سنة ١٨٦٥ بعد انتصار الولايات الشمالية في الحرب ضد الولايات الجنوبية بسبب عدم موافقتها على إلغاء الرق. . . . وكانت (أي بريطانيا) تفرض هذا الإلغاء على الدول الأخرى التي تستطيع فرض إرادتها عليها كما حدث في مصر مثلاً أو الدول التي تعقد معها معاهدات أو اتفاقات دولية. وفي معاهدة جدة بين جلالة ملك بريطانيا وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتاريخ ١٨ من ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ ٢ مايو سنة ١٩٢٧ م نصت المادة السابعة منها على أن يتعهد صاحب الجلالة ملك نجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء

على الاتجار بالرقيق)[1] ويقول الدكتور محمد البهى: (فأول إعلان لإلغاء الرق هو اعتبار الرقيق حراً إذا ما وطئت قدماه مصيف الجزيرة الخاص بالأسرة المالكة في انجلترا. وفي سنة ١٧٩٢ أعلنت الدانمارك كأول دولة غربية إلغاء تجارة الرقيق ثم تبعتها انجلترا بوجه عام في سنة ١٨٠٨ م في المستعمرات البريطانية ثم في فرنسا في سنة ١٨٤٨ م وفي أمريكا قامت الحرب الأهلية بسبب مشكلة الرقيق سنة ١٨٦١ إلى سنة ١٨٦٤ بين بعض الولايات وبعض.. وفي ٣١ يناير سنة ١٨٦٤ وافق مجلسا الشيوخ والنواب في أمريكا على إلغاء الرق وتجارة الرقيق)[2] وبهذا يظهر أن إلغاء الرق عموماً وتحريمه دولياً بضاعة مستوردة من أوربا وأمريكا اقتبسها العالم الإسلامي كما اقتبس غيرها من القوانين الوضعية التي تحرم تعدد الزوجات وتلغي القصاص وحد الزنا والسرقة ونحو ذلك فليتنبه لهذا بعض المخدوعين ممن يرتدون رداء العلم الذين يعتذرون عن الإسلام في تشريعه للرق ويعللون إباحته بأنها معاملة بالمثل فإذا كان الكفار لا يسترقون أسرانا فلا نسترِقّ أسراهم بل وصل السخف ببعضهم إلى أن أساء الأدب ووصف خير القرون بانحطاط الطباع إذ يقول الدكتور محمد عبد الجواد: (ولذلك نستطيع أن نقرر أن وصول الإنسان إلى درجة استرقاق أخيه الإنسان واعتباره مالاً يباع ويشترى كالحيوان وغيره إنما هي مرحلة من مراحل انحطاط الطبع البشري)[3]، أما علم هذا المأفون أنه في عهد الرسول ﷺ وفي عهد خلفائه الراشدين (يباع الرقيق ويشترى) فهل أولئك منحطة طباعهم وهل يظن هذا المأفون وأمثاله أن أوربا وأمريكا أعرف بالعدالة وحقوق الإنسان عندما ألغت الرق من العزيز الحكيم الذي أباحه للمسلمين، لقد تعاظم بعضهم أن ينطق بهذا الكلام فذهب يحرف نصوص

---

(١) التطور التشريعي في المملكة لمحمد عبد الجواد ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ .
(٢) الإسلام والرق ص ١١ .
(٣) التطور التشريعي في المملكة ص ٢٠٠ .

الشريعة لكي توافق ما قررته الدول الكافرة ويظن أنه بذلك صنع إلى الإسلام معروفاً حينما أظهره بمظهر الموافق للحضارة الغربية؛ يقول وهبه الزحيلي: (جاء الإسلام والحالة هذه عند الأمم المجاورة فلم يتمكن من إلغاء الرقيق في العالم حتى لا تصطدم دعوته مع مألوف النفوس ولئلا تضطرب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فيكثر المجادلون والمعارضون وينتشر الفقر والعوز في المجتمع وتتعدد حينئذٍ جرائم العبيد قبل تحريرهم ولكن الإسلام الذي يقدر معنى الحرية ولذتها ويعتبر الأصل في الإنسان هو الحرية إلا أن من خصائص تشريعه التدرج في الأحكام فإنه قد أقر مؤقتاً واقع الأمر ولم يمح الرق دفعة واحدة ومضى في التدرج بالمسلمين فهيأ أسباباً للقضاء على الرق وحرم سائر مصادره ما عدا رق الأسر بسبب الحرب العادلة لدفع العدوان[1] وحفظ التوازن مع الأمم الأخرى وما عدا الرق بسبب الوراثة، والشرع لا يبيح أن يسترق مسلم أصلاً. وهكذا قاومت الدعوة المحمدية الرق مقاومة كانت بالتدريج أفعل في تهيئة الضمير البشري للقضاء عليه من المفاجأة بالتحريم البات، وبما أنه لم يرد نص في الكتاب ولا في السنّة على إباحة الرق وأن الاسترقاق بالوجه الشرعي لا يتأتى منذ زمن لعدم وجود الحرب الشرعية العادلة فإن الإسلام لا يتعارض مع إلغاء الرق من العالم اليوم)[2] فهذا كذب صراح وافتراء على الإسلام فكيف يقول لا يوجد نص في الكتاب ولا في السنّة على إباحة الرق وكتب العلماء أهل الحديث وغيرهم طافحة بأحكام الرقيق وأحكام العتق وأحكام أموالهم والإجماع منعقد على جواز استرقاق الكافر بل والمسلم الذي أبوه رقيق فهو رقيق إلا أن يعتق وهل يظن هذا الكاتب أن المسلمين منذ عهد

---

(١) لا تعجب أيها القارىء فكما اقتبس هذا المؤلف تحريم الرق من الغرب فقد اقتبس منهم أن الحرب لا تكون عادلة إلا إذا كانت للدفاع، أما اذا كانت لحمل الكفار على الإسلام أو دفع الجزية فهي ظالمة، والداهية الدهياء حمله هذا الاقتباس على الإسلام فيجمع بين منكرين.

(٢) آثار الحرب للزحيلي ص ٤٤٥ وما بعدها.

الرسول ﷺ إلى عام ١٨٤٢ م عندما وقعت اتفاقية دولية تحرم الرق كانوا يعملون غير مباح نعوذ بالله من هذا التحريف المشين والتهم الباطلة التي توجه إلى خير القرون رضي الله عنهم، أما قوله: (وإن الاسترقاق بالوجه الشرعي لا يتأتى منذ زمن لعدم وجود الحرب الشرعية العادلة) فهذا كذب أيضاً فكيف حكم على جهاد المسلمين منذ زمن بأنه ليس حرباً شرعية عادلة ألا يعتبر هذا المؤلف حرب المسلمين لإسرائيل شرعية عادلة!! وأمثال الزحيلي كثير من أشهرهم شوقي أبو خليل في كتابه الإسلام في قفص الاتهام. والآن لنلق نظرة على حكم الرق عند علماء الإسلام ونبدأ بذكر أقوال علماء ما عرفوا بريطانيا ومن سار في فلكها ثم نتبعهم بأقوال علماء عرفوا بريطانيا ومن سار في فلكها غير أنهم يأخذون الأحكام الشرعية من مصادرها لا من أهواء البشر ولا من القوانين الوضعية ولم يصبهم الانبهار بما عند الكفار كما أصاب الزحيلي وحزبه.

يقول ابن رشد: (وأما ما يجوز من النكاية في العدو فإن النكاية لا تخلو أن تكون في الأموال أو في النفوس أو في الرقاب أعني الاستعباد والتملك فأما النكاية التي هي الاستعباد فهي جائزة بطريق الإجماع في جميع أنواع المشركين أعني ذكرانهم وإناثهم وشيوخهم وصبيانهم صغارهم وكبارهم إلا الرهبان فإن قوماً رأوا أن يتركوا ولا يؤسروا بل يتركوا دون أن يعرض إليهم بقتل ولا استعباد لقول رسول الله ﷺ: «فذرهم وما حبسوا أنفسهم إليه» واتباعاً لفعل أبي بكر وأكثر العلماء.على أن الإمام مخير في الأسارى في خصال منها أن يمنّ عليهم ومنها أن يستعبدهم ومنها أن يقتلهم ومنها أن يأخذ منهم الفداء ومنها أن يضرب عليهم الجزية... وقد حكى أبو عبيد أنه (يقصد الرسول ﷺ) لم يستعبد أحرار ذكور العرب وأجمعت الصحابة بعده على استعباد أهل الكتاب ذكرانهم وإناثهم...)[1].

---

(١) بداية المجتهد ١/٣٨٢.

قلت: وما ذكره أبو عبيد مرجوح لما يلي: قال صديق بن حسن البخاري: (ويجوز استرقاق العرب لأن الأدلة الصحيحة قد دلت على جواز استرقاق الكفار من غير فرق بين عربي وعجمي وذكر وأنثى ولم يقم دليل يصلح للتمسك قط في تخصيص أسرى العرب بعدم جواز استرقاقهم بل الأدلة قائمة متكاثرة على أن حكمهم حكم سائر المشركين منها حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما «أنها كانت عند عائشة سبية من بني تميم فقال رسول الله ﷺ أعتقيها فإنها من ولد اسماعيل»[1]. وأخرج البخاري وغيره: أن رسول الله ﷺ قال حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد عليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله ﷺ: «أحب الحديث إليّ أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين، إما السبى، وإما المال» الحديث وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر: «أن جويرية بنت الحارث من سبي بني المصطلق كاتبت عن نفسها ثم تزوجها رسول الله ﷺ على أن يقضي كتابتها فلما تزوجها قال الناس أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بأيديهم من السبي».... والحاصل أن الواجب الوقوف على ما دلت عليه الأدلة الكثيرة الصحيحة من التخيير في كل مشرك بين القتل والمن والفداء والاسترقاق فمن ادعى تخصيص نوع منهم أو فرد من أفرادهم فهو مطالب بالدليل)[2] أما العلماء الذين عرفوا بريطانيا ومن يسير في فلكها فلم يتأثروا بدعوتها لتحرير الأرقاء وإنما أخذوا الأحكام الشرعية من مصادرها فكثير جداً منهم العالم الجليل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي حيث يقول: (ومن هدى القرآن للتي هي أقوم ملك الرقيق المعبر عنه القرآن بملك اليمين في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ وقوله: ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما

---

(١) قال لها الرسول ذلك لأن عليها عتق رقبة من ولد اسماعيل انظر فتح الباري ١٢٤/٥ .

(٢) الروضة الندية ، شرح الدرر البهية لصديق حسن ٣٤٨/٣ - ٣٤٩ .

ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ في سورة قد أفلح المؤمنون، وسأل سائل، وقوله: ﴿ والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ﴾ وقوله: ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله ﴾ الآية، وقوله جل وعلا: ﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم.. ﴾ الآية وقوله: ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك ﴾ الآية، وقوله: ﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ﴾ الآية.... فالمراد بملك اليمين في جميع هذه الآيات ونحوها ملك الرقيق بالرق ومن الآيات الدالة على ملك الرقيق قوله: ﴿ وضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً.. ﴾ الآية وقوله: ﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك.. ﴾ الآية ونحو ذلك من الآيات. وسبب الملك بالرق هو الكفر ومحاربة الله ورسوله فإذا أقدر الله المسلمين المجاهدين الباذلين مهجهم وأموالهم وجميع قواهم وما أعطاهم الله لتكون كلمة الله هي العليا على الكفار جعلهم ملكاً لهم بالسبي إلا إذا اختار الإمام المن والفداء لما في ذلك من المصلحة على المسلمين. وهذا الحكم من أعدل الأحكام وأوضحها وأظهرها حكمة؛ وذلك أن الله جل وعلا خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه كما قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة كما قال: ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾، وفي الآية الأخرى في سورة النحل: ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله غفور رحيم ﴾ وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ليشكروه كما قال تعالى: ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ فتمرد الكفار على ربهم وطغوا وعتوا وأعلنوا الحرب على رسله لئلا تكون كلمته هي العليا واستعملوا جميع المواهب التي أنعم عليهم بها في محاربته وارتكاب ما يسخطه ومعاداته ومعاداة أوليائه القائمين بأمره وهذا

أكبر جريمة يتصورها الإنسان فعاقبهم الحكم العدل اللطيف الخبير جل وعلا عقوبة شديدة تناسب جريمتهم فسلبهم التصرف ووضعهم من مقام الإنسانية إلى مقام أسفل منه كمقام الحيوانات فأجاز بيعهم وشراءهم وغير ذلك من التصرفات المالية مع أنه لم يسلبهم حقوق الإنسانية سلباً كلياً فأوجب على مالكيهم الرفق والإحسان إليهم وأن يطعموهم مما يطعمون ويكسوهم مما يلبسون ولا يكلفوهم من العمل ما لا يطيقون وإن كلفوهم أعانوهم كما هو معروف في السنّة الواردة عنه ﷺ مع الإيصاء عليهم في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى ﴾ إلى قوله: ﴿ وما ملكت إيمانكم ﴾ وتشوف الشارع تشوفاً شديداً للحرية والإخراج من الرق فأكثر أسباب ذلك كما أوجبه في الكفارات من قتل خطأ وظهار ويمين وغير ذلك وأوجب سراية العتق وأمر بالكتابة في قوله: ﴿ فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ﴾ ورغب في الإعتاق ترغيباً شديداً. ولو فرضنا ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ أن حكومة من هذه الحكومات التي تنكر الملك بالرق وتشنع في ذلك على دين الإسلام قام عليها رجل من رعاياها كانت تغدق عليه بالنعم وتسدى إليه جميع أنواع الإحسان ودبر عليها ثورة شديدة يريد بها إسقاط حكمها وعدم نفوذ كلمتها والحيلولة بينها وبين ما تريده من تنفيذ أنظمتها التي يظهر لها أن بها صلاح المجتمع ثم قدرت عليه بعد مقاومة شديدة فإنها تقتله شر قتلة ولا شك أن ذلك القتل يسلبه جميع تصرفاته وجميع منافعه فهو أشد سلباً لتصرفات الإنسان ومنافعه من الرق بمراحل. والكافر قام ببذل كل ما في وسعه ليحول دون إقامة نظام الله الذي شرعه ليسير عليه خلقه فينشر بسببه في الأرض الأمن والطمأنينة والرخاء والعدالة والمساواة في الحقوق الشرعية وتنظم به الحياة على أكمل الوجوه وأعدلها وأسماها ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ فعاقبه الله هذه المعاقبة بمنعه التصرف ووضع درجته وجريمته تجعله يستحق العقوبة بذلك. فإن قيل إذا

كان الرقيق مسلماً فما وجه ملكه بالرق مع أن سبب الرق الذي هو الكفر ومحاربة الله ورسوله قد زال ـ فالجواب:

إن القاعدة المعروفة عند العلماء وكافة العقلاء أن الحق السابق لا يرفعه الحق اللاحق والأحقية بالأسبقية ظاهرة لاخفاء بها، فالمسلمون عند ما غنموا الكفار بالسبي ثبت لهم حق الملكية بتشريع خالق الجميع وهو الحكيم الخبير، فإذا استقر هذا الحق وثبت ثم أسلم الرقيق بعد ذلك كان حقه في الخروج من الرق بالإسلام مسبوقاً بحق المجاهد الذي سبقت له الملكية قبل الإسلام وليس من العدل والإنصاف رفع الحق السابق بالحق المتأخر عنه كما هو معلوم عند العقلاء.نعم يحسن بالمالك ويجمل به أن يعتقه إذا أسلم وقد أمر الشارع بذلك ورغب فيه وفتح له الأبواب الكثيرة كما قدمنا فسبحان الحكيم الخبير:﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ فقوله صدقاً أي في الأخبار وقوله عدلاً أي في الأحكام ولا شك أن من ذلك العدل الملك بالرق وغيره من أحكام القرآن.

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم[1]

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ في سورة محمد.

لم يختلف المسلمون في جواز الملك بالرق ومعلوم أن سببه أسر المسلمين الكفار في الجهاد والله تبارك وتعالى في كتابه يعبر عن الملك بالرق بعبارة هي أبلغ العبارات في توكيد ثبوت ملك الرقيق وهي ملك اليمين لأن ما ملكته يمين الإنسان فهو مملوك له تماماً وتحت تصرفه تماماً كقوله تعالى: ﴿ فإذا خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٣/٣٨٨ .

وقوله: ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلاعلى أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾. . . فالمراد بملك اليمين في جميع هذه الآيات كلها الملك بالرق،والأحاديث والآيات بمثل ذلك يتعذر حصرها وهي معلومة فلا ينكر الرق في الإسلام إلا مكابر وملحد ومن لا يؤمن بكتاب الله ولا بسنّة رسوله. . . ومن المعلوم أن كثيراً من أجلاء علماء المسلمين ومحدثيهم الكبار كانوا أرقاء مملوكين أو أبناء أرقاء مملوكين فهذا محمد بن سيرين كان أبوه سيرين عبداً لأنس بن مالك وهذا مكحول كان عبداً لامرأة من هذيل فأعتقته ومثل هذا أكثر من أن يحصى كما هو معلوم. واعلم أن ما يدعيه بعض المتعصبين لنفي الرق في الإسلام من أن آية القتال هذه دلت على نفي الرق من أصله لأنها أوجبت واحداً من أمرين لا ثالث لهما وهما المن والفداء فقط فهو استدلال ساقط من وجهين: -

أحدهما أن فيه استدلالاً بالآية على شيء لم يدخل فيها ولم تتناوله أصلاً، والاستدلال إن كان كذلك فسقوطه كما ترى،وإيضاح ذلك أن هذه الآية التي فيها تقسيم حكم الأسارى إلى منّ وفداء لم تتناول قطعاً إلا الرجال المقاتلين من الكفار لأن قوله: ﴿ فضرب الرقاب ﴾ وقوله: ﴿ حتى إذا أثخنتموهم ﴾ صريح في ذلك كما ترى وعلى إثخان هؤلاء المقاتلين رتب بإلقاء قوله: ﴿ فشدوا الوثاق ﴾ الآية فظهر أن الآية لم تتناول أنثى ولا صغيراً ألبتة ويزيد ذلك إيضاحاً أن النهي عن قتل نساء الكفار وصبيانهم ثابت عن النبي ﷺ وأكثر أهل الرق في أقطار الدنيا إنما هو من النساء والصبيان. ولو كان الذي يدعي نفي الرق من أصله يعترف بأن الآية لا يمكن أن يستدل بها على شيء غير الرجال المقاتلين لقصر نفي الرق الذي زعمه على الرجال الذين أسروا في حال كونهم مقاتلين. ولو قصره على هؤلاء لم يمكنه أن يقول بنفي الرق من أصله كما ترى.

الوجه الثاني: هو ما قدمناه من الأدلة على ثبوت الرق في

الإسـلام[1]، ويقول الدكتور محمد البهى: (وشأن إلغاء الرق في اتفاق دولي شأن إلغاء عقوبة الإعدام على القتل العمد أو عقوبة الزنا عند رضاء الزاني والزانية أو عقوبة قطع اليد عند سرقة النصاب من محرز عند بعض الدول فإلغاء الدول لإحدى هذه العقوبات أو جميعهـا لا يعيب تقديـر الإسلام لعقوبات هذه الجرائم)[2].

قلت: وما قاله البهى فهو الصواب فإن الله قد أباح الرق باتفاق علماء المسلمين كما تقدم ولم يعلل إباحته للرق بأنه معاملة بالمثل كما يقول بعض المفترين ولا لأجل ظروف معينة بل أباحه إباحة عامة وتوفي الرسول ﷺ وحكم الرق الإباحة وسار المسلمون على هذا ثلاثة عشر قرناً، فما الذي نسخ حكم الإباحة إلى التحريم! إن تحريم ما أحل الله كتحليل ما حرم الله والذين يحرمون الرق هم كالذين يحرمون الطيبات من اللحم وسائر المطعومات ـ نسأل الله أن يرد المسلمين إلى دينهم وأن يزيل عن أعينهم الانبهار بما عند الكفار من نظم ومعامـلات وأن يرزقهم اليقين والاطمئنان بما شرع الله لهم من أحكام وأنظمة[3].

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٤٢٠ .

(٢) الإسلام والرق للبهي ص ٢١ .

(٣) انظر الفقرة السابعة من هذا الباب (حكم الأسرى) ففيها مزيد إيضاح حول هذا الموضوع .

٦ ـ حكم الجزية

من الأحكام التي يتململ تلاميذ الاستشراق والاستعمار ومن تأثر بهم من وجودها في القرآن والسنّة وكتب الفقه ـ وإن لم توجد الآن في الواقع المعاش ـ حكم الجزية فهي عندهم كالرق يعتذرون عن رب العالمين في تشريعه لها ويذهبون في الاعتذار مذاهب شتى فمنهم من يقول إن الجزية نظام قديم والإسلام هذبه ونظمه ومنهم من يقول إنها بدل الخدمة العسكرية فإذا دخل أهل الذمة في الجيش الإسلامي فلا جزية ومنهم من يقول إنها لأجل انتفاع أهل الذمة بالمرافق العامة ومنهم من يقول يدفعها الكافر لأجل ولائه[1]. وهذه الأقاويل التي ينشرها أبناء المسلمين عن الجزية أخذوها عن المستشرقين حرفياً ولم يأخذوها من الكتاب والسنّة فاستمع إلى المستشرق توماس أرنولد إذ يقول عن الجزية (لم يكن الغرض من فرض الجزية على أهل الذمة كما يريدنا بعض الباحثين على الظن لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام وإنما كانوا يؤدونها مع سائر

(١) انظر هذه الأقاويل في كتاب الجزية في الإسلام للدكتور محمد يوسف النجرامي ص ٥٧ ـ ٥٨ ، وكتاب حرية الاعتقاد لجمال البنا ص ٨٦ ، وكتاب غير المسلم في المجتمع الإسلامي للدكتور يوسف القرضاوي ص ٣٣ . وكتاب العلاقات الدولية في الإسلام للدقس ص ٢٩٦ ، وكتاب شريعة القتال لعثمان الشرقاوي ص ٤٢ .

أهل الذمة وهم غير المسلمين من رعايا الدولة التي كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش في مقابل الحماية التي كفلتها لهم الدولة الإسلامية)[1]، ويقول أيضاً: (وقد فرضت الجزية على القادرين من الذكور بمقابل الخدمة العسكرية التي كانوا يطالبون بأدائها، ومن الواضح أن أية جماعة مسيحية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي)[2] ويقول جرجي زيدان: (الجزية ليست من محدثات الإسلام بل وضعها الرومان على الأمم التي أخضعوها وكانت أكثر كثيراً مما وضعه المسلمون بعدئذٍ)[3].

أما الجزية عند علماء الإسلام فلها شأن آخر على رغم أنوف المستشرقين وأذنابهم من أبناء المسلمين، يقول ابن حجر:(قال العلماء الحكمة في وضع الجزية أن الذل الذي يلحقهم يحملهم على الدخول في الإسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الاطلاع على محاسن الإسلام)[4]، وقال البخاري: وهم صاغرون يعني أذلاء وقال الشافعي: المراد بالصغار التزام حكم الإسلام؛ يقول ابن حجر مفسراً لكلام الشافعي: وهو يرجع إلى التفسير اللغوي لأن الحكم على الشخص بما لا يعتقده ويضطر إلى احتماله يستلزم الذل[5]، وقال ابن القيم:(فالجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً . . .

واختلف الناس في تفسير الصغار الذي يكونون عليه وقت أداء الجزية فقال عكرمة: أن يدفعها وهو قائم ويكون الآخذ جالساً. وقالت طائفة

---

(١) الدعوة إلى الإسلام لأرنولد ص ٧٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٥٤ .
(٣) تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ص ١٦٩ .
(٤) فتح الباري لابن حجر ٦/١٨٣ .
(٥) المصدر السابق .

أن يأتي بها بنفسه ماشياً لا راكباً ويطال وقوفه عند إتيانه بها ويجر إلى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف ثم تجرّ يده ويمتهن ، وهذا كله مما لا دليل عليه ولا هـو مقتضى الآية ولا نقـل عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك ،والصواب في الآيـة أن الصغار هـو التزامهم لجريان أحكام الملة عليهم وإعطاء الجزية فإن التزام ذلك هو الصغار ، وقد قال الإمام أحمد في رواية حنبل كانوا يجرون في أيديهم ويختعمون في أعناقهم إذا لم يؤدوا الصغار الذي قال الله تعالى : ﴿وهم صاغرون﴾ وهذا يدل على أن الذمي إذا بذل ما عليه والتزم الصغار لم يحتج إلى أن يجر بيده ويضرب . وقد قال في رواية مهنا بن يحيى : يستحب أن يتعبوا في الجزية قال القاضي: ولم يرد تعذيبهم ولا تكليفهم فوق طاقتهم وإنما أراد الاستخفاف بهم وإذلالهم .

قلت : ـ القائل ابن القيم ـ لما كانت يد المعطي العليا ويد الآخذ السفلى احترز الأئمة أن يكون الأمر كذلك في الجزية وأخذوها على وجه تكون يد المعطي السفلى ويد الآخذ العليا ، قال القاضي أبو يعلى : وفي هذا دلالة على أن هؤلاء النصارى الذين يتولون أعمال السلطان ويظهر منهم الظلم والاستعلاء على المسلمين وأخذ الضرائب لا ذمة لهم وأن دمائهم مباحة لأن الله تعالى وصفهم بإعطاء الجزية على وجه الصغار والذل . وهذا الذي استنبطه القاضي من أصح الاستنباط فإن الله سبحانه وتعالى مد القتال إلى غاية وهي إعطاء الجزية مع الصغار فإذا كانت حالة النصراني وغيره من أهل الجزية منافية للذل والصغار فلا عصمة لدمه ولا ماله وليست له ذمة ومن ها هنا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الشروط التي فيها صغارهم وإذلالهم وأنهم متى خرجوا عن شيء منها فلا عهد لهم ولا ذمة وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل الشقاق والمعاندة)[1] .

(١) أحكام الذمة لابن القيم: ١/ ٢٣ ـ ٢٥.

ولقد عجبت من الشيخ أبي الأعلى المودودي رحمه الله أشد العجب عندما قرر أن لأهل الذمة انتقاد الدين الإسلامي مثل ما للمسلمين نقد مذاهبهم ونحلهم وأن لهم حرية الخطابة والكتابة ونحو ذلك[1] مع ما هو معروف عنه رحمه الله من ابتعاد عن حبائل الاستشراق والاستعمار ولكن العصمة لمن عصم الله. ولم يكن المسلمون ليرضوا من أهل الذمة القدح في الإسلام وتشويه معالمه وبلبلة أفكار المسلمين ومن اطلع على الشروط العمرية التي تلقتها الأمة الإسلامية بالقبول - وهي سنة خليفة راشد بار - عرف قدر أهل الذمة ومكانتهم في المجتمع الإسلامي قبل استئسادهم بسبب انحراف المسلمين عن دينهم حتى أصبح حال المسلمين اليوم عند الأمم الكافرة أشبه بحال أهل الذمة قديماً عند الأمة الإسلامية بل أنكى وأشد . وها هي ذي الشروط العمرية المبينة للصغار الذي ألزم به أهل الذمة حتى يسلموا قال ابن القيم : «قال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثني شرحبيل الحمصي عيسى بن خالد قال حدثني عمر أبو اليمان وأبو المغيرة قالا أخبرنا اسماعيل بن عياش قال حدثنا غير واحد من أهل العلم قالوا :كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غنم :(إنا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا على أنا شرطنا لك على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا فيما حولها ديراً ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ولا ما كان منها في خطط المسلمين وألا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين وألا نضرب بنواقيسنا إلا ضرباً خفياً في جوف كنائسنا ولا نظهر عليها صليباً ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون ولا نخرج صليباً ولا كتاباً في سوق المسلمين ولا

---

(١) انظر كتاب أبي الأعلى المودودي (حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية ص ٣٣).

نخرج باعوثاً ـ قال والباعوث ـ يجتمعون كما يخرج المسلمون يوم الأضحى والفطر ـ ولا شعانين ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين ولا نجاورهم بالخنازير ولا نبيع الخمور ولا نظهر شركاً ولا نرغِّب في ديننا ولا ندعوا إليه أحداً[1] . ولا نتخذ شيئاً من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين وألا نمنع أحداً من أقربائنا أرادوا الدخول في الإسلام وأن نلزم زينا حيثما كنا وألا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتني بكناهم وأن نجز مقادم رؤوسنا ولا نفرق نواصينا ونشد الزنانير على أوساطنا ولا ننقش خواتمنا بالعربية ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله ولا نتقلد السيوف وأن نوقر المسلمين في مجالسهم ونرشدهم الطريق ونقوم لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس ولا نطلع عليهم في منازلهم ولا نعلم أولادنا القرآن ولا يشارك أحد منا مسلماً في تجارة إلا أن يكون إلى المسلم أمر التجارة وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوسط ما نجد. ضمنا لك ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما شرطنا على أنفسنا وقبلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق) فكتب بذلك عبد الرحمن بن غنم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب إليه عمر (أن أمض لهم ما سألوا وألحق فيهمْ حرفين اشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم : ألا يشتروا من سبايانا، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده) فأنفذ عبد الرحمن بن غنم ذلك وأقر من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط . . وشهرة هذه الشروط

---

(١) قارن بين هذا وبين ما قاله المودودي من السماح لأهل الذمة بالقدح في الإسلام وحرية الكتابة والخطابة كما تقدم . إنها زلة عظيمة وغلطة فاحشة فعلى شباب الحركة الإسلامية ألا يتابعوه في هذا الخطأ فالحق أحق أن يتبع .

تغني عن إسنادها ، فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم وقد أنفذها بعد الخلفاء وعملوا بموجبها . . وذكر ابن المبارك عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن علياً رضي الله عنه قال لأهل نجران: إن عمر كان رشيد الأمر ولن أغير شيئاً صنعه عمر ، وقال الشعبي: قال علي حين قدم الكوفة: ما جئت لأحل عقدة شدها عمر)[1] .

---

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم ٢/٦٥٩ ـ ٦٦٤ .

٧ ـ حكم الأسرى

تنص لائحة الحرب البرية التي وقعت سنة ١٩٠٧ م والتي وافقت معظم الدول على مضمونها في معاهدة جنيف الموقعة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩ م على أنه لا يجوز قتل المقاتلين الذين يلقون بسلاحهم ويرضخون للعدو أو يستسلمون له ولا يقاومون أخذهم أسرى حرب،وبأن المبالغ النقدية والأشياء النفيسة التي يحملها الأسير لا تعد من غنائم الحرب إذ تلتزم الدولة الآسرة بردها عند انتهاء حالة الأسر إلى غير ذلك من التشريعات الجاهلية(١) .

وقد أفزع تلاميذ الاستشراق والاستعمار ومن تأثر بهم مخالفة أحكام الأسرى في الإسلام لتلك التشريعات الصادرة من الدول المتحضرة على زعمهم والتي يفترضون في تشريعاتها منتهى الرقي والتقدم فانقسموا حيال أحكام الأسرى في الإسلام قسمين : ـ

قسم طعن في أحكام الإسلام صراحة وهذا أخف ضرراً لأنه مكشوف للمسلمين الذين يحبون الله ورسوله ﷺ،وقسم تلون كما تتلون الحرباء وحرف الكلم عن مواضعه ليطوع أحكام الإسلام حتى توافق

(١) انظر هذه التشريعات المخالفة للكتاب والسنة في كتاب أسرى الحرب لعبد الواحد الفار وكتاب القانون الدولي العام لأبي هيف ص ٨١٨ وما بعدها.

التشريعات الجاهلية الحديثة التي يراها التلاميذ بعين الإعجاب والرضا وهذه أمثلة من القسمين : ـ

القسم الأول : يقول الدكتور علي صادق أبو هيف :(كانت الهمجية في العصور الأولى تدفع الدول المتحاربة إلى قتل الأسرى ثم رؤي بعد ذلك الانتفاع بهم فحل الاسترقاق محل القتل ثم أصبح يمكن افتداء الأسرى بالمال واستمر التطور تحت تأثير فكرة الإنسانية والشرف حتى انتهى إلى إقرار الاكتفاء بحجز الأسرى أو وضعهم تحت المراقبة مع العناية بهم حتى يتقرر الإفراج عنهم في نهاية الحرب وتخضع معاملة أسرى الحرب في الوقت الحالي للقواعد التي وضعتها لائحة لاهاي للحرب البرية (المواد ٤ ـ ٢٠) ولاتفاقية جنيف المبرمة في ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ م بشأن معاملة الأسرى)[١] ، فانظر أيها القارىء الكريم كيف جعل هذا المأفون من يقتل الأسير أو يسترقه تدفعه الهمجية ولا شك أن الرسول ﷺ قتل بعض الأسرى واسترق بعضاً قطعاً فأين يذهب هذا الكاتب من الله عز وجل بعد أن يصف رسوله بأنه تدفعه الهمجية ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾[٢] .

ويقول الدكتور محمد عبد الجواد محمد :(فنحن نرى أن الرق قد أصبح حراماً بعد أن وافقت الدول جميعها على إلغائه . . ويمكن اعتبار نظام الرق في الإسلام كنظام المؤلفة قلوبهم وقد اختفى النظامان إلى غير رجعة)[٣] .

قلت : هل إذا اجتمعت الدول على تحريم شيء أو تحليله يكون فعلها حجة على الإسلام ؟!

---

(١) القانون الدولي العام لأبي هيف ص ٨١٨ .

(٢) الكهف آية ٥ .

(٣) التطور التشريعي في المملكة للدكتور محمد عبد الجواد ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

إن الدول اليوم اجتمعت على إباحة الربا والمعازف وتكاد تجمع على إسقاط القصاص وسائر الحدود فهل يحل الربا لاجتماع الدول عليه ؟!!!

وأما تمني الكاتب أن يختفي نظام الرق والمؤلفة قلوبهم إلى غير رجعة فقد أخبرنا الصادق المعصوم ﷺ بأن الجهاد ماض الى يوم القيامة وما بقي الجهاد فسوف تبقى أحكامه .

أما القسم الثاني فما أكثرهم ! ومنهم الدكتور عبد الواحد الفار حيث يقول ـ بعد تأويلات باردة لقتل الرسول ﷺ لبني قريظة منها أنهم بغاة، أو أنه شرع في حقهم حكم خاص استثناءً من القاعدة العامة ـ :(ومن هذا العرض يظهر لنا أن قتل الأسرى في الفقه الإسلامي أقرب إلى التحريم منه إلى الإباحة)(١) وهذا العرض الذي ذكره الدكتور إن دل على شيء فإنما يدل على فهمه الدقيق للقانون الوضعي وجهله الشديد بالشريعة الإسلامية!!! ومنهم الدكتور وهبة الزحيلي حيث يقول :(الثابت من فعل الرسول ﷺ أنه كان يمن على بعض الأسارى ويقتل بعضهم ويفادي بعضهم بالمال أو بالأسرى وذلك حسب ما تقتضيه المصلحة العامة ويراه ملائماً لحال المسلمين فهل كان ذلك الفعل تشريعاً دائماً أم هو من قبيل الأحكام التي تتغير بتغير الزمان والمكان)(٢) يا سبحان الله! ألا يعرف الدكتور أن تشريعات الرسول ﷺ إذا مات قبل أن تنسخ فإنها دائمة إلى يوم القيامة؟ وهل يعقل أن تصبح الخمر في يوم من الأيام حلالاً بعد أن كانت في عهده ﷺ حراماً؟ إن قصد المؤلف من قوله هذا هو التمهيد للانقضاض على أحكام الأسرى وقد فعل فاستمع إليه وهو يقول : (إذن فقتل الأسرى في الإسلام

---

(١) أسرى الحرب للفار ص ١٩١ .

(٢) آثار الحرب للزحيلي ص ٤٢٠ .

أقرب إلى التحريم منه إلى الإباحة)[1] وانظر إلى التناقض في قوله هذا وقوله السابق :(الثابت من فعل الرسول ﷺ أنه كان يمن على بعض الأسارى ويقتل بعضهم) ، ويقول أيضاً :(بما أنه لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة على إباحة الرقيق . . .)[2] يا سبحان الله ألم يطلع المؤلف على ما في صحيح البخاري باب بيع الرقيق وما أورد تحت هذا الباب من أحاديث !! إذا لم يكن الرقيق مباحاً فهل يظن أن الصحابة كانوا يبيعون محرماً ويأكلون ثمنه والرسول ﷺ يقول: إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه. قلت ودلالة القرآن على إباحته صريحة في آيات كثيرة معبر عنه « بملك اليمين » .

ويبدو لي أن القضية ليست قضية أدلة شرعية التبست على هؤلاء القوم وإنما هي قضية أهواء وأغراض وإعجاب بما شرعه الكفار نسأل الله جلت قدرته أن يعافينا مما ابتلاهم به .

ومنهم عفيف عبد الفتاح طبارة حيث أجهد نفسه في كتابه روح الدين الإسلامي لأجل أن يجعل الإسلام يوافق التشريعات الحديثة التي اتفقت عليها الدول المتحضرة !! فبين في كتابه أن القانون الدولي يمنع الإجهاز على الجرحى ، وقرر قواعد حسن معاملة الأسرى وعدم مسهم بأذى فلا يجوز قتلهم ولا جرحهم ولا إساءة معاملتهم أو تحقيرهم إذا سلموا أنفسهم أو صودرت حريتهم ثم قرر بعد ذلك أن الإسلام يوافق على هذه التشريعات)[3] ، كأنني بهذا الكاتب وأمثاله يقولون بعد جهدهم هذا هل تستطيعون أيها الغربيون أن تتهموا الإسلام بالرجعية والجمود والهمجية والتخلف وهو يوافقكم في أغلب تشريعاتكم !! وقد يكون دافع بعضهم

---

(١) المصدر السابق ص ٤٤٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤٤ .

(٣) انظر كتاب روح الدين الإسلامي لطبارة ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

الإخلاص وإظهار الإسلام بالمظهر اللائق أمام الأعداء . ولكن ألا يعلمون أن الإسلام يخالف تلك الدول (المتحضرة) ، فيما هو أكبر من التشريعات؟ إنه يخالفهم في توحيد الألوهية فالإله الحق المعبود المشرع المطاع عند المسلم هو الله ، وعند الدول ـ المتحضرة ـ مجلس النواب ومجلس الشيوخ هما الإلهان الحاكمان المشرعان لأغلب الأنظمة والقوانين. وهناك آلهة متعددة تحكم حياة الدول المتحضرة ليس الله « عز وجل » من بينها في أغلب الأحيان . فأي خدمة قدمت للإسلام إذا كان غاية ما يريد أن يصل إليه بعض ذراري المسلمين أن يجعلوا تشريعات البشر الجاهلية كتشريع الله : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وبعض الكتاب من أبناء المسلمين يحاولون أن يجعلوا الإسلام يقرب من تشريعات الدول المتحضرة تفادياً لهجوم تلك الدول على تشريعات الإسلام ولكي يرضوا عنهم ولكن ينبغي لهم ألا يتعبوا أنفسهم فلن يرضوا عن المسلمين حتى يوافقوهم في كل شيء ويجعلوا لهم أرباباً من دون الله تشرع الأنظمة والقوانين . وقد فعل معظم المسلمين ذلك لأجل كسب رضا تلك الدول والبقية في الطريق : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾[1] نسأل الله العلي القدير أن يرد المسلمين إلى دينهم رداً حميداً .

ومنهم توفيق علي وهبة حيث يقول: (ونهى الإسلام عن قتل الأسرى والانتقام منهم أو تعذيبهم وإنما يحجزون حتى لا يقاتلوا المسلمين في صفوف المشركين وبعد أن ينتهي الحرب فلولي الأمر أن يتصرف فيهم بأحد أمرين أولهما المنّ . . . ثانيهما الفداء. ولم يفرض الإسلام استرقاق الأسرى فلم ينشىء النبي ﷺ الرق على حر أبداً ولكنه حرر ما كان عنده من رقيق في الجاهلية كما أعتق كل رقيق أهدى إليه فالقرآن لم يفرض الرق ولم ينه عنه ولكن ترك ذلك دون أمر وكذا النبي ﷺ لم يقر استرقاق الأسرى وإن كان

---

(١) سورة البقرة ١٢٠ .

لم يمنعه ولذلك نجد أن الخلفاء الراشدين وبعض حكام المسلمين من بعدهم استرقوا الأسرى وذلك من قبل المعاملة بالمثل فإذا كان المشركون يسترقون أسرى المسلمين أبيح للمسلمين استرقاق أسراهم معاملة بالمثل ويحرم استرقاق الأعداء إذا لم يسترقوا أسرى المسلمين. هذا موقف الإسلام من الأسرى يعاملهم معاملة إنسانية رقيقة .. لا يعذبهم ولا يقتلهم ولا يسترقهم)[1] ، ومما يلاحظ على هذا الكلام من هذا الكاتب التناقض الفاضح فقد قال (ولم ينه عنه) أي عن الرق ثم يقول هو (ويحرم استرقاق الأعداء إذا لم يسترقوا) والتحريم حكم شرعي فما هو دليله عليه وكذلك قوله عن الرسول ﷺ «لم يقر استرقاق الأسرى وإن كان لم يمنعه» فإذا لم يمنعه فهو مقر له فإذا بلغ الرسول ﷺ أمر فعله المسلمون فلم ينكره فهو إقرار منه ﷺ وهو لا يقرّ باطلاً وخلاصة الكلام أن ما ذكره هذا الكاتب وأمثاله يشتمل على الكذب على رسول الله ﷺ وعلى الإسلام وذلك لما يلي : -

أولاً : ثبت بالأدلة القطعية أن الرسول ﷺ أمر بقتل بعض الأسرى كما في موقعة بدر وغيرها .

ثانياً : ثبت بالأدلة الصحيحة أن الرسول ﷺ أقرّ استرقاق الأسرى كما في غزوة بني المصطلق وحنين وغير ذلك .

ثالثاً : التعليل بأن الاسترقاق لا يكون إلا معاملة بالمثل من عند الكاتب وحزبه ولم يرد عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أتباع التابعين ولا غيرهم من علماء الإسلام ولم يوجد في كتب علماء الإسلام هذا التعليل قبل القرن الثاني عشر الهجري فمن أين لهذا الكاتب ذلك التعليل؟ ولماذا لا يطبق تعليله على الغنيمة مثلاً فيقول: إذا

---

(١) الجهاد في الإسلام لتوفيق علي وهبة ص ١١٥ - ١١٧ .

أخذوا أموالنا أخذنا أموالهم وإذا لم يأخذوا أموالنا يحرم أخذ أموالهم؟ وما رأى الكاتب في النظام الدولي الذي يحرم أخذ ما يملكه الأسير من أشياء نفيسة؟! هل يوافقهم على ذلك أم يجعل ما يملكه الأسير من باب الغنيمة؟!

رابعاً : قول هؤلاء المفتونين: إن الإسلام لم يوجب الرق ولا قتل الأسرى لا ينفعهم فيما ذهبوا إليه من تحريم الرق وتحريم قتل الأسرى فإن الإباحة حكم شرعي وما أباحه الإسلام لا يحل لعبد يؤمن بالله والدار الآخرة أن يحرمه ومن حرم ما أباح الله من عند نفسه فقد نصب نفسه ربا من دون الله يشرع للناس الأحكام وهل كفر أتباع الأحبار والرهبان إلا لأجل متابعتهم على التحليل والتحريم الذي هو من خصائص الله فمن أعطى حق التحليل والتحريم لأحد غير الله وغير رسله فقد عبده من دون الله . ولو طردنا قياس قولهم لجاز للمسلمين أن يتفقوا على تحريم اللبن واللحم ونحو ذلك فإن الله أباح أكلها ولم يوجبه !!

خامساً : أما قولهم إن الرسول ﷺ وجد الرق نظاماً عالمياً فلم يستطع أن يغيره في الحال فهو قول بلا برهان فلم يقل الرسول ﷺ للصحابة إننا لا نستطيع إلغاء الرق الآن فإذا سمحت الظروف فألغوه والرسول ﷺ وجد الشرك نظاماً عالمياً فغيره فهل يتصور أن يغير الرسول ﷺ الشرك ويعجز عن تغيير نظام الرق ثم إن الرسول ﷺ لم يمت إلا بعد أن أكمل الله به الدين ومن زعم أن الرق وقتل الأسرى استمر مباحاً بعد وفاة الرسول ﷺ ثم حرم بعد ذلك فقد زعم بأن الرسول ﷺ توفي وما كمل الدين. وإن زعم أنه حرم ذلك في حياته فقد اتهم الصحابة بما فيهم الخلفاء الراشدين الأربعة بالإجماع على مخالفة أمر الرسول ﷺ وهذا من أقبح القول وأخبثه

وإليك أيها القارىء الكريم أقوال علماء الإسلام في أسرى الحرب: -

قال أبو بكر الجصاص:(اتفق فقهاء الأمصار على جواز قتل الأسير لا نعلم بينهم خلافاً فيه وقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في قتله الأسير منها قتله عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث بعد الأسر يوم بدر وقتل يوم أحد أبا عزة الشاعر بعد ما أسر وقتل بني قريظة بعد نزولهم على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بالقتل وسبي الذرية ومنّ على الزبير بن باطا من بينهم وفتح خيبر بعضها صلحاً وبعضها عنوة وشرط على ابن أبي الحقيق أن لا يكتم شيئاً فلما ظهر على خيانته وكتمانه قتله وفتح مكة وأمر بقتل هلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وآخرين وقال اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة ومنّ على أهل مكة ولم يغنم أموالهم وروي عن صالح بن كيسان عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن عوف أنه سمع أبا بكر الصديق يقول وددت أني يوم أتيت بالفجاءة لم أكن حرقته وكنت قتلته سريحاً أو أطلقته نجيحاً وعن أبي موسى أنه قتل دهقان السويس بعدما أعطاه الأمان على قوم سماهم ونسي نفسه فلم يدخلها في الأمان فقتله فهذه آثار متواترة عن النبي ﷺ وعن الصحابة في جواز قتل الأسير وفي استبقائه واتفق فقهاء الأمصار على ذلك)[1].

وقال السيوطي (وأخرج عبد الرزاق في المصنف وابن المنذر وابن مردويه عن ليث رضي الله عنه قال: قلت لمجاهد بلغني أن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا يحل قتل الأسارى لأن الله تعالى قال فإما مناً بعد وإما فداء فقال مجاهد لا تعبأ بهذا شيئاً أدركت أصحاب رسول الله ﷺ وكلهم ينكر هذا ويقول هذه منسوخة إنما كانت في الهدنة التي كانت بين

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/٣٩١ .

رسول الله ﷺ وبين المشركين فأما اليوم فلا ، يقول الله: ﴿اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾، ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ فإن كانوا من مشركي العرب لم يقبل منهم شيء إلا الإسلام فإن لم يسلموا فالقتل وأما من سواهم فإنهم إذا أسروا فالمسلمون فيهم بالخيار إن شاءوا قتلوهم وإن شاءوا استحيوهم وإن شاءوا فادوهم إذا لم يتحولوا عن دينهم فإن أظهروا الإسلام لم يفادوا،ونهى رسول الله ﷺ عن قتل الصغير والمرأة والشيخ الفاني)[1] ، وقال الشوكاني : (والحاصل أنه قد ثبت في جنس أسارى الكفار جواز القتل والمن والفداء والاسترقاق فمن ادعى أن بعض هذه الأمور يختص ببعض الكفار دون بعض لم يقبل منه ذلك إلا بدليل ناهض يخصص العمومات)[2] .

وقال ابن قدامة :(من أسر من أهل الحرب على ثلاثة : أحدها : النساء والصبيان فلا يجوز قتلهم ويصيرون رقيقاً للمسلمين بنفس السبي لأن النبي ﷺ « نهى عن قتل النساء والولدان » متفق عليه ، وكان عليه السلام يسترقهم إذا سباهم .

الثاني : الرجال من أهل الكتاب والمجوس الذين يقرون بالجزية فيخير الإمام فيهم بين أربعة أشياء القتل والمن بغير عوض والمفاداة بهم واسترقاقهم .

الثالث : الرجال من عبدة الأوثان وغيرهم ممن لا يقر بالجزية فيتخير الإمام فيهم بين ثلاثة أشياء القتل أو المن أو المفاداة ولا يجوز استرقاقهم . وعن أحمد جواز استرقاقهم وهو مذهب الشافعي. وبما ذكرنا في أهل الكتاب قال الأوزاعي والشافعي وأبو ثور وعن مالك كمذهبنا وعنه لا يجوز المن بغير عوض لأنه لا مصلحة فيه وإنما يجوز للإمام فعل ما فيه

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ٦/٤٦ .

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ٨/٨ .

المصلحة،وحكى عن الحسن وعطاء وسعيد بن جبير كراهة قتل الأسرى وقالوا:لو منّ عليه أو فاداه كما صنع بأسارى بدر ولأن الله تعالى قال: ﴿فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء﴾ فخير بين هذين بعد الأسر لا غير، وقال أصحاب الرأي: إن شاء ضرب أعناقهم وإن شاء استرقهم لا غير ولا يجوز منّ ولا فداء لأن الله تعالى قال: ﴿اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ بعد قوله: ﴿فإما مناً بعد وإما فداء﴾ وكان عمر بن عبد العزيز وعياض بن عقبة يقتلان الأسارى ولنا على جواز المن والفداء قول الله تعالى: ﴿فإما منّاً بعد وإما فداء﴾ وأن النبي ﷺ منّ على ثمامة بن أثال وأبي عزة الشاعر[1] وأبي العاص ابن الربيع وقال في أسارى بدر لو كان مطعم بن عدي حياً ثم سألني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له. وفادى أسارى بدر وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً كل رجل منهم بأربعمائة وفادى يوم بدر رجلاً برجلين وصاحب العضباء برجلين، وأما القتل فلأن النبي ﷺ قتل رجال بني قريظة وهم بين الستمائة والسبعمائة ـ وقتل يوم بدر النضر ابن الحارث وعقبة بن أبي معيط صبراً وقتل أبا عزة يوم أحد وهذه قصص عمت واشتهرت وفعلها النبي ﷺ مرات وهو دليل على جوازها ولأن كل خصلة من هذه الخصال قد تكون أصلح في بعض الأسرى فإن منهم من له قوة ونكاية في المسلمين وبقاؤه ضرر عليهم فقتله أصلح ومنهم الضعيف الذي له مال كثير ففداؤه أصلح ومنهم حسن الرأي في المسلمين يرجى إسلامه بالمن عليه أو معونته للمسلمين بتخليص أسراهم والدفع عنهم فالمن عليه أصلح ومنهم من ينتفع بخدمته ويؤمن شره فاسترقاقه أصلح كالنساء والصبيان،والإمام أعلم بالمصلحة فينبغي أن يفوض ذلك إليه وقوله تعالى: ﴿اقتلوا المشركين﴾ عام لا ينسخ به الخاص بل ينزل على ما عدا المخصوص ولهذا لم يحرموا استرقاقه فأما عبدة الأوثان ففي استرقاقهم روايتان؛ إحداهما: لا يجوز وهو مذهب الشافعي وقال أبو حنيفة يجوز

(١) منّ عليه في المرة الأولى وقتله في المرة الثانية.

في العجم دون العرب بناء على قوله في أخذ الجزية. ولنا أنه كافر لا يقر بالجزية فلم يقر بالاسترقاق كالمرتد وقد ذكرنا الدليل عليه إذا ثبت هذا فإن هذا تخيير مصلحة واجتهاد لا تخيير شهوة فمتى رأى المصلحة في خصلة من هذه الخصال تعينت عليه ولم يجز العدول عنها ومتى تردد فيها فالقتل أولى قال مجاهد في أميرين أحدهما يقتل الأسرى «وهو أفضل» وكذلك قال مالك وقال إسحاق الأثخان أحب إلى أن يكون معروفاً يطمع به في الكثير. وإن أسلم الأسير صار رقيقاً في الحال وزال التخيير وصار حكمه حكم النساء)[1].

هذه أقوال علماء الإسلام في أحكام الأسرى المبنية على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة فأين أقوال تلاميذ الاستشراق والاستعمار من بينها.

---

(١) المغني لابن قدامة ٨/٣٧٢ - ٣٧٤.

٨ ـ الدعوة إلى القومية

الدعوة إلى القومية ينفخ في نارها تلاميذ الاستشراق والاستعمار وهي دعوة هدامة خبيثة تفرغ الجهاد الإسلامي من محتواه وذلك لأنه من المتفق عليه بين الأمة الاسلامية أن القتال لا يكون جهاداً إلا إذا كان لإعلاء كلمة الله وكان تحت راية الإسلام ، أما إذا كان لغير إعلاء كلمة الله فهو جهاد في سبيل الطاغوت ، قال ﷺ : « من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية »[1] ، وقال ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله »[2] .

وفي حركة الغزو الرهيبة المنظمة على العالم الإسلامي أراد الكفار أن ينصبوا لأبناء المسلمين رايات يتكتلون تحتها بدلاً من الراية الإسلامية وكان من تلك الرايات راية القومية العربية فأصبح من تأثر بالكفار من أبناء المسلمين يوالون لأجلها ويعادون لأجلها ويقاتلون لأجلها ويسالمون لأجلها في حين أنهم لا يوالون لأجل الإسلام ولا يعادون لأجله ولا يقاتلون لأجله وبهذا العمل الخبيث استطاع أعداء الله صرف المفهوم الحقيقي للجهاد الاسلامي عن وجهته في أذهان أبناء المسلمين بل صرف كثير من أبناء

---

(١) صحيح مسلم مع النووي ٢٣٨/١٢ والعمية هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه .
(٢) صحيح مسلم مع النووي ٤٩/١٢ .

المسلمين عن دينهم بأكمله ، يقول كاسترو للسفير الإسرائيلي في بلاده « كوبا »:(على إسرائيل ألا تترك الحركة الفدائية تتخذ طابعاً إسلامياً دينياً حتى لا يجعل من حركتهم شعلة من نار الحماس الديني مما يجعل من المستحيل على إسرائيل أن تصون كيانها لأن الفداء إذا تملكته عقيدة دينية وبخاصة في المجتمعات الإسلامية تلاشت أمامه كل العقائد الأخرى بما فيها الماركسية)[1] .

ومن يطلع على نشأة القومية العربية والعوامل المؤثرة في نشأتها وعلى تصريح دعاتها يدرك خطورة الكيد الذي يمارس لتحريف دين المسلمين كما حرفت اليهودية والنصرانية من قبل وإليك أيها القارىء الكريم موجزاً عن ذلك كتبه بعض علماء المسلمين المشهود لهم بالصدق والنزاهة وسعة الاطلاع على تاريخ تلك الفترة التي نشأت فيها القومية العربية ؛يقول أبو الحسن الندوي ـ شارحاً الأسباب التي أدت إلى ظهور القومية العربية وموضحاً عقيدة القوميين وموقفهم من الدين الإسلامي ـ : (.. وبقي العرب يعيشون بالإسلام وللإسلام،وبقي تاريخ كل منهما متصلاً بتاريخ الآخر متداخلاً بعضه في بعض،وبقي الوضع هكذا إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وقد بدت في الأتراك ـ الذين كانوا يحكمون الشام والعراق والحجاز ـ الكبرياء القومية وبدأ كثير من حكامهم يعاملون الشعوب العربية واللغة العربية معاملة تشبه أحياناً كثيرة معاملة المستعمر للمستعمر وبدت منهم القسوة والجفاف والغطرسة في مناسبات كثيرة رغم إغداقهم الأموال الكثيرة على الحجاز وتقديس الحرمين الشريفين ومن يسكنهما ورغم النظر إلى الشعب العربي نظر إجلال ديني وروحي ولم يظهر منهم من التسامح وسعة النظر ورقة الذوق واحترام حرية الرأي وتشجيع الثقافة والميول والرغبات البريئة في الشعوب العربية ما كان يتوقع من شعب حاكم يعيش في هذا العصر القلق المتطور وما كان يستحقه

---

(١) الإسلام والحضارة الإنسانية لمحمد خفاجي ص ٢٢٠ .

العرب بصفة خاصة كشعب ممتاز وكشعب كان مصدر الدعوة الإسلامية .

وحاول بعض حكامهم السفهاء الغلاظ القضاء على الشخصية العربية . كل ذلك أثار في العرب النقمة والنخوة العربية وفي لفظ مؤلف قومي عربي : (الوجدان القومي العربي بدأ يستيقظ في نفوس أفراد من العرب في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وأول ما بدأ ذلك في ديار الشام . مهدداً بالقضاء على الحكم الأجنبي - التركي - يومئذ وعلى الإقليمية) وقد تزعم هذه الحركة وقادها بعض المسيحيين الذين لم تكن تربطهم بالأتراك رابطة العقيدة والدين المتينة ورابطة الإخاء الإسلامي وكانوا مثقفين الثقافة الغربية التي تقوم على تمجيد القومية وكان من زعمائها الأولين الدكتور فارس نمر والشيخ إبراهيم اليازجي والأستاذ نجيب العازوري اللبناني. ثم نشبت الحرب الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ م وسنحت للأقطار العربية فرصة الانشقاق على الإمبراطورية العثمانية وانتهز الحلفاء هذه الفرصة الذهبية فنفخوا في قربة القومية وقام لورانس الداهية بدوره فأشعل الحماس القومي وأثار العرب على الأتراك وثار الشريف حسين في الحجاز وأهل الشام في الشام وفضلوا الانضمام إلى راية الحلفاء الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ولا يراعون في مسلم عهداً ولا حرمة والذين كان يقودهم الإنجليز المجرمون الذين تلطخت أيديهم وتلوث تاريخهم بأبشع الإجرامات ضد الإسلام والمسلمين فضلوا كل ذلك على البقاء في جوار الأتراك المسلمين الذين رفعوا راية الإسلام في أوروبا خمسة قرون وأرهبوا أعداء الإسلام وكانوا على علاتهم رمز قوة الإسلام وشوكته وتناسوا نصوص القرآن والسنة القطعية التي تحرم موالاة أعداء الإسلام ضد المسلمين والقتال في صفهم واعتمدوا على الوعود الخلابة والسياسة المتقلبة[1] التي لا تعرف إلا المصلحة ولا تعبد إلا القوة وكان من قيام

(١) لا شك أن هذه صفة السياسة في الدول العلمانية التي تعتمد السياسة الميكافلية اللاأخلاقية .

الحكومة العربية الهاشمية في سورية ثم نقض الحلفاء للعهود وتجاهلهم لها بتاتاً وانهيار هذه الحكومة السريع ما علمه الجميع .

ثم جاء دور مفهوم القومية العربية التي هي فكرة مستقلة وفلسفة بذاتها لها كل ما للدين من حمية وحرارة وشعائر ومقدسات فخضع لها العرب المثقفون ـ خصوصاً الشباب ـ الذين ضعفت صلتهم بالدين لأسباب كثيرة ونشأت فيهم الرغبة الشديدة لنيل المجد والعظمة في أقرب وقت ومجاراة الشعوب الحرة الراقية في مضمار المدنية والتقدم ولم يجدوا لذلك سبيلاً ـ بزعمهم ـ إلا القومية العربية ونشأ فيهم اليأس والتذمر من الأوضاع القائمة واليأس من الأمم الغربية التي أوجدت إسرائيل ولا تزال تعطف عليها وتتبناها أكثر مما تعطف على قضية العرب . فالتجأوا إلى القومية العربية كرد فعل عنيف وثورة فكرية .

ولم يقفوا عند هذا الحد ولم يقتصروا على استخدام القومية للدفاع والتنظيم كما زعم كثير من دعاتها بل غلوا في تقديس القومية العربية والتغني بها وإنكار كل ما عداها وجعلوها عقيدة وديانة يتغنون بها ويحاربون كل ما سواها ويحتقرون شأن الدين ويقللون قيمته . يمثله خير تمثيل ما قاله أحد مفسري الفكرة القومية وبعض من كتب في قضية العرب في العصر الحديث يقول الكاتب وهو يعبر عن أفكار كثير من زملائه:(القضية العربية لن تكون أبداً عند العربي المؤمن الحر العاقل الشريف الصالح الخير الأبي المترفع إلا قضية إيمان؛إيمان بالوطن كقضية الإيمان بالله ليس غير). ويتكلم عن مهمة قضية العرب وأهدافها ، فيقول:(وتحارب الجهل والفقر والمرض والظلم وكل عصبية إلا عصبية القومية وتفصل الدين عن السياسة وتحرم على رجال الدين الاشتغال بها وتعلم العربي أينما كان أن يتعصب بعنف لأمرين:قوميته والحق).ويشرح الكاتب العروبة في بيان واضح ولفظ صريح فيقول : (العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين لأنها وجدت قبل الإسلام

وقبل المسيحية في هذه الحياة الدنيا مع دعوتها ـ أي العروبة ـ إلى أسمى ما في الأديان السماوية من أخلاق ومعاملات وفضائل وحسنات. ومما يدل على أن القومية العربية قد أصبحت في نظر كثير من دعاتها والمؤمنين بها ديانة إزاء ديانة، وعقيدة مقابل عقيدة؛ مقال لكاتب قومي آخر جاء في مجلة العربي عدد يناير ١٩٥٩ م : (ومن معانيه الأولى وحدة لكل من تسمى به من أهل هذه الأرض والوحدة العربية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين)، ويقول الكاتب الأديب المصري المشهور الأستاذ محمود تيمور: (لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة .. إن القومية العربية لهي نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي ورسالة هذه النبوة هي تجميع القوة وتكتيل الجبهة والانطلاقة بالطاقة البشرية في كيان المجتمع العربي نحو كسب الحياة، وإن كتاب العرب في أعناقهم أمانة هي أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة يزكونها بأقلامهم وينفخون فيها من أرواحهم ويعملون على أن تتكتل لها أسباب النماء والازدهار) . ويؤثرونها ويفضلونها على الوحدة الإسلامية ويرونها أسهل تحقيقاً وأقرب منالاً وأعظم قوة وأكثر انتشاراً؛ يقول الدكتور محمد أحمد خلف الله في مقاله: (القومية العربية كما ينبغي أن نفهمها): (إن الساسة اليوم ينادون بالقومية العربية؛ وتحقيق الوحدة العربية أقرب منالاً من تحقيق الوحدة الإسلامية . إن مصلحتنا اليوم في تحقيق هذا الهدف القريب ثم إن الفكرة العربية أكثر انتشاراً وأوسع نفوذاً من الفكرة الإسلامية؛ إنها تشمل سكان العالم العربي جميعاً ، أما الإسلام فلا يشمل هؤلاء السكان؛ لقد تعرب سكان هذه البلدة أجمعين ولم يسلموا أجمعين، إنه لا يزال منهم النصارى ولا يزال منهم اليهود) . . . ويقول عمر الفاخوري في كتاب له سماه (كيف ينهض العرب): (لا ينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية أو المبدأ العربي ديانة لهم يغارون عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي الكريم والمسيحيون والكاثوليك على إنجيل المسيح الرحيم والبروتستانت على تعاليم لوثر الإصلاحية وثوريو فرنسا في عهد الرعب على مبادىء

روسو الديمقراطية ويتعصبون لها تعصب الصليبيين لدعوة بطرس الناسك) ، وقد أصبح العرب المسلمون في ذلك فريسة سهلة لدهاء الأقلية غير المسلمة في الشرق العربي التي يتوقف مصيرها على انتشار فكرة القومية العربية وحلولها محل الدين الإسلامي والتي تستطيع أن تصل عن طريقها إلى مركز الزعامة والقيادة والتوجيه في العالم العربي وتستطيع أن تفصل بها العرب عن بقية العالم الإسلامي الذي لا ترتبط به هذه الأقلية عقيدة وعاطفة وتاريخاً . ولا يزال ميشيل عفلق (المسيحي ولادة) مؤسس حزب البعث العربي ورئيسه فيلسوفها الأكبر في الشرق العربي)[1] ، ويقول الأستاذ محمد قطب :(إن أول من نادى بالقومية العربية هم نصارى لبنان وسوريا وانضم إليهم المسلمون الذين تربوا في مدارس التبشير ثم انضم إليهم المستغفلون من المسلمين الذين لم يجدوا تعارضاً بين الإسلام والعروبة على أساس أن العروبة هي عصب الإسلام وأن العرب هم الذين حملوا الإسلام إلى كل البشرية. والنصارى في لبنان وسوريا كانوا جزءاً من أدوات أوروبا لإزعاج (الرجل المريض) وإرباكه بغية تسهيل القضاء عليه وتوزيع تركته بين المتربصين الذين ينتظرون الساعة (العظمى) التي يقضون فيها على بقايا الإسلام . وما كان نصارى لبنان وسوريا في تلك الفترة يجرؤون أن يخرجوا على الحكم الإسلامي علانية وبالاسم الصريح للخروج فقد كانوا أقلية محوطة بأكثرية مسلمة تدين بالولاء القلبي والسياسي لدولة الخلافة ولا تتصور لنفسها حكومة غير الحكومة الإسلامية لذلك لم يكن في وسع أولئك النصارى أن يقولوا لا نريد حكم الإسلام علينا ولا نريد حكم الخلافة الإسلامية لذلك كان نشاطهم سرياً من جهة وباسم غير اسم الخروج على الحكم الإسلامي من جهة أخرى ،كان نشاطهم يقوم باسم العروبة والقومية العربية وهو شعار

(١) العرب والإسلام لأبي الحسن علي الحسين الندوي ص ٧ ـ ١٥ .

يمكن أن يلتبس فيه الأمر على المسلمين العرب ولا يروا ـ لغفلتهم ـ أنه موجه ضد الإسلام وضدهم هم . كانت دعوى القومية الطورانية تحز في نفوس العرب المسلمين فينفخ الشياطين في الحزازة لتشتعل،وكان يقال لأولئك العرب المسلمين أنتم أولى بالخلافة من أولئك الطورانيين فلماذا تسكتون على الظلم لماذا لا تثورون وتستقلوا عن الأتراك.وكان عبد الحميد يقظاً للعبة كلها ولكن أحوال دولة الخلافة يومئذ وأحوال المسلمين جميعاً في العالم الإسلامي كانت أضعف من أن تصمد للكيد فمضى الكيد في سبيله حتى بلغ غايته.ولسنا هنا نؤرخ لتلك الفترة إنما نحن نتحدث عن القوميات والوطنيات ودورها في اللعبة التي أريد بها القضاء على الإسلام وإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين . كان عبد الحميد يطارد تلك الجماعات السرية التي تنادي بالعروبة والقومية العربية كما يضيق على النشاط السري لحزب الاتحاد والترقي لإدراكه المقصود من ورائهما فيتخذ ذلك ذريعة لمزيد من الكيد ضده يتهم بالدكتاتورية والطغيان في داخل تركيا وباضطهاد الأقليات خارجها ويصنع من هذه وتلك مادة للدعاية ضده ونشر البغض والكراهية له تمهيداً لما يخطط من عزله عقاباً له على عدم موافقته على إنشاء الدولة اليهودية.وجرت الأمور في مجراها المقدر في علم الله ولكن بسبب من غفلة المسلمين التي مكنت الأعداء من تنفيذ مخططاتهم والله يحذرهم في كتابه المنزل:﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ ، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ ومع ذلك التحذير فقد كان مسلمون يتولون اليهود في حزب الاتحاد والترقي، ومسلمون آخرون يتولون النصارى في الجمعيات السرية القائمة باسم العروبة والقومية العربية،ومسلمون آخرون يتولون (لورانس العرب) ويتبعونه وهو يدعوهم إلى قتال دولة الخلافة التي ظلت تحميهم من الغزو الصليبي قرابة أربعة قرون . يقول اللورد اللنبي

قائد الجيش العربي الذي حارب الخلافة: لولا مساعدة الجيش العربي والعمال العرب ما استطعنا أن نتغلب على تركيا)[1] .

وهذه الدعوة الهدامة التي رأينا مدى صرفها لمعنى الجهاد الحقيقي ورأينا أقوال دعاتها التي تعارض الإسلام بصراحة مكشوفة حيناً وبعبارات مغلفة حيناً آخر هي التي أُنشئت جامعة الدول العربية من أجلها لكي تتبناها الدول وتنشرها بما لها من هيمنة ونفوذ على الشعوب وعلى مناهج التعليم ووسائل الإعلام وقد أوعزت بريطانيا بإنشاء جامعة الدول العربية ولا توعز بريطانيا-(مصممة الغدر والفساد في العالم الإسلامي)-إلا بما يخدم مصالحها؛يقول الأستاذ محمد قطب:(يقول جورج كيرك مؤلف كتاب موجز تاريخ الشرق الأوسط: إن القومية العربية ولدت في دار المندوب السامي البريطاني !!!). طار إلى القاهرة أنتوني أيدن وزير الخارجية البريطانية عام ١٩٤٦ م ودعا الملوك والرؤساء العرب إلى الاجتماع به هناك وعرض عليهم في الاجتماع فكرة إنشاء الجامعة العربية في القاهرة لتتبنى قضايا العرب وتدافع عن مصالحهم !! وورثت أمريكا بريطانيا وفرنسا بعد الحرب وبسطت نفوذها على الشرق الأوسط وأقامت أمريكا عن طريق الانقلابات العسكرية زعامات كاملة تدافع عن القومية العربية في الوقت الذي تحارب فيه الإسلام والمسلمين،وقالت الدعاية التي أقامتها أمريكا وإسرائيل: إن أمريكا وإسرائيل لا تخشيان شيئاً خشيتهما للقومية العربية،ولا تخشيان أحداً خشيتهما لزعيم القومية العربية . وفي ظل القومية العربية التي أقامتها الصليبية العالمية مع اليهودية العالمية توسعت إسرائيل وتوسعت حتى توشك أن تبتلع فلسطين كلها وتتطلع إلى المزيد . لقد كانت القومية التي صدرت إلى العالم الإسلامي هي القومية المأكولة لا القومية الآكلة التي قامت في أصلها هناك)[2] .

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص ١٥ .

(٢) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص ١٧

ويقول الدكتور محمد محمد حسين:(جامعة الدول العربية حصن من أكبر الحصون التي تسهر على حراسة حقيقة من أخطر حقائق وطنيتنا وهي «العروبة» ومن المفيد-رغم تغير الظروف الآن - أن نتذكر أن هذه الجامعة قد أنشئت أول ما أنشئت بتشجيع دولة من أكبر دول الاستعباد الغربي - وهي انجلترا -) وقد حذر الدكتور محمد محمد حسين من الخطر الذي تمارسه الجامعة العربية مقتصراً على الجانب الثقافي فقط معرضاً عن الجانب السياسي فقال:(وليس من شأني الآن وليس من شأن هذه المجلة التي أكتب لها أن أتناول الجانب السياسي من جامعة الدول العربية. . . وسوف أتناول في حديثي هذا اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية كما تبدو من مطبوعاتها الوافرة الغزيرة وهي اللجنة التي كان يشرف عليها أحمد أمين ثم ورثها طه حسين بعد وفاته وسأقسم منشوراتها إلى ثلاثة أقسام:

١ - البحوث والمحاضرات.

٢ - الكتب المترجمة.

٣ - المؤتمرات.

وأنا أعجل بتقديم النتيجة التي انتهيت إليها من بحث أعمال هذه اللجنة الثقافية ليضعها القارىء نصب عينيه على طول هذا المقال. هذه اللجنة كانت ولا تزال تنظر بغير عين العرب وتعمل بغير عقل العرب وتهدف إلى غير أهداف العرب، إنها لا تزال كما كانت يوم أنشأها الذين كانوا يحرصون على أن يكون العرب ذيلاً لدول الاستعباد الغربي. لا يرون الأشياء إلا كما يراها الغربي ولا يتذوقونها إلا كما يتذوقها ولا يقدرونها إلا كما يقدرها.إنها لا تزال تعمل على ما يسميه دهاقنة الاستعباد الغربي «التغريب»،ويقصد به طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية مما يساعد على إيجاد روابط من الود والتفاهم بين الحمار وراكبه وهي روابط تفيد الراكب دائماً ولا تفيد الحمار

وذلك هو ما تهدف إليه كل الجماعات التي من نوع (أصدقاء الشرق الأوسط) الآن أو (الصداقة الإنجليزية المصرية) (والصداقة الفرنسية) سابقاً وهذا الذي يسميه الاستعباد الغربي (تغريباً) هو ما يسميه سماسرة ذلك الاستعباد وصنائعه (تطويراً) وهو ما يعنونه حين يتكلمون عن (بناء المجتمع من جديد) فالذين يتكلمون عن بناء المجتمع من جديد أو بناء المجتمع الجديد يعرفون أن مشروعهم هذا يشتمل على خطوتين:

الخطوة الأولى: هي هدم القديم.

والخطوة الثانية: هي بناء ما يتوهمونه من الجديد وهم ماضون في الهدم لا يرضيهم إلا أن يأتوا على بنياننا من القواعد بما يتضمنه من دين وتقاليد وفنون وآداب ولكنهم سوف يعجزون عن البناء سيهدمون مجتمعنا ثم يتركونه وسط انقاض نظامه القديم في فوضى لا سكن فيها ولا قراراً)[1].

أما الدكتور عبد الحليم عويس فقد تحدث عن الجانب السياسي لجامعة الدول العربية الذي تركه الدكتور محمد محمد حسين فقال:(بعد سقوط آل عثمان على يد جمعية الاتحاد والترقي وسادتها اليهود-يهود الدونما-تفككت أوصال العالم الإسلامي ونجح ساطع الحصري - وهو رجل أعجمي لا يستطيع الكلام بالفصحى ويضمر عداء شديداً للإسلام بتأثير تربيته الصهيونية - نجح هذا الرجل في نشر فكرة القومية بمفهومها العلماني الإلحادي المعادي للإسلام بين العرب وكانت إنجلترا - سيدة العالم العربي آنذاك - قد ساعدت على إنشاء ما يسمى بجامعة الدول العربية وهي مؤسسة لم يرَ منها العرب خيراً ولم تسهم في حل أية مشكلة

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها لمحمد حسين ص ١٣٩ - ١٤٢ ، وقد تكلم بشكل مستفيض عن ما نشرته جامعة الدول العربية من فكر منحرف هدام فليراجعه من شاء فهو مفيد .

أو في تحقيق أي تقدم للعرب في حاضرهم الأسيف وحسبها أنها فصلت العرب ـ رسمياً ـ عن العالم الإسلامي وأشعرتهم بكيان مستقل وهمي. وفي ظلال المد العربي ـ على يد حفنة من الثوريين والمقامرين الشبان ـ خسر العرب جزءاً كبيراً من أرضهم وساحت في بلادهم دويلة يهودية سلّحها الغرب بأحدث الأسلحة والمعارف والخبائث الأخلاقية. وأمام هذه الدويلة الهزيلة التي لا يزيد سكانها عن ١/٣٥ من سكان العرب سقط القوميون العرب أبشع سقوط وكانت المقدمة الطبيعية لنجاح هذه الدويلة أنها ساعدت هؤلاء القوميين والثوريين وحدهم على الصعود إلى الحكم لأن وجودهم هو وحده الكفيل بتحقيق ما تريد إسرائيل من ضمانات بقائها التي أهمها:

١ ـ إبعاد العرب عن عقيدة جامعة روحية تقاوم اليهودية التي يتسلحون بها.

٢ ـ ضمان إبقاء الأمة العربية في حالة استيراد دائم لأن الذين لا عقيدة لهم لا يستطيعون إبداع شيء ذاتي.

٣ ـ ضمان تفكك العرب تفككاً دائماً لأن هؤلاء القوميين والثوريين مجرد شبان مغامرين لا رصيد لهم من عقيدة أو أصالة أو وعي تاريخي ومن السهل تلقينهم بعض شعارات أو (شعارات مضادة) يصرخون بها وتضيع معها عقولهم وعقول الجماهير التي يقودونها.

وقد قامت هذه القوى الحاكمة الثورية بالواجب نحو العرب وإسرائيل على النحو المرسوم لها:

١ ـ فصادرت حريات المواطنين وإرادتهم بحيث لم يعد للشعوب العربية من الأمر شيء وأصبحت هذه الشعوب نسبة عددية مهيأة تقوم بالموافقة للحكام على كل شيء بنسبة (٩٩,٩٩٩٪) وهي تقوم بالتصفيق الحاد لكل خطيب وتؤيد كل القرارات.

٢ ـ أعلنت هذه الحكومات الحرب على الإسلام وقد نجحت هذه القوى في إبعاد الإسلام عن مجال التأثير تماماً على الأقل في مستوى توجيه الأمور وقيادتها. ففي عصر الطاغية جمال عبد الناصر أمكن جعل الصلاة شبهة وقراءة القرآن من طالب جامعي أمراً يضعه في القائمة السوداء، وأمكن نشر الرعب وفرض الشيوعية حتى قضى الله عليه وخلص البلاد من شروره بعد أن خلف تركة أخلاقية ومادية وهزائم تحتاج لأجيال طويلة كي تزال آثارها.. وهيهات!!.

ولما جاء خلفه أمكن تحوير الأسلوب بعض الشيء ووضع على رأس العمل الإسلامي المتصوفة والدجالين وحدهم كما ظل الخط الراعي للتحلل الأخلاقي في طريقه وعومل الإسلاميون وحدهم بقوانين استثنائية وعسكرية. أما حزب البعث بجناحيه السوري والعراقي فعداؤه للإسلام وتنكيله بأهله وفقاً لتوجيهات الصليبي الحاقد ميشيل عفلق أمر مقرر كجزء من سياسة الحزب وأساسياته الفكرية والحركية.

٣ ـ نجحت أساليب هذه النظم في الوصول إلى النتيجة الطبيعية وفي إقرار قواعد إسرائيل عسكرياً وسياسياً كدولة ذات سيادة تفصل العالم العربي عن بعضه البعض وتقف بالمرصاد لأية بادرة نهضة حقيقية سواء في مجال البعث الإسلامي والوحدة العربية الإسلامية وأصبحت إسرائيل بفضل هذه النظم التي قتلت شعوبها وشلت قواها كابوساً ثقيلاً يؤمن أكثر أبناء هذا الجيل ـ باستثناء المؤمنين منهم ـ بأن زواله أمر شبه مستحيل وكان هذا هو حصاد التخطيط العالمي الصليبي الصهيوني الشيوعي الثوري القومي المشترك ولأنهم بلا عقيدة ولأن القومية شعار لا يصلح لصناعة حضارة ولا لإيجاد وحدة جامعة شاملة، أصبح معظم العالم العربي دولاً متقطعة الأوصال أسيرة نظم يمينية وأخرى يسارية وليس للإسلام نصيب فيها سياسياً أو إدارياً وقد تمزقت وسائل

التوحيد كلها فلا تكامل اقتصادي ولا تكامل اجتماعي ولا تنسيق سياسي أو إعلامي[1] وهلم جرا وهم كأسلافهم سلالة «أبي جهل» يتقاتلون لأتفه الأسباب ويقطعون العلاقات بلا مبرر كاف ويسيرون في طريقهم دون مشورة وتكامل بل كل حسب مصالحه وتوجيهات سادته.
وقد أصبح العربي لا يأمن على نفسه في أي بلد عربي آخر بل أصبحت بلاد الغرب هي المثوبة والأمن كما أن الملجأ والأمن لأموالهم هي بنوك اليهود في أمريكا وأوروبا والمنتجع لتعليم أبنائهم ولاستراحاتهم وجولاتهم هي مرفأ الأمن والحرية أوروبا العظيمة! وتقوم بينهم الحواجز وإجراءات الزيارة والاقامة بدرجة تجعل زيارة الدول الأوروبية أسهل من زيارة عربي لدولة عربية أخرى)[2].

هذا ما قرره الأساتذة الأجلاء عن دور الجامعة العربية في نشر القومية الهادمة للدين المفككة لأوصال المجتمع الإسلامي وأما أنا فأزيد ذكر حادثة صغيرة ذات مدلول كبير:لقد قامت الجامعة العربية بإنشاء معهد للموسيقى العربية عام ٦٨ م وفي حد علمي لم تنشىء مدرسة واحدة لتحفيظ القرآن الكريم أو تدريس السنة المطهرة فللقارىء الكريم أن يتصور تلك الأهداف الجليلة!! التي تحققها الموسيقى ولا يحققها الكتاب والسنة!! وبما تقدم يظهر بوضوح مدى التناقض التام بين الجهاد الإسلامي وبين القومية العربية المعاصرة بل يظهر الخطر الشديد المحدق بالإسلام عامة وبالجهاد خاصة من عقيدة القومية العربية[3].

---

(١) الحقيقة أنه لا يوجد تنسيق في سبيل الرحمن ، أما في سبيل الشيطان فقد يوجد .
(٢) دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية لعبد الحليم عويس ص ٢٠٠ ـ ٢٠٥ .
(٣) لمزيد الاطلاع على هذا الوباء الفتاك (القومية العربية) انظر كتاب فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز نقد القومية العربية على ضوء الإسلام وكتاب الشيخ صالح العبود ـ فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام .

٩ ـ الدعوة إلى الوطنية

الدعوة إلى الوطنية شقيقة الدعوة إلى القومية. والكفار ـ قاتلهم الله ـ لم يقتصروا على راية واحدة يرفعونها للمسلمين بدل إسلامهم ولم يقتصروا على خطة واحدة بل كثرت خططهم وشعاراتهم وراياتهم وذلك من باب تكثير السهام على الفريسة فإن أخطأها الأول أو العاشر لم يخطئها العشرون أو الثلاثون،والذي لا تروق له القومية تجذبه شباك الوطنية أو الإنسانية أو زمالة الأديان أو التعايش السلمي أو الاشتراكية وهكذا دواليك. ولا ينجو منهم إلا من اعتصم بالكتاب والسنة.

والوطنية هي تقديس الوطن بحيث يصير الحب فيه والبغض لأجله والقتال من أجله وإنفاق الأموال من أجله حتى يطغى على الدين وحتى تحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية. فالوطنيون يحبون أبناء وطنهم وإن كانوا على غير ملتهم أكثر من محبتهم لمن كانوا على ملتهم إذا لم يكونوا في وطنهم بل قد يصل الأمر بالوطنيين إلى اجتماعهم على محاربة المسلمين مع الكفار لأن الكفار من أبناء وطنهم!! وإذا وصل الحال بالإنسان إلى هذه الدرجة فقد عبد الوطن من دون الله،والعصبية للوطن من جنس العصبية للقوم كلها من دعاوى الجاهلية،والوطنية في العصر الحاضر التي نسمع الدعوة لها في ديار الإسلام بضاعة مستوردة كغيرها من المستوردات وما أكثرها!!. فإنه لما قامت الثورة المصرية عام ١٩١٩ على

المستعمر البريطاني واشتد أوارها وعجزت بريطانيا عن إخمادها غيرت مندوبها في مصر وأرسلت بدلاً منه اللورد اللنبي ومكث شهراً يتحرى الأوضاع ثم أرسل برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول فيها:

١ ـ الثورة تنبع من الأزهر وهذا أمر له خطورته البالغة.

٢ ـ أفرجوا عن سعد زغلول وأرسلوه إلى القاهرة.

وجاء سعد زغلول وقرت به أعين الإنكليز فصرف الثورة من ثورة دينية تنبع من الأزهر وتنادي بجهاد الكفار إلى ثورة وطنية تنادي بتحرير التراب يشترك فيها النصارى المصريون مع المسلمين لمحاربة النصارى الإنكليز وقال قولته المشهورة: الدين لله والوطن للجميع. ومغزى العبارة أننا غير معنيين بالدين وبنشره فهو لله يتولى نشره والدفاع عنه، أما الوطن فهو لنا جميعاً نحن والأقباط فلنبذل جهادنا لأجل ترابنا لاستنقاذه. يا لك من قولة فاجرة. التراب أهم على صاحبها من دينه! إن الدين لله والوطن لله ولا خير في وطن بلا دين لو كان يعقل الوطنيون. ثم قال سعد زغلول للمسلمين المصريين لا تنادوا بشعارات إسلامية لكيلا يغضب إخواننا الأقباط المشاركون لنا في الثورة. وقد كان اشتراكهم مقصوداً ليكون لهم في الحكم نصيب،ثم ألف سعد حزب الوفد ونص في لائحته على تحريم الخوض في أي نقاش ديني وأخذ القسس النصارى يدخلون الأزهر ويخرجون في المظاهرات[1] ومن مصر سرت العدوى للأقطار العربية الأخرى فصار شعار الوطنية تلوكه الألسنة وتنشره وسائل الإعلام ومناهج التعليم ويربى عليه التلاميذ في المدارس ويقدم على الدين ويغرس في الجنود حب الفداء له لا للدين ولا شك أن الجهاد من أجل الوطن ـ إذا

(١) انظر مذكرة المذاهب الفكرية للسنة المنهجية في الدراسات العليا بمكة، تأليف الأستاذ محمد قطب ص ٧٨.

لم يكن هدف أصحاب الوطن هو نشر الاسلام وتحكيمه في الحياة وإعلاء كلمة الله تعالى - جهاد في سبيل الطاغوت لقول الرسول ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله - كما تقدم - فالمفهوم من هذا الحديث أن من قاتل لكي تكون كلمة الوطن هي العليا فقتاله في سبيل الشيطان وميتته ميتة جاهلية. يقول الأستاذ محمد قطب عن هدف تصدير الكفار لشعار الوطنية إلى الأمة الإسلامية ما يلي: (وقد كانت دعاوى القومية والوطنية المصدرة عن عمد إلى العالم الإسلامي من بين وسائل الغزو الفكري الذي استخدمه الصليبيون المحدثون في الغارة على العالم الإسلامي كما سمى شاتلييه كتابه السالف الذكر.

والهدف من ذلك واضح ولا شك فطالما كان المسلمون مسلمين فسيصعب، على الغزاة ابتلاعهم مهما كانوا عليه من الضعف والتخلف؛ذلك أن العقيدة الإسلامية عقيدة جهاد وقد ذاق الفرنسيون في الشمال الإفريقي وذاق الإنجليز في الهند وغيرها من أقطار إفريقيا وآسيا من عقيدة الجهاد هذه ما لا يزال عالقاً بنفوسهم برغم كل الضعف والتخلف الذي كان عليه المسلمون. فاقتلاع هذه العقيدة واستبدال غيرها بها أمر ذو أهمية بالغة سواء من وجهة النظر الصليبية أو من وجهة النظر الاستعمارية البحتة، فالمسلمون لا يقبلون الاستعمار ولا يرضخون له طالما كانوا ملسمين. فإذا اجتمعت وجهة النظر الصليبية ووجهة النظر الاستعمارية تجاه الإسلام كما هو الأمر الواقع كانت الرغبة في اقتلاع هذه العقيدة آكد والعمل على استبدال غيرها بها أعنف وأشد.

وبالفعل بذرت بذور الوطنية أولاً في العالم الإسلامي ثم جاء دور القومية بعد ذلك فحققت أكثر من هدف في وقت واحد. كان الهدف الأول هو تحويل حركات الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار الصليبي إلى حركات وطنية كما فعل سعد زغلول في مصر وغيره من الزعماء الوطنيين على اتساع العالم الإسلامي. والحركة الوطنية تفترق عن حركة الجهاد

الإسلامي بادىء ذي بدء في أنها لا تنظر إلى العدو على أنـه صليبي مستعمر ولكنه على أنه مستعمر فقط وفرق واضح في درجة العداء وطريقة المجاهدة بين أن يكون العدو منظوراً إليه على حقيقته وبين أن يكون مغلفاً برداء الاستعمار فحسب.

والهدف الثاني هو تحويل حركات الجهاد الإسلامي إلى حركات سياسية عن طريق تحويلها إلى حركات وطنية. فـالعدو غيـر قادر على التفاهم مع الحركات الإسلامية لأنه لا سبيل إلى التفاهم معها في الحقيقة إلا بإخراج ذلك العدو خارج البلاد ومن ثم فلا سبيل إلى استعمال السياسة من جانب العدو. أما الحركات الوطنية فالتفاهم معها سهل وممكن، وعود من المستعمر بالجلاء! ويأتي الـوقت الموعـود فيتذرع المستعمـر بشتى المعاذير لتأجيل جلائه ويعطي وعوداً جديدة يعتذر عنها بدورها إذا جاء دورها والساسة الوطنيون يغضبون أو يتظاهرون بالغضب لإرضاء الجماهير. والجماهير تثور ثورة صاخبة لكنها فارغة سرعان ما تنطفىء بعد الاستماع إلى خطبة رنانة من الزعيم الوطني يعد فيها بأنه لن يفرط في شبر من الأرض ولن يرضى بغير الجلاء التام أو الموت الزؤام وبين هذا وذاك تجري مفاوضات بين الساسة والاستعمار تنتهي إلى أشياء تافهة يلعب بها الساسة على عقول الجماهير فيوهمونها أنها مكاسب وطنية وقد تنتهي إلى غير شيء على الإطلاق ومع ذلك يقول زعيم يعتبر من كبـار الزعمـاء الوطنيين في العالم الإسلامي في العصر الحديث وهو سعد زغلول: «خسرنا المعـاهدة وكسبنـا صداقـة الانجليز» ويقـول: (الانجليـز خصـوم شـرفـاء معقولون). وهو شيء ما كان يمكن أن يحدث لو بقيت حركة الجهاد إسلامية كما كانت في مبدئها ولم تتحول إلى حركة وطنية على يد الزعيم الكبير!!.

والهدف الثالث هو تيسير عملية التغريب من خلال تحويل حركة الجهاد الإسلامي إلى حركة وطنية سياسية فحين تقوم حركة الجهاد على

أساس إسلامي يكون الباب موصداً تماماً بين المجاهدين وعدوهم لا يأخذون شيئاً من فكره ولا اعتقاده ولا عاداته ولا تقاليده ولا أنماط سلوكه أما حين يتحول الجهاد إلى حركة وطنية سياسية فالحاجز أرق يسمح بالأخذ ومعاذير الأخذ كثيرة فقد قال أستاذ الجيل لطفي السيد: إن الإنجليز هم أولياء أمورنا في الوقت الحاضر وليس السبيل أن نحاربهم بل السبيل أن نتعلم منهم ثم نتفاهم معهم!!)[1].

وبهذا العرض عن أهداف الدعوة إلى الوطنية يظهر مدى خطورتها على الجهاد وتفريغها لمحتواه الإسلامي كما مر في أهدافه وأحكامه.

(١) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص ١٣ .

١٠ ـ الدعوة إلى الإنسانية

تلقف تلاميذ الاستشراق والاستعمار كثيراً من المبادىء المنحرفة التي تحول بين المسلمين وبين الجهاد بل بينهم وبين الإسلام أحياناً كما أوضحنا ذلك في الفصول المتقدمة ومما تلقفوه من الدعوات الهدامة الدعوة إلى الإنسانية وهي إنتاج يهودي وذلك لأن اليهود يعتبرون جميع الأجناس البشرية من غير اليهود هم الحمير التي خلقها الله ليركبها الشعب اليهودي المختار وهم يخططون لإقامة مملكة عالمية يحكمها يهودي من نسل داود وكان من تخطيطهم الخبيث أن انقسموا فريقين : فريقاً ساعد على إنجاح الثورة الفرنسية التي يسير على مبادئها العالم الرأسمالي أوروبا وأمريكا ومن يسير في الفلك ، وفريقاً أشعل الثورة الشيوعية التي تشمل روسيا والصين ومن يسير في الفلك وقد ذكر الأستاذ عبد الله رشيد الحلاق مجموعة نقولات من كتب مختلفة تبين الهيمنة اليهودية على المعسكر الشرقي والغربي أنقلها بتمامها لفائدتها :(يتحدثون في الكتب التي تدرس التاريخ المعاصر في مختلف أصقاع الأرض عن المبادىء الإنسانية للثورة الفرنسية التي رفعت الظلم والبغي عن إنسانية الإنسان !! هذه المبادىء التي تتمثل بشعار (الحرية والمساواة والإخاء)، هذه المبادىء التي تبنتها الشعوب الغربية على أساس أنها أُم المبادىء التحررية في العالم . وإذا بحثنا في حقيقة معاني هذه المبادىء نرى إلى أي مدى قد ضللت

الشعوب! إذا أخذنا كلمة (الحرية) وتقصينا معناها المحدد أو المعنى الذي يبلور قانوناً أو تشريعاً ينفذ عملياً في واقع الحياة لا نستطيع أن نصل إلى هذا القانون أو التشريع لأن هذه الكلمة عامة ومطلقة فهل تعني الحرية الفكرية أم السياسية أم الاقتصادية أم الصحافية أم الاجتماعية ؟ . . إلخ وإذا افترضنا جدلاً أنها تعني جميع هذه الحريات ولكن من الذي يحدد نسب هذه الحريات وحدودها ؟ هل الشعار نفسه أم السلطان أم الشعب ؟ وهذا الأمر مهم جداً من الناحية العملية فمثلاً للسيارة حرية للسرعة ولكن إذا تركت هذه الحرية دون منظم يحددها حسب الحاجة أو دون فرامل يخفف السرعة ويوقفها عند الضرورة تصوروا أن معظم السيارات دون فرامل ماذا تكون النتيجة ؟ طبعاً مآسي وفواجع وإذا طبقنا هذا المثل على باقي الحريات نصل إلى نفس النتيجة،نصل إلى الفوضى العارمة .

أما الكلمة الثانية وهي (المساواة) نقول أيضاً: إنها عامة ومطلقة ولا يمكن أن تحدث قانوناً أو تشريعاً يطبق في واقع الحياة فهل تعني المساواة السياسية أم الفكرية أم الاقتصادية أم الاجتماعية ؟ . . . إلخ وإذا افترضنا أنها جميعاً فمن الذي يحدد نسب المساواة وهل يمكن تحقيقها في واقع الحياة ؟ الجواب على هذا السؤال ما برح الغرب يحاول الإجابة عليه ولكن دون جدوى بل إنه يعيش إلى الآن مشاكل عويصة بسبب هذا الطرح ونحن نقول: إنه لا يمكن أن تتحقق هذه المساواة إلا في الناحية السياسية وهذا يعني أن يكون جميع الناس متساوين أمام الشريعة أو القانون فقط . ولا يمكن تحقيق المساواة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفكرية وذلك لتفاوت مقدرات وطاقات وعقول الناس.وإذا طبقت هذه المساواة كما هي موجودة في الدول الشيوعية فإنها ظلم وبغي وتحقير لإنسانية الإنسان .

والكلمة الأخيرة في الشعار وهي (الإخاء) نقول أيضاً: إنها عامة ومطلقة فهل هذه الأخوة على أساس عقائدي أم فكري أم سياسي أم اقتصادي أم اجتماعي ؟ الجواب : إلى الآن لم يصل إليه الغرب وما زال

يعاني من مشكلات هذه الطروحات . ولكن ما هي العوامل التي ساعدت على ترويج هذه المفاهيم الخاطئة بهذه القوة . تقول البروتوكولات بصدد هذا الموضوع : (كنا أول من اخترع كلمات الحرية والمساواة والإخاء التي أخذ العميان يرددونها في كل مكان دون تفكير أو وعي، وهي كلمات جوفاء لم تلحظ الشعوب الجاهلة مدى الاختلاف بل التناقض الذي يشيع في مدلولها. إن شعار الحرية والمساواة والإخاء الذي أطلقناه قد جلب لنا أعواناً من جميع أنحاء الدنيا وأساءت هذه الكلمات إلى الرخاء السائد لدى المسيحيين وحطمت سلمهم ووحدتهم (البروتوكول الأول) .

إذاً هي أضاليل اليهود التي تعودوا أن ينشروها ويروجوا لها بوسائل إعلامهم وذلك لضرب أمم (الجوييم) والسؤال المطروح الآن هل كان لليهود يد أو تأثير على الثورة الفرنسية ؟ .

يقول محمد عنان بصدد هذا الأمر:(وقد بدت الروح التلمودية في خطط الثورة الفرنسية ودستورها الأخلاقي واضحة جلية في وثيقة خطيرة وجدت بين أوراق ميرابو (أحد قادة الثورة) ضبطت في منزل مدام لجاي زوج ناشر كتب ميرابو وذلك في ٦ تشرين أول ١٧٨٩ وهذا نصها:(يجب أن نسحق كل النظم وأن نلغي القوانين وأن نمحو كل السلطات وأن نترك الناس في فوضى وقد لا تنفذ القوانين التي نسنها في الحال ولكنا متى رددنا السلطة إلى الشعب فإنه سوف يقاتل من أجل حريته والتي يعتقد أنه يقاتل لصونها ويجب أن نقضي على كبرياء الأفراد وأن نخنق آمالهم وأن نعدهم بالسعادة متى بدأ عملنا ويجب أن نجانب أهواءهم وما تمليه إرادتهم لأن الشعب مشرع شديد الخطر فهو لا يسن من القوانين إلا ما يتفق مع شهواته هذا فضلاً عن أن قصوره عن المعرفة يفضي إلى الخطأ والتطرف ولكن لما كان الشعب آلة يحركها المشرعون طبق إرادتهم فمن الضروري أن نستخدمه لتأييدنا وأن نحمله على بغض كل ما نرمي إلى هدمه وأن نغذيه بالخيالات والأوهام كذلك يجب أن نشتري كل الأقلام

المرتزقة التي تبث مبادئنا والتي تعرف الشعب بأعدائنا الذين نهاجمهم فرجال الدين مثلاً وهم أقوى الطوائف تأثيراً في الرأي العام لا يمكن هدمهم إلا بالسخرية من الدين والتشهير بأقطابه وتصويرهم أوغاداً ذلك لأن محمداً ﷺ مهد لإنشاء دينه بالطعن في الوثنية التي يعتنقها العرب ، ومن الواجب أن تقوم النشرات القادمة في كل وقت بحملات جديدة على رجال الدين فتبالغ في تصوير ثرائهم ونعيمهم وتنسب إليهم كل الرذائل والمفاسد فالقذف والقتل والكفر كلها مباحة في أوقات الثورة ثم يجب أن نشين من قدر النبلاء وأن نرجعهم إلى أصل ساقط وأن نبث فكرة مساواة لا يمكن تحقيقها ولكنها تكون ملقاً للشعب . كذلك يجب أن نطارد المتعنتين وأن نحرقهم وأن نحطم ثرواتهم حتى نروع الباقين فإذا لم نفز بسحق هذه النزعة فإنا نضعفها والشعب ينتقم لكبريائه وغيرته بارتكاب صنوف الإفراط والتطرف التي تجره إلى الخضوع والاستسلام. (محمد عنان ـ تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ـ ص ١٤٤ ـ ١٤٥) . لم يكتف اليهود باستغلال الثورة الفرنسية في مهاجمة الدين ورجاله ومهاجمة النبلاء وضرب القيم والنظم التي كانت سائدة في فرنسا قبل الثورة وذلك تنفيذاً لمنطلقاتهم العقائدية والفكرية في ضرب المجتمعات عقائدياً وفكرياً ، نقول: إنهم لم يكتفوا بذلك بل استمروا في ترويج المفاهيم الخاطئة بوسائل إعلامهم وإيصالها إلى الشعوب وكأنها صحيحة ويقينية وذلك بهدف التضليل: (وندخل في روع غير اليهود أهمية النظريات التي تبث دعايتها صحافتنا ليقتنع بها الكفار ويروجوا سمومها) (البروتوكول الثاني)

الثورة الشيوعية حقيقة وأهداف:

قال الحاخام لويز برونس عن مؤسس العقيدة والفكر الماركسي: (إن كارل ماركس حفيد لحاخام مردخاي. ماركسيّاً كان في روحه وفي اجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعد له فكراً وأسلوباً أشد إخلاصاً

لإسرائيل من الكثيرين ممن يتشدقون اليوم بـأدوارهم في مولـد الدولـة اليهودية) (لعبة اليمين واليسار) .

ولقد استعرضنا في الفصل السابق كيف كانت العقيدة والفكرة الماركسية هي إحدى الأعمدة الأساسية في عملية التضليل العقائدي والفكري للشعوب والتي شارك فيها دارون، وفرويد ودركايم وماركس ونيتشه وسارتر وذلـك بمعونة الإعلام اليهودي الذي رعى هذه الأفكار وروجتها الشيوعية وليدة الماسونية أو على الأقل تربطهما صلة القربى الوثيقة عن طريق الأمم اليهودية العالمية. فقد جاء في بيان الشرق الأعظم الفرنسي سنة (١٩٥٢ ـ ٣٣٧): الماركسيـة والـلاقـوميـة همـا وليـدتـا المـاسـونيـة لأن مؤسسهـا كـارل مـاركس وإنجلز هما من مرتبة الدرجة الحادية والثلاثين ومن أعضاء المحفل الإنجليزي وإنهما كانا من الذين أداروا الماسونيـة السريـة وبفضلها أصـدرا البيان الشيوعي المشهور) ومن هنا يتبين لنا أن هناك علاقة وثيقة بين اليهودية العالمية وبين الشيوعية لأن اليهود هم واضعو بذرتها وهم الذين روجوا فكرتها بين الشعوب وهم الذين عملوا على تفجير ثورتها في آب (١٩١٧) تقول المعلومات التي تتحدث عن الثورة الشيوعية: (وفي الأيـام الأولى للثورة استولى اليهـود على السلطة وانتقموا من الشعب الـروسي وقتلوا ملايين الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال وحين تشكل المكتب السياسي الأول كانت نسبة اليهود فيه على الشكل التالي : لينين يهودي ، ستالين متزوج من يهوديـة ، تروتسكي يهـودي،كامينيف يهـودي ، روكولتكـوف يهودي ، زينونيف يهودي ، وبينوف روسي) . وفي مجلس إدارة الحرب كما يلي : (تروتسكي يهودي ، جوف يهودي ، لينين يهودي ، بـوكيج قفقاسي ، بوردسكي روسي ، مولوتـوف متزوج من يهـودية ، نيـرسكي روسي ، انشلخه يهودي ، سوبردلوف يهودي ، بورتسكي يهودي ، انتونوف روسي ، ميكونستين روسي ، جوزف يهودي ، رمجيف روسي ، جيرجنكي بولندي (الأفعى اليهودية ـ ص ٤٤ ـ ٤٥).وبعد ثورة الكفر والإلحاد التي

أشرف على قيادتها اليهود للحصول على ثمارها استطاعوا أن يتغلغلوا في أكثر المؤسسات الحكومية للدولة،وبعد سنة من قيام الثورة وقيام حكومة ثورية كانت نسبة اليهود عالية جداً :

اسم المؤسسة	عدد عام	عدد اليهود
أول حكومة ثورية	٢٢	١٧
إدارة الحرب	٤٣	٣٤
لجنة الشؤون الداخلية	٦٤	٤٥
لجنة الشؤون الخارجية	١٧	١٣
لجنة الشؤون القضائية	١٩	١٨
مجلس الاقتصاد الأعلى	٥٦	٤٥
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفياتي الرابع	٣٤	٣٣
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفياتي الخامس	٦٢	٣٤

(عبد الله التل ـ الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ـ ص ٤٤ ـ ٤٥) .

والسؤال المطروح الآن:ما هي الثمار التي جناها اليهود من وجودهم الكثيف في مؤسسات الاتحاد السوفياتي ؟ .

الجواب : يحدد بنقاط رئيسية وهي كالتالي : ـ

أ ـ تحول خططهم التي ترنو إلى ضرب الأديان والعقائد إلى برامج تنفذ مرحلياً على النصارى والمسلمين وإن اقتضت مراحل التحول الاشتراكي تعايشاً مع العقيدة الدينية أو إظهار الاهتمام بها في بعض الحالات كما هي الحال في المناطق الإسلامية فإن هذا الاهتمام هو من قبيل التدبير المؤقت .

(مجلة كومونست السوفياتية ـ ١٩٤٤) .

وتذكر مجلة أخرى ما قرره الحزب الشيوعي من متابعة العمل لقهر البعث الديني في المناطق الإسلامية والنصرانية :(ولقد أدركنا في الاتحاد السوفياتي منذ البدء خطورة بقاء الميراث الديني على حاله في المجتمعات السوفياتية مسيحية أو إسلامية ولا زلنا نواجه اليوم تحديات خطيرة وخصوصاً في المناطق الإسلامية لذا قرر المؤتمر الثاني والعشرون للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي زيادة اليقظة والحذر وتجديد العزم على قهر البعث الديني في المناطق الإسلامية). (مجلة العالم والدين السوفياتية) .

ب ـ لقد استطاعوا تأليب فئات المجتمع على بعضها البعض بشكل صراع حاقد دامٍ ما بين البروليتاريا (العمال والفلاحين) والبرجوازية (الأغنياء) مما ذهب ضحية هذه الأفكار الخبيثة مئات الألوف من البشر. وكان نتيجة لعمليات المصادرة والتأميم التي قامت بها الدولة للأملاك أن مات عدد لا يستهان به من البشر ومن بينهم الشعوب المسلمة: (فاستشهد مليون آخر عام ١٩٣٦ عندما صادر الشيوعيون ماشية الكزاخ الرحل وقد كان عدد مسلمي القرم (٥٠٠) ألف نسمة فأصبحوا مئة ألف). (المسلمون في المعسكر الشيوعي).لقد دعم الاتحاد السوفياتي الدولة اليهودية قبل قيامها وبعد قيامها سياسياً وإعلامياً واقتصادياً وعسكرياً وما زال مستمراً إلى الآن في دعمها وما زالت أحزابه الشيوعية العميلة في المنطقة تؤيد وتدعم مواقفه تجاه الدولة اليهودية)[1] هذه هي جهود اليهود التي يبذلونها للسيطرة على العالم ولقد رأى شياطين اليهود أن إخضاع العالم كله لمبادىء موحدة يخدم غرضهم النهائي وهو إقامة مملكة داود العالمية . ولكن ما هذه المبادىء التي يجمعون الشعوب عليها لقد رأوا أنهم إذا دعوا

---

(١) اليهودية العالمية ـ خطط وأهداف ـ للأستاذ عبد الله رشيد الحلاق ص ٣٣ ـ ٤٢ .

الشعوب إلى عقيدة دينية آثار فيها ذلك التشبث بعقائدهم فإذا تشبث الناس بعقائد وإن كانت فاسدة فإن في السيطرة عليهم صعوبة بالغة لذا ابتكر اليهود الدعوة إلى الإنسانية الواحدة؛فإن البشر كلهم يشتركون في صفة الإنسانية ولا أحد يريد دفع هذا الوصف عن نفسه ولا تثير الدعوة إليها حمية أحد لأن له من الإنسانية نصيباً إضافة إلى أن الشعب اليهودي كان منبوذاً مطروداً لا يمكن من الدخول في حكومات العالم وهذه الدعوة تصرف الناس عن النظر إلى العقائد فيمكن أن يدخل اليهود في شتى بقاع العالم ويندسوا بين رجال الحكم والمال ولا يشار إليهم بأصبع الاتهام.

ويتعاملون مع الناس على أساس الرابطة الإنسانية فقط ولكن المسلم أمره الله أن يتعامل مع البشر على أساس الرابطة الدينية؛فالإنسان إما مهتد وإما ضال كافر،والمسلم صديق للمهتدي عدو للكافر.هذا من ناحية الولاء القلبي والمحبة،أما تعامل البيع والشراء فلا يدخل في هذا بل يبتاع المسلم من أي كافر ويبيع له ما لم يكن محرماً .

وقد نجح اليهود إلى حد كبير في صرف المسلمين عن عقيدتهم التي تأمرهم بمحبة المؤمن وموالاته ومناصرته وبغض الكافر ومعاداته ومنابذته ـ وأرادوا لهم أن يتعاملوا مع غيرهم على أساس الرابطة الإنسانية بغض النظر عن العقائد والأديان وسخروا ما يملكون من وسائل لتحقيق هذا الهدف . ومن أهم هذه الوسائل الجمعيات الماسونية ووسائل الإعلام والمنظمات الدولية . يقول الأستاذ محمد قطب عن هذه الدعوة الهدامة : (الإنسانية أو العالمية كما يدعونها أحياناً دعوى براقة تظهر بين الحين والحين ثم تختفي لتعود من جديد . يا أخي كن إنساني النزعة،وجه قلبك ومشاعرك للإنسانية جمعاء،دع الدين جانباً فهو أمر شخصي علاقة خاصة بين العبد والرب محلها القلب،ولكن لا تجعلها تشكل مشاعرك وسلوكك نحو الآخرين الذين يخالفونك في الدين فإنه لا ينبغي للدين أن يفرق بين

البشر بين الإخوة في الإنسانية،تعـال نصنع الخير لكل البشرية غير ناظرين إلى جنس أو لون أو وطن أو دين . . ثم انظر إلى تلك العبارة الماسونية (اخلع عقيدتك على الباب كما تخلع نعليك) ألا ترى شبيهاً بين هذه الدعوة وتلك ، أما ترى أنهما قريبتان بل شقيقتان ، اخلع عقيدتك على الباب: أي عند دخولك الماسونية كما تخلع نعليك وادخل بلا عقيدة فهكذا يريدك الشياطين ليستعبدوك ليسخروك لمصالحهم . . إن الذين يحارَبون اليوم بدعوى الإنسانية هم المسلمون ! يحاربون بها من طريقين أو من أجل هدفين : الهدف الأول هو إزالة استعلاء المسلم الحق بإيمانه الناشىء من إحساسه بالتميز عن الجاهلية المحيطة به في كل الأرض لكي تنبهم شخصيته وتتميع . الهدف الثاني هو إزالة روح الجهاد من قلبه ليطمئن الأعـداء ويستريحـوا . فعن الهدف الأول يقـول المستشـرق النمسـاوي المعاصر فون جروينباوم في كتاب له يسمى: (الإسلام الحديث) : إن الحاجز الذي يحجز المسلم عن التغريب هو استعلاؤه بإيمانه.وإنه لا بد من تحطيم ذلك الحاجز لكي تتم عملية التغريب . . . وفي كتاب الغارة على العالم الإسلامي: (إن أوروبا كانت تفزع من الرجل المريض (وهو مريض) لأن وراءه ثلثمائة مليون من البشر مستعدون أن يقاتلوا بإشارة من يده وهذا النص الأخير يدخل بنا إلى النقطة الثانية أو الهدف الثاني من استخدام دعوى الإنسانية في محاربة المسلمين: إن أشد ما يخشاه أعداء الإسلام من الإسلام هو روح الجهاد الكامنة فيه وقد مر بنا في الفصل الماضي كلام المستشرق الكندي المعاصر (ولفرد كانتـول سميث) الذي يقـرر فيه أن أوروبا لا تستطيع أن تنسى الفزع الذي ظلت تزاوله عدة قرون من الفتح الإسلامي وأن الفزع لا يدانيه شيء في العصر الحديث ولا فزع أوروبا من استيلاء الشيوعية على تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٤٨ .

وهذا هو المستشرق الأمريكي روبرت بين يقول في مقدمة كتابه السيف المقدس: (إن لدينا أسباباً قويـة لدراسـة العرب والتعـرف على

طريقتهم في التفكير؛فقد غزوا الدنيا كلها من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية ، إن النار التي أشعلها محمد ما تزال تشتعل بقوة وهناك ألف سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء).ولنترك المستقبل لعلم الله فما ندري ماذا يكون من أمر المسلمين غداً ولكنا ننظر إلى الحاضر ذاته فنلمح السبب في فزع أعداء الإسلام من روح الجهاد الكامنة فيه ، إن أوروبا لم تتضخم كما تضخمت اليوم ولم تصل إلى الرفاهية الناعمة التي تعيش فيها إلا باستعمار العالم الإسلامي ونهب خيراته واستعباد أهله وإخضاعهم لنفوذها فماذا يكون إذا استيقظت في المسلمين روح الجهاد فطردوا ذلك الاستعمار بكل أنواعه الخفية والظاهرة العسكري منها والسياسي والاقتصادي واستردوا سيادتهم على أرضهم وأرواحهم وأفكارهم وضمائرهم؟ ماذا يحدث لأوروبا لو تم ذلك؟ ومن أين لها الرفاهية الناعمة التي تعيش فيها اليوم إذا احتفظ المسلمون بخيراتهم لأنفسهم أو باعوها لأوروبا بيعاً حراً بالسعر الحقيقي الذي تستحقه في التجارة الحرة المتكافئة؟ ومن أين لها التضخم الذي تمارسه اليوم سواء التضخم العسكري أو العلمي أو المادي إذا انحسرت مواردها وكسدت بضاعتها التي توزعها اليوم على المتخلفين وتربح فيها بغير حساب ؟ كلا ما يحب أعداء الإسلام قط أن تستيقظ روح الجهاد الكامنة فيه ولو لم يتحقق شيء من كلام روبرت بين الذي يزعج به أعصاب الغرب ليشتدوا في الضغط على المسلمين ولا يتيحوا لهم أي فرصة للنهوض أو على وجه التحديد لا يتيحوا لهم أي فرصة للرجوع إلى حقيقة الإسلام التي فقدوها بعملية التغريب . ودعوى الإنسانية من أسلحة الحرب الموجهة ضد روح الجهاد عند المسلمين : يا أخي لقد تغيرت الدنيا ! لا تتكلم عن الجهاد أو إن كنت لا بد فاعلاً فتكلم عن الجهاد الدفاعي فحسب ! ولا تتكلم عنه إلا في أضيق الحدود ! فهذا الذي يتناسب اليوم مع الإنسانية المتحضرة ! لقد كانت للجهاد ظروف تاريخية وانقضت .

أما اليوم فقد أصبحت الإنسانية أسرة واحدة ! وهناك قانون دولي

وهيئات دولية تنظر في حقك وتحل قضاياك بالطرق الدبلوماسية فإذا فشلت تلك الهيئات في رد حقك المغتصب فعندئذ لك أن تقاتل دون حقك ولكن لا تسمه جهاداً ، فالجهاد قد مضى وقته إنما سمه دفاعاً عن حقوقك المشروعة !!

أما نشر الدعوة فإياك أن تتحدث فيه عن الجهاد ! هذه فضيحة ! هناك اليوم وسائل (إنسانية) لنشر الدعوة فاسلكها إن شئت . هناك الكتاب والمذياع والتلفاز والمحاضرة والدرس إياك إياك أن تتحدث عن الجهاد فتكون مضغة في أفواه المتحضرين ، ولا نقول لهؤلاء أين الهيئات الدولية في قضية فلسطين ؟ وفي قضية الفلبين وفي قضية كشمير وفي قضية أفغانستان وفي كل قضية كان المسلمون طرفاً فيها ، أين هي الحقوق التي ترد بالطرق الدولية أو العدوان الذي يصد ؟ ولا نقول لهم ما قيمة هذه الهيئات الدولية والقانون الدولي وكل الإجراءات الدولية إذا كان هذا القانون يعترف رسمياً بأن هناك جبابرة خمسة في الأرض لهم الحق الشرعي !! أن يوقفوا أي إجراء لا يوافق أهواءهم ومطامعهم العدوانية مهما يكن عادلاً في ذاته عن طريق (الفيتو) (حق الاعتراض) لا نقول لهم ذلك لأنه لا فائدة من جدالهم ،إنما نقول لهم: إن اسرائيل تضرب بقرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن عرض الحائط وتعلن في تبجح وهي المعتدية دائماً أنها لن تخضع لهذه القرارات ولن تلتزم بها ولا يتحرك الإنسانيون لتأديبها ،إنما يشهر سلاح الإنسانية في وجه المسلمين فقط حين يطالبون بحقهم المشروع . الإسلام دين الله صريح غاية الصراحة حاسم كل الحسم لا يداور ولا يناور ولا يتاجر بالشعارات،والإسلام يفرق في صراحة حاسمة بين المؤمنين وغير المؤمنين : ﴿ خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾، ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ .

ويقرر في صراحة حاسمة أن ولاء المسلم هو لله ولرسوله وللمؤمنين ويحرم الولاء فيما وراء ذلك:﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾،﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾،﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ ويقرر في صراحة حاسمة كذلك أن الجهاد لنشر الدعوة ماض إلى يوم القيامة:﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾(١). وقد وقع في حبائل هذه الدعوة جمع من الكتاب المسلمين حتى أنك تجد أحدهم بدل ما يدعو إلى الإسلام يدعو إلى الإنسانية ؛ يقول الدكتور محمد البهي:(إن المبادىء الإنسانية هي التي ترسم السلوك المثالي في حياة الإنسان؛إنها المعاني التي إذا وصل إليها الإنسان كان مهذباً في عشرته ومعاملته . . وبغير ترسم الإنسان لطريق المبادىء الإنسانية لا يستطيع أن يقود نفسه ولا أن يسود غيره . . فإذا تسامح الإنسان عند المقدرة على الانتقام وراعى حرمات الغير عند المقدرة على الاعتداء عليها يكون قد حكم إنسانيته،حكم عقله وحكم إرادته الإنسانية)(٢) وهذا كلام عجيب حقاً فما هي المبادىء الإنسانية التي ترسم السلوك المثالي !

إن الذي يرسم السلوك المثالي هو المبادىء الإسلامية لأنها من عند العزيز الحكيم،أما الإنسان فإنه ظلوم كفار هلوع منوع جزوع إذا لم يهتد بنور الوحي .

أما الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فهو يتلمس في الإسلام سنداً

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص ١٩ ـ ٢٤ .

(٢) الإسلام في حياة المسلم للدكتور البهي ص ٨٢ ـ ٨٥ ومما ينبغي التنبيه إليه أن الدكتور البهي قد كتب مؤلفات قيمة انتقد فيها ما يسمونه (الإنسانية العالية) كما سيأتي ولعله كتب هذا الكتاب في مرحلة معينة من حياته كان متأثراً فيها بتلك الأفكار .

للدعوة إلى الإنسانية فيقول:(لم يضع الإسلام حدوداً تفصل بين بني البشر أو تحول دون تفاهم أبناء الإنسان فكان الناس يجولون في بلاد العالم الإسلامي من كل عنصر وجنس وملة دون قيد أو حجر أو صعوبة في الانتقال أحراراً في تنقلاتهم . ونهى عن تتبع عورات الإنسان والتجسس عليه ودخول منزله إلا بأذن منه،وفرض حرمة المسكن وحرمة العرض وحرمة الدم وحرمة المال وحرمة الملكية،وحـرّم التدخل في شؤونه الخاصة أو شؤون أسرته ، وفرض حماية الجار والـلائذ المستعيـذ والمضطهـد،ولم يعترف بالعنصرية ولا بالجنسية بل جعل الناس إخوة في الإنسانية وفي الله وفي الإسلام،وجعل لكل إنسان حق التملك وحرم أن يحرمه أحد من ملكه تعسفاً وظلماً،وأوجب حق الفرد في حرية الفكر والضمير وحريـة الرأي والتعبير وحرية الاجتماع،وجعل له الحق المطلق في أن يصل بكفايته إلى أعلى المناصب في الدولة)[1] ، وهذا الكاتب-هدانا الله وإياه- نظر في مبادىء الديمقراطية الغربية التي يزعم أصحابها أنها مبادىء إنسانية فأعجب بها ثم أفتى من عند نفسه بأن الإسلام يقرر هذه المبادىء - نعوذ بالله من القول على الله بغير علم - ولو رجع إلى الكتاب والسنة لعرف من هو الإنسان الذي حرم الإسلام دمه ومن هو الإنسان الذي أهدر دمه ومن هو الذي يتولى أعلى المناصب في الدولة وهل للكافر حرية التعبير والاجتماع والتملك سواء كان حربياً أم ذمياً !! وكثير من الكتاب على هذا المنوال كمعروف الدواليبي في كتاب ندوات علمية في الرياض وباريس والفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي . وفي كتابه نظرات إسلامية حيث جعل يعدد حقوق الإنسان في الإسلام-على حد زعمه- فقال منها :

١ - النداء بوحدة الأسرة الإنسانية على اختلاف شعوبها وأعراقها . . إلخ .

٢ - الدعوة إلى التعارف والتعاون بين الشعوب على ما فيه خيرهم وتقديم

---

(١) الإسلام والحضارة الإنسانية للخفاجي ص ١٠٤ .

جميع أنواع البر إلى جميع بني الإنسان دون النظر إلى جنسيته أو دينه . . إلخ .

٣ ـ حرية الإنسان في عقيدته وعدم جواز ممارسة الإكراه فيها .

٤ ـ حرمة العدوان على مال الإنسان وعلى دمه)[١] .

إن الذي دمه معصوم وماله معصوم هو المسلم أو صاحب الذمة ولكن الإنسانيين يتلاعبون بالنصوص الشرعية فيقولون: الإنسان معصوم الدم والمال والكرامة في الإسلام ونحو ذلك من العبارات التي تقربهم من مبادىء الديمقراطية الغربية وترضى عنهم العالم المتحضر ! وهذا ليس صحيحاً فإن الإنسان إما كافر مهدر الدم وإما مسلم معصوم الدم أو صاحب ذمة يعصم دمه إذا دفع الجزية وخضع لحكم الإسلام وهو ملتزم بالذل والصغار، ولكن الإنسانيين يجمجمون ويأتون بالعبارات العامة التي يفهم منها الغرب بأنهم على مبادئهم، وإذا ناقشهم مسلم بالنصوص الشرعية جنحوا إلى التأويل وما أشبه ذلك ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ .

ومن أشهر الشخصيات التي دعت إلى الإنسانية في حرارة لأجل إماتة الروح الجهادية في أبناء الهند إبّان الاستعمار الإنجليزي المدعو سيد أحمد خان بهادر، وقد قام في الهند بحركة واسعة النطاق ترفع لواء الإصلاح والتجديد، وقد أسس كلية علمية تدعى الكلية الإنجليزية الشرقية المحمدية خرجت الكثير من شباب الهند ممن هم على شاكلته وقد تحولت الآن إلى الجامعة الإسلامية في الهند بعد تقسيم سنة ١٩٤٨ م وفيها تدرس المسيحية بعناية[٢] ؛ يقول الدكتور محمد البهي في وصفه لتفسير القرآن لسيد أحمد خان المذكور ما يلي: (وقد نهج السيد أحمد خان في

---

(١) انظر كتاب نظرات إسلامية للدواليبي ص ٥٢ .

(٢) انظر كتاب الفكر الإسلامي الحديث للبهي ص ٤٣ .

تفسيره للقرآن الكريم على تطبيق آياته على أساس طبيعي مما يناقض تماماً القول بالمعجزات وخوارق العادات؛ولهذا جعل (النبوة) غاية تحصل وتكتسب عن طريق الرياضة النفسية؛فهي غاية إنسانية طبيعة وطريقها طريق إنساني غير خارق للعادة،ولكنه مع ذلك يقر ختم الرسالة الإلهية ببعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام . وفي شرحه لآيات القتال أضعف من فرضية الجهاد في الوقت الحاضر كما أنه في الآيات الأخرى الخاصة بأهل الكتاب عبر في غير لبس عن توهين الفجوة بين أهل الكتاب من جانب والمسلمين من جانب آخر !! وطلب التعاون بين المسلمين والغربيين ودعا إلى ما أسماه (إنسانية الأديان) أي: المعنى الإنساني العام الذي تدعو الأديان السماوية إلى اعتباره وحفظه ! وهو ما يشبه اليوم فكرة العالمية التي تتبناها اليهودية الرأسمالية والشيوعية الدولية،وقد كانت من قبل تلقب بالفكرة الماسونية،وفي هذه الفكرة تنمحى كل الفوارق بين الأوطان والقوميات والأديان والمذاهب)(١) .

أما وسائل الإعلام في العالم فدعوتها إلى الإنسانية لا تحتاج إلى تدليل وما ذلك إلا لسيطرة اليهود على وسائل الإعلام وبمراجعة الميثاق الإذاعي للدول العربية يظهر بوضوح الدعوة الصريحة والمكشوفة إلى الأخوة الإنسانية بغض النظر عن العقائد حيث جاء في المادة الثانية منه ما يلي: (التعريف بالوطن العربي مهد الحضارات ومهبط الرسالات وبالدور الذي اضطلع به الإنسان العربي !! في هداية البشرية ومساهمته الحضارية وحمل رسالة الأخوة الإنسانية والحرية والمحبة والتسامح . .) وجاء في المادة السادسة:(الانفتاح على الحضارة الإنسانية أخذاً وعطاء وتعميق روح الأخوة الإنسانية والتأكيد على أن الأمة العربية تمد يدها لكل شعوب الأرض دون ما نظر إلى اختلاف في الدين أو العقيدة أو أسلوب الحياة للتعاون

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث للبهي ص ٤٢ .

على توفير أسباب الحرية والتقدم والسلام القائم على العدل وذلك انطلاقاً من جوهر القيم العربية واستهداء بميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان)[1]، ومما تقدم يظهر بوضوح خطر الدعوة إلى الإنسانية على الجهاد في الإسلام؛فإن جوهر الدعوة إلى الإنسانية هو نبذ الدين وعدم جواز مقاتلة الإنسان لأخيه الإنسان مهما كان اعتقاده وكيف لا تكون كذلك وهي إنتاج ماسوني؛فإن الماسونية ترعى هذه الدعوة الخبيثة وتزينها للناس بأساليب خلابة؛يقول الدكتور محمد محمد حسين:(ولو تتبعنا الدعوة المبتدعة المعاصرة إلى العالمية (الإنسانية) لوجدنا أنها على اختلاف صورها وشعبها كما سنبينه من بعد دعوة هدامة مخربة من وجوه كثيرة أولها: أنها تناقض الناموس كما بيناه ثم إن كل شعبة من شعبها تريد أن تكون ديناً جديداً يجتمع عليه الناس ومن أجل ذلك فهي تشترك في مهاجمة الأديان لتحطم سلطانها على قلوب الناس وضمائرهم حتى تحل محلها الولاء للمذهب الجديد فهدم الأديان مرحلة لا بد أن يمر بها الداخل في مذاهبهم لكي يتحقق ما يزعمونه من محو العصبيات التي هي في زعمهم أصل العداوات والحروب بين الناس والأمم . . وللعالمية تطبيقات واسعة في كل نواحي الحياة وأنشطتها المختلفة من سياسية ودينية واقتصادية وأدبية ولغوية وكلها تحاول أن تصل إلى النظام الواحد الذي يجمع الناس في كل ميدان من هذه الميادين المختلفة على مذهب واحد أو هي بعبارة أخرى تحاول أن تكتشف الأصول الإنسانية المشتركة ـ حسب زعمهم ـ وراء مظاهر التعدد المتباينة في هذه الأنشطة البشرية لتصبح الأرض وطناً واحداً يدين بدين واحد ويتكلم بلغة واحدة ويتذوق الفنون

---

(١) المنظمات العربية المتخصصة في نطاق جامعة الدول العربية للأستاذ غسان يوسف ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ .

والآداب بذوق واحد مشترك وليست الدراسات الحديثة في الدين المقارن والأدب المقارن والقانون المقارن وعلم اللغة المقارن أو ما يسمونه علم اللغة العام وأشباهها إلا فروعاً من هذا التصور وأدوات لتحقيق هذه الغاية التي لا سبيل إلى تحقيقها لأنها تطمح إلى أن تخرق سنن الله ونواميسه أو لأنها تجهل هذه السنن والنواميس . والدعوات المبنية على هذا التصور كلها دعوات هدامة لأنها تهز بعنف عوامل التجمع والتآلف التي تقوم عليها المجتمعات البشرية ثم تعجز عن أن تقيم بدلاً منها عوامل أخرى للتجمع وأساليب أخرى للتعاون والتآلف ينتظم بها العمران؛فهي تشكك الناس في ولائهم الديني والوطني وتضعف ثقتهم في كل قوانينهم ومؤسساتهم ثم تتركهم في الفوضى والقلق وسط أنقاض ما هدمت من عقائد وما قطعت من وشائج. الماسونية ـ على سبيل المثال ـ تدعو إلى الإنسانية ومحبة البشر كلهم بلا تمييز،والمشتغلون باستحضار أرواح الموتى ممن يسمون أنفسهم الروحيين يدعون إلى الإنسانية والسلام ويعتمدون في ذلك على ما يدعونه مما ينسبونه إلى أرواح من يتصلون بهم من مختلف الأجناس والملل،والشيوعية كذلك تدعو إلى الإنسانية والسلام،ودعاة التوفيق بين الأديان يدعون إلى ديانة مبتكرة يرتضيها كل الناس منهم البهائية ومنهم أصحاب الدعوة إلى التوحيد بين الإسلام والنصرانية وهناك دعوات أخرى تلبس هذا الثوب نفسه وتدعو إلى تعاون البشر كالروتياري والأسود (الليونز) والتسلح الخلقي وشهود يهوه. .)[1].

إن الدعوة إلى أن يعيش الإنسان مع أخيه الإنسان ويحبه ويمد يده إليه ولا يحاربه لأجل عقيدته دعوة ماسونية تهدف إلى إسقاط الجهاد وإسقاط عقيدة حب المؤمنين وبغض الكافرين.والماسونية جمعية سرية يهودية هي سبب كثير من البلايا والنكبات في هذا العصر وفي العصور

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين ص ١٩١ ـ ١٩٦ .

التي قبله،ونظراً لشدة خطرها على العالم عامة وعلى الأمة الإسلامية خاصة أنقل تعريفاً بها وبأساليبها للعلامة الشيخ عبد الرحمن الدوسرى رحمه الله تعالى -وهو من أشد الناس اطلاعاً على خفاياها لأنه كان جاعلاً هتك أسرارها ديدنه وهجيراه وكان شديد التحذير منها في كل مناسبة-إذ يقول عنها في جواب سؤال وجه إليه عن الماسونية :(الحمد لله رب العالمين.

الماسونية جمعية سرية يهودية يسمونها بالقوة الخفية أسسوها بادىء الأمر ضد النصارى لتعمل على تحريف إنجيلهم أو أناجيلهم،وإفساد عقائدهم وأفكارهم،وتشتت أمرهم بأنواع الخلاف والشقاق.وقد سلكوا شتى الأساليب الدقيقة لتحقيق ذلك،فلما جاء الإسلام وسعوا دائرتها ليحيطوه بأشراكها .

واليهودية العالمية تمد الجمعيات الماسونية برجال الفكر والدهاء والمكر ويلبسون لكل عصر لبوسه الملائم،بل يلبسون لكل أمة وشعب وبلد لبوسها الملائمة،بل يدخلون إلى كل رجل من مداخله وأذواقه الخاصة حتى يستطيعوا فتنته وقد حصلت اعترافات كثيرة في أوقات متفرقة على أن الماسونية أوجدت لخدمة أهداف اليهود الشريرة وتسهيل عملية استيلائهم على عقول القادة وتحطيم نفوسهم وتحويلهم إلى عبيد مؤمنين بالماسونية ويكفرون بالله ويخونون أوطانهم ويبيعون أمتهم لصالح اليهود وذلك لقوة انطلاء المكر الماسوني وشدة تأثيره على القلوب بحيث كسبت أعظم وأكثر القادة في الشرق والغرب وتغلغلت الماسونية في الأسر المالكة والطبقات الحاكمة في أوروبا ومن دار في فلكها الثقافي في البلاد العربية ولهم طرق في خداع الشعب إذ لمسوا فيهم الإحساس بخطر الماسونية أو الامتعاض من حكامهم المتهمين بها فإنهم حينئذ يوعزون إليهم باغلاق أي مؤسسة افتضحت بالماسونية ليقيموا على أنقاضها مؤسسة تحمل اسماً آخر وهي في الباطن عين الماسونية - ليبرىء المسؤول نفسه من وصمتها ويكسب سمعة جديدة يقلب بها صفحة من نوع آخر لخدمة اليهود . وقد جاء في قرار المؤتمر الماسوني المنعقد عام ١٩٠٠ م في باريس : إن غاية الماسونية تأسيس جمهوريات علمانية تتخذ الوصولية والنفعية أساساً للاتحاد

الماسوني . ومن نتائجها القديمة تحريف الكتب المقدسة والعبث بتفريق الأديان والجماعات وإضرام نيران الحروب والعداوة بين الأمم ومن نتائجها في أول الإسلام .

١ - عمل المؤامرة لقتل الخليفة الثاني .
٢ - اختلاق الأكاذيب على الخليفة الثالث وعماله .
٣ - تزوير المكاتيب وقلب الحقائق حتى جرى ما جرى .
٤ - العبث بعقول الأحزاب حتى أنشأوا فيهم الخوارج والنواصب .
٥ - نشر التجهم بفروعه المختلفة من جهمية ومعتزلة وقدرية وغيرهم هذا إلى جانب القرامطة والباطنية في نواحٍ أخرى.
٦ - أكاذيبهم على الأمويين والتعاون مع الأعاجم على الإطاحة بهم حتى تسنى لهم ترويج هذه المذاهب وما عملوه في زمنهم من إبراز المختار الكذاب ونحوه كما ضبطه صاحب كتاب: (تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في الإسلام) الذي ينبغي اقتناؤه ثم العمل على إضرام نيران الحروب التترية والصليبية وإبراز من يخدمها ويمد للغزاة سبيل الفتك كالنصير الطوسي وابن العلقمي وغيرهم، وتأثيرهم على نصارى الشرق وإثارة النعرة فيهم ليتعاونوا مع إخوانهم الغزاة ضد المسلمين ويتجسسوا لهم ويدلوهم على كل طريق كما قرره قادة الغزو في ثنائهم على نصارى العرب عكس ما يزعمه أتباع (جورج حبش) ونحوه من القوميين عن جهل أو تضليل .

ومن نتائج الماسونية أخيراً : -

١ - قيام الثورة الفرنسية على حكم الكنيسة الذي هو من أوضاعها المقصودة لإشقاء الناس ومحاربته العلم والمخترعين ليتم لهم ما يريدونه من حرب الدين واقتلاعه من النفوس حتى جروا أوغاد المسلمين بالتقليد إلى محاربة دينهم دون النظر إلى الفوارق العظيمة

بين الدين الإسلامي ودين الكنيسة وطالما يستغلون عبث السياسة وتلاعب الموظفين تحت الاستبداد لنيل أغراضهم من الإسلام وأهله كأنهم إذا حكموا حولوا الدنيا إلى جنات الفردوس . ولكون الماسونية تخدم أغراض اليهود وتعمل على إقامة دولتهم وتدعيمها فإنها لا تزال تعمل في إقامة الثورات المتواصلة التي تخسر فيها بلاد المسلمين رجالها وعلماءها وتتبدد طاقاتها وتضيع ثرواتها ويقل إنتاجها بتأميم مصانعها ومصالحها واستعباد أهلها بأفكار تضرهم وتنفع اليهود لأنها ملتقطة من مزابلهم . وقد جاء في قرار المؤتمر الدولي المنعقد في بروكسل : يجب أن لا يغرب عن الأذهان أن الماسونية هي التي دبرت الثورة الفرنسية في محافلها لأجل تحقيق أغراضها (ص ١٢٤) وجاء في محفل الكرسي الأكبر سنة ١٩٢٢ ص ٢٨١ أن الماسونية التي لعبت أهم الأدوار في إشعال الثورة الفرنسية يجب أن تكون على أهبة الاستعداد للقيام بأية ثورة منتظرة في المستقبل فعلى السائل والقارىء أن يعلما منشأ الثورات وحالة المتبجحين بها وأنهم ماسونيون أذناب اليهود ثم ليعلم السائل والقارىء من نفس اعتراف الماسونيين ، هذا أنهم قد لعبوا دورهم الخطير في السياسة الأوروبية القائمة على أسس الاستعمار والعنصرية ليعلما الفرق الشاسع بين خطتهم الآثمة وما يدعونه من مبادىء الإنسانية وهاكم تعميماً لهم في مضابط المشرق الأعظم عام ١٨٩٣ م نصه هكذا :(إن المشرق الأعظم يرى حفظ الأسرار من أهم واجبات الماسونية ويمنع منعاً باتاً كل النشرات المتعلقة بالأفعال والحركات . . إن كل شيء عندنا قد يسدل عليه ستار من السر وبقوة الوحدة والكتمان ننتصر في المعارك الفاصلة) فإذا كانت الماسونية تعمل لخير الإنسانية فما الداعي إلى التكتم الشديد ؟ وهاكم قرارات أخرى تتعلق بتحطيم الدين فقد نصت مضابط المحفل الماسوني الأكبر عام ١٨٩٧ ص ٥٤ : لا يقبل المتدينون في المحافل الماسونية لأن الذي ينخرط في المحافل يجب

أن يكون حراً والماسوني الحقيقي لا يكون متديناً وعلى الماسونية أن تتفق مع كل أولئك الذين لا يدعون إلى الدين أمثال الاشتراكيين والديمقراطيين ودعاة حقوق الإنسان والجمعيات المتحررة الأخرى وعليها أن تشترك في المجالات الأخرى للعمل كالجامعات الشعبية والمدارس السياسية والمؤسسات الأخرى (نشرة المشرق الأعظم عام ١٩٠٣ ص ٣٠٠) وجاء فيه أيضاً :(على الإخوان أن ينفذوا في صفوف الجمعيات الدينية وغيرها بل عليهم إن احتاج الأمر أن يقوموا بتأسيس تلك الجمعيات على أن لا تشم منها أي رائحة حقيقية للدين عليكم أن تلموا شمل قطيعكم أينما كنتم حتى في المعابد الصغيرة وعليكم أن تولوا أمورها السذج من رجال الدين ولتطعموا - خفية - ذوي القلوب الكبيرة من الرجال بقطرات من سمومكم . وبغية التفرقة بين الفرد وأسرته عليكم أن تنزعوا الأخلاق من أسسها لأن النفوس تميل إلى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة فعليكم أن تنتزعوا أمثال هؤلاء من بين أطفالهم وزوجاتهم وتقذفوا بهم إلى لذائذ الحياة البهيمية). وهذا القرار من الماسونيين يكفي وحده للتدليل على مبلغ روح الهدم والكره التي يحملونها نحو المجتمعات مما يخالف معنى الإنسانية التي يتشدقون بها إفكاً وتضليلاً فيا لها من يهودية تسعى في الأرض فساداً . وجاء في قرار مؤتمر محافل الماسونية عام ١٨٨٤ م: يجب على الماسونيين الذين بيدهم زمام الأمور أن يأتوا بالماسونيين إلى سدة الحكم وأن يقربوهم من كراسيه وأن يكثروا من عددهم فيه وفي وسع الماسوني أن يكون مواطناً ونائباً أو رئيساً بشرط أن يكون ماسونياً وعليه أن يستلهم الأفكار الماسونية ومهما علت مكانته الاجتماعية فإنه يستوحي مذهبه من المحفل الماسوني لا من مكانته . إن الماسونية هي سيدة الأحزاب السياسية لا خادمتها، وإنها هي المنظمة الوحيدة التي تناهض الأديان والتقاليد ، إن الجمعيات الرياضية والفرق الموسيقية وغيرها من المؤسسات التي تربي الناشئة

عقلياً وجسمياً هي المرتع الخصب لنمو الماسونية فيها). . . هذه جمل قصيرة من قراراتهم نقلتها لإيضاح الحقيقة ولا يخفى أن الذين يديرون دفة الماسونية هم يهود في جميع أنحاء العالم وهم المحركون لأكبر ساسة العالم وقد صرح السياسي الإنكليزي المشهور (بنيامين) سنة ١٨٤٤ م قائلاً :(إن الذين يديرون دفة السياسة في العالم ليسوا الذين هم في دست الحكم ظاهراً وإنما هم الذين يكمنون وراء الكواليس).وصرح نابليون الثالث ملك فرنسا عام ١٨٥٩ بقوله:(يجب ألا نخدع أنفسنا.إن الدنيا تدار من قبل المنظمات السرية).وفيما أوردته كفاية للتعرف على خطر الماسونية وخدمتها للأغراض اليهودية وتلونها في الهدم والتخريب بشتى الطرائق ومن أراد مزيد الاستطلاع فعليه بمراجعة الكتب المتكفلة بكشف أسرارهم مثل كتاب (تبديد الظلام)لعوض الخوري،وكتاب (أوقفوا هذا السرطان) للبستاني وكتاب (الماسونية) و(أسرار الماسونية) وكتاب (السر المصون في شيعة الطرمسون). إلا أن هذا الكتاب فيه أسماء شخصيات كبيرة قد انخدعت بدخول الماسونية ثم خرجت منها بعد تبين أمرها فلا يجوز التعويل على ما ذكر فيه ! ومن المهم في هذا الجواب التنبيه على نوادي الروتاري فإنها من صيغ الماسونية وعلاقتها بالنوادي المشبوهة الأخرى كالليونز ـ والكوائي ـ والاكتث تنج وغيرها مما يقصد اليهود من تكونها إيجاد خطط موحدة لأهداف تشخص إليها . . وأزيد القارىء تنبيهاً إلى أن جمعية الاتحاد والترقي مؤسسة ماسونية يهودية أقيمت للإطاحة بالسلطان عبد الحميد وأن الحكم بعده صار بيدهم وبيد المخدوعين بهم والمؤتمرين بأمرهم والذي ذاق بعضهم القتل على أيديهم وسأتحف القراء الكرام بذكر أسماء اليهود الذين ركزتهم الماسونية في أخطر المناصب العالمية الحساسة وأرقاها ليعرف القراء الكرام من هو المحرك الوحيد لمن يعتبره أكثر الساسة مرجعاً ويعتمد

عليه وليطلعوا على مدى الأخطبوط الرهيب الذي يجهله أو يتجاهله كثير أو قليل من أولئك والله الهادي.

ولما كانت مهمة الماسونية هدم الأديان سوى دين اليهود والقيام بتزييفها وطمسها من جهة ومن جهة أخرى العمل الدائب لإعلاء اليهود وانتصارهم ونفوذ كلمتهم فقد عملت الماسونية التي هي القوة الخفية على تركيزهم في المناصب الممتازة لأن غايتها القصوى تمكين اليهود من الاستيلاء على العالم فهي أساس أعمالهم. وقد ركزت عدداً هائلاً من اليهود في عصبة الأمم سابقاً وهيئة الأمم أو مجلس الأمن لاحقاً كما دلت على هذا مضابط المحفل الأكبر للماسونية. وهاك أيها السائل المحترم والقراء الكرام أهم أسماء الأشخاص الذين ركزتهم الماسونية في أهم المراكز العالمية الحساسة:

١ ـ هيئة الأمم المتحدة: في مكتب السكرتارية أهم شعبة فيه قد تمركز فيه اليهود.

٢ ـ الدكتور أ ج أ س بلوك رئيس قسم التسلح. فلاحظوا مبلغ الخطر يا أحبابي.

٣ ـ النتوبي كولات. للأمور الاقتصادية.

٤ ـ آنس كارر وزبنزغ: المستشار الخاص للشؤون الاقتصادية.

٥ ـ دايف وانتاوب: رئيس قسم الميزانية.

٦ ـ رئيس قسم الخزائن والواردات (كارن لاجمن).

٧ ـ معاون سكرتير الشؤون الاجتماعية (هنري لانكير) كل هؤلاء يهود.

٨ ـ رئيس قسم المواد المتبادلة الدكتور (ليون استنبك) يهودي.

٩ ـ رئيس قسم حقوق الإنسان الدكتور شيكويل يهودي فما أبعد الإنسانية عن نيل حقوقها من اليهود!.

١٠ - رئيس دائرة مراقبة البلاد غير المستقلة أ ج أي ويكوف يهودي، ولهذا لا تحصل بلاد على استقلالها حتى يستكمل المسخ الفكري لأهلها من جهة وحتى يتسلم البلاد من المستعمر من يحكمها بأخبث من حكمه وأشنع ولو بتصارع جبهات لا يرتفع فيها إلا الذي يرضاه المستعمر خلفاً له كما جرى في كثير من البلدان آخرها (عدن).

١١ - مساعد السكرتير العام لقسم الاستعلامات العامة بنيامين كوهين يهودي.

١٢ - رئيس قسم الأفلام جي بنيوت ليفي يهودي. فلا تستنكر ما تراه في عالم الأفلام من الخلاعة والمجون وإثارة الغرائز وغلبة الوقاحة ما دامت الرئاسة لليهود.

١٣ - مساعد السكرتير العام لشعبة القوانين الدكتور إيفان كرو. يهودي ولهذا ينشىء في كل بلدة من أبنائها من يحبذ القوانين الغربية ويسخر من الشريعة السماوية.

١٤ - رئيس الشعبة القانونية. ابراهام أج فيلر يهودي.

١٥ - مشاور شعبة القانون الدولي جي ساند برك يهودي.

١٦ - رئيس قسم المطبوعات. دافيد رزايلود رويسكي يهودي.

١٧ - رئيس قسم المترجمين. جرحوا رابتوفيج يهودي.

١٨ - رئيس قسم التصاميم مرسيدس بركمن يهودي.

فانظر أيها السائل وأنظروا أيها القراء الكرام إلى أي مدى خطر هذا الموظف اليهودي الذي ركزته الماسونية في هذا المنصب لأن جميع طلبات الانتماء لوظائف هيئة الأمم المتحدة تقبل أو ترفض من قبل هذا المدير بهذه المديرية وبلا شك يقبل كل متقدم للوظيفة هنا من اليهود الخبثاء ويرفض ما سواهم وبهذا يزداد عددهم في أخطر مؤسسة عالمية.

٢١ ـ رئيس قسم المراجعات الدكتور أي سبنحر يهودي وله تأثير أيضاً[١].

٢٢ ـ رئيس أطباء قسم الصحة العالمية بأول رادزرياتكو. يهودي.

٢٣ ـ رئيس قسم الاستخبارات لمركز جنيف جرزي شيزو ـ يهودي.

٢٤ ـ رئيس قسم الاستخبارات لمركز الهند ليكفر يهودي.

٢٥ ـ رئيس قسم الاستخبارات لمركز الصين هنري فاست يهودي.

٢٦ ـ رئيس قسم الاستخبارات لمركز وارسو الدكتور جولوليس ستاويسكي يهودي.

٢٧ ـ رئيس الأقسام الداخلية والدولية لهيئة الأمم المتحدة دافيد ـ أي موريس واسمه الحقيقي موسكو فيج يهودي.

٢٨ ـ مساعد لهذا هو آلنمن يهودي بولوني.

٢٩ ـ مساعد آخر دايفيد زلباخ يهودي أميركي.

٣٠ ـ مساعد ثالث للمذكور آنفا فينت يهودي بلجيكي هؤلاء يسيطرون على هذا القسم.

٣١ ـ رئيس الأقسام الداخلية لمنطقة خط الاستواء. في. كبريل كارسز يهودي.

٣٢ ـ مخابر بولونيا لشعبة الأقسام الداخلية جان روزنر يهودي.

فانظروا مدى الخطر حيث الرؤساء المسيطرون على هذه الأقسام الهامة في هيئة الأمم المتحدة كلهم من اليهود.

---

(١) لم يكن في النص الرقم ١٩ ، ٢٠ فما أدري سقط من الطباعة أم هناك خطأ في الترقيم .

٣٣ ـ رئيس شعبة التغذية والزراعة أندري ماليس يهودي

٣٤ ـ الممثل الدانماركي في شعبة التغـذية والـزراعة أي بن جـاكويش يهودي.

٣٥ ـ الممثل الهولندي في شعبة التغذية والزراعة أي فريس يهودي.

٣٦ ـ رئيس شعبة التعمير أم أم ليمين يهودي.

٣٧ ـ رئيس شعبة التعايش كير واكارد وس يهودي.

٣٨ ـ رئيس شعبة المتفرقات بي كاردوس يهودي.

٣٩ ـ رئيس شعبة الاقتصاد التحليلي أم. أزاكل حقل يهودي.

٤٠ ـ المشاور الفني لشعبة الغابات جي بي كالكان يهودي.

٤١ ـ رئيس شعبة صيانة الغابات أم أس هاربرن يهودي.

٤٢ ـ رئيس قسم التغذية جي مار يهودي.

٤٣ ـ رئيس قسم الإدارة أف رسل.

فهؤلاء عشرة رؤساء في أقسام هامة من تغذية العالم التابعة لهيئة الأمم المتحدة كلهم من اليهود فياله من خطر.

٤٤ ـ رئيس لجنة التبادل الخارجي لمنظمة اليونسكو للتعليم والثقافة آلف سومر فيلد.

٤٥ ـ رئيس لجنـة تنظيم الثقـافة العـالمية جي أتـرنهارد يهـودي وهذان اليهوديان هما المحوران الأساسيان في شعبة التعليم والثقافة.

٤٦ ـ رئيس شعبة الثقافة العالمية أم. لافهن يهودي.

٤٧ ـ رئيس قسم الاستعلامات العام أج كابلن يهودي.

٤٨ ـ رئيس قسم الميزانية والإدارة سي أج ويتز يهودي.

٤٩ - رئيس شعبة الذاتية باليونسكو أس سامول شيليكن يهودي.

٥٠ - رئيس شعبة الإيواء والسياحة بي أبرايسكي يهودي.

٥١ - رئيس مكتب الهيئة التعيين بي ويرمل يهودي.

٥٢ - رئيس المصلحة الفنية لشعبة صحارى آسيا الدكتور أي ويلسكي يهودي.

فهؤلاء تسعة ركائز كبار مترئسين في منظمة اليونسكو التي يعتمد عليها أدعياء العروبة تارة - والإسلام تارة وإذا كان الرؤساء يهوداً من المفسدين في الأرض فكيف تتاح للمرؤسين مهما كانت ديانتهم أو نياتهم[1]؟.

٥٣ - المدير الاقتصادي لبنك الإعمار الدولي ليونارد بي رست يهودي.

٥٤ - الممثل الشيكوسلفاكي في مجلس شورى الإدارة ليوبولد جيمله يهودي.

٥٥ - عضو الشورى لمجلس الإدارة أي بولاك يهودي.

٥٦ - الممثل الهولندي في مجلس شورى الإدارة أي أم جونك يهودي.

٥٧ - الممثل الفرنسي في هذا المجلس بي منديلس يهودي.

٥٨ - ممثل بيرو في هذا المجلس جي أم برنليس يهودي.

٥٩ - سكرتير بنك الإعمار الدولي أم أم منلس يهودي.

٦٠ - ممثل يوغسلافيا في مجلس شورى الإدارة وي إيراموفيج يهودي.

فهؤلاء ثمانية متمركزون في بنك الإعمار الدولي بأهم المراكز.

---

(١) فيه سقط في النص ولعله (أن يعملوا شيئاً مفيداً).

٦١ ـ المدير العـام لمؤسسة صندوق النقد الدولي كميل كات.

٦٢ ـ معاون المدير العام لويس اكنمـن يهودي.

٦٣ ـ مدير قسم التدقيق أي ام برنستن يهودي.

٦٤ ـ المشاور العام للمؤسسة ليوليف نفاك يهودي.

٦٥ ـ المشاور الأقدم للمؤسسة جوزيف كولد يهودي.

٦٦ ـ العضو الشيكوسلوفاكي في هيئة الإدارة جوزيف كولوهن يهودي.

٦٧ ـ الممثل الفرنسي في هيئة الإدارة بي. منداليس يهودي.

فهؤلاء تسعة ركائز من اليهود الخبثاء في مؤسسة خطيرة تعتبر العمود الفقري لهيئة الأمم المتحدة.

٦٨ ـ المدير العام لمؤسسة الصحة العالمية أي زرابي يهودي.

٦٩ ـ رئيس قسم الطب جي ماير يهودي.

٧٠ ـ المدير العام لقسم الجراحة دكتور أم كودمز يهودي.

٧١ ـ مدير قسم إدارة الطب والمالية أم ستسكل يهودي.

٧٢ ـ رئيس الشعبة الفنية زت دوستجن يهودي.

فهؤلاء خمسة في مؤسسة الصحة العالمية التي هي من أعظم المرافق متمركزون فيها.

٧٣ ـ رئيس اللجنة الداخلية في مؤسسة التجـارة العالميـة ماكس لـوتنز يهودي.

٧٤ ـ رئيس قسم الاستعلامات الدولية أف. سي وولف يهودي.

فهؤلاء الذين ضبطت أسماؤهم منذ عشرين سنة تقريباً قد تمركزوا واحتلوا الصدارة في أعظم المؤسسات العالمية وأخطرها وإذا كانوا قد بلغوا

هذا العدد الهائل في أول وهلة فقد يتضخم عددهم ويتضاعف ثم إنه إذا كان هؤلاء في الرئاسة والمناصب الحساسة فمن الضروري تركيزهم لما يريدون من اليهود والعناصر الخبيثة وإبعادهم لكل عنصر طيب وخفضهم رتبة كل من لا يعمل لصالح اسرائيل)[1].

قلت: إذا كان هذا العدد الضخم من اليهود فكم يكون عدد الماسونيين من غير اليهود!!! وغرضي من نقل هذا النص مع طوله هو لإيضاح أن الدعوة الإنسانية التي يرددها الخبثاء والمغفلون إذا كانت تقف وراءها جميعة الماسونية الخبيثة واليهودية العالمية التي عرف القارىء شيئاً عنها من خلال النص فأي فائدة ترجى منها؟ وهل يجنى من الشوك العنب؟ وهل تدعو الماسونية إلى شيء فيه صلاح العالم وهذا تاريخها وهذه أعمالها وهذه أقوال أقطابها التي تقطر حقداً على الأديان والأخلاق؟ إن لم ينتبه العالم لهذا الخطر الداهم فسيكون الحمار الذي يمتطيه اليهود.

وقد تمكن هؤلاء اليهود الذين سبقت الاشارة إلى أسمائهم ومناصبهم في هيئة الأمم المتحدة ومن معهم من الماسونيين والمغفلين بحكم تمركزهم في هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها من التأثير على الهيئة حتى تبنت ما يسمى بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان حيث وافقت عليه الدول المشتركة فيها في ١٠ ديسمبر عام ١٩٤٨م وصارت الهيئة هي المسؤولة عن تنفيذ حقوق الإنسان بزعمها. وبإلقاء نظرة على مواد هذا الإعلان يظهر بوضوح ما يهدف إليه واضعه من جمع الناس تحت لواء الإنسانية وإلغاء الرابطة الدينية بين الشعوب وإحلال الرابطة الإنسانية محلها وبيان مخالفة «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» للإسلام يستحق رسالة مستقلة ولكن سأقتصر على إيراد بعض مواده المخالفة لحكم الجهاد في الإسلام مبيناً وجه المخالفة فأقول وبالله التوفيق.

---

(١) الأجوبة المفيدة في مهمات العقيدة للدوسري ص ١٧٤ ـ ١٩١ .

أولاً: جاء في ديباجته ما يلي: (إن غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة).

إن هذه العبارة اعتراف وإقرار من كل من صدق على هذا الإعلان بحرية الإلحاد وعدم مجاهدة المرتدين وعدم إفزاع الكفار ونعوذ بالله من حقوق هذه نتائجها!!!

ثانياً: جاء في المادة الأولى ما يلي: (يولد جميع الناس أحراراً... وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء) إن من يعترف بهذه المادة يلغي الحكم الإسلامي المتضمن بأن ابن العبد عبد مثل أبيه ولا يكون حراً إلا بإعتاق سيده له، ثم إن التعامل بروح الإخاء مع الكفرة والملحدين يناقض حكم الجهاد، فالمؤمن أخو المؤمن عدو للكافر، قال تعالى: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾[2] فأين روح الإخاء في الآيات السابقة التي يريدها الماسونيون وأذنابهم؟!!

ثالثاً: جاء في المادة الثانية (إن لكل إنسان التمتع بكافة الحقوق والحريات دون أي تمييز كالتمييز بسبب... الدين).

قلت: إن الله لم يجعل المؤمن كالكافر في كل شيء بل للمؤمن معاملة وللكافر معاملة، ومن راجع أحكام أهل الذمة في الإسلام عرف الفرق بين حقوق المسلم وحقوق الكافر ولكن أين المتدبرون لكلام الله وكلام رسوله من بين موظفي هيئة الأمم المتحدة؟!

---

(١) التوبة ٧٣ .

(٢) التوبة ١٢٣ .

رابعاً: جاء في المادة الرابعة:(لا يجوز استرقاق أي شخص).

قلت: وهذا تحريم لما أحل الله وهو يناقض أحكام الجهاد كما تقدم.

خامساً: جاء في المادة الخامسة:(لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات والمعاملات القاسية والوحشية).

قلت: إن أعضاء هيئة الأمم المتحدة المصدقون على هذه الحقوق! مجمعون على أن رجم الثيب الزاني من العقوبات الوحشية التي تتنافى مع نظامهم. تعالى الله عن قول الكفرة والملحدين علواً كبيراً.

سادساً: جاء في المادة الثامنة:(لكل شخص أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية... إلخ)

قلت: لا يجوز للمسلم اللجوء إلى المحاكم التي لا تحكم بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾(1).

سابعاً: جاء في المادة الثالثة عشرة:(لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة).

قلت: لا يجوز للكافر أن يقيم في المسجد الحرام لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾(2).

---

(1) النساء ٥٩ .

(2) التوبة ٢٨ .

بل لا يجوز له أن يستوطن جزيرة العرب وهو غير مملوك لقول الرسول ﷺ: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»[1] قال مالك: (قال ابن شهاب ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله ﷺ قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب فأجلى يهود خيبر. قال مالك: وقد أجلى عمر بن الخطاب يهود نجران وفدك) ولا يجوز للمسلم أن يقيم بدار المشركين لغير ضرورة أو حاجة لقوله ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»[2]، وقال ابن القيم رحمه الله: (ومنع رسول الله ﷺ من إقامة المسلم بين المشركين إذا قدر على الهجرة من بينهم وقال: (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قيل: يا رسول الله ولِمَ؟ قال لا تراءى ناراهما)[3].

ثامناً: جاء في المادة الثامنة عشرة: (لكل فرد أن يغير عقيدته).

قلت: كذبتم ورب الكعبة فكيف يصدق على هذه الحقوق مسلم!!.

تاسعاً: جاء في المادة الحادية والعشرين: (لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده).

قلت: ليس للكافر ذلك في دار الإسلام لقول الخليفة الراشد الملهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن جعل له كاتباً نصرانياً: (لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله ولا تأتمنوهم إذ خونهم الله عز وجل)[4].

---

(1) موطأ الإمام مالك ص ٦٤٤ ومسند أحمد ٢٧٥/٦ .

(2) صحيح الجامع الصغير للألباني ٢٨٧/٥ وقال إسناده حسن .

(3) زاد المعاد ٣/ ١٢٢ وقال المحققان لزاد المعاد شعيب وعبد القادر حديث صحيح أخرجه أبو داود ٢٦٤٥، والترمذي ١٦٠٤ والنسائي ٨/ ٢٦.

(4) السنن الكبرى للبيهقي ١٢٧/١٠

عاشراً: جاء في المادة الحادية والعشرين: (إن ارادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة).

قلت: إن اختيار أهل الحل والعقد ـ من العلماء والأمراء ورؤوس الأجناد المتمسكين بالكتاب والسنة ـ هو الذي ينبني عليه تعيين الخليفة لا قول دهماء الناس وعجائزهم والحكومة مقيدة بشرع الله ولا يجوز لها الحكم بالهوى أو بالجهل. فلا يتلقى المسلم التشريع إلا من الله.

حادي عشر: جاء في المادة السادسة والعشرين: (يجب أن تهدف التربية إلى... تعزيز احترام الإنسان وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام).

قلت: بل يجب أن تهدف التربية إلى تنمية وترسيخ عقيدة الولاء لأولياء الله والعداوة والبغض لأعداء الله ومحاربتهم حتى إزالتهم أو إذلالهم.

ثاني عشر: جاء في المادة السابعة والعشرين: (لا يصح بحال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة).

قلت: بل يجب مخالفة أكثر أغراض الأمم المتحدة لأن مخالفة أصحاب الجحيم هي اقتضاء الصراط المستقيم وبهذا يظهر أن الخضوع لأنظمة هيئة الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان مثل الخضوع للقانون الروماني أو الخضوع للياسق الذي كان يتحاكم إليه التتار؛ فهي طاغوت يشرع للبشر من عند نفسه نسأل الله أن يرد المسلمين إلى دينهم الحق وأن يهدي الأمم المتحدة إلى الإسلام.

١١ ـ الدعوة إلى زمالة الأديان

المزاملة في اللغة المعادلة على البعير وزاملني يعني عادلني[١] ، والدعوة إلى زمالة الأديان في هذا العصر دعوة خبيثة تظهر أحياناً بهذا الاسم ،وأحياناً باسم التقريب بين الأديان ،وأحياناً باسم جمعيات الصداقة بين الأديان ونحو هذه المسميات . وجوهرها وهدفها في الحقيقة هو أن يكسب اليهود والنصارى في هذا العصر اعترافاً من المسلمين بصحة دينهم وهذا له دور كبير في صد النصارى واليهود عن الدخول في الإسلام وذلك لأن كثيراً من النصارى وبعض اليهود متعطشون إلى دين شامل كامل كالإسلام ،وقد سئموا مما يسمى عندهم بالمسيحية أو اليهودية التي هي من صنع الأحبار والرهبان وليستا الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسى عليهما السلام . فإذا سمع هؤلاء تلك الشنشنة التي تصدر من أشخاص يطلق عليهم ألقاب علمية ودينية كبيرة ،المتضمنة لاعترافهم بالدين النصراني والدين اليهودي المحرفين ،وسمعوا حرص أولئك العلماء الأكابر إلى مد أيديهم إلى دين النصارى واليهود والبحث عن مزاملته بأي ثمن ومحاولة تقريبه من الإسلام خاب ظنهم وقالوا: لماذا ننتقل إلى الإسلام وهو كديننا الذي نشعر فيه بالتعاسة بل إن ديننا أفضل منه بدلالة حرص أصحابه على تقريبنا إليهم ليكسبوا بذلك شرفاً وعزاً ثم منهم من يمكث

(١) انظر لسان العرب ٣١٠/١١ .

على دينه المحرف ومنهم من يزهد في الأديان عموماً وينتقل إلى الشيوعية وما أكثر هذا الصنف الأخير!! كل هذا بسبب هذه الدعوة الخبيثة التي يروج لها الخبثاء أو المغفلون. وهناك هدف آخر لهذه الدعوة وهو تخدير مشاعر المسلمين تجاه اليهود والنصارى فلا يستشعر المسلم وجوب جهادهم حتى إخضاعهم للإسلام أو دفع الجزية والخضوع لحكم الإسلام، ولا يستشعر المسلم وجوب عداوتهم في الله لأنهم كفار، بل إن بعض المسلمين يظن أن اليهود والنصارى ناجون يوم القيامة لأنهم أتباع دين سماوي بزعمهم، وحجب عنه أصحاب الدعوة الى زمالة الأديان ـ عن عمد أو جهل ـ قول الرسول ﷺ الثابت عنه بالسند الصحيح: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[1] .

وقد تولى كبر هذه الدعوة الخبيثة أصحاب المدرسة العقلية الحديثة ابتداء من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده؛ إذ يقول جمال الدين الأفغاني في خاطراته تحت عنوان نظرية الوحدة: (وجدت بعد كل بحث وتنقيب وإمعان أن أديان التوحيد الثلاثة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في واحد منها شيء من أوامر الخير المطلق استكمله الثاني . . . وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها، وأنه بهذا الاتحاد يكون البشر قد خطا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة، وأخذت أضع لنظريتي هذه خططاً وأخط أسطراً وأحبر رسائل للدعوة؛ كل ذلك وأنا لم أخالط أهل الأديان كلهم عن قرب وكثب، ولا تعمقت في أسباب اختلاف أهل الدين الواحد وتفرقهم فرقاً وشيعاً وطوائف)[2] فأي رائحة لجهاد اليهود والنصارى تبقى عند مسلم جاهل يسمع هذا الكلام من عالم

(١) صحيح مسلم مع النووي ٢/١٨٦ .
(٢) الولاء والبراء لمحمد سعيد ص ٣٤٦ .

نحرير!! الذي فيه اعتراف صريح بأنه لا فرق بين الأديان الثلاثة في المبدأ والغاية وأن سماحة الشيخ ساع بجد واجتهاد لخلطها وجعلها ديناً واحداً!! وأما تلميذه محمد عبده فقد ضرب في هذا الأمر بسهم وافر (خاسر)؛يقول الأستاذ غازي التوبة في أثناء حديثه عن محمد عبده ومدرسته العقلية (الاصلاحية): (ألف محمد عبده جمعية سياسية دينية سرية في بيروت إثر عودته إليها من أوروبا بعد تعطيل مجلة العروة الوثقى وكان هدف هذه الجمعية التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة وإزالة الشقاق بين أهلها وإحلال التعاون بدل الفرقة والخصام،وكان محمد عبده صاحب الرأي الأول في إنشائها ونظامها. وميرزاباقر هو (الناموس) السكرتير العام لها. وقد انتسب إليها بعض المسلمين والإنكليز واليهود. أما المسلمون فمنهم بيرزاده، وعارف أبو تراب تابع جمال الدين الأفغاني وجمال بك نجل رامز بك قاضي بيروت،ومؤيد الملك أحد وزراء إيران وحسن خان مستشار السفارة الإيرانية في الآستانة. أما الإنجليز فمنهم القس إسحاق طيلر في لندن،وجي دبلتولينتر مفتي المدارس في الهند، أما اليهود فمنهم الدكتور شمعون مويال في يافا وقد كان ميرزاباقر سكرتير الجمعية إيرانيا مسلماً تنصر وصار داعية للنصرانية مع جمعية للمبشرين! وتسمى بميرزا يوحنا.. ويظهر أن هذه اللوثة ـ لوثة التقريب بين الأديان ـ بقيت تفعل في ذهن محمد عبده بعد انتقاله من بيروت إلى القاهرة فقد استضاف (خريستفورس جبارة) وهو شخص أمريكي دعا إلى توحيد الأديان السماوية في معرض شيكاغو وغيره حتى وصل إلى مصر وتوفي فيها. لن نحاسب محمد عبده بحقيقة عصرنا التي كشفت كذب هذه الدعوات في توحيد الأديان وأبانت زيفها وعرت هدفها الذي هو التلاعب بمفاهيم الإسلام وإزالة صفاء أفكاره[1] وهي أمنية راودت أعداء الإسلام كثيراً وفتقت أذهانهم عن حيل عدة كانت البهائية أحدثها وهم يقصدون أن

---

(١) لو قال الكاتب (عقائده) لكان أحسن لأن أحكام الإسلام وعقائده ليست مجرد أفكار

يساووا في ذلك بين الإسلام من جهة وبين اليهودية والمسيحية اللتين طالتهما الأيدي وعاثت بهما فساداً من جهة ثانية،ولكن أنىّ لهم ذلك والله القائل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ . لن نحاسب محمد عبده بحقيقة عصرنا التي كشفت الأيدي اليهودية الحاقدة التي هي وراء كل دعوى تمييع للقيم الدينية لتحطمها وتكون المحصلة :(لا أديان) وترضي بالتالي حقدها الأسود؛فليس عليها في الأميين حرج ولا إثم . لن نحاسب محمد عبده بحقيقة عصرنا،ولكننا سنحاسبه بحقيقة الإسلام الناصعة التي يقربها ويدعو لها : جاور الرسول ﷺ يهود المدينة سنين طوالاً قبل أن يجليهم عنها جادلوه خلالها وخاصموه ودعاهم بدوره إلى كلمة الإيمان والإسلام ولم يدعهم للتوفيق بين الإسلام واليهودية أو إلى التقريب بينهما ولو علم خيراً أو بعض خير في ذلك لفعله .

حاجّ وفد من نجران الرسول ﷺ في النصرانية فدعاه الرسول من ناحية إلى الإسلام ولم يدعه إلى التوفيق بين الإسلام والنصرانية: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ ولو علم خيراً أو بعض خير في ذلك لفعله.كان الأحرى بمحمد عبده أن يدعو أهل الكتاب إلى هذه الكلمة السواء امتثالاً لأمر ربه واقتداء بنبيه ﷺ . وكان الأولى بالأوروبيين حاملي هذه الفكرة دعوة قومهم إلى نبذ التعصب والحقد ونهي دولهم عن استغلال المسلمين وتخريب عالمهم فيخدمون بذلك المسيحيين والمسلمين على السواء . وقد أخطأ محمد عبده في دعوته إلى التأليف والتقريب بين الأديان،وأخطأ في إنشاء جمعية التأليف والتقريب بين الأديان حتى صار مطية لهيئات ودول حاقدة على الإسلام ،وما كان يمكنها ذلك إلا لأنه لم يلتزم حد الإسلام بل اتبع هواه فكان أمره فرطاً)[١] .

---

(١) الفكر الإسلامي المعاصر لغازي التوبة ص ١٧ ـ ٢٠

قلت : وأمثال محمد عبده ليسوا بالقليل في عالمنا المعاصر فقد كتب الأستاذ مصطفى المراغي رسالة وجهها إلى مؤتمر الأديان العالمي جاء فيها ما يلي : (اقتلع الإسلام من قلوب المسلمين جذور الحقد الديني بالنسبة لأتباع الديانات السماوية الأخرى وأقر بوجود زمالة عالمية بين أفراد النوع البشري ولم يمانع أن تتعايش الأديان جنباً إلى جنب)(١)

إن هذه الدعوة الخبيثة إلى : (زمالة الأديان) أثر من آثار الاستشراق والاستعمار فلم تعرف في العالم الإسلامي قبل أن يستعمر ويتحكم فيه أعداؤه الظاهرون والمستترون من وراء الكواليس وهي جزء من الحملة المسعورة على العقيدة الإسلامية لكي تفقد تميزها وصفاءها ونقاءها ولكن الله لأعدائه بالمرصاد وسوف يأتي اليوم الذي يقول فيه الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله ورائي يهودي تعالى فاقتله وعندئذ لا تنفعهم جمعيات الصداقة ، ولا جمعيات التقريب والزمالة بين الأديان . وعسى أن يكون قريباً .

---

(١) اثار الحرب للزحيلي ص ٦٣ .

١٢ ـ الدعوة إلى السلام العالمي والتعايش السلمي

الدعوة إلى السلام العالمي والتعايش السلمي تكاد تصم الآذان بضجيجها في هذا الزمان بل لقد أصبحت لكثرة القائلين بها كأنها الحق الصراح وما عداها هو الباطل عند بادي الرأي الذي لا يعرف الأحكام الشرعية . أما من يفهم الكتاب والسنة ويتمسك بهما فلا يزيده كثرة النداء بها إلا مقتاً لها ولأصحابها لأنها دعوة مائلة عن نهج الحق ، وهذه الدعوة التي تنشر اليوم إنما تنشر استجابة لمبادىء هيئة الأمم المتحدة لا استجابة لمبادىء الإسلام،واقرأ ما جاء في ديباجة ميثاق هيئة الأمم المتحدة تتكشف لك الأمور:(نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف،وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره،وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية،وأن نبين الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي !! وأن ندفع بالرقي الاجتماعي قدماً وأن نرفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.وفي سبيل هذه الغايات اعتزمنا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معاً في سلام ! وحسن جوار وأن نضم قوانا كي نحتفظ بالسلم والأمن الدولي . وأن نكفل بقبولنا مبادىء معينة

ورسم الخطط اللازمة لها ألا تستخدم القوة المسلحة في غير المصلحة المشتركة ، وأن تستخدم الأداة الدولية في ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها وقد قررنا أن نوحد جهودنا لتحقيق هذه الأغراض؛ ولهذا فإن حكوماتنا المختلفة على يد مندوبيها المجتمعين في مدينة سان فرانسيسكو الذين قدَّموا وثائق التفويض المستوفية للشرائط قد ارتضت ميثاق الأمم المتحدة هذا وأنشأت بمقتضاها هيئة دولية تسمى الأمم المتحدة)[1] .

وجاء في مقاصد هيئة الأمم المتحدة ومبادئها ما يلي :

المادة الأولى :

١ ـ حفظ السلم والأمن الدولي. وتحقيقاً لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم لإزالتها ولقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم وتتذرع بالوسائل السلمية وفقاً لمبادىء العدل والقانون الدولي لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسلم أو لتسويتها .

٢ ـ إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب، وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها، وكذلك اتخاذ التدابير الملائمة لتعزيز السلم العام .

٣ ـ تحقيق التعاون الدولي على حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية وعلى تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً والتشجيع على ذلك إطلاقاً بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء .

---

(١) القانون الدولي العام لأبي هيف ص ٩٢٣ ـ ٩٢٤ .

٤ ـ جعل هذه الهيئة مرجعاً لتنسيق أعمال الأمم وتوجيهها نحو إدراك هذه الغايات المشتركة)[١] .

وقد حاول لفيف من الكتاب أن يثبتوا أن هذه الدعوة لا تنافي أحكام الجهاد وهذا بناء على مفهومهم الخاطىء للجهاد،إذ يقصرون الجهاد على جهاد الدفاع وبالتالي لا يرون مانعاً أن يعيش المسلم بجوار الكافر من غير ضرب جزية على الكافر أو إخضاعه لحكم الإسلام .

يقول الدكتور محمد البهي تحت عنوان السلام العالمي في الإسلام: (السلام العالمي معناه نبذ الخصومات بين الشعوب والجماعات وقيام العلاقات بينها على أساس من الاستقرار والطمأنينة . السلام العالمي هو توجيه نشاط الشعوب والجماعات نحو حياة إنسانية أفضل وأهدأ وتوجيهها إلى البناء بدلاً من الهدم لصالح الجماعة العامة وهي الإنسانية . . وهنا نرى الإسلام يقر مبدأ عدم الاعتداء،ثم مع إقرار هذا المبدأ يسعى لتحقيق خطوة أخرى بعده هي العمل لصيانة السلم وإدامته . . والإسلام لا يحمل على الإيمان بعقيدته ولا يكره الناس عليها)[٢]. وانطلاقاً من هذا المفهوم الخاطىء للجهاد تجد أغلب الكتاب العصريين يقررون أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلام،وأنهم لا يحاربون الكفار إلا إذا اعتدوا عليهم[٣] ، وقد بينا فيما مضى بطلان هذا القول وأن الجهاد قد شرعه الله ابتداء ودفعاً لإعلاء كلمة الله وإخضاع الكفار لحكم الإسلام وإذلال من تقبل منه الجزية بدفعها وهو صاغر وذكرنا النصوص الشرعية الموضحة لذلك وإجماع أمة محمد عليه الصلاة والسلام عليه قبل أن تنبت هذه

---

(١) المصدر السابق ص ٩٢٤ .

(٢) الإسلام في حياة المسلم للبهي ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

(٣) انظر العلاقات الدولية لوهبة الزحيلي ص ٩٣ والعلاقات الدولية لمحمد رأفت عثمان ص ١٩٣ .

النابتة التي تتلمذت على موائد المستعمرين والمستشـرقين والمبشرين . والإسلام لا يقر السلام الذي يزعمه أولئك؛وهو أن تبقى كل دولة تمارس الكفر على شعبها وتشرع لهم من عند نفسها وهي مرفوعة الرأس لم تذل بجزية ولا قتال ويعترف لها بحق تقرير المصير،وأن تطبق ما شاءت من كفر وزندقة وإلحاد على خلق الله ، إن الإسلام من هذا براء وحكم الإسلام في الكفار واضح وهو تخيير الدول الكافرة بين الإسلام أو دفع الجزية وهي صاغرة أو القتال إلا إذا عجز المسلمون عن جهادهم فهذه ضرورة واستثناء وليست أصلاً في الإسلام ،ويجب على المسلمين أن يعدوا العدة حتى يصلوا إلى الحال التي تمكنهم من ممارسة الجهاد كما أراد الله، أما أن يجعل حال الضرورة هو الأصل في الإسلام فهذا هو التحريف لدين الله وهو المؤامرة الرهيبة التي تمـارس الآن ضد حكم الجهاد؛يدل على ذلك ما شرعته لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة من واجبات على الدول المشتركة في هيئة الأمم المتحدة[1] إذ جاء في تشريعاتها الطاغوتية ما يلي : -

١ - في المادة الأولى :أوجبوا على كل دولة مراعاة أحكام القانون الدولي . وهذا غير جائز؛فإن الواجب على الدولة المسلمة أن تراعي أحكام القرآن لا أحكام القوانين الموضوعة من البشر .

٢ - وفي المادة الثانية : أوجبوا على الدول تسوية النزاع سلمياً مع مراعاة أحكام القانون ،وهذا إيجاب ما لم يوجب الله بل الدولة المسلمة تخير الدولة الكافرة بين خصال ثلاث :إما الإسلام أو الجزية مع الصغار أو القتال إلا في حال ضعفها فلها أن تهادنها هدنة مؤقتة كما في صلح الحديبية .

٣ - وفي المـادة الثالثـة :أوجبوا على كـل دولة ألا تتـدخل في الشؤون

---

(١) انظر هذه الواجبات في القانون الدولي العام لأبي هيف ص ٢٤٠

الداخلية والخارجية لدولة أخرى . وهذا خلاف حكم الإسلام الذي أمر بالتدخل حتى يكون الدين كله لله .

٤ ـ وفي المادة الرابعة :أوجبوا على كل دولة ألا تساعد أي دولة تلجأ إلى الحرب في غير صورة الدفاع . وهذا الحكم لا يجوز في الإسلام بل لو غزت دول مسلمة بلاد الكفار لنشر الإسلام لوجب مساعدتها .

٥ ـ وفي المادة الخامسة :أوجبوا على الدول عدم الاعتراف بأي زيادة إقليمية تؤخذ عن طريق الحرب،وهذا غير جائز في الإسلام بل ما فتحه المسلمون عن طريق الجهاد فهو ملك من أملاكهم .

٦ ـ وفي المادة السادسة :أوجبوا على الدول عدم تشجيع الثورات الأهلية في أقاليم الدول الأخرى . وهذا غير جائز بل إذا كان في بلد الكفار أقلية مسلمة فالواجب على المسلمين مساعدتهم حتى يزيلوا حكم الكفر عنهم لأنه لا يجوز للمسلم أن يخضع تحت حكم كافر .

٧ ـ وفي المادة السابعة:أوجبوا على كل دولة أن تكون الأحوال في أقاليمها لا تهدد السلام الدولي. وهذا في الإسلام لا يجوز بل يجب على المسلمين إعداد العدة والاعتناء بها لإرهاب الكفار وتهديدهم وتبديل أمنهم خوفاً حتى يخضعوا لحكم الله ورسوله .

٨ ـ وفي المادة الثامنة: أوجبوا على الدول معاملة الأشخاص الخاضعين لحكمهم على مقتضى حقوق الإنسان التي أعلنتها الأمم المتحدة ومنها حرية الإلحاد ومساواة المسلم بالكافر وهذا لا يجوز في الإسلام .

٩ ـ وفي المادة التاسعة: أوجبوا على الدول الخضوع لكل المعاهدات الدولية وكل ما كان من القانون الدولي العام .ولا يحل للمسلم الخضوع إلا لأحكام القرآن والمعاهدات لها أحكام في الشرع

الإسلامي تخالف ما يوجد في القانون الدولي،فلا يحل للمسلمين أن يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير .

١٠ ـ وفي المادة العاشرة:أوجبوا على الدول عدم اللجوء للحرب مطلقاً إلا في حال الدفاع إذا اعتدت قوة مسلحة على أراضيها. وهذا إسقاط لأحد أنواع الجهاد وهو جهاد الابتداء والطلب .

وبهذا يظهر أن ما شرعته لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة مناقض لحكم الجهاد في الإسلام،وأن الرضا به وتحكيمه رضا بالطاغوت وتحكيم للطاغوت . سلك الله بنا سبيل الهدى والرشاد . ورد الأمة الإسلامية إلى مصدر عزها ورفعتها كتاب رب العالمين وسنة الهادي الأمين ﷺ وعلى أصحابه أجمعين .

الباب الرابع

الفرق الضالة في بعض أحكام الجهاد

- الفصل الأول: الفرق القديمة.
- الفصل الثاني: الفرق الحديثة.

الفصل الأول

الفرق القديمة

١ ـ المرجئة.
٢ ـ الصوفية .
٣ ـ الشيعة الإمامية.
٤ ـ الجبرية الجهمية.

١ ـ المرجئة

المرجئة هم الذين يخرجون العمل من دائرة الإيمان وهم أصناف شتى فمنهم من يزعم أن الإيمان هو المعرفة (أي معرفة القلب فقط) ومنهم من يزعم أنه قول اللسان. ومنهم من يزعم أن إيمان أفسق الفساق من بني آدم كإيمان الملائكة والأنبياء، لأن الإيمان عندهم شيء واحد لا يزيد ولا ينقص. ومنهم من يقول من قال لا إله إلا الله فهو المؤمن ولو أتى من الأعمال ما أتى![١].

وعقائد المرجئة لها تأثير بالغ على إزالة فريضة الجهاد بالكلية أو إضعافها وزعزعتها في النفوس. فمن اعتقد أن الإيمان هو المعرفة فقط! كيف يتصور منه أن يجاهد الكفار من اليهود والنصارى والمشركين، ومن اعتقد أن العمل خارج عن دائرة الإيمان وأن الإنسان يكون مؤمناً بمجرد التصديق أو النطق من غير عمل مطلقاً فما الذي يحمله على المخاطرة بنفسه وماله وتعريضهما للهلاك وإيمانه كامل تام!! وما الذي يستفيده من جهاده إذا تساوى في اعتقاده إيمان من مات بين الصفوف ـ محارباً للكفار ـ مع إيمان من مات مخموراً في أحضان المومسات ـ وهو ينطق بالإيمان.

---

(١) انظر عن هذه الفرقة مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ٢١٢/١ وما بعدها والتنبيه والرد للملطي الشافعي ص ١٤٦ وما بعدها والملل للشهرستاني ص ١٣٩/١ . وما بعدها .

هل يتصور عاقل أن هناك من يضحي بماله ونفسه وولده ووقته وهو يستطيع أن يكون إيمانه كإيمان جبريل عليه السلام بدون تلك التضحيات بل بمجرد كلمة ينطق بها وهو مستلق على فراشه لا تكلفه جهداً ولا عملاً!! ومن يعتقد أن من يعلن الإسلام بلسانه لا يخرج من دائرة الإيمان مهما عمل من الأعمال هل يتصور منه أن يجاهد المرتدين والزنادقة والمنافقين الذين يعلنون الإسلام بأقوالهم ويهدمون أصوله وفروعه بأفعالهم!!

لقد فرت عقائد المرجئة في الأمة الإسلامية فرياً عظيماً وخدرتها على مدار التاريخ وجعلتها نهباً لكل طامع ولقمة سائغه لكل مستعمر.

إننا في العصر الحاضر نكتوي بنار عقائد المرجئة فها هي جموع كثيرة من المسلمين تخضع لملاحدة وزنادقة ينادون بالعلمانية - وهي إقامة الحياة على غير الدين أو فصل الدين عن السياسة - أو ينادون بمذهب لينين وإخوانه الاقتصادي (كالشيوعيين والاشتراكيين)،أو يمارسون التشريع للبشر من دون الله أو مع الله (كسائر الطواغيت الذين يحكمون المجتمعات بأهوائهم وقوانينهم التي لا تستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ)،ولا تفكر هذه الجموع في جهاد أولئك مطلقاً لأنهم يعلنون إسلامهم على رؤوس الأشهاد،وقد يحتفلون بالمولد النبوي والهجرة!! وما هذا السكوت وهذا الخمود وعدم الإحساس بالأمر إلا من تأثير عقائد المرجئة التي ابتليت بها الأمة الإسلامية. إن الأمة الإسلامية إن لم تنهض من كبوتها فتصحح عقيدتها وتعرف معنى الإيمان ومعنى الكفر ومعنى لا إله إلا الله وماذا ينقضها من أعمال أو أقوال وما هي مقتضياتها فلن تقوم بالجهاد كما أمر الله تعالى.

لأن الله أمر المؤمنين بأن يجاهدوا الكافرين فإذا حصل لبس في مسمى الإيمان والكفر فأعطيت صفة الإيمان لمن لا يستحقها أو نزعت صفة الكفر عمن استحقها فكيف ينفذ أمر الله وحدوده غير معروفة؟!

إن عقائد الإرجاء وسعت دائرة الإيمان حتى أدخلت فيه أصنافاً كثيرة من الكفار والمرتدين والزنادقة وبالتالي رفعت عنهم سيف الحق الذي أمر الله بإنزاله على رقابهم فخربوا العباد والبلاد وطبقوا أصناف الكفر في ديار المسلمين باسم الإسلام حيناً وبغير اسمه أحياناً،وانخدعت جماهير الناس بفتاوى علماء الإرجاء،واعتقدت بعقيدتهم أو تأثرت بإيحائها فخلا الجو للملاحدة والزنادقة يشرعون الكفر للناس باسم الإصلاح والتقدمية والاشتراكية ويعارضون نصوص القرآن والسنة وهم متسربلون بسربال الإيمان في نظر علماء الإرجاء وفي نظر الجماهير المتأثرة بهم ما دام أنهم يسمعونهم في بعض المرات يقولون لا إله إلا الله. وكان من نتائج هذا قوانين وضعية تبيح انتهاك الأعراض وإفساد العقول وتهلك الحرث والنسل حتى أصبحت المادة القانونية:«إذا زنت البكر برضاها فلا شيء عليها» أشهر عند أقوام يدعون الإسلام من قول الله تعالى﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. الآية﴾[1] وأصبحت تصاريح فتح الخمارات والملاهي والمواخير والبنوك الربوية أشهر عند أقوام يدعون الإسلام من قول الله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله[4]﴾ وإذا نصحت صاحب خمارة أو دعارة أو بنك ربوي قال لك:عندي إذن وتصريح قانوني فما لك وشأني!!

---

(١) النور ٢ .

(٢) المائدة ٩٠ .

(٣) النور ١٩ .

(٤) البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩ .

وما كان هذا ليحدث في مجتمع مسلم يعرف حدود ما أنزل الله على نبيه ﷺ لولا تغلغل عقائد الإرجاء فيه وذهاب عقيدة الجهاد من واقعه وانطماس معرفته بحقيقة الإيمان وحقيقة الكفر. إنه ليس كل من قال لا إله إلا الله بلسانه لا يجوز جهاده كما يزعم بعض المرجئة بل أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على جهاد المرتدين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة مع قولهم لا إله إلا الله وإقامتهم للصلاة،ومع هذا قال الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة)[1] وقد ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنق رجل يشهد أن لا إله إلا الله ويظهر الإسلام لأنه لم يرض بحكم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ ذلك. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - في معرض استدلاله على كفر سب الرسول ﷺ - (... الدليل الرابع على ذلك أيضاً قوله سبحانه تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه في الخصومات التي بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً من حكمه بل يسلموا لحكمه ظاهراً وباطناً وقال قبل ذلك ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾.

فبين سبحانه أن من دعى إلى التحاكم إلى كتاب الله وإلى رسوله فصد عن رسوله كان منافقاً وقال سبحانه: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١٢/٢٤٤ .

يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون. إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن. وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقص والسب ونحوه؟ ويؤيد ذلك ما رواه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن دحيم في تفسيره: حدثنا شعيب بن شعيب حدثنا أبو المغيرة حدثنا عتيبة ابن ضمرة حدثني أبي عن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ - فقضى للحق على المبطل فقال المقضي عليه لا أرضى فقال صاحبه فما تريد قال أن نذهب إلى أبي بكر الصديق فذهبا إليه فقال الذي قضى له قد اختصمنا إلى النبي ﷺ فقضى لي عليه فقال أبو بكر فأنتما على ما قضى به النبي ﷺ فأبى صاحبه أن يرضى وقال نأتي عمر بن الخطاب فأتياه فقال المقضي له قد اختصمنا إلى النبي ﷺ فقضى لي عليه فأبى أن يرضى فسأله عمر فقال كذلك فدخل عمر منزله فخرج والسيف في يده قد سله فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . . ﴾ الآية، وهذا المرسل له شاهد من وجه آخر يصلح للاعتبار. ثم ذكر ابن تيمية رواية أخرى للقصة غير أنه ليس فيها أن المتحاكمين ذهبا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقال وقد رويت هذه القصة من غير هذين الوجهين(١).

إن ضرر أهل الإرجاء على الأمة الاسلامية ليس بالأمر الهين فكم من مصلح مجاهد ظهر يدعو لإزالة الشرك وإقامة شرع الله وقف أهل الإرجاء

---

(١) الصارم المسلول ص ٣٧ - ٣٩

حجر عثرة في طريق جهاده بعقيدتهم الفاسدة،وأوضح مثال على ذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب؛فإنه لما أعلن جهاده على المشركين الذين يطوفون بالقبور ويذبحون عندها النـذور ويستغيثون بـأهلها من دون الله ويتحاكمون إلى طواغيتهم ويستهزئون بالشرع قام في وجهه علماء الإرجاء وقالوا كيف تقاتل من يقول لا إله إلا الله؟ فأجابهم رحمه الله بأدلة في غاية الوضوح هذا ملخصها.. إن العلماء في زماننا يقولون من قال لا إله إلا الله فهذا المسلم حرام المال والدم ولا يكفر ولا يقاتل حتى أنهم يصرحون بذلك في شأن البدو الذين يكذبون بالبعث وينكرون الشرائع ويزعمون أن شرعهم الباطل هو حق الله ولو طلب أحد منهم خصمه أن يخاصمه عند شرع الله لعدوه من أنكر المنكرات بل من حيث الجملة أنهم يكفرون بالقرآن من أوله إلى آخره ويكفرون بدين الرسول كله مع إقرارهم بذلك بألسنتهم وإقرارهم أن شرعهم أحدثه آباؤهم لهم كفراً بشرع الله. وعلماء الوقت يعترفون بهذا كله.. ثم استطرد الشيخ في الرد على هؤلاء قائلاً ونزيد المسألة إيضاحاً ودلائل لشدة الحاجة إليها فنقول:ليتفطن العاقل لقصة واحدة منها؛ وهي أن بني حنيفة أشهر أهل الردة وهم الذين يعرفهم العامة من أهل الردة،وهم عند الناس أقبح أهل الردة وأعظمهم كفراً،وهم مع هذا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون ومع هذا فإن أكثرهم يظنون أن النبي ﷺ أمرهم بذلك لأجل الشهود الذين شهدوا مع الرجال. والذي يعرف هذا ولا شك فيه يقول من قال لا إله إلا الله فهو المسلم ولو لم يكن معه من الإسلام شعرة بل قد تركه واستهزأ به متعمداً فسبحان الله مقلب القلوب كيف يشاء!!

كيف يجتمع في قلب من له عقل ولو كان من أجهل الناس أنه يعرف أن بني حنيفة كفروا مع أن حالهم ما ذكرنا. وأن البدو إسلام ولو تركوا الإسلام كله وأنكروه واستهزأوا به على عمد لأنهم يقولون لا إله إلا الله...

الدليل الثاني: قصة أخرى وقعت في زمن الخلفاء الراشدين؛وهي أن بقايا من بني حنيفة لما رجعوا إلى الإسلام... كبر ذنبهم عند أنفسهم وتحملوا بأهليهم إلى الثغر لأجل الجهاد في سبيل الله... فنزلوا الكوفة وصار لهم بها محلة معروفة فيها مسجد يسمى مسجد بني حنيفة فمر بعض المسلمين على مسجدهم بين المغرب والعشاء فسمعوا منهم كلاماً معناه أن مسيلمة كان على حق وهم جماعة كثيرون لكن الذي لم يقله لم ينكره على من قاله فرفعوا أمرهم إلى عبد الله بن مسعود فجمع من عنده من الصحابة واستشارهم هل يقتلهم وإن تابوا أو يستتيبهم فأشار بعضهم بقتلهم من غير استتابة وأشار بعضهم باستتابتهم فاستتاب بعضهم وقتل بعضهم ولم يستتبه... فأين هذا من كلام من يزعم أنه من العلماء ويقول البدو ما معهم من الإسلام شعرة إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله ومع ذلك يحكم بإسلامهم بذلك؟ أين هذا مما أجمع عليه الصحابة فيمن قال تلك الكلمة أو حضرها ولم ينكر؟..

الدليل الثالث: ما وقع في زمان الخلفاء الراشدين: قصة أصحاب علي بن أبي طالب لما اعتقدوا فيه الإلهية التي تعتقد اليوم في أناس من أكفر بني آدم وأفسقهم فدعاهم إلى التوبة فأبوا فخد لهم الأخاديد وملأها حطباً وأضرم فيها النار وقذفهم فيها وهم أحياء... هذا وهم يقومون الليل ويصومون النهار ويقرأون القرآن آخذين له عن أصحاب رسول الله ﷺ فلما غلوا في علي ذلك الغلو أحرقهم بالنار وهم أحياء وأجمع الصحابة وأهل العلم كلهم على كفرهم.

الدليل الرابع: ما وقع في زمن الصحابة أيضاً وهي قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي؛وهو رجل من التابعين مصاهر لعبد الله بن عمر مظهر للصلاح فظهر في العراق يطلب بدم الحسين وأهل بيته فقتل ابن زياد ومال إليه من مال لطلبه دم أهل البيت ممن ظلمهم ابن زياد فاستولى على العراق وأظهر شرائع الإسلام ونصب القضاة والأئمة من أصحاب ابن

مسعود وكان هو الذي يصلي بالناس الجمعة والجماعة لكن في آخر أمره زعم أنه يوحى إليه فسير إليه عبد الله بن الزبير جيشاً فهزموا جيشه وقتلوه وأمير الجيش مصعب بن الزبير وتحته امرأة أبوها أحد الصحابة فدعاها مصعب إلى تكفيره فأبت فكتب إلى أخيه عبد الله يستفتيه فيها فكتب إليه إن لم تبرأ منه فاقتلها فامتنعت فقتلها مصعب. وأجمع العلماء على كفر المختار مع إقامته شعائر الإسلام لما جنى على النبوة. وإذا كان الصحابة قتلوا المرأة التي هي من بنات الصحابة لما امتنعت من تكفيره فكيف بمن لم يكفر البدو مع إقراره بحالهم..

الدليل الخامس: ما وقع في زمن التابعين، وذلك قصة الجعد بن درهم وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة فلما جحد شيئاً من صفات الله مع كونها مقالة خفية عند الأكثر ضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى... ولم يعلم أن أحداً من العلماء أنكر ذلك عليه بل ذكر ابن القيم إجماعهم على استحسانه...

الدليل السادس: قصة بني عبيد؛ فإنهم ظهروا على رأس المائة الثالثة فادعى عبيد الله أنه من آل علي بن أبي طالب من ذرية فاطمة وتزيّا بزي أهل الطاعة والجهاد في سبيل الله فتبعه أقوام من البربر من أهل المغرب وصار له دولة كبيرة في المغرب ولأولاده من بعده ثم ملكوا مصر والشام، وأظهروا شرائع الإسلام وإقامة الجمعة والجماعة، ونصبوا القضاة والمفتين. لكن أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة وظهر منهم ما يدل على نفاقهم وشدة كفرهم فأجمع أهل العلم على أنهم كفار وأن دارهم دار حرب مع إظهارهم شعائر الإسلام...

الدليل السابع: قصة التتار، وذلك بعد ما فعلوا بالمسلمين ما فعلوا وسكنوا بلاد المسلمين وعرفوا دين الإسلام استحسنوه وأسلموا لكن لم

يعملوا بما يجب عليهم من شرائعه وأظهروا أشياء من الخروج عن الشريعة لكنهم كانوا يتلفظون بالشهادتين ويصلون الصلوات الخمس والجمعة والجماعة وليسوا كالبدو ومع هذا كفرهم العلماء وقاتلوهم وغزوهم حتى أزالهم الله عن بلدان المسلمين..[1].

(١) انظر مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣١ - ٣٧ .

٢ ـ الصوفية

الصوفية فرقة قديمة تعود نشأتها إلى أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث وهي منحرفة عن هدى الرسول ﷺ وهدى أصحابه الكرام رضي الله عنهم ومبدأ نشأتها من الزنادقة الذين دخلوا في الإسلام ظاهراً وأرادوا هدمه من الداخل كما فعل عبد الله بن سبأ اليهودي وجهم ابن صفوان والجعد بن درهم وأضرابهم. فقد ظهرت بعض مقالات التصوف على ألسنة جماعة في الكوفة وبغداد منهم حبان الحريري المتوفى قبل عام ٢٠٠ هـ،وكليب المتوفى قبل عام ٢٠٠ هـ،وعبدك الصوفي المتوفى في حدود سنة ٢١٠ هـ،وجابر بن حيان الشيعي الكوفي «صاحب الكيمياء» ت ٢٠٨ هـ،وأبو هاشم عثمان بن شريك الكوفي الصوفي ـ ت ١٥٠ هـ[١]، وقد عد الفقيه الثقة أبو الحسين الملطي طوائف من المتصوفة الأوائل من جملة فرق الزنادقة فقال:(ومنهم (أي من الزنادقة) العبدكيه: زعموا أن الدنيا كلها حرام محرم لا يحل الأخذ منها إلا القوت من حين ذهب أئمة العدل ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل وإلا فهي حرام. ومعاملة أهلها حرام،فحل لك أن تأخذ القوت من الحرام من حيث كان وإنما سموا العبدكية لأن عبدك وضع لهم هذا ودعاهم إليه وأمرهم

---

(١) انظر كتاب التصوف الإسلامي ومدارسه لمحمد جلال ص ٧٨ ـ ١٢٠ .

بتصديقه. . ومنهم الروحانية وهم أصناف وإنما سموا الروحانية لأنهم زعموا أن أرواحهم تنظر إلى ملكوت السموات وبها يعاينون الجنان ويجامعون الحور العين وتسرح في الجنة وسموا أيضاً الفكرية لأنهم يتفكرون زعموا في هذا حتى يصيروا إليه فجعلوا الفكر بهذا غاية عبادتهم ومنتهى إرادتهم؛ينظرون بأرواحهم في تلك الفكرة إلى هذه الغاية فيتلذذون بمخاطبة الله لهم ومصافحته إياهم. . ولو كانت الفكرة في ذنوبهم الندم عليها والتوبة منها والاستغفار لكان مستقيماً،وأما هذه الفكرة فبوبها لهم الشيطان لأنه لا يتلذذ بلذات الجنة إلا من صار إليها يوم القيامة. ومنهم صنف من الروحانية زعموا أن حب الله يغلب على قلوبهم وأهوائهم وإرادتهم حتى يكون حبه أغلب الأشياء عليهم فإذا كان كذلك عندهم كانوا عنده بهذه المنزلة ووقعت عليهم الخلة من الله فجعل لهم السرقة والزنا وشرب الخمر والفواحش كلها على وجه الخلة التي بينهم وبين الله لا على وجه الحلال ولكن على وجه الخلة كما يحل للخليل الأخذ من خليله بغير إذنه منهم رباح وكليب كانا يقولان بهذه المقالة ويدعوان إليها.

ومنهم صنف من الروحانية زعموا أنه ينبغي للعباد أن يدخلوا في مضمار الميدان حتى يبلغوا إلى غاية السبقة من تضمير أنفسهم وحملها على المكروه فإذا بلغت تلك الغاية أعطى نفسه كل ما تشتهي وتتمنى،وإن أكل الطيبات كأكل الأراذلة من الأطعمة وكان الصبر والخبيص عنده بمنزلة وكان العسل والخل عنده بمنزلة،فإذا كان كذلك فقد بلغ غاية السبقة وسقط عنه تضمير الميدان واتبع نفسه ما اشتهت منهم ابن حيان كان يقول هذه المقالة.

ومنهم صنف يقولون أن ترك الدنيا اشغال للقلوب وتعظيم للدنيا ومحبة لها ولما عظمت الدنيا عندهم تركوا طيب طعامها ولذيذ شرابها ولين لباسها وطيب رائحتها فأشغلوا قلوبهم بالتعلق بتركها وكان من إهانتها مؤاتاة الشهوات عند اعتراضها حتى لا يشتغل القلب بذكرها ويعظم عنده ما ترك

منها. ورباح وكليب كانا يقولان هذه المقالة[1] ويلخص الرازي فرق المتصوفة في ست فرق وهي:

١ ـ أصحاب العادات: وهم قوم منتهى أمرهم وغايته تزيين الظاهر كلبس الخرقة وتسوية السجادة.

٢ ـ أصحاب العبادات: وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة مع ترك سائر الأشغال.

٣ ـ أصحاب الحقيقة: وهم قوم إذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بنوافل العبادات. بل بالفكر وتجريد النفس عن العلائق الجسمانية وهم يجتهدون أن لا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى.

٤ ـ النورية: وهم طائفة يقولون: إن الحجاب حجابان: نوري وناري، أما النوري فالاشتغال باكتساب الصفات المحمودة كالتوكل والشوق والتسليم والمراقبة والأنس والوحدة والحالة، أما الناري فالاشتغال بالشهوة والغضب والحرص والأمل لأن هذه الصفات صفات نارية كما أن إبليس لما كان نارياً فلا جرم وقع في الحسد.

٥ ـ الحلولية: وهم طائفة من هؤلاء القوم الذين ذكرناهم يرون في أنفسهم أحوالاً عجيبة وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد فيدعون دعاوى عظيمة، وأول من أظهر هذه المقالة في الإسلام الروافض، فإنهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم.

٦ ـ المباحية: وهم قوم يحفظون طامات لا أصل لها وتلبيسات في الحقيقة وهم يدعون محبة الله تعالى وليس لهم نصيب من شيء من الحقائق

---

(١) التنبيه والرد للملطي ص ٩٣ ـ ٩٤.

بل يخالفون الشريعة ويقولون إن الحبيب رفع عنهم التكليف(١).

وبإلقاء نظرة على فرق التصوف التي ذكرها الملطي والرازي يتضح أن هذه العقائد الإلحادية إنما أحدثت في المجتمع الإسلامي لكي تقضي عليه وليست نتيجة اجتهادات علماء مسلمين مبنية على الكتاب والسنة،وأنها شبيهة بما أحدثه اليهود في دين الرافضة من رجعة علي بن أبي طالب،ومن عصمة الأئمة،وأن قولهم تشريع،وأنهم يعلمون الغيب ونحو ذلك؛يقول الشيخ محمد الصباغ:(إن التصوف انحدر إلينا من أصول أجنبية وقد دخل علينا ليؤدي مهمات تخريبية في التصور والسلوك)(٢).

هذه لمحة سريعة عن نشأة التصوف وأهدافه وفرقه كما ذكرها عالمان قديمان الأول: الملطي الفقيه الشافعي المتوفى عام ٣٧٧ هـ، والثاني: فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي المتوفى عام ٦٠٦ هـ.

أما اليوم فالتصوف بحر لا ساحل له؛فقد تعددت فرقه وطرقه كالطريقة الشاذلية،والطريقة الرفاعية،والطريقة النقشبندية،والطريقة القادرية والطريقة التيجانية،والطريقة البريلوية،والطريقة الأحمدية،وغير ذلك كثير وكلها يجمعها قاسم مشترك هو الابتداع وتنكب طريق الكتاب والسنة وبعضها أخف من بعض،ومن أحدث ما قرأت عن التصوف رسالة وجهت إلى مفتي المملكة العربية السعودية عن طريقة صوفية جديدة أحدثت في مصر،وخبر في مجلة الدعوة عن طريقة صوفية أخرى أحدثت في ألمانيا وأسوق الرسالة والخبر بنصهما ليعلم القارىء مدى الأهداف التخريبية التي يراد من التصوف أن يقوم بها في محيط العالم الإسلامي:

يقول المرسل:(. . . وقد ظهر في الأيام الأخيرة طريقة صوفية في شكلها لكنها في مضمونها من أضل ما عرفناه من الطرق القائمة الآن - وإن

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ١١٥ - ١١٦ .

(٢) أبو نعيم حياته وكتابه الحلية لمحمد الصباغ ص ١٢ .

كانت ملة الكفر واحدة ـ هذه الطريقة تسمى العصبة الهاشمية والسدنة العلوية والساسة الحسنية الحسينية، ويقودها رجل من صعيد مصر يسميه أتباعه الإمام العربي، وهو يعتزل الناس في صومعة له ويمرون عليه صفوفاً ويسلمون عليه ويحدثونه، ويمنحهم البركات، ويكشف لهم المخبوء بالنسبة لكل واحد. وهذا كله من وراء ستار؛ فهم يسمعون صوته ولا يرون شكله اللهم إلا الخاصة من أحبابه وأصحابه فهم المسموح لهم بالدخول عليه وعددهم قليل جداً، وهو لا يحضر مع الناس الجمع ولا الجماعات ولا يصلي في المسجد الذي بناه بجوار صومعته، ويعتقد أتباعه أنه يصلي الفرائض كلها في الكعبة المشرفة جماعة خلف النبي ﷺ، ويعتقدون كذلك أنه من البقية الباقية من نسل الأئمة المعصومين، وأن المهدي سيخرج بأمره وقد أنشأ لطريقته فروعاً في بعض مدن مصر يجتمع روادها فيها على موائد الأكل والشرب والتدخين، ويأمرون مريديهم بحلق اللحى، وعدم حضور الجماعة في المساجد، وذلك تمهيداً لإسقاط الصلاة نفسها . . وقد ازداد أمر هؤلاء في نظرنا خطورة حين علمنا أن لهم اتصالات ببعض أفراد في السعودية وقد هيأت لبعض أتباعهم فرص عمل في المملكة عن طريق هؤلاء الأفراد الذين لم نتعرف على أسمائهم بعد نظراً للسرية التي يحيطون بها حركتهم ونحن في سبيل ذلك ان شاء الله. ولكن الذي وقفنا عليه وعرفناه يقيناً لا يقبل الشك أن الشيخ محمد علوي بن عباس المالكي الحسني يتصل بهم اتصالاً مباشراً، ويزور شيخهم المحتجب ويدخل عليه ويختلي به، ويخرج من عنده بعد ذلك طائفاً بأتباعه في البلاد متحدثاً معهم محاضراً فيهم خطيباً بينهم كأنه نائب عن الشيخ المزعوم ثم يختم زيارته بالتوجه إلى ضريح أبي الحسن الشاذلي الشيخ الصوفي المعروف المدفون في أقصى بلاد مصر ومعه بطانة من دهاقنة التصوف في مصر . . .)[1]

---

(١) حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته ص ١٠ ـ ١١ . تأليف سليمان المنيع .

وأما الخبر فهو كما يلي :(نشرت الزميلة المدينة في عددها الصادر يوم ١٤٠٤/١/٢٨ هـ تقريراً خطيراً من مراسلها في بون الأستاذ أحمد كمال حمدي ذكرت فيه أن قرية شنيدة الواقعة في شمال ألمانيا تشتهر الآن باسم مكة بعد أن تحولت إلى مركز لطائفة جديدة ظهرت في ألمانيا منذ ثلاث سنوات أطلقت على نفسها اسم الحركة الصوفية الإسلامية ؛وهي حركة بعيدة عن الإسلام وقد قام المراسل بزيارة إلى مقر هذه الطائفة . . ويتزعم هذه الطائفة أحد الأفاقين الهنود اسمه باجوان ،وقد قال أحد اتباع الطائفة وهو مواطن ألماني درس الاقتصاد السياسي بأن أحد الأشخاص العرب هو الذي أقنعه بفكرة الصوفية ؛والتي تعني في رأيه الارتباط بالله عن طريق التصعيد الروحي وممارسة الطقوس الصوفية من رقص وغناء وترديد الأناشيد والدوران وأضاف الألماني الصوفي بأنه يمارس الجنس بحرية مع المتصوفات اللاتي يحضرن إلى المركز ويقمن فيه أحياناً باعتبار أن الجنس صورة من صور السمو الروحي . وعند سؤال أحد الأعضاء عن مصدر تمويل المركز الصوفي أجاب بأن المركز يتلقى توجيهاته ونشراته من المقر الرئيسي للحركة الصوفية الإسلامية في الخرطوم بالسودان . وقد لاحظ مراسل الجريدة وجود نجمة إسرائيلية معلقة على أحد جدران المركز ولما سأل عنها قال له أحد المسؤولين بأنها ترمز إلى التصوف والتضامن واللقاء بين الأديان السماوية)[1]!! هذه نماذج من أفاعيل الصوفيه في العصر الحاضر.

وأهل التصوف ليسوا على عقيدة واحدة في كل شيء بل هم طوائف وطرق شتى كما تقدم ،ولا يمكن حصر مذاهبهم لكثرة الانحرافات التي تحدث في محيط التصوف؛لأنه لا يعتمد على المصدر المعصوم :(الكتاب العزيز والسنة الصحيحة) بل يعتمد على الأحاديث المكذوبة والحكايات

---

(١) مجلة الدعوة الصادرة في الرياض بعدد ٩١٧ الاثنين ١٧ صفر ١٤٠٤ هـ ص ١٥ .

المؤمنين بالنص الشرعي، ويعتمد بالدرجة الأولى على الأحلام والمنامات وعلى الكشف والإلهام والخواطر، وبالرجوع إلى كتب المتصوفة أو إلى الكتب التي تحدثت عن الصوفية يمكن تلخيص جل الانحرافات الموجودة في محيط التصوف فيما يلي :-

١ - القول بوحدة الوجود وأن الخالق هو عين المخلوق كما قال أبو يزيد البسطامي:(سبحاني سبحاني ما أعظم شأني)[١] .

٢ - القول بالحلول والاتحاد كقول أبي يزيد البسطامي:(رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك فقلت زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك)[٢] وكقول الشبلي:(إن قلت كذا فالله وإن قلت كذا فالله وإنما أتمنى منه ذرة وإنه حاضر لا يغيب وهو بكل مكان لا يسعه مكان ولا يخلو منه مكان)[٣] وكقول أبي الحسين النوري لما سمع نباح الكلب فقال:(لبيك وسعديك)[٤] .

٣ - الإشراك مع الله غيره في الرجاء والاستغاثة والدعاء كقول بعضهم (شعراً):

ولما رأيت الدهر قد حارب الورى
جعلت لنفسي نعل سيده حصنا
تحصنت منه في بديع مثالها
بسور منيع نلت في ظله الأمنا[٥]

---

(١) شطحات الصوفية للبدوي ص ٣٠ .
(٢) اللمع للسراج الطوسي ص ٤٦١ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٨٦ .
(٤) المصدر السابق ص ٦٤٢ .
(٥) ص ١٤ من كتاب حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته لسليمان بن منيع .

وكقول الآخر :

فلذ به[1] من كل ما تشتكي
فهو شفيع دائماً يقبل
ولذ به من كل ما ترتجي
فإنه المأمن والمعقل
وحط أحمال الرجا عنده
فإنه المرجع والموئل
وناده إن أزمة أنشبت
أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه
وخير من فيهم به يسأل
كم مسني الكرب وكم مرة
فرجت كربا بعضه يذهل
فبالذي خصك بين الورى
برتبة عنها العلا تنزل
عجل بإذهاب الذي اشتكى
فإن توقفت فمن أسأل[2]

٤ ـ الغلو في الرسول ﷺ ـ كقول بعضهم :

ما أرسل الرحمن أو يرسل
من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه
من كل ما يختص أو يشمل

(١) يقصد محمداً ﷺ .
(٢) المصدر السابق ص ١٤ .

إلا وطـه الـمـصـطفـى عـبـده
نـبـيـه مـخـتـاره الـمـرسـل
واسـطة فـيـهـا وأصـل لـهـا
يـعلم هـذا كـل مـن يـعـقـل[1]

٥ ـ ادعاء علم الغيب كقول الشبلي :(لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أشعر بها أو لم أعلم بها لقلت إنه مكر بي)[2]، وكقوله لبعض مريديه :(مروا أنا معكم حيث ما كنتم أنتم في رعايتي وفي كلاءتي)[3].

٦ ـ القول بأن الخلق يعشقون الله ويعشقهم كقول أبي الحسين النوري: أنا أعشق الله وهو يعشقني[4] .

٧ ـ زعم بعض المتصوفة بأنه أفضل من الأنبياء كقول أبي يزيد :(تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ . لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم)[5] وكقول الشبلي :(إن محمداً يشفع في أمته وأنا أشفع بعده حتى لا يبقى فيها أحد)[6].

٨ ـ الاستخفاف بعذاب الله وثوابه كقول أبي يزيد عن الجنة :(الجنة هي الحجاب الأكبر لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة،وكل من سكن إلى الجنة سكن إلى سواه فهو محجوب)[7]، وكقوله عن النار :(إلهي إن كان في سابق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي فيه

---

(١) المصدر السابق .
(٢) شطحات الصوفية للبدوي ص ٤٤ .
(٣) اللمع للسراج الطوسي ص ٤٧٨ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٩٢ .
(٥) شطحات الصوفية للبدوي ص ٢٠ .
(٦) شطحات الصوفية للبدوي ص ٤٣ .
(٧) شطحات الصوفية للبدوي ص ٢٠ .

حتى لا يسع معي غيري)،وقوله: (ما النار؟ لأستندن إليها غداً وأقول اجعلني لأهلها فداء أو لأبلعنها)[1] .

وكقول الشبلي:(إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفأوها)[2] .

٩ ـ وحدة الأديان . كما قال الحلاج :

تفكـرت في الأديـان جـداً محققـاً
فـألفيتهـا أصــلاً لـه شعـب جمـا
فــلا تـطلبن للمــرء دينـاً فـإنــه
يصــد عن الأصـل الـوثيق وإنمـا
يــطالبــه أصــل تـعـبــر عـنــده
جميـع المعـالي والمعــاني فيفهمـا

ويقول كذلك :

ألا أبــلغ أحــبــائـي بــأنــي
ركبـت البحــر وانكـســر السفينـة
على دين الصليب يكــون مــوتـي
ولا البـطحـا أريـد ولا المـدينـة[3]

ويقول ابن عربي:(فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه.فكن في نفسك هيولي لصور المعتقدات كلها فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد فإنه يقول فأينما تولوا فثم وجه الله)[4] .

---

(١) المصدر السابق ص ٣١ .
(٢) المصدر السابق ص ٢١ .
(٣) نشأة التصوف الإسلامي للبسيوني ص ١٨٧ .
(٤) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص ١٠٠

وقال ابن الفارض :

فبي مجلس الأذكار سمع مطالع
ولي حانة الخمار عين طليعة
وما عقد الزنار حكماً سوى يدي
وإن حل بالإقرار بي فهي حلت
وإن نار بالتنزيل محراب مسجد
فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه
يناجي بها الأحبار في كل ليلة
وإن خر للأحجار في البد عاكف
فلا تعد بالإنكار بالعصبية
فما زاغت الأبصار من كل ملة
وما زاغت الأفكار من كل نحلة[1]

١٠ ـ إسقاط التكاليف الشرعية واستحلال المحرمات .

يقول الدكتور عرفان عبد الحميد ـ بعد أن بين أن غلاة الشيعة قد سبقوا أهل التصوف إلى اسقاط التكاليف واستحلال المحرمات ـ: (ولقد سرت هذه النزعة العدمية التي لا تعترف بحدود الشرع المنزل إلى صفوف غلاة الصوفية ممن أباحوا لأنفسهم اطراح الشرائع وزعموا أن الإنسان ليس عليه فرض ولا تلزمه عبادة إذا وصل إلى معبوده وزعم البعض أن المحظور على غيرهم من المحرمات مباح لهم إذا بلغوا درجة الولاية التي سموها المنزلة الخاصة وتأول البعض قوله تعالى : ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ قائلاً إذا وصلت إلى مقام اليقين سقطت عنك العبادة)[2] .

---

(١) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص ١٢٦ .

(٢) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها للدكتور عرفان عبد الحميد ص ٧٤ .

١١ ـ الإعراض عن العلم والانشغال بالزهد والتبتل[١] .

١٢ ـ ترك المباحات وتقليل الطعام والامتناع عن شرب الماء البارد حتى ييبس البدن .

١٣ ـ إهمال الحقوق واطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد أو البراري والمغارات ، والكهوف .

١٤ ـ بناء الأربطة والاعتكاف فيها وجعلها مضاهية للمساجد وتشبهاً بالرهبان .

١٥ ـ ترك الطيب من اللباس ولبس الصوف والمرقعات .

١٦ ـ التجرد من الأموال والعيش على صدقات الناس .

١٧ ـ ترك التزوج وترك التداوي .

١٨ ـ العزلة والانقطاع عن الجمع والجماعات وإظهار التخشع ومطأطأة الرأس .

١٩ ـ استباحة الغنا والرقص ومصاحـ لمردان .

٢٠ ـ ابتداع أذكار وأوراد وعبادات لم ترد في الشرع كالموالد ، وكالهجرة إلى قبر الرسول ﷺ .

٢١ ـ إصدار الفتاوى الكاذبة التي لا تستند على دليل شرعي بل التي تعارضها الأدلة كقول رياح بن عمرو القيسي:(لا يبلغ الرجل منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم أيتام ويأوي إلى منازل الكلاب)[٢].

وكقول بعضهم مفسراً التوحيد:(هو الذي يعمي البصير ويحير العاقل

---

(١) انظر هذا الانحراف وما بعده من انحرافات في كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٠ وما بعدها .

(٢) نشأة التصوف الإسلامي للبسيوني ص ١٥٨ .

ويـدهش الثابت)[1]، وقـول الآخـر :(من اطلع على ذرة من علم التوحيد حمـل السموات والأرض على شعـرة من جفن عينه)[2] وكقول آخر أيضاً:(علامة التوحيد : نسيان التوحيد)[3] .

٢٢ ـ الرضا بما يقع عليهم من مصائب وذنوب فلا يحاولون دفعها عن أنفسهم زعما منهم أن دفعها ينافي الرضا بالقدر؛ فلو وطىء الكفار رقابهم يرضون ويسلمون لأن الله أراد ذلك ! تقول رابعة العدوية: (يكون العبد راضياً إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة)[4] . ويذكر الأستاذ محمود مهدي قصة ملخصها : أن الفرنسيين إبان استعمارهم لتونس كانوا يجدون معارضة شديدة من الناس فتفاهم الفرنسيون مع شيخ الصوفية على أن يدخلوا البلاد، فلما أصبح الصباح قعد الشيخ مطرقاً رأسه وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما سأله أتباعه عن الأمر الذي يقلقه قال لهم: لقد رأيت الخضر وسيدي أبا العبـاس الشاذلي وهما قابضان بحصان جنرال فرنسا ثم أوكلا الجنرال أمر تونس . يا جماعة هذا أمر الله فما العمل ؟ فقالوا له: إذا كان سيدي أبو العباس راضياً ونحن نحارب في سبيله فلا داعي للحرب ثم دخل الجيش الفرنسي تونس دون مقاومة)[5] .

٢٣ ـ الجهل بمعنى التوكل والدخول في الفلاة والسفر بغير زاد كما قال بعضهم : (من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبراً ويدفنها وينسى الدنيا وأهلها)[6] وكقول الغلام الصوفي الذي لقيه إبراهيم

---

(١) اللمع للطوسي ص ٥٢ .
(٢) المصدر السابق ٥٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٥٥ .
(٤) نشأة التصوف للبسيوني ص ١٤٥ .
(٥) انظر ص ٧٨ من كتاب كتب ليست من الإسلام لمحمود مهدي .
(٦) اللمع للطوسي ص ٤٩ .

الخواص إذ يقول : (لقيت غلاماً في التيه كأنه سبيكة فضة فقلت له إلى أين يا غلام؟ فقال إلى مكة حرسها الله تعالى. فقلت: بلا زاد ولا راحلة ولا نفقة؟ فقال: يا ضعيف اليقين؛ الذي يقدر على حفظ السموات والأرض ألا يقدر على أن يوصلني إلى مكة بلا علاقة)[1] .

هذه جل الانحرافات التي يقع فيها أو في بعضها أصحاب التصوف وهي مناقضة للجهاد ومميتة للروح الجهادية عند كل من تأثر بالتصوف . وهل يتصور من شخص يعتقد أن الله حال في الكفار شجاعة في قتال الله ! أو يتصور من شخص يعتقد أن الأديان كلها صحيحة وأنها طرائق موصلة إلى الله حماس في قتال من يراهم على حق! بل ما الفائدة من جهاد من هذه عقيدته وهو من أشد الناس كفراً! أما من يعتقد بسقوط التكاليف الشرعية فلا أمل في جهاده مطلقاً فالجهاد من أصعب التكاليف والحبيب لا يكلف حبيبه ما يثقل كاهله !

إن الجهاد يحتاج إلى عقيدة صحيحة راسخة وإلى أبدان قوية سليمة وإلى أموال تكون قواماً للجند وثمناً للسلاح، وكل هذه الأمور مفقودة عند المتصوفة . فمن كان يعتقد أنه لا يكون من الصديقين حتى يأوي إلى منازل الكلاب كيف يكون قائد جيش يصبّح الكفار في ديارهم أو يمسيهم؟ ولو ترك المسلمون التزوج كما يفعل ذلك أكثر المتصوفة فأين الشباب الذين هم دائماً عماد الجيوش الفاتحة ؟

ولو أن الرسول ﷺ انعزل في بعض شعاب مكة وصام النهار وقام الليل وأطال سبحته، وإذا تعب من الأذكار والأوراد قام يرقص وينشد ويتمايل يميناً وشمالاً كم يدخل في الإسلام من الناس؟! إن انحراف المتصوفة العقيدي والسلوكي أثّر على الجهاد الإسلامي غاية التأثير وهو

---

(١) نشأة التصوف للبسيوني ص ١٥٢

مناقض لهدى الرسول ﷺ :(فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ مر بشعب فيه عيينة ماء عذب فأعجبه طيبه فقال لو أقمت في هذا الشعب فاعتزلت الناس . ولا أفعل حتى استأمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال:لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاة ستين عاماً خالياً،ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا في سبيل الله.من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)[1]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها؛فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،قال أحدهم:أما أنا فإني أصلي الليل أبداً،وقال آخر:أنا أصوم الدهر ولا أفطر،وقال آخر:أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً،فجاء رسول الله ﷺ فقال:أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)[2] .

إن عقيدة الصوفية المنحرفة في التوكل والرضا بالقدر جعلت نفوسهم راضية مطمئنة ولو وطيء الكفار على رقابهم . فإن التوكل عندهم عدم ممارسة الأسباب،والرضا معناه أن ترضى بما يحصل لك ولو هو استيلاء الكفار على بلاد المسلمين وسبي ذراريهم،وإن أبديت مقاومة فأنت معارض للقدر! وغير متوكل على الله! فالذي يسافر في البراري الخالية بغير زاد ـ كما مر معنا ـ هل يتصور منه أن يلبس لامة الحرب ودروع القتال؟ وليته إذ لم يفعل ذلك غمس نفسه في القتال حاسراً !! ولكن ماله ولفرقعة السلاح ولخرير الدماء،وحلق الرقص وطقطقة المسابح كفيلة بإنزاله منازل الصديقين على زعمه ، أي انحراف هذا أصاب الأمة الإسلامية؟ وأي فرحة للكفار

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢/٥٢٤ .
(٢) صحيح البخاري ٦/١١٦ .

تحصل لهم أشد من فرحتهم من هذه النحلة ؟ يقول الرجل الذي خبر الصوفية في مصر وعرف خفايا أمورهم؛الأستاذ عبد الرحمن الوكيل:(. . . ويزعمون أن الصوفية جاهدت حتى نشرت الإسلام في بقاع كثيرة !! ولقد علمت ميادين الصوفية فما نشروا إلا أساطير حمقاء وخرافات بلهاء وبدعاً بلقاء شوهاء؛ما نشروا إلاوثنية تؤله الحجر وتعبد الرمم،ما نشروا دينهم إلا في حماية الغاصب المستعمر وطوع هوى الغاصب المستعمر .

فعدو الإسلام يوقن تماماً أن البدع هي الـوسيلة التي تصل إلى الهدف دائماً لكي يقضوا بها على الإسلام وأهله؛فعلها قديماً ، ويفعلها حديثاً.واقرأوا تاريخكم إن كنتم تمترون؛أروني صوفياً واحداً قاتل في سبيل الله ! أروني صوفياً واحداً جالد الاستعمار أو كافحه أو دعا إلى ذلك . إن كل من نسب إليهم مكافحة المستعمر-وهم قلة-لم يكافحوه إلا حين تخلى هو عنهم فلم يطعمهم السحت من يديه،ولم يبح لهم جمع الفتات من تحت قدميه،وإلا حين قهرت فيهم عزة الوطنية ذل الصوفية فقاتلوا حمية لا للدين ، ثم اقرأوا ما كتب الزعيم مصطفى كامل في كتابه المسألة الشرقية: (ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان أن رجلاً فرنساوياً دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية وعين إماماً لمسجد كبير في القيروان،فلما اقترب الجنود الفرنساوية من المدينة استعد أهلهـا للدفاع عنهـا وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه فدخل سيد أحمد الضريح ثم خرج مهولاً لهم بما سينالهم من المصائب وقال لهم بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم لأن وقوع البلاد صار بحتاً فأتبع القوم البسطاء قوله ولم يدافعوا عن القيروان أقل دفاع بل دخلها الفرنساويون آمنين) . وحين أغار الفرنجة على المنصورة قبيل منتصف القرن السابع الهجري اجتمع زعماء الصوفية !! أتدري لماذا ؟ لقراءة رسالة القشيري والمناقشة في كرامات الأولياء.من أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا المستعمرين

يغدقون على الصوفية الجاه والمال؛فرب مفوض سام لم يكن يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر ويقضي هنالك زيارة سياسية تستغرق الساعات . أليس التصوف الذي على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم؟

ثم إن كل من نسبت إليهم الصوفية أنهم جاهدوا في سبيل الله وعملوا على نشر الإسلام ليسوا صوفيين،وإنما حشرتهم الصوفية في زمرتها زوراً وبهتاناً،وأستاذها في ذلك الشيعة؛لقد سمى الصوفية رسول الله ﷺ صوفياً،ومثله الخلفاء،وكل بطل عبقري فذ من المسلمين زعموا أنه صوفي هذا ليخدعوا المسلمين بهؤلاء عن زعمائهم من طواغيت الصوفية وليفتنوا المسلمين بزعمهم أن أولئك الأبطال كانوا بعض أئمة الصوفية. والتاريخ يذكر أن لقب صوفي لم يبتدع إلا في منتصف القرن الثاني الهجري وأن أول من لقب به هو أبو هاشم الكوفي)[١] .

وبهـذا العرض عن مـوقف الصوفيـة من الجهاد نـدرك لماذا تهتم الصليبية والصهيونية بالصوفية وتخصص علماء وكتاباً يبرزون فكر الصوفية ودعاتها وفرقها ويمجدونها.إن أخشى ما يخشاه الأعداء من الإسلام عقيدة الجهاد ويودون لو قضوا عليها قضـاء مبرماً . ونشر الفكر الصوفي والسلوك الصـوفي أكبـر عـون لهم على ذلـك ؛ يقـول الأستـاذ محمـد قـطب: (والمستشرقون الذين هم الامتداد الحقيقي للمبشرين يسيرون على نفس المنوال في تبني الحركات الزائفة والمنحرفة لعلها تقـطع الشجرة التي يغيظهم وجودها ورسوخها في الأرض وتحديها لكل جهد. يبذلون لوقف امتدادها وتفرعها ؛ ومن هنا نجد عناية شديدة في كتب المستشرقين بما يسمى (التصوف الإسلامي) إلى حد أن يتخصص له مستشرقون مثـل نيكلسون وأوليري ينفقون معظم جهدهم في هذا السبيل . . . والتصوف في

---

(١) هذه هي الصوفية للوكيل ص ١٧٠ ـ ١٧٢ .

صورته المنحرفة الشاطحة فلأكثر من سبب يهتم به المستشرقون ويحتفلون به هذا الاحتفال . أولاً : لأنه ليس إسلامياً في الحقيقة إنما هو مستمد من أصول غير إسلامية فارسية وهندية ويشتمل على مجموعة من المفاهيم والأفكار التي تتعارض مع الإسلام . . . فالحصيلة النهائية للتصوف هي أقرب إلى الانحراف عن خط الإسلام ،ومن أجل هذا يهتم به المستشرقون اهتماماً بالغاً ،ويهتمون بصفة خاصة بأصحاب الشطحات من المتصوفين لأنها انحراف عن الإسلام ،وكل انحراف عن الإسلام فهو كسب لهم في معركتهم الدائمة ضد هذا الدين . وقد كان الحس الإسلامي المستقيم عند المسلمين ينفر من انحرافات الصوفية وشطحاتها ولا يستطيع فلسفتها ،وإن كان العوام قد فتنوا بمشائخ الطرق وكانوا يشركون بهم في عبادة الله . ولكن المستشرقين يحاولون في كتاباتهم أن يبرزوا الصوفية في ثوب خلاب لعله يغري المسلمين بمزيد الانحراف)[1] من هذا الاستطراد عن انحرافات الصوفية واهتمام الكفار بهم يظهر لنا مدى تأثير التصوف على عقيدة الجهاد وأنه يميتها ويجعل رياضة النفس والاستغراق في الأوراد والأذكار هو الجهاد الأكبر ، وأن تغيير الواقع وتحويله إلى الحال التي كان عليها في زمن الرسول ﷺ وزمن صحابته الكرام أمر لا يعني المتصوفة كثيراً فما لهم وللناس وللحياة ؛ ففي الجبة والزوايا وحلق الرقص وأضرحة الموتى ورسائل القشيري والمدائح النبوية شاغل لهم نسأل الله أن يلهمنا وإياهم رشدنا .

(١) المستشرقون والاسلام للأستاذ محمد قطب ص ٥٤ ـ ٥٥ .

٣ ـ الشيعة الإمامية الإثنا عشرية

الشيعة هم القائلون بأن الإمامة وراثية في أهل البيت،ويقدمون عليا رضي الله عنه على سائر الصحابة،ويطعنون في صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين؛لكونهم لم يعطوا الخلافة علياً بعد وفاة رسول الله ﷺ.وهم طوائف مختلفة وبعضهم لهم اعتقادات فاسدة تخرجهم عن دائرة الإسلام[١] .

وأما الإثنا عشرية منهم فهم الذين ساقوا الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى وقطعوا بموت موسى وزعموا أن الإمام بعده سبط محمد بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا،ويقال لهم الإثنا عشرية لدعواهم أن الامام المنتظرْ هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه،واختلفوا في سن هذا الثاني عشر عند موته فمنهم من قال كان ابن أربع سنين ومنهم من قال كان ابن ثماني سنين واختلفوا في حكمه في ذلك الوقت فمنهم من زعم أنه في ذلك الوقت كان إماماً عالماً بجميع ما يجب أن يعلمه الإمام،وكان مفروض الطاعة على الناس ومنهم من قال كان في ذلك الوقت إماماً على معنى أن الإمام لا يكون غيره

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ١/٦٥ والملل والنحل للشهرستاني ١/١٤٦ والفرق بين الفرق للبغدادي ٣٩ والمذاهب الإسلامية لأبي زهرة ١/٣٥ .

وكانت الأحكام يومئذ إلى العلماء من أهل مذهبه إلى أوان بلوغه؛فلما بلغ تحققت إمامته ووجبت طاعته ، وهو الآن الإمام الواجب طاعته وإن كان غائباً.ويسمي البغدادي الإمامية الإثنا عشرية في كتابه الفرق بين الفرق بالقطعية . وقال عباس بن منصور الحنبلي عنهم:إنما سموا بالقطعية لقولهم بانقطاع الأمانة[2] ، ويقول أبو زهرة:(ويرى الإثنا عشرية أن الخلافة بعد الحسين رضي الله عنه لعلي زين العابدين ومن بعده لمحمد الباقر ثم لأبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر ثم لابنه موسى الكاظم ثم لعلي الرضا ثم لمحمد الجواد ثم لعلي الهادي ثم للحسن العسكري ثم لمحمد ابنه وهو الإمام الثاني عشر،ويعتقدون أنه دخل سرداباً في دار أبيه (بسر من رأى) ولم يعد بعد[3] .

وللإمامية الإثنا عشرية في الجهاد أقوال ظاهرة السقوط منها : -

١ - قولهم:إن الشيعة شهداء ولو ماتوا على فرشهم[4] .

٢ - قولهم:لا يجاهد إلا مؤمن قد أكمل شرائط الدين[5] .

٣ - قولهم:إنه لا يجاهد إلا مع إمام عادل[6].

٤ - قولهم:إن جهاد الابتداء وغزو الكفار في ديارهم لا يكون إلا مع الإمام المعصوم الذي ينتظرونه[7].

يقول محمد جواد مغنية في كتابه فقه الإمام جعفر الصادق ما يلي :-

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٦٥ .

(٢) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لعباس الحنبلي ص ٣٨ .

(٣) تاريخ مذاهب لأبي زهرة ١/٥٤ .

(٤) وسائل الشيعة للعاملي ١١/٢١ .

(٥) المصدر السابق ١١/٢٦ .

(٦) المصدر السابق ١١/٢٢ ، ٣٥ ، ٣٦.

(٧) المصدر السابق ١١/٣٢ وقارن بشرائع الإسلام للحلي ١/٣٠٧ .

(قسم الفقهاء الجهاد إلى نوعين: الأول جهاد الغزو في سبيل الله وانتشار الإسلام وإعلاء كلمة الله في بلاد الله وعباده وهذا النوع من الجهاد لا بد فيه من إذن الإمام.. النوع الثاني: جهاد الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين والدفاع عن النفس والمال والعرض بل الدفاع عن الحق إطلاقاً سواء أكان له أو غيره على شريطة أن يكون القصد خالصاً لوجه الله والحق وهذا الدفاع لا يشترط فيه إذن الإمام ولا نائبه الخاص أو العام[١].

ويقول الخوميني ـ الذي قاد الثورة لإسقاط شاه إيران وأقام دولة الرافضة في إيران وهو من الإثني عشرية ـ في كتابه تحرير الوسيلة جـ ١/ ٤٨٢ في عصر غيبة ولي الأمر وسلطان العصر ـ عجل الله فرجه الشريف ـ يقوم نوابه العامة وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى والقضاء في إجراء السياسات وسائر ما للإمام عليه السلام إلا البداءة في الجهاد)[٢].

وهذه الأقاويل بالغة السقوط بحيث لا تحتاج إلى الرد وهي مبنية على أوهام الرافضة في الإمام المعصوم المختفي منذ مدة طويلة الذي يعتقدون أن قوله تشريع وأن عنده من أسرار الشريعة الشيء الكثير وأن عصيانه شرك[٣].

---

(١) فقه الإمام جعفر الصادق لمحمد جواد مغنية ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٢) وجاء دور المجوس للدكتور الغريب ص ١٩٨.

(٣) للاطلاع على مخاريق الرافضة وعلى نحلتهم الخبيثة انظر كتاب تبديد الظلام وتنبيه النيام للأستاذ إبراهيم الجبهان، وكتاب وجاء دور المجوس للدكتور عبد الله محمد الغريب، وكتاب الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير، وكتاب الخطوط العريضة لمذهب الإمامية الإثنا عشرية لمحب الدين الخطيب، وكتاب سراب في إيران للدكتور أحمد الأفغاني.

٤ - الجبرية الجهمية

الجبرية الجهمية هي التي تجعل العبد مجبوراً على أفعاله فهو عندهم كالريشة في الهواء،وهم أتباع جهم بن صفوان؛يقول البغدادي عن هذه الفرقة:(الجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال،وأنكر الاستطاعات كلها،وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط،وأن الكفر هو الجهل به فقط،وقال:لا فعل ولا عمل لأحد غير الله وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز؛كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن تكونا فاعلتين أو مستطيعتين لما وصفتا به)[1]،ويقول عن هذه الفرقة أيضاً الشيخ حافظ الحكمي:(وإضافة الفعل والانفعال كلاهما إلى الله عز وجل هو قول الجبرية الغلاة الجفاة الذين يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله مقسور عليها كالسعفة يحركها الريح العاصف،وكالهاوي من أعلى إلى أسفل،وأن تكليف الله سبحانه وتعالى عباده من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصي كتكليف الحيوان البهيم بالطيران،وتكليف المقعد بالمشي وتكليف الأعمى بنقط الكتاب،وأن تعذيبه إياهم على معصيتهم إياه هو تعذيب لهم على فعله لا على أفعالهم،وأن ذلك كتعذيب الطويل

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١١ .

لِمَ لم يكن قصيراً، والقصير لِمَ لم يكن طويلاً، والأسود لِمَ لم يكن أبيض، والأبيض لِمَ لم يكن أسود؛ فسلبوا العبد قدرته واختياره وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها، ونفوا عن الله تعالى حكمته البالغة، وجحدوا حجته الدامغة، وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده، ونسبوه تعالى إلى الظلم، وطعنوا في عدله وشرعه؛ فلا قيام عندهم لسوق الجهاد ولا معنى لإقامة الحدود ولا للثواب والعقاب، بل ولا لإرسال الرسل والكتب إلا التكليف في غير وسع وتحميل ما لا يطاق، والظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرماً، فأقاموا عذر إبليس اللعين وعذر فرعون وهامان وقارون وسائر الأمم العصاة الممقوتين المقبوحين المغضوب عليهم المخسوف بهم المعدة لهم جهنم وساءت مصيراً . وإن غضب الله عليهم ولعنه وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالهم، بل قالوا: إنه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيئته. هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة الإبليسية، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى كثيراً من عباراتهم التي لا يستطيع المؤمن حكايتها لولا أن الله تعالى حكى في كتابه أقوال الكفار قبحهم الله فمن ذلك قول بعضهم:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له　　إياك إياك أن تبتل بالماء

وقول آخر قبحه الله :

دعاني وسد الباب عني فهل إلى　　دخولي سبيل بينوا لي قضيتي

وقول كافر آخر فض الله فاه :

وضعوا اللحم للبزا　　ة على ذروتي عدن

ثم لاموا البزاة إذ　　خلعوا عنهم الرسن

لو أرادوا صيانتي　　ستروا وجهك الحسن

وقال بعضهم وقد ذكر له من يخاف إفساده فقال: لي خمس بنات لا أخاف على إفسادهن غيره . وصعد رجل يوماً على سطح دار له فأشرف

على غلام له يفجر بجاريته فنزل وأخذهما ليعاقبهما فقال الغلام: إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك، فقال لَعِلمُك بالقضاء والقدر أحب الي من كل شيء، أنت حر لوجه الله. ورأى آخر يفجر بامرأته فبادر ليأخذه فهرب، فأقبل يضرب المرأة وهي تقول القضاء والقدر فقال: يا عدوة الله أتزنين وتعتذرين بمثل هذا. فقالت: أوه تركت السنة وأخذت بمذهب ابن عباس، فتنبه ورمى بالسوط من يده واعتذر إليها وقال لولاك لضللت. ورأى آخر رجلاً يفجر بامرأته فقال: ما هذا؟ فقالت هذا قضاء الله وقدره. فقال الخيرة فيما قضى الله. فلقب بالخيرة فيما قضى الله، وكان إذا دعى به غضب. وقيل لبعض هؤلاء أليس هو يقول ولا يرضى لعباده الكفر؟ فقال دعنا من هذا رضيه وأحبه وأراده وما أفسدنا غيره)[1]. ويلزم من هذا الاعتقاد الخبيث لهذه الفرقة الخبيثة أن مجاهدة الكفار لا معنى لها بل هي ظلم وعدوان فكيف يجاهدون على عمل أحبه الله وأراده منهم ولم يمكنهم من غيره؟ وهذه عقيدة خبيثة تسعى إلى اقتلاع عقيدة الجهاد من قلوب المؤمنين. بل إلى اقتلاع الإيمان كله. وقد كان لهذه العقيدة الخبيثة غاية التأثير في أكثر الصوفية لأن أكثر المتصوفة جبرية! ووضوح بطلان قول هذه الفرقة أظهر من الشمس في رابعة النهار، فإن الإنسان يحس من نفسه الاختيار على العمل ولو لم يكن للإنسان اختيار في انتهاج العمل الذي يريد لكان بعثة الرسل عموماً وإنزال الشرائع من العبث تعالى الله عز وجل عن العبث، ولو ضرب صاحب هذه العقيدة ضرباً مبرحاً لغضب ودافع عن نفسه ولم يرض بالقدر على حد زعمه!!

---

(١) معارج القبول للحكمي ٢/٢٨٩ - ٢٩١.

الفصـــل الثانـي

الفــرق الحديثــة

١ ـ القاديانية .
٢ ـ البابية والبهائية .

١ - القاديانية

القاديانية فرقة مرتدة عن الإسلام رباها الاستعمار الإنجليزي في الهند وانتشرت إلى بقاع كثيرة في العالم،وهي تنسب إلى مرزا غلام أحمد القادياني المولود في الهند في قرية قاديان سنة ١٨٣٩ م ، وقد كشف مؤسس هذه الفرقة الخبيثة عن عمالته للاستعمار فهو يقول: (لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها،وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر (الإنجليز) من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة،وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا،وكان هدفي دائماً أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة،وتمحى من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح،والأحكام التي تبعث فيهم عاطفة الجهاد وتفسد قلوب الحمقى.) (ترياق القلوب ص ٢٥ للقادياني)،ويقول: (لقد نشرت خمسين ألف كتاب ورسالة وإعلان في هذه البلاد وفي البلاد الإسلامية تفيد أن الحكومة الإنجليزية صاحبة الفضل والمنة على المسلمين فيجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة إطاعة صادقة. وقد ألفت هذه الكتب في اللغات الأُردية والعربية والفارسية وأذعتها في أقطار العالم الإسلامي حتى وصلت وذاعت في البلدين المقدسين مكة والمدينة،وفي الآستانة،وبلاد الشام،ومصر،وأفغانستان،وكان نتيجة ذلك أن أقلع ألوف من الناس عن فكرة الجهاد التي كانت من وحي العلماء الجامدين وهذه مأثرة

أتباهى بها يعجز المسلمون في الهند أن ينافسوني فيها.) (ستارة قيصرة ص ٧ مكتوب القادياني إلى ملكة إنكلترا)، وقال: (إن أبي غلام مرتضى كان من الذين لهم روابط طيبة وعلاقات ودية مع الحكومة الإنكليزية، وكان له كرسي في ديوان الحكومة، وهو ساعد الحكومة حينما ثار عليها أهل وطنه ودينه الهنديون مساعدة طيبة في سنة ١٨٥٧ م (ثورة معروفة ضد الاستعمار) بل مدها بخمسين جندياً وخمسين فرساً من عنده وخدم الحكومة فوق طاقته). تحفة قيصرية ص ٢٦)، وقال: (لقد ظللت منذ حداثة سني وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها وألغي فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم، والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة. وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين وأحدثت تحولاً في مئات آلاف منهم.) (تبليغ رسالت المجلد السابع ص ١٠)، وقال أيضاً: (ولا يخفى على هذه الحكومة المباركة أنَّا من خدامها ونصحائها ودواعي خيرها من قديم، وجئناهم في كل وقت بقلب صميم وكان لأبي عندها زلفى وخطاب التحسين، ولنا لدى هذه الدولة أيدي الخدمة. ولا نظن أن تنساها في حين كان والدي الميرزا غلام مرتضى بن ميرزا عطا محمد القادياني من نصحاء الدولة وذوي الخلة وعندها من أرباب القربة. وكان يصدر على تكرمة العزة، وكانت الدولة تعرفه غاية المعرفة وما كنا قط من ذوي الظنة بل ثبت إخلاصنا في أعين الناس كلهم وانكشف على الحاكمين[1] ولتستطلع الدولة حكامها الذين جاؤونا ولبثوا بيننا كيف عشنا أمام أعينهم وكيف سبقنا في كل خدمة مع السابقين!) (نور الحق الحصة الأولى ص ٢٧ - ٢٨)، وقال: (إني أعلم أن الله تعالى جعل الحكومة البريطانية حمى وملجأ لي ولجماعتي بفضله الخاص، وهذا الأمن الذي حصل لنا تحت ظل هذه الحكومة لا يمكن أن يحصل هو في مكة المكرمة ولا في المدينة المنورة.) (ترياق القلوب ص ٢٦) وقال (والمأمول

(١) هكذا في النص، ولعل المراد: وانكشف للحاكمين أيضاً إخلاصنا.

من الحكومة أن تعامل هذه الأسرة التي هي من غرس الإنجليز أنفسهم ومن صنائعهم بكل حزم واحتياط وتحقيق ورعاية وتأمر رجال حكومتها أن تعاملني وجماعتي بعطف خاص ورعاية فائقة لأننا ما تأخرنا أبداً من التضحيات في سبيلكم لا بالنفوس ولا بالدماء) (تبليغ رسالت ج ٧ ص ١٩).

وقال: (ثبت من محاضراتي المسلسلة طوال سبعة عشر سنة بأني وفي مخلص للدولة الإنكليزية من صميم القلب والروح وإطاعة الحكومة وحب الناس عقيدتي، وهذه هي العقيدة التي أدخلتها في شروط البيعة لمتبعي ومريدي، وصرحت عن هذه العقيدة تحت المادة الرابعة في رسالة شروط البيعة التي توزع على المهدين والمتبعين لي.) (اشتهار واجب الإظهار ملحقة كتاب البرية ص ٩ للقادياني).

ويقول: (إن مذهبي وعقيدتي التي أكررها أن الإسلام جزءان: الجزء الأول: إطاعة الله، والجزء الثاني: إطاعة الحكومة التي بسطت الأمن وآوتنا في ظلها من الظالمين وهي الحكومة البريطانية) (شهادة القرآن ص ٨٦)[1].

ويبدو من كتابات القادياني إلى أسياده الإنكليز، ومن امتنانه عليهم بالعمالة والخدمة أنه رجل معتوه أو أنه لم يحصل في نظره على الثمن الكافي لدينه الذي باعه لهم؛ لذا فهو يذكّرهم بجهاده في سبيلهم لعله يستدر عطفهم فيجعلونه في وضع أحسن من الوضع الدي هو فيه!! وأما موقف هذه الفرقة الضالة من الجهاد فقد صرح به القادياني في كتبه ورسائله وقد مر معنا طرف منه، وإليك المزيد أيها القارىء الكريم؛ يقول هذا العميل المأفون: (إن الله خفف شدة الجهاد أي القتال في سبيل الله

---

(١) انظر هذه الأقوال في كتاب القادياني ومعتقداته للشيخ منظور أحمد جنيوتي الباكستاني ص ٢٦ - ٣٠

بالتدريج فكان يقتل الأطفال في عهد موسى وفي عهد محمد ﷺ ألغى قتل الأطفال والشيوخ والنسوة ثم في عهدي ألغى حكم الجهادأصلاً.) (أربعين رقم ٤ ص ١٥ للقادياني)،ويقول:(اليوم ألغي حكم الجهاد بالسيف ولا جهاد بعد هذا اليوم؛فمن يرفع بعد ذلك السلاح على الكفار ويسمي نفسه غازياً يكون مخالفاً لرسول الله الذي أعلن قبل ثلاثة عشر قرناً بإلغاء الجهاد في زمن المسيح الموعود؛فأنا المسيح الموعود ولا جهاد بعد ظهوري الآن فنحن نرفع علم الصلح وراية الأمان.)

(خطبة إلهامية ص ٢٨ تبليغ رسالت ج ٩ ص ٤٧)

ويقول: (اتركوا الآن فكرة الجهاد؛لأن القتال للدين قد حرم وجاء الإمام والمسيح،ونزل نور من السماء فلا جهاد بل الذي يجاهد في سبيل الله الآن فهو عدو الله ومنكر للنبي الذي يعتقد هذا) (ترجمة أبيات أردويه ضميمه تحفة كولرويه ص ٣٩)، ويقول:(إن هذه الفرقة القاديانية لا تزال تجتهد ليلاً ونهاراً لقمع العقيدة النجسة عقيدة الجهاد من قلوب المسلمين.) «عريضة القادياني إلى الحكومة المندرجة في المجلة ريرير آف ريليجنز رقم ٥ - ١٩٢٢ م».

وقال:(إن الفرقة الإسلامية التي قلدني الله إمامتها وسيادتها تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ولا تنتظره،بل إن الفرقة المباركة لا تستحله سراً كان أو علانية وتحرمه تحريماً باتاً) (ترياق القلوب ص ٣٣٢)، وقال:(قد كتبت مراراً أن القرآن لا يعلم تعليم الجهاد أبداً،بل كان هذا الحكم مختصاً بالزمان وما كان إلى الأبد.والإسلام بريء عن الأعمال التي ظهرت عن الملوك بعد زمان النبوة بخطئهم الصريح أو بأغراضهم النفسانية.) «ضميمة الحكومة الإنجليزية والجهاد ص ١٠، ١١»[1].

---

(١) انظر كتاب القادياني ومعتقداته للشيخ منظور أحمد ص ٣٠، ٣١ وكتاب القاديانية لإحسان إلهي ظهير.

وللقاديانية عقائد زائغة كل واحدة منها توجب ردتها فضلاً عن جميعها ـ يقول إحسان إلهي ظهير:(فخلاصة الكلام أن القاديانية تعتقد أولاً بأن لهم إلاها يتصف بصفات البشر يصوم ويصلي وينام ويصحو يخطىء ويصيب . . .

ثانياً: إن الأنبياء والرسل يبعثون ويرسلون إلى يوم القيامة.

ثالثاً: إن غلام أحمد نبي الله ورسوله.

رابعاً: إنه أفضل من جميع الانبياء والمرسلين بما فيهم محمد ﷺ.

خامساً: ينزل على غلام الوحي.

سادساً: الملك الموكل بالوحي إليه هو جبريل.

سابعاً: إن لهم ديناً منفصلاً عن الأديان كلها..

ثامناً: إن لهم كتاباً مستقلاً يضاهي القرآن في المرتبة والمنزلة وله عشرون جزءً واسمه الكتاب المبين[1].

وقد بين المحدث الشهير محمد أنور شاه الكشميري إلحاد القادياني من وجوه متعددة في كتابه القيم: «إكفار الملحدين في ضروريات الدين» وقد عنيت رابطة العالم الإسلامي بمكة بنشر مؤلفات كثيرة، تبين ارتداد القاديانية عن الإسلام؛منها للشيخ أبي الحسن الندوى،والشيخ أبي الأعلى المودودي،والشيخ محمد الخضر حسين،وغيرهم من العلماء.وأما قولهم في الجهاد بأنه ساقط فليس مبنياً على شبه أدلة حتى تناقش وإنما أرادوا خدمة الاستعمار بحماقة بلهاء مكشوفة لا تنطلي على أحد؛وإلا فإجماع أمة محمد على استمرار الجهاد إلى قيام الساعة.وهذا من حفظ الله لدينه:﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾وكم من سفيه معتوه من أمثال القادياني يريد

(١) انظر القاديانية لإحسان إلٓهي ظهير ص ١١٧ .

أن يشتهر فيطعن في الإسلام فيسقط هو ويبقى الإسلام محفوظاً لحفظ الله له،وإنما الأثر قد يصل إلى المسلمين أنفسهم لا إلى الإسلام؛فقد ينخدع بأعداء الإسلام عوام وجهلة فيسقطون هم لا الإسلام.

والحمد لله على منه وكرمه.

٢ ـ البابية والبهائية

البابية نحلة أسسها علي محمد الشيرازي المولود عام ١٢٣٥ هـ فأعلن في ٥ جمادى الأولى عام ١٢٦٠ هـ بأنه باب المهدي. وأول من أجاب دعوته الملا حسين البشروئي فمنح لقب «باب الباب» وقد تلقف هذه الدعوة بهاء حسين علي المازنداني ابن الميرزا عباس المولود في إيران عام ١٢٣٣ هـ فصار يطلق عليها البهائية نسبة إلى البهاء، وصار كل من يدخل فيها يزيد فيها ضلالات جديدة. وهي دعوة شبيهة بالدعوة القاديانية؛ فأصبع الماسونية فيها ظاهر، وهدفها صرف المسلمين عن دينهم والتشكيك في بعض أحكام الإسلام كجهاد الكفار، ووجوب عداوتهم. وفرقة البابية والبهائية فرقة مرتدة عن الإسلام لادعاء بعض دعاتها النبوة، وقولهم بالحلول والاتحاد والتناسخ، وتحريفهم لأحكام الإسلام المجمع عليها[1].

وأما موقف البهائية من أحكام الجهاد فهو شبيه بموقف هيئة الأمم المتحدة في بعض الجوانب، وهذا مما يقوي صلة البهائية بالماسونية. فإن البهائية أخذت على عاتقها الدعوة إلى الأخوة الإنسانية، ونبذ الحروب؛ إذ يقول عبد البهاء: (إن الدين الإلهي يجمع القلوب المتفرقة ويزيل المنازعات

---

(١) انظر البهائية وموقف الإسلام منها رسالة ماجستير للطالب دخيل الله الأزوري قدمت لجامعة أم القرى، وكتاب البهائية لمحب الدين الخطيب .

والحروب عن وجه البسيطة فيخلق الدين روحانية ونوراً وحياة لكل نفس ولو يكون الدين سبباً للعداء والبغضاء والانقسام فعدم الدين أولى وترك مثل هذا الدين هو الحق،لأن الدين هو الدواء،والغرض من الدواء هو الشفاء فإذا كان الدواء مسبباً لازدياد المرض فالأولى تركه،فأي دين لا يكون سبباً للمحبة والاتحاد فإنه ليس بدين)[1]. وتدعو البهائية إلى تحريم تجارة الرقيق وإلى عتق الأرقاء[2]، وتدعو إلى السلام وإلى التحكيم الدولي حيث يقول عبد البهاء:(منذ خمسين سنة أمر بهاء الله في الكتاب الأقدس أن يقوم الناس على تأسيس السلام العام،ودعا كل الأمم إلى مائدة التحكيم الدولي)[3]. وتدعو البهائية إلى وحدة الأديان ومحبة الإنسانية ونبذ التعصبات وإلى الأخوة العامة،تماماً كما تدعو الماسونية حيث يقول أحد دعاة البهائية: (إن الغرض من بعثة بهاء الله للعالم هو الاتحاد،أي اتحاد العالم كله في الله وبالله وقد قال: إن أبهى ثمرة لشجرة العرفان على هذه الكلمة العليا كلكم أثمار شجرة واحدة،ليس الفخر لمن يحب الوطن،بل لمن يحب العالم. وقال عبد البهاء في معنى البهائي:لأن تكون بهائياً يلزمك أن تحب العالم وتحب الإنسانية وأن تجتهد في خدمتها وتعمل للسلام العام والأخوة العامة. ويخاطب علماء الأمم بقوله: يا علماء الأمم،غضوا الأعين عن التجانب وانظروا إلى التقارب والاتحاد،وتمسكوا بالأسباب التي توجب الراحة والاطمئنان لعموم أهل الأمكان... ويقول عبد البهاء: يجب على الجميع ترك التعصبات،وأن يتبادلوا زيارة الجوامع والكنائس مع بعضهم البعض،لأن اسم الله يذكر في جميع هذه المعابد ما دام الكل يجتمعون لعبادة الله فلا خلاف بين الجميع؛ فليس منهم أحد يعبد الشيطان فيحق

---

(١) البهائية وموقف الإسلام منها للأزوري ص ٢٦٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧١ .

للمسلمين أن يذهبوا إلى كنائس النصارى وصوامع اليهود وبالعكس يذهب هؤلاء إلى المساجد الإسلامية[1].

وقد حرم البهاء على أتباعه الجهاد فقال:(البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العالم محو حكم الجهاد من الكتاب)،وقال:(حرم عليكم حمل آلات الحرب) وقال عبد البهاء عن أبيه:(محا آية السيف ونسخ حكم الجهاد)[2] ولا غرو أن تقدم هذه الفرقة الخبيثة على الكذب على الله وتحريم ما أوجب الله من جهاد الكفار وعداوتهم؛فهي وسيلة من وسائل الصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة لتدمير الإسلام،وهي شقيقة القاديانية؛فرقة مرتدة حاقدة على الإسلام والمسلمين.يقول الدكتور محسن عبد الحميد عن علاقة البهائية بالصهيونية: (ثم إن البهائية تسفر عن وجهها الصهيوني أخيراً إذ بعد موت مرزا شوقي أفندي رباني طاغوتهم الثالث بعد البهاء وابنه اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في إسرائيل وانتخب صهيونياً أمريكياً اسمه «ميسون» ليكون رئيساً روحياً لجميع أفراد الطائفة البهائية في العالم)[3]، ويقول الدكتور محسن عن علاقة البهائية بالصليبية:(وأما علاقة الإنجليز بعبد البهاء عباس فعلاقة قوية بلغت حد العمالة العلنية والخدمة المباشرة لمصالحهم؛فلقد كان عبد البهاء الجاسوس الإنجليزي الذي كان يعرف كيف يقوم تحت جنح الظلام بتطبيق ما عقدوا عليه العزم من هدم الإسلام وسلخ جزء عزيز من بلاده لتسليمه إلى اليهود... إن خدمة عبد البهاء للإنجليز لم تكن عرضية وإنما جاءت بناء على ما كتبه والده في الإشراقات:(إذا قام أي ملك من الملوك وفقهم الله - كذا - على حفظ هذا الحزب - البهائية -

---

(١) البهائية للأزوري ص ٢٩٤ - ٢٩٦ .

(٢) البهائية للأزوري ص ٢٧٩.

(٣) حقيقة البابية والبهائية لمحسن عبد الحميد ص ٢٣٧

المظلوم وإعانته يجب على الكل أن يتسابقوا في محبته وخدمته وهذا فرض على الكل طوبى للعاملين).

إن ولاء عبد البهاء عباس زعيم البهائية بعد والده للإنجليز يتأكد لكل إنسان عندما يقرأ تلك الخطب الرنانة التي ألقاها في نوادي لندن وكنائسها ومجامعها. يقول في إحدى تلك الخطب مخاطباً الإنجليز :(إن مغناطيس حبكم هو الذي جذبني إلى هذه المملكة)،ويقول: (إني عرفت الأمة الإنجليزية ،والذين قابلتهم هم أنفس طيبة يشتغلون للسلام والاتحاد) ويقول: (أصبحت المدينة الغربية متقدمة عن الشرقية وأصبحت الآراء الغربية أقرب إلى الله من آراء الشرقيين).

... إن تاريخ البهائيين في عمالتهم بالإنجليز تاريخ أسود يخزيهم ويدينهم إلى يوم الدين ويكشف عن طبيعة حركتهم الهدامة التي ما نسجت خيوطها إلا في عواصم الصليبية العالمية وسراديب الماسونية اليهودية؛ ولذلك فإن الإنجليز ردوا عليهم بعض جميلهم فشدوا أزرهم في مستعمراتهم وقدموا لهم مساعدات كبيرة ،وفوق ذلك فإنهم حموهم وآووهم وجعلوا لندن مركزاً من مراكز الحركة البهائية. ولقد اعترف عبد البهاء بذلك فقال :(إن لندن ستكون مركزاً لنشر الأمر). ولم تقف لندن عند حد إيواء البهائيين، وإنما احتضنت المؤتمر البهائي العالمي الذي عقد سنة ١٩٦٢م ومجمل القول:إن الانجليز وضعوا مع أعداء الإسلام اللبنات الأولى في بناء هيكل البهائية، ولقد استمروا في توجيهها عبر عقود من السنين وما يزالون يلقون منهم كل إجلال وإكبار،ولقد قام البهائيون من جانبهم بأعمال سرية للإنجليز في البلاد العربية ؛يقول أمين سعيد: ويعتمد الإنجليز على هؤلاء البهائيين المستعربين في أعمالهم السرية ببلاد العرب ويثقون بهم لما خبروه من إخلاصهم[١].

---

(١) حقيقة البابية والبهائية لمحسن عبد الحميد ص ٢٣٧ ـ ٢٤٤ .

هذه حقيقة البابية والبهائية والقاديانية: ردة صريحة وعمالة خسيسة مكشوفة. وهذه حقيقة الحرب المشبوبة على الإسلام وعلى عقيدة الجهاد على شتى الجبهات تعرضت لطرف منها في هذا البحث وما خفي أعظم! وإني أدعو كافة المخلصين لله إلى أن يدركوا حجم هذه الحرب، وأن يعدوا للأمر عدته ويدافعوا عن دينهم قبل أن يجهز على البقية الباقية منه، وأن يتمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم فبهما يعتصمون من الزلل، وبهما يفلقون هام الكفر وأهله كما فعل الرعيل الأول رضي الله عنهم أجمعين. ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم ﴾[1].

---

(١) سورة محمد ٧ - ٨

الخاتمة

لقد تم هذا البحث المتواضع بعون من الله وتوفيقه وأسأل الله سبحانه أن يتجاوز عن الزلل والتقصير،وأن ينفع بالمكتوب. ويمكن تلخيص أهم نتائج البحث فيما يأتي:

١ - إن الله سبحانه أرسل خاتم رسله عليه الصلاة والسلام بأكمل وأشمل وأتم رسالة سماوية،وكلفه بالدعوة إلى الله عز وجل،وشرع له وسائل الدعوة وطرقها فقام بأمر ربه خير قيام فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة.

٢ - إن الواجب على الدعاة إلى الله اتباع الرسول ﷺ في نهجه والاهتداء بنور الوحي.وقد بين ﷺ غاية البيان وسائل الدعوة المشروعة وطرقها فليس في الإسلام:«إن الغاية تبرر الوسيلة» كما هو في الأنظمة الوضعية،بل لا بد أن تكون الوسيلة مشروعة والغاية مشروعة.

٣ - إن الرسول ﷺ مارس الدعوة بنوعيها السري والعلني تبعاً للمصلحة الشرعية.

٤ - إن الرسول ﷺ كان يدعو إلى العقيدة أولاً ويوليها كل اهتمامه لأنه بدون تصحيح العقيدة وتثبيتها في النفوس لاتستقيم الأعمال.

٥ - إن التربية على العقيدة تحتاج إلى فترة طويلة حتى ترسخ في النفس وتتكيف بها في واقع الحياة.

٦ - إن أقوى سلاح تتسلح به الدعوة في حال ضعفها هو الاتصال بالله وتكثيف العبادة والصبر والثبات على الحق.

٧ - إن الابتلاء سنة ربانية في طريق الدعوة إلى الله تعالى.

٨ - إن النجاح في الابتلاء وسيلة للنجاح في الدعوة إلى الله تعالى.

٩ - إن التنازل عن شيء من العقيدة تشويه للمنهج لا يقره الإسلام «ودوا لو تدهن فيدهنون»

١٠ - في حال ضعف المسلمين وغلبة الكفر لا يحل ترك الدعوة إلى الله وإعداد النفوس المؤمنة التي تتكاتف على حمل الحق ونشره بين الناس حسب الاستطاعة.

١١ - إن انتفاش الباطل وهيمنته وتعذيبه للمؤمنين وفتنتهم عن دينهم يكون عند فقد الجهاد والقوة الرادعة لقوى الشر والطغيان، وأوضح مثال على ذلك العهد المكي في عصر الرسول ﷺ وهذا العصر الحاضر.

١٢ - إن الجهاد القتالي مرحلة حتمية من مراحل الدعوة إلى الله وهو الذي ينشرها ويوسع قطرها ويكثر أتباعها ويعز شأنها. وسيرة الرسول ﷺ في العهد المدني أكبر دليل على ذلك.

١٣ - إن الجهاد الإسلامي مراحل يسلم بعضها إلى بعض، آخرها قتال الكفار كافة حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ويخضعوا لحكم الإسلام على خلاف بين العلماء فيمن تقبل منهم الجزية.

١٤ - إن الله ختم الدين بالدين الإسلامي، وجعل الجهاد منه في الذروة كما تقدم في الحديث «وذروة سنامه الجهاد».

١٥ - إن جهاد المرتدين عن الإسلام أولى من جهاد الكفار الأصليين إذا أمكن ذلك كما فعل أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم.

١٦ ـ إن الزنادقة والمنافقين الذين يتكرر نفاقهم وزندقتهم بعد إقامة الحجة عليهم يجاهدون دائماً وأبداً حتى يقضى عليهم ولا تقبل توبتهم في الظاهر في أصح قولي العلماء.

١٧ ـ إن الجهل بالكتاب والسنة من أكبر أسباب تقبل المسلمين للغزو الفكري الداعي إلى هدم الجهاد وتحريف معناه.

١٨ ـ إن أي دعوة تدعو إلى ترك الجهاد أو الإضعاف من شأنه إنما هي دعوة إلى هدم الإسلام لأنه لا قيام للمسلمين بغير جهاد.

١٩ ـ إذا تقرر أنه لا قيام للمسلمين بدون الجهاد فإنه يجب على المسلمين إعداد العدة لكي يجاهدوا الكفار وإن من أقوى عدد الجهاد النفوس المؤمنة المهتدية بنور الوحي.

٢٠ ـ إن الكفار يخافون أشد الخوف من عقيدة الجهاد،ومن أجل ذلك يحاربونها بأساليب شيطانية كثيرة من أهمها:

أ ـ تبني الحركات الزائفة التي لا تعير الجهاد كبير اهتمام كفرق التصوف والروافض ونحو ذلك.

ب ـ إيجاد حركات محسوبة على الإسلام وهي منه براء تدعو إلى إلغاء الجهاد كالقاديانية والبهائية.

جـ ـ الدعوة إلى التعايش السلمي لكي تظل دول الكفر آمنة مطمئنة لا يقض مضاجعها جهاد ولا جزية.

د ـ نشر الثقافة الماسونية والعلمانية التي لا تجعل للدين تأثيراً في مجرى الحياة.

هـ ـ رفع رايات جاهلية تجتمع تحتها الشعوب المستغفلة بدل راية لا إله إلا الله؛ كراية القومية والوطنية وعدم الانحياز.. ودول العالم الثالث.. والوحدة الآسيوية والإفريقية.. ونحو ذلك.

و ـ شغل شباب المسلمين بالشهوات والـدعوة إلى تبـرج النساء والتعليم المختلط والبرامج الهابطة والصحافة الرخيصة والرياضة المنحرفة التي تصرف الشباب عن معالي الأمور إلى سفاسفها.

٢١ ـ إن ما ينشره تلاميذ الاستشراق والاستعمار من أن الجهاد في الإسلام هو للدفاع فقط بدعة منكرة مخالفة لإجماع علماء المسلمين قاطبة قبل هذا العصر.

٢٢ ـ إن ما يرفع من شعارات في هذا العصر،كالقومية والوطنية والإنسانية وزمالة الأديان والسلام العـالمي كلها ظلمـات بعضها فـوق بعض مصدرها غير إسلامي وأهدافها خبيثة تقضي على عقيدة الجهاد.

٢٣ ـ إن تلاميذ الاستشراق والاستعمار عقدوا الخناصر على إماتة الروح الجهادية في الأمة الإسلامية فحرفوا عقيدة الحب في الله والبغض في الله وحرفوا معنى الجزية وحكم الرق والأسرى وكثيراً من أحكام الجهاد.

٢٤ ـ إن الانبهار الذي أصاب بعض مسلمي هذا العصر بما عند الكفار من تقدم علمي وصناعي جعلهم يلوون أعناق النصوص الشرعية لكي توافق ما توصل إليه العالم ـ المتقـدم صناعيـاً المتخلف عقـائديـاً وسلوكياً ـ من آراء ونظريات لكي يكسبوا الإسلام مدحاً وثناء من الكفار وهذا الصنيع ينم عن سذاجة كبيرة وجهل بالمصدر المعصوم وبخس لحقه أو ينم عن هزيمة نفسية منكرة.

٢٥ ـ إن فرقة المرجئة قـد أثرت في إمـاتة الـروح الجهاديـة في الأمة الإسلامية تأثيراً بالغاً وذلك لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان ويرونه لا ينقص بالمعاصي ولا يزيد بالطاعة فيستوي عندهم إيمان من يموت في ساحات الوغى وإيمان من يموت في أحضان المومسات! وإن الأرجاء قد تسرب إلى فكر هذه الأمة في صور شتى.

٢٦ - إن أهل التصوف بعقائدهم الزائغة وسلوكهم المشين وانحرافهم في عقيدة التوكل والرضا بالأقدار واعتزالهم الحياة وركونهم إلى الزوايا والمغارات قد طعنوا الجهاد الإسلامي طعنات في الصميم. وللقارىء الكريم أن يتصور مدى الخسارة الجسيمة التي تصيب المسلمين لو أن عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وسائر الصحابة تركوا الجهاد وانعزلوا في ناحية من نواحي المدينة وجلسوا يغنون ويتراقصون حتى وإن كان رقصهم شوقاً إلى الله!!!

٢٧ - إن الجهمية الجبرية التي تجعل الكافر مجبوراً على كفره لا اختيار له قد ساعدت أيضاً في إماتة الروح الجهادية فكيف يجاهد من لا ذنب له على زعمهم! وكذلك الرافضة الجعفرية قد عطلوا جهاد الابتداء والطلب في انتظار إمامهم المعصوم المختفي في السرداب!!

٢٨ - إن القاديانية والبهائية حركتان مرتدتان تربطهما أوثق العلاقات بالاستعمار الغربي والمحافل الماسونية وقد وجهتا سهامهما لعقيدة الجهاد لتفادي خطره.

٢٩ - إنه لا فلاح ولا نجاح لهذه الأمة إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى السلف الصالح واستمداد العقائد والأحكام ومناهج الحياة بكاملها من المصدر المعصوم ونبذ المناهج البشرية المنحرفة وصلى ﷺ على محمد وعلى آله وصحبه.

فهـــرس المراجـــع

١ - **أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي** . تأليف فتحي يكن . الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ مؤسسة الرسالة .

٢ - **ابن تيمية والتصوف** . تأليف الدكتور مصطفى حلمي . دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية عام ١٤٠٣ هـ .

٣ - **أبو نعيم - حياته وكتابه الحلية**. تأليف محمد لطفي الصباغ. الطبعة الثانية عام ١٣٩٨ هـ - دار الاعتصام.

٤ - **الإتقان في علوم القرآن** تأليف عبد الرحمن السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٥ م .

٥ - **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر** ، تأليف الدكتـور محمد محمـد حسين . الطبعة الرابعة عام ١٤٠٠ هـ مؤسسة الرسالة . بيروت .

٦ - **آثار الحرب في الفقه الإسلامي**. تأليف الدكتور وهبة الزحيلي. الطبعة الثانية . دار الفكر .

٧ - **الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة** . تأليف عبد الرحمن الدوسري . الطبعة الأولى عام ١٤٠٢ هـ - دار الأرقم بالكويت .

٨ - **الاجتهاد في طلب الجهاد** . تأليف إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، تحقيق د . عبد الله عبد الرحيم عسيلان . الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ مؤسسة الرسالة .

٩ ـ **أجنحة المكر الثلاثة** . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . الطبعة الثانية عام ١٤٠٠ هـ ـ دار القلم .

١٠ ـ **الاحتجاج بالقدر لابن تيمية** . الطبعة الثانية عام ١٣٩٨ هـ .

١١ ـ **أحجار على رقعة الشطرنج** . الأميرال وليام غاي كار، ترجمة سعيد جزائرلي . الطبعة الأولى عام ١٩٧٠ م ـ دار النفائس ـ بيروت .

١٢ ـ **أحكام القرآن** لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الثانية عام ١٣٨٧ هـ. مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، بمصر.

١٣ ـ **أحكام القرآن** لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، دار الكتاب العربي . بيروت .

١٤ ـ **أحكام القرآن** . محمد بن إدريس الشافعي . دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٣٩٥ هـ.

١٥ ـ **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام** . الطبعة الثانية عام ١٣٩٦ هـ ـ تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ومكتبة القدس .

١٦ ـ **أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية** ، تحقيق « صبحي الصالح ـ دار العلم للملايين . الطبعة الثانية عام ١٤٠١ هـ.

١٧ ـ **أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية** . نعمان عبد الرزاق السامرائي . نشر دار العربية ببيروت ، والمكتب الإسلامي عام ١٣٨٧ هـ .

١٨ ـ **إحياء علوم الدين** لأبي حامد الغزالي وبذيله تخريج العراقي . دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .

١٩ ـ **اختلاف الفقهاء** لابن جرير الطبري ، تحقيق جوزيف شاخت .

٢٠ ـ **الإخاء الديني ومجمع الأديان وموقف الإسلام** . د. محمد البهي ، الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ مكتبة وهبة بالقاهرة .

٢١ ـ **إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري** . أحمد بن محمد القسطلاني وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووي . طبع مكتبة المثنى ببغداد .

٢٢ ـ **إرادة القتال في الجهاد الإسلامي** . محمود شيث خطاب . الطبعة الثالثة عام ١٣٩٨ هـ ـ دار الفكر .

٢٣ ـ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** . محمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي .

٢٤ ـ **الإسلام والحضارة الإنسانية** د/ محمد عبد المنعم خفاجي .

٢٥ ـ **الإسلام في حياة المسلم** للدكتور محمد البهي . الطبعة الثانية ، عام ١٣٩٢ هـ . مكتبة وهبة بالقاهرة .

٢٦ ـ **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية** لمحمد عبده نشر مكتبة علي صبيح وأولاده بمصر عام ١٣٧٣ هـ .

٢٧ ـ **الاستشراق والمستشرقون** . د . مصطفى السباعي . الطبعة الثانية عام ١٣٩٩ هـ . المكتب الإسلامي .

٢٨ ـ **أسماء مؤلفات ابن تيمية لشمس الدين ابن قيم الجوزية**. تحقيق د. صلاح الدين المنجد. الطبعة الثالثة عام ١٩٧٦ م ـ دار الكتاب الجديد. بيروت.

٢٩ ـ **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي**، د. علي محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق. الطبعة الثالثة عام ١٣٩٨ هـ ـ دار الاعتصام.

٣٠ ـ **الإسلام والدعوات الهدامة** . أنور الجندي . دار الكتاب اللبناني ببيروت عام ١٩٧٤ م الطبعة الأولى .

٣١ ـ **الاستعمار أحقاد واطماع** . محمد الغزالي ، الطبعة الثانية عام ١٣٨٩ هـ ، الدار السعودية للنشر .

٣٢ ـ **الإسلام أمام افتراءات المفترين**.توفيق علي وهبة . نشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام ١٣٩٧ هـ .

٣٣ ـ **الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة** . أبو الأعلى المودودي تعريب خليل أحمد الحامدي ، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٨ هـ ـ دار القلم بالكويت .

٣٤ ـ **الإسلام والحرب** . أبو لبابة حسين . الطبعة الأولى عام **١٣٩٩** هـ ـ دار اللواء للنشر والتوزيع بالرياض .

٣٥ ـ **الإسلام والرق** . د . محمد البهي . الطبعة الأولى عام **١٣٩٩** هـ . مكتبة وهبة .

٣٦ ـ **الإسلام والحضارة الغربية** ، د . محمد محمد حسين . الطبعة الأولى عام **١٣٩٩** هـ ـ المكتب الإسلامي .

٣٧ ـ **الإسلام ـ ظهوره وانتشاره** . حامد عبد القادر . الطبعة الثالثة . دار نهضة مصر للطبع والنشر .

٣٨ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النمري . الطبعة الأولى عام **١٣٢٨** هـ دار إحياء التراث العربي ببيروت .

٣٩ ـ **أصول الدعوة** لعبد الكريم زيدان. الطبعة الثالثة عام **١٣٩٦** هـ، مكتبة المنار الإسلامية.

٤٠ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** . محمد الأمين الشنقيطي ، مطبعة المدني عام ١٣٨٦ هـ .

٤١ ـ **إعلام الأنام بمخالفة شيخ الأزهر شلتوت للإسلام** لعبد الله بن علي بن يابس . الطبعة الأولى .

٤٢ ـ **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين** لمحمد بن عمر الرازي ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . تأليف طه عبد الرؤوف سعد ومصطفى الهواري . نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة عام ١٣٩٨ هـ .

٤٣ ـ **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام** لعبد الله التل . الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامي .

٤٤ ـ **إكفار الملحدين . في ضروريات الدين لمحمد أنور شاه الكشميري نشر المجلس العلمي في كراتشي سنة ١٣٨٨ هـ.**

٤٥ ـ **الإكليل في استنباط التنزيل** ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . دار الكتب العلمية ببيروت . توزيع دار الباز بمكة .

٤٦ ـ **الأم**.لمحمد بن إدريس الشافعي تصحيح محمد زهري النجار . الطبعة الثانية عام **١٣٩٢** هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .

٤٧ ـ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**.لابن تيمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد منشور بمجلة التوعية الإسلامية في الحج عام **١٣٩٩** هـ .

٤٨ ـ **إيثار الحق على الخلق**.لمحمد بن المرتضى اليماني ، دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٣١٨ هـ .

٤٩ ـ **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه**.لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق أحمد حسن فرحات ، الطبعة الأولى عام **١٣٩٦** هـ نشر جامعة الإمام محمد بـن سعود بالرياض .

٥٠ ـ **الإيمان ـ أركانه حقيقته نواقضه** . د . محمد نعيم ياسين ، نشر دار عمر للطباعة بالإسكندرية .

٥١ ـ **الإيمان ومبطلاته**.لمحمد حافظ الشريدة رسالة ماجستير ، قدمت لجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام **١٣٩٩** هـ .

٥٢ ـ **الإيمان**.للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني . نشر وتوزيع دار الأرقم بالكويت .

٥٣ ـ **البابية ـ عرض ونقد** ـ إحسان إلهي ظهير . الطبعة الثالثة عام **١٤٠١** هـ ، الناشر إدارة ترجمان السنة . لاهور .

٥٤ ـ **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**.لأبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي . الطبعة الثانية عام **١٣٩٤** هـ نشر دار الكتاب العربي ببيروت .

٥٥ ـ **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** لمحمد بن أحمد بن رشد . الطبعة الثالثة عام **١٣٧٩** هـ نشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٥٦ ـ **البداية والنهاية** للحافظ بن كثير . الطبعة الثانية عام **١٩٧٧** م ، دار الفكر ومكتبة المعارف ببيروت .

٥٧ ـ **بحوث المؤتمر الثالث للسيرة النبوية المنعقد في الدوحة**.في محرم ١٤٠٠ هـ مراجعة عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ ، المكتبة العصرية ببيروت .

٥٨ ـ **بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة**. المنعقد بالجامعة الإسلامية بالمدينة عام ١٣٩٧ هـ .

٥٩ ـ **البرهان في علوم القرآن**.لمحمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الثانية ، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٦٠ ـ **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**.لعباس بن منصور السكسكي ، تحقيق خليل أحمد إبراهيم ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠ هـ نشر دار التراث العربي .

٦١ ـ **البهائية**.لمحب الدين الخطيب . الطبعة الثانية عام ١٣٩٤ هـ نشر المطبعة السلفية بمصر .

٦٣ ـ **البهائية وموقف الإسلام منها**.لدخيل الله محمود الأزوري ، رسالة ماجستير قدمت لجامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠٢ هـ .

٦٣ ـ **تاريخ المذاهب الإسلامية**.لمحمد أبي زهرة . دار الفكر .

٦٤ ـ **تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم** . آدم عبد الله الألوري . الطبعة الثانية عام ١٣٩٩ هـ مكتبة وهبة القاهرة .

٦٥ ـ **تاريخ التصوف الإسلامي** . د . عبد الرحمن بدوي نشر وكالة المطبوعات بالكويت عام ١٩٧٥ م .

٦٦ ـ **تبيين الحقائق** شرح كنز الدقائق لعثمان بن علي الزيلعي الحنفي . دار المعرفة . لبنان .

٦٧ ـ **تبديد الظلام وتنبيه النيام** . إبراهيم سليمان الجبهان . الطبعة الثانية عام ١٤٠٠ هـ مكتبة الحرمين بالرياض .

٦٨ ـ **التجانية**.لعلي بن محمد الدخيل الله ـ دار طيبة الرياض .

٦٩ ـ **تحريم الحروب في العلاقات الدولية** د. يحيى الشيمي، القضاء العسكري ١٩٧٦ هـ.

٧٠ ـ **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي** لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٩ هـ .

٧١ ـ **تذكرة دعاة الإسلام**.لأبي الأعلى المودودي . مؤسسة الرسالة عام ١٣٨٥ هـ .

٧٢ ـ **تذكرة الدعاة للبهي الخولي**. الطبعة الخامسة عام ١٣٩٧ هـ، دار العلم للملايين ببيروت،ومكتبة الفلاح بالكويت.

٧٣ ـ **الترغيب والترهيب**.لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري تعليق مصطفى محمد عمارة ، الطبعة الثانية عام ١٣٧٣ هـ ، دار الفكر .

٧٤ ـ **التطور التشريعي في المملكة السعودية** . د . محمد عبد الجواد محمد منشأة المعارف بالاسكندرية ١٣٩٧ هـ .

٧٥ ـ **التعرف لمذهب أهل التصوف** . أبو بكر محمد الكلاباذي ، تحقيق عبد الرحيم محمود وطه عبد الباقي سرور ، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر عام ١٣٨٠ هـ .

٧٦ ـ **تفسير القرآن الحكيم**.**الشهير** بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا . الطبعة الثانية، دار المعرفة ببيروت .

٧٧ ـ **تفسير القرآن العظيم**.للحافظ ابن كثير ، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا . مطبعة الشعب بالقاهرة .

٧٨ ـ **التفسير القيم**.للإمام ابن القيم جمعة محمد أويس حققه محمد حامد الفقي دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٣٩٨ هـ .

٧٩ ـ **تقرير المصير** . حسن علي الجيشي . دار الكتاب العربي ودار الغدير ببيروت ١٩٦٧ م .

٨٠ ـ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**.لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٥ هـ.

٨١ ـ **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**.لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب نشر رئاسة البحوث والإفتاء بالرياض .

٨٢ ـ **الجامع لأحكام القرآن.** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب المصرية عام ١٣٦٥ هـ .

٨٣ ـ **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً.** لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، دار المعرفة للطباعة والنشر.

٨٤ ـ **جامع الأصول في أحاديث الرسول.** لابن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط نشر مكتبة الحلواني ، ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان عام ١٣٨٩ هـ .

٨٥ ـ **جامع البيان في تفسير القرآن.** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ دار الفكر ببيروت عام ١٣٩٨ هـ .

٨٦ ـ **جاهلية القرن العشرين** لمحمد قطب . دار الشروق عام ١٣٩٥ هـ .

٨٧ ـ **جذور البلاء.** لعبد الله التل ، المكتب الإسلامي ١٣٩٨ هـ ، الطبعة الثانية .

٨٨ ـ **الجزية في الإسلام.** د . محمد يوسف النجرامي . دار الفكر عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .

٨٩ ـ **الجهاد في السنة النبوية.** لإبراهيم القيسي . رسالة ماجستير قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض عام ١٣٩٩ هـ .

٩٠ ـ **الجهاد طريق النصر.** لعبد الله غوشة، نشر وزارة الأوقاف بالأردن عام ١٣٩٩ ـ هـ .

٩١ ـ **الجهاد في القرآن الكريم** . عطية الدسوقي محمد . مطابع دار الشعب بالقاهرة عام ١٣٩٩ هـ .

٩٢ ـ **الجهاد في الإسلام** . محمد محمود الراميني، دار مكتبة الحياة . بيروت عام ١٩٦٧ م .

٩٣ ـ **الجهاد** . محمد إسماعيل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، المطبعة الثانية .

٩٤ ـ **جهاد المسلمين في الحروب الصليبية** . د . فايد حماد عاشور مؤسسة الرسالة عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .

٩٥ ـ **الجهاد في الإسلام** . محمد شديد . مؤسسة الرسالة ببيروت .

٩٦ - **الجهاد والفدائية في الإسلام** . حسن أيوب ، المطبعة العصرية بالكويت عام ١٣٩٩ هـ ، الطبعة الأولى .

٩٧ - **الجهاد في الإسلام** . توفيق علي وهبة . دار اللواء ، الرياض عام ١٣٩٧ هـ .

٩٨ - **الجهاد - ميادينه وأساليبه** . د . محمد نعيم ياسين . مكتبة الأقصى ، عمان عام ١٣٩٨ هـ ، الطبعة الأولى .

٩٩ - **الجهاد في سبيل الله**. لأبي الأعلى المودودي وحسن البنا وسيد قطب إصدار الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية عام ١٣٨٩ هـ .

١٠٠ - **الجهاد** . أحمد محمود توزيع دار الأنصار بالقاهرة ، إصدار مجلة الدعوة المصرية .

١٠١ - **الجهاد في الإسلام - مراتبه ومطالبه** - أحمد محمد جمال . نشر رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٠١ هـ .

١٠٢ - **الجهاد وما يترتب عليه في مذهب المالكية** . د . علي عبد العال عبد الرحمن ، دار الهدى بمصر عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى .

١٠٣ - **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** . لأحمد بن تيمية نشر رئاسة البحوث والإفتاء بالرياض .

١٠٤ - **حاشية رد المحتار**. لمحمد أمين الشهير بابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة ، الطبعة الثانية مصطفى البابي الحلبي وشركاه عام ١٣٨٦ هـ .

١٠٥ - **الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام** . منير محمد نجيب . مكتبة الحرمين بالرياض عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .

١٠٦ - **حرية الاعتقاد في الإسلام**. لجمال البنا . المكتب الإسلامي عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الثانية .

١٠٧ - **حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية**. لعبد الله ناصح علوان دار السلام ببيروت عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى .

١٠٨ - **الحرب والسلام في الإسلام**.لعبد الكريم الخطيب . دار نجد للنشر والتوزيع عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .

١٠٩ - **الحرب والسلم في شرعة الإسلام**.للمستشرق مجيد خدوري نشر الدار المتحدة ببيروت عام ١٩٧٣ م الطبعة الأولى .

١١٠ - **حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول** . شكري فيصل . دار العلم للملايين عام ١٩٨٠ م الطبعة الخامسة .

١١١ - **الحسبة في الإسلام**.لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق عبد العزيز رباح نشر مكتبة دار البيان بدمشق عام ١٣٧٨ هـ .

١١٢ - **حصاد الغرور** . محمد الغزالي ، المختار الإسلامي بالقاهرة عام ١٣٩٩ هـ الطبعة الثانية .

١١٣ - **حصوننا مهددة من داخلها** . د . محمد محمد حسين . المكتبة الإسلامية عام ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الرابعة .

١١٤ - **حقائق أساسية عن الأمم المتحدة** . طبع في المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي بمصر عام ١٩٧٣ م .

١١٥ - **حقائق عن التبشير** . عماد شرف. المختار الإسلامي بالقاهرة عام ١٣٩٥ هـ. الطبعة الأولى.

١١٦ - **الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام** . د . محمد رأفت عثمان مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٩٥ هـ ، الطبعة الثانية .

١١٧ - **حقيقة البابية والبهائية** . د . محمد عبد الحميد ، المكتب الإسلامي عام ١٣٩٥ هـ ، الطبعة الثانية .

١١٨ - **حقيقة الجهاد** في سبيل الله وغايته في الإسلام . عبد الله بن قادري رسالة دكتوراه قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠١ هـ .

١١٩ - **الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة**. لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، تحقيق محمد حامد الفقي مكتبة السنة المحمدية بمصر ضمن مجموعة بعنوان (دفائن من كنوز السنة) .

١٢٠ ـ **الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا**. يوسف القرضاوي مكتبة وهبة عام ١٣٩٧ هـ الطبعة الثالثة .

١٢١ ـ **الحسنة والسيئة**.لابن تيمية . دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٢٢ ـ **حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته** . عبد الله بن سليمان بن منيع ، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة عام ١٤٠٣ هـ .

١٢٣ ـ **حياة محمد** . تأليف محمد حسين هيكل . دار الكتب المصرية عام ١٣٥٤ هـ ، الطبعة الثانية .

١٢٤ ـ **الخراج**.للقاضي أبي يوسف صورة لطبعة بولاق ١٣٠٢ هـ .

١٢٥ ـ **الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون** ـ محمد خليفة التونسي دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الرابعة .

١٢٦ ـ **الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثنى عشرية** . محب الدين الخطيب . توزيع محمد نصيف .

١٢٧ ـ **خفايا المبشرين في تنصير أبناء المسلمين** . أحمد محمد سالمان المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٥٣ هـ .

١٢٨ ـ **خلاصة في أصول الإسلام وتاريخه**.لابن حزم تحقيق أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري وعبد الحليم عويس . دار الاعتصام .

١٢٩ ـ **خمسون عاماً في جزيرة العرب** . حافظ وهبة . مكتبة مصطفى البابي الحلبي عام ١٣٨٠ هـ ، الطبعة الأولى .

١٣٠ ـ **دار الإسلام ودار الكفر وأصل العلاقة بينهما** . عابد محمد السفياني رسالة ماجستير قدمت لجامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠١ هـ .

١٣١ ـ **دراسة سقوط ثلاثين دولة إسلامية** . د . عبد الحليم عويس ، دار الشروق عام ١٤٠٢ هـ ، الطبعة الثانية .

١٣٢ ـ **دراسات قرآنية**. محمد قطب . دار الشروق ، الطبعة الأولى .

١٣٣ ـ **دراسات إسلامية** . سيد قطب . دار الشروق عام ١٣٩٣ هـ .

١٣٤ ـ **دراسة مقارنة الحركات القومية**.للدكتور صلاح العقاد محاضرات ألقاها على طلبة السنة الأولى بمعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية سنة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ م .

١٣٥ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**.للسيوطي نشر محمد أمين دمج . بيروت .

١٣٦ ـ **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**.جمع عبد الرحمن بن قاسم. دار الإفتاء بالمملكة عام ١٣٨٥ هـ ، الطبعة الثانية .

١٣٧ ـ **الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة**.لعبد الله بن محمد بن حميد،مؤسسة مكة للطباعة عام ١٣٩٤ هـ ، الطبعة الثالثة .

١٣٨ ـ **الدعوة الإسلامية وظهور الدولة** . حمادي العبيدي الدار التونسية للنشر .

١٣٩ ـ **الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية**.د . صادق أمين . دار الإيمان ، عمان .

١٤٠ ـ **الدعوة إلى الإسلام** . لتوماس أرنولد ، ترجمه إلى العربية حسن إبراهيم حسن وعبد الحميد عابدين وإسماعيل النجراوي . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة .

١٤١ ـ **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب** . محمد الأمين الشنقيطي مطبعة المدني بالقاهرة .

١٤٢ ـ **دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع** . سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان . دار الطباعة والنشر بعمان عام ١٣٨٢ هـ .

١٤٣ ـ **دلائل النبوة**.للحافظ أبي نعيم . توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة المكرمة .

١٤٤ ـ **دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية** . عدنان النحوي دار الإصلاح بالدمام . الطبعة الأولى .

١٤٥ ـ **الردة عن الإسلام وخطرها على العالم الإسلامي** . عبد الله بن أحمد قادري ، مكتبة العلم بجدة عام ١٤٠٢ هـ ، الطبعة الأولى .

١٤٦ ـ **الرسالة الخالدة** . عبد الرحمن عزام . دار الشروق ودار الفكر ببيروت عام ١٩٦٩ م ، الطبعة الرابعة .

١٤٧ ـ **رسالة تحكيم القوانين الوضعية** . لمحمد بن إبراهيم مفتي المملكة العربية السعودية .

١٤٨ ـ **الروضة الندية شرح الدرر البهية**.لأبي طيب صديق بن حسن القنوجي البخاري . دار المعرفة ببيروت .

١٤٩ ـ **الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية** . محمد جمال الدين مكي العاملي . تصحيح محمد كلانتر. منشورات جامعة النجف الدينية عام ١٣٨٧ هـ .

١٥٠ ـ **روح الدين الإسلامي** . عفيف عبد الفتاح طبارة ، دار العلم للملايين ـ بيروت عام ١٣٩٤ هـ ، الطبعة الثانية عشرة.

١٥١ ـ **زاد المسير في علم التفسير**.لابن الجوزي ، المكتب الإسلامي .

١٥٢ ـ **زاد المعاد في هدى خير العباد**.لابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية عام ١٤٠١ هـ، الطبعة الثانية.

١٥٣ ـ **الزواجر عن اقتراف الكبائر**.لأحمد بن حجر الهيثمي ، الطبعة الثانية ، نشر مصطفى الحلبي وأولاده بمصر .

١٥٤ ـ **سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام للصنعاني** . مكتبة المشهد الحسيني بالقاهرة .

١٥٥ ـ **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**.لمحمد بن يوسف الصالحي ، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة عام ١٣٩٢ هـ .

١٥٦ ـ **سبيل الدعوة الإسلامية** . د . محمد أمين المصري ، دار الأرقم عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى .

١٥٧ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**.لمحمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي .

١٥٨ ـ **السلاح في الإسلام** . د . محمد عبد الحميد أبو زيد . دار النهضة العربية بالقاهرة عام ١٤٠٠ هـ .

١٥٩ ـ **السلام العالمي والإسلام** . سيد قطب . دار الشروق عام ١٣٩٨ هـ ، الطبعة السابعة .

١٦٠ ـ **سماحة الإسلام**.للدكتور أحمد محمد الحوفي ، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة عام ١٣٩١ هـ .

١٦١ ـ **سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي**.وحاشية الإمام السندي . دار إحياء التراث ببيروت .

١٦٢ ـ **السنة**.للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة لمحمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي .

١٦٣ ـ **السنن الكبرى**.للحافظ البيهقي وبذيله الجوهر النقي لابن التركماني . دار الفكر .

١٦٤ ـ **سنن ابن ماجة** . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي ، بيروت عام ١٣٩٥ هـ .

١٦٥ ـ **سنن أبي داود**.بتعليق عزت عبيد الدعاس نشر دار الحديث بحمص عام ١٣٨٨ هـ ، الطبعة الأولى .

١٦٦ ـ **السياسة الشرعية**.لعبد الوهاب خلاف ، دار الأنصار عام ١٣٩٧ هـ .

١٦٧ ـ **السياسة الشرعية**.لابن تيمية . دار الكاتب العربي .

١٦٨ ـ **سيرة الرسول ﷺ** . محمد عزة دروزة ، عيسى الحلبي وشركاه ، الطبعة الثانية .

١٦٩ ـ **سيد قطب ـ خلاصة حياته،منهجه في الحركة،النقد الموجه إليه** ـ محمد توفيق بركات . دار الدعوة ـ بيروت .

١٧٠ ـ **السير والمغازي**.لمحمد بن إسحاق ، تحقيق سهيل زكار دار الفكر عام ١٣٩٨ هـ الطبعة الأولى .

١٧١ ـ **السيرة النبوية لابن هشام** . تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي . دار الكنوز الأدبية .

١٧٢ ـ **شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام** . تأليف الحلي أبو القاسم جعفر ابن الحسن ، مطبعة الآداب في النجف عام ١٣٨٩ هـ ، الطبعة الأولى .

١٧٣ ـ **شرح فتح القدير** . لمحمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام على الهداية شرح بداية المبتدىء لعلي بن أبي بكر المرغيناني ومعه شرح العناية على الهداية لمحمد بن محمود البابرتي ، وحاشية المحقق سعد الله بن عيسى .

١٧٤ ـ **شرح السنة للإمام البغوي** . **تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش** . المكتب الإسلامي .

١٧٥ ـ **شريعة القتال** . عثمان سعيد الشرقاوي . نشر مكتبة الزهراء بالقاهرة عام ١٣٩٢ هـ ، الطبعة الأولى .

١٧٦ ـ **شرح منتهى الإرادات**. لمنصور بن يونس البهوتي دار الفكر .

١٧٧ ـ **شرح كتاب السير الكبير**. لمحمد بن الحسن الشيباني إملاء محمد بن أحمد السرخسي تحقيق د . صلاح الدين المنجد ، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عام ١٩٧١ م .

١٧٨ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**. لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي عام ١٣٩٩ هـ ، الطبعة الخامسة .

١٧٩ ـ **شهادات ماسونية** . حسين عمر حمادة . دار قتيبة للطباعة والنشر . دمشق عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى .

١٨٠ ـ **الصارم المسلول على شاتم الرسول**. لابن تيمية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الفكر .

١٨١ ـ **الصبر في القرآن** . د . يوسف القرضاوي . مكتبة وهبة بالقاهرة ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الأولى .

١٨٢ ـ **صحيح مسلم مع شرح النووي** . دار إحياء التراث العربي ببيروت ومكتبة المثنى ببيروت .

١٨٣ ـ **صحيح البخاري** . المكتبة الإسلامية باستنبول عام ١٩٧٩ م .

١٨٤ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته** . الفتح الكبير ، لمحمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي عام ١٣٩٢ هـ .

١٨٥ ـ **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية**.لأبي الحسن الندوي ، دار القلم بالكويت ودار الأنصار بالقاهرة عام ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الثالثة .

١٨٦ ـ **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**.لعبد الرحمن محمد الدوسري . مكتبة دار الأرقم بالكويت عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .

١٨٧ ـ **ضعيف الجامع الصغير**.لمحمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي .

١٨٨ ـ **الطبقات الكبرى**.لابن سعد . دار صادر بيروت .

١٨٩ ـ **طريق الدعوة في ظلال القرآن**.لسيد قطب ، جمع أحمد فائز . مؤسسة الرسالة عام ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الأولى .

١٩٠ ـ **طرح التثريب في شرح التقريب**.للحافظ عبد الرحيم العراقي . دار المعارف بسورية ـ حلب .

١٩١ ـ **العالم الإسلامي والمكائد الدولية** . فتحي يكن . مؤسسة الرسالة عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .

١٩٢ ـ **العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**.لصديق حسن القنوجي البخاري المطبع الساهنجة بالهند سنة ١٢٩٤ هـ .

١٩٣ ـ **العبودية**.لابن تيمية ، تقديم عبد الرحمن الباني . المكتب الإسلامي عام ٩٧ هـ ، الطبعة الرابعة .

١٩٤ ـ **عدة المجاهدين في الكتاب والسنة** . عطية عبد الرحيم عطية نشرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة عام ١٤٠٠ هـ .

١٩٥ ـ **العرب والإسلام لأبي الحسن الندوي**.المكتب الإسلامي عام ١٣٨٩ هـ ، الطبعة الثانية .

١٩٦ ـ العقيدة في الله . عمر سليمان الأشقر . مكتبة الفلاح الكويت عام ١٣٩٩هـ ، الطبعة الأولى .

١٩٧ ـ العقيدة والشريعة في الإسلام.للمستشرق اجناس جولد تسهير ترجمة محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلي حسن عبد القادر ، دار الرائد العربي ـ بيروت .

١٩٨ ـ العلاقات الدولية في القرآن والسنة . د . محمد علي الحسن ، مكتبة النهضة الإسلامية ـ عمان .

١٩٩ ـ العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث.د . وهبة الزحيلي مؤسسة الرسالة عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٠٠ ـ العلاقة الدولية في الحروب الإسلامية . علي قراعة دار مصر للطباعة عام ١٣٧٤ هـ .

٢٠١ ـ على مائدة القرآن ـ أحمد محمد جمال . دار الفكر عام ١٣٩٤ هـ . الطبعة الثانية .

٢٠٢ ـ العلاقات الدولية في الإسلام على ضوء الإعجاز البياني في سورة التوبة. د . كامل سلامة الدقس . دار الشروق عام ١٣٩٥ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٠٣ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود.لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية عام ١٣٩٦ هـ ، الطبعة الثالثة .

٢٠٤ ـ الغارة على العالم الإسلامي ـ ا ـ ل شاتلييه لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي . المطبعة السلفية بالقاهرة .

٢٠٥ ـ الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . مجموعة بحوث قدمت لمؤتمر الفقه الاسلامي الذي عقد بالرياض سنة ١٣٩٦ هـ ، طبع ونشر جامعة الامام محمد بن سعود .

٢٠٦ ـ فتاوى قاضي خان . مطبوع بها من الفتاوى الهندية على مذهب أبي حنيفة . المطبعة الأسرية ببولاق بمصر سنة ١٣١٠ هـ ، الطبعة الثانية توزيع المكتبة الإسلامية محمد ازدمير تركيا .

٢٠٧ ـ **الفتاوى الهندية لمجموعة من علماء الهند في مذهب أبي حنيفة** . جمع محمد اورنك السلطان أبي المظفر .

٢٠٨ ـ **الفتاوي السعدية** . عبد الرحمن الناصر السعدي . مطبعة دار الحياة بدمشق عام ١٣٨٨ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٠٩ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**.للحافظ ابن حجر دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت . الطبعة الثانية .

٢١٠ ـ **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني**.مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ، تأليف أحمد عبد الرحمن البنا نشر دار الحديث بالقاهرة .

٢١١ ـ **فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير**.لمحمد بن علي الشوكاني ، مكتبة الحلبي وأولاده بمصر عام ١٣٨٣ هـ ، الطبعة الثانية .

٢١٢ ـ **الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية** ـ عبد الكريم زيدان . طبع الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية عام ١٣٩٨ هـ .

٢١٣ ـ **فقه السيرة** . د . محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، الطبعة السابعة .

٢١٤ ـ **الفرق بين الفرق**.لعبد القاهر البغدادي ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد دار المعرفة ـ بيروت .

٢١٥ ـ **فقه السيرة** . لمحمد الغزالي . دار الكتب الحديثة بمصر ، الطبعة السابعة بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني .

٢١٦ ـ **فقه السنة** . سيد سابق ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٢١٧ ـ **فقه الدعوة** . سيد قطب اختاره من الظلال أحمد حسن . مؤسسة الرسالة عام ١٢٩٠ هـ ، الطبعة الأولى .

٢١٨ ـ **فقه الإمام جعفر الصادق** . محمد جواد مغنية . دار العلم للملايين ١٩٦٥ م ـ الطبعة الأولى .

٢١٩ ـ **الفروسية**.لابن قيم الجوزية . دار التراث العربي .

٢٢٠ ـ **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي** ـ د . محمد البهي مكتبة وهبة عام ١٣٩٥ هـ ، الطبعة الثامنة .
٢٢١ ـ **فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام** . صالح العبود دار طيبة ، الرياض عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .
٢٢٢ ـ **في ظلال القرآن** . سيد قطب . دار الشروق عام ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الرابعة .
٢٢٣ ـ **القاديانية لمجموعة من العلماء** . أبو الحسن الندوي أبو الأعلى المودودي ، محمد الخضر حسن ـ نشر رابطة العالم الإسلامي بمكة .
٢٢٤ ـ **القاديانية ـ دراسة وتحليل** ـ إحسان الهي ظهير . المكتبة العلمية بالمدينة المنورة عام ١٣٨٧ هـ ـ الطبعة الأولى .
٢٢٥ ـ **القادياني ومعتقداته** . لمنظور أحمد حينوتي الباكستاني رئيس الإدارة المركزية للدعوة والإرشاد وأمين جمعية علماء إسلام منطقة بنجانب باكستان .
٢٢٦ ـ **قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله** . جلال العالم طرابلس عام ١٣٩٥ هـ ، الطبعة الثانية .
٢٢٧ ـ **قانون العقوبات السوداني** . د . محمد محيي الدين عوض ، المطبعة العالمية بالقاهرة ١٩٧٠ م .
٢٢٨ ـ **القانون والعلاقات الدولية في الإسلام** . د . صبحي محمصاني دار العلم للملايين ـ بيروت عام ١٣٩٢ هـ .
٢٢٩ ـ **القانون الدولي العربي** . محمود كامل المحامي . دار العلم للملايين عام ١٩٦٥ م ، الطبعة الأولى .
٢٣٠ ـ **القتال في الإسلام** . أحمد نار، الدار السعودية للنشر بجدة عام ١٣٨٩هـ ، الطبعة الثانية .
٢٣١ ـ **القانون الدولي العام** . د . علي صادق أبو هيف . منشأة المعارف بالإسكندرية عام ١٩٧٥ م ، الطبعة الثانية عشرة .
٢٣٢ ـ **القتال في الإسلام** محمد بن ناصر الجعوان ، الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ .

٢٣٣ ـ **قضايا معاصرة في محكمة الفكر الإسلامي** . أحمد محمد جمال ، نشر دار مجلة الثقافة في دمشق عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى.

٢٣٤ ـ **القواعد الحسان لتفسير القرآن**. عبد الرحمن بن ناصر السعدي مكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٠ هـ .

٢٣٥ ـ **القوى الخفية التي تحكم العالم** ، تأليف جان مينو ترجمة محمد كامل حسن ومحمد فوزي محمود . دار البحوث العلمية عام ١٣٩٣ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٣٦ ـ **الكافي في فقه أهل المدينة المالكي**. لابن عبد البر النمري ، تحقيق محمد محمد الموريتاني ، نشر مكتبة الرياض الحديثة عام ١٣٩٨ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٣٧ ـ **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**. للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق عبد الخالق الأفغاني نشر مختار أحمد الندوي . الدار السلفية بالهند عام ١٣٩٩ هـ ، الطبعة الثانية .

٢٣٨ ـ **كشاف القناع عن متن الإقناع**. لمنصور بن يونس البهوتي . مكتبة النصر الحديثة بالرياض .

٢٣٩ ـ **لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي** . دار إحياء العلوم ببيروت عام ١٩٧٨ ، الطبعة الأولى .

٢٤٠ ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل** . لعلي بن محمد الشهير بالخازن وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل ، مطبعة الحلبي وأولاده بمصر عام ١٣٧٥ هـ ، الطبعة الثانية .

٢٤١ ـ **لسان العرب**. لمحمد بن مكرم بن منظور. دار صادر بيروت .

٢٤٢ ـ **لعبة الأمم** . مايلزكوبلاند تعريب مروان خير نشر الانترناشنال ، بيروت ، الطبعة الأولى .

٢٤٣ ـ **اللمع** .لأبي نصر السراج الطوسي . تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد عام ١٣٨٠ هـ .

٢٤٤ - **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - البخاري ومسلم** . وضعه محمد فؤاد عبد الباقي توزيع دار الباز بمكة .

٢٤٥ - **ليظهره على الدين كله**.بقلم مسلم . دار الانصار بالقاهرة .

٢٤٦ - **لمحات في الثقافة الإسلامية** . لعمر عودة الخطيب ، مؤسسة الرسالة ببيروت عام ١٣٩٩ هـ ، الطبعة الثالثة .

٢٤٧ - **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين** . تأليف أبي الحسن الندوي ، دار السلام للطباعة بحلب عام ١٣٩٨ هـ ، الطبعة الحادية عشرة .

٢٤٨ - **ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير** . إبراهيم سليمان الجبهان . طبع دار الإفتاء بالمملكة عام ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٤٩ - **ما يقال عن الإسلام** . عباس محمود العقاد . دار الكتاب العربي . بيروت .

٢٥٠ - **الماسونية في العراء** . د . محمد علي الزعبي مؤسسة مطابع معتوق إخوان بيروت عام ١٣٩٥ هـ ، الطبعة الثالثة .

٢٥١ - **ما هي علاقة الأمة الإسلامية بالأمم الأخرى** . أحمد محمود الأحمد . المكتب الإسلامي ١٣٩٨ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٥٢ - **المبسوط**.لشمس الدين السرخسي . دار المعرفة ببيروت . الطبعة الثانية .

٢٥٣ - **مبادىء الإسلام** . أبو الأعلى المودودي مؤسسة الرسالة ١٣٩٥ هـ .

٢٥٤ - **المستدرك على الصحيحين في الحديث للحاكم** . وفي ذيله تلخيص المستدرك للذهبي . دار الفكر - بيروت عام ١٣٩٨ هـ .

٢٥٥ - **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**.للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الثالثة .

٢٥٦ - **المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية** . د . محمد الصادق عفيفي مكتبة الخانجي بالقاهرة .

٢٥٧ ـ **المجتمع الإنساني في ظل الإسلام** . محمد أبو زهرة الدار السعودية للنشر بجدة عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الثانية .

٢٥٨ ـ **مجموعة بحوث فقهية** . د . عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة ومكتبة القدس عام ١٣٩٦ هـ .

٢٥٩ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** .جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد تصوير ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٨ هـ .

٢٦٠ ـ **مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود** المكتب الإسلامي عام ١٣٩٨ هـ .

٢٦٦ **مجموعة التوحيد**.للشيخ ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، نشر دار الإفتاء بالمملكة .

٢٦٢ ـ **محاضرات في تسليم المجرمين**. ألقاها د . محمد الفاضل على معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية عام ١٩٦٦ م .

٢٦٣ ـ **محاضرات في نحو قانون عقابي موحد للبلاد العربية**.ألقاها حسن جميل عام ٦٤ م على طلبة قسم الدراسات القانونية في معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية .

٢٦٤ ـ **المحلى**.لابن حزم تصحيح حسن زيدان طلبه مكتبة الجمهورية العربية بمصر عام ١٣٩٢ هـ .

٢٦٥ ـ **محاسن التأويل** . محمد جمال الدين القاسمي تعليق محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر ببيروت عام ١٣٩٨ هـ ، الطبعة الثانية .

٢٦٦ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** . لأبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي تحقيق أحمد صادق الملاح ، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٤ هـ .

٢٦٧ ـ **محاضرات في النصرانية** . محمد أبو زهرة دار الفكر العربي عام ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الخامسة .

٢٦٨ - **مختصر سيرة الرسول ﷺ**. لمحمد بن عبد الوهاب نشر دار الإفتاء بالمملكة السعودية .

٢٦٩ - **المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام**. محمد محمود الصواف دار الثقافة بمكة ١٣٨٤ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٧٠ - **المدونة الكبرى**. للإمام مالك رواية سحنون بن سعيد ومعها مقدمات ابن رشد دار الفكر عام ١٣٩٨ هـ .

٢٧١ - **المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها** . د . عبد الرحمن عميرة - دار اللواء للنشر والتوزيع عام ١٣٩٨ هـ الطبعة الأولى .

٢٧٢ - **مسند الإمام أحمد بن حنبل** . المكتب الإسلامي ودار صادر ببيروت .

٢٧٣ - **المستشرقون والإسلام** . د . عرفان عبد الحميد . المكتب الإسلامي عام ١٩٨٠ م ، الطبعة الثانية .

٢٧٤ - **مصرع التصوف** . برهان الدين البقاعي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل . مطبعة السنة المحمدية بمصر عام ١٣٧٢ هـ .

٢٧٥ - **المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى** ، تحقيق د . وديع حداد دار الشرق - بيروت عام ١٩٧٣ م .

٢٧٦ - **معالم في الطريق** سيد قطب . دار الشروق .

٢٧٧ - **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول . في التوحيد** للشيخ حافظ الحكمي . نشر جماعة إحياء التراث .

٢٧٨ - **المغني لابن قدامة** . مكتبة الرياض الحديثة . نشر رئاسة البحوث السعودية .

٢٧٩ - **الملل والنحل**. لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني . تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة للطباعة ١٣٩٥ هـ ، الطبعة الثانية .

٢٨٠ - **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**. لأبي الفرج بن الجوزي ، تحقيق الدكتورة زينب إبراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٨١ ـ **منهج الإسلام في الحرب والسلام**.لعثمان جمعة ضميرية نشر مكتبة الأرقم بالكويت عام ١٤٠٢ هـ الطبعة الأولى .

٢٨٢ ـ **المقدمات المهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات** . لابن رشد دار صادر .

٢٨٣ ـ **المنظمات العربية المتخصصة في نطاق جامعة الدول العربية**.للأستاذ غسان يوسف مزاحم . إصدار معهد البحوث والدراسات العربية عام ١٩٧٦ م .

٢٨٤ ـ **من هدي القرآن** . محمود شلتوت ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية .

٢٨٥ ـ **منهاج الانقلاب الإسلامي** أبو الأعلى المودودي دار الفكر .

٢٨٦ ـ **من هدى سورة الأنفال** ـ د . محمد أمين المصري . دار الأرقم بالكويت .

٢٨٧ ـ **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير** . فهد بن عبد الرحمن الرومي مؤسسة الرسالة ـ بيروت عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٨٨ ـ **مقالات الإسلاميين** . أبي الحسن علي الأشعري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة المصرية عام ١٣٨٩ هـ ، الطبعة الثانية .

٢٨٩ ـ **منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية** . علي بن علي بن جابر اليماني ، رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠١ هـ .

٢٩٠ ـ **منهج التربية الإسلامية** . محمد قطب دار الشروق .

٢٩١ ـ **منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب**.للشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر نشر دار ثقيف بالطائف عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الثالثة .

٢٩٢ ـ **نحن والحضارة الغربية** . أبو الأعلى المودودي . مؤسسة الرسالة .

٢٩٣ ـ **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها** . د . عرفان عبد الحميد . المكتب الإسلامي ببيروت عام ١٣٩٤ هـ .

٢٩٤ ـ **نشأة التصوف الإسلامي** . د . إبراهيم بسيوني دار المعارف بمصر .

٢٩٥ ـ **نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية** . د . إسماعيل إبراهيم محمد أبو شريعة . مكتبة الفلاح بالكويت، عام ١٤٠١ هـ الطبعة الأولى .

٢٩٦ ـ **نظام الرق في الإسلام** . عبد الله علوان . دار السلام بحلب عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٩٧ ـ **النفاق آثاره ومفاهيمه** . عبد الرحمن الدوسري دار الأرقم بالكويت عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى .

٢٩٨ ـ **النفاق والزندقة** ـ عطية عتيق الزهراني رسالة ماجستير قدمت لجامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠٠ هـ .

٢٩٩ ـ **نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع**. عبد العزيز بن باز . المكتب الإسلامي عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الرابعة .

٣٠٠ ـ **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار**. لمحمد بن علي الشوكاني مطبعة مصطفى الحلبي وشركاه .

٣٠١ ـ **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**. لابن قيم الجوزية . دار الكتب العلمية ببيروت .

٣٠٢ ـ **هذا هو الإسلام**. د. مصطفى السباعي . المكتب الإسلامي عام ١٤٠٠ هـ الطبعة الأولى .

٣٠٣ ـ **هذه هي الصوفية** . عبد الرحمن الوكيل . دار الكتب العلمية عام ١٣٩٩ هـ ـ الطبعة الثالثة .

٣٠٤ ـ **هذا الدين** . لسيد قطب . دار الشروق .

٣٠٥ ـ **واقع المسلمين وسبل النهوض بهم** . أبو الأعلى المودودي . مؤسسة الرسالة عام ١٣٩٨ هـ ، الطبعة الثالثة .

٣٠٦ ـ **وجاء دور المجوس** . د . عبد الله محمد الغريب دار الجيل للطباعة بمصر عام ١٩٨١ م الطبعة الأولى .

٣٠٧ ـ **الوحي المحمدي** . محمد رشيد رضا . مكتبة القاهرة عام ١٣٨٠ هـ . الطبعة السادسة .

٣٠٨ ـ **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة** . تأليف محمد بن الحسن الحر العاملي ، تحقيق عبد الرحيم الشيرازي ، دار إحياء التراث بيروت ، الطبعة الثانية .

٣٠٩ ـ **الولاء والبراء في الإسلام** . محمد سعيد القحطاني دار طيبة بالرياض الطبعة الأولى .

٣٣٠ ـ **الولاية والأولياء في الإسلام** ـ الخضر عبد الرحيم أحمد رسالة ماجستير قدمت لجامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠٢ هـ .

٣١١ ـ **يامسلمي العالم اتحدوا** . عبد الفتاح عبد الحميد المحامي . دار الأنصار بالقاهرة .

٣١٢ ـ **اليهودية العالمية خطط وأهداف** . عبد الله رشيد الحلاق ، سلسلة نحو وعي سياسي عام ١٤٠٠ هـ .

فهرس

الباب الثالث

الباب الرابع